كشف الارتياب

في اتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف المغفور له

السيد محسن الأمين

حققه وأخرجه ولده

حسن الأمين

تجديد

كشف الارتياب

في اتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف المغفور له

السيد محسن الأمين

حققه وأخرجه ولده

حسن الأمين

(الطبعة الثانية)

١٣٨٢ هـ – ١٩٥٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

- ١ -

منذ خمس وثلاثين سنة طغت موجة الارهاب السعودي على الجزيرة العربية فحملت معها الحقد والسفك والدمار والتنكيل بالعرب والمسلمين فاستبيحت المحارم وسفكت الدماء واهينت المقدسات وكفر المسلمون وعطلت شعائر الاسلام .

وارتفعت الاصوات بالاستنكار في مختلف البقاع العربية والاسلامية وعقدت المؤتمرات وقامت الاحتجاجات باستنكار هذه الحركة الرجعية الآثمة التي تلبست لباس الاصلاح والغيرة على الدين فاصطبغت ايدي القائمين بها بدماء العرب والمسلمين منذ ان تحالف ابناء مؤسس الدعوة الوهابية محمد بن عبد الوهاب مع آل سعود فكانت غاراتهم المتتالية على نجد والحجاز والعراق وبقية بقاع الجزيرة العربية فسفكت بها دماء الآلاف من الابرياء من الاطفال والنساء والرجال ودمرت المدن والقرى واعمل فيها القتل والنهب والسلب .

وقامت اقلام العلماء والادباء والشعراء بالذب عن حياض المقدسات الدينية وفضح اعمال البرابرة السعوديين الذين اعادوا الى الذاكرة فظائع الغزو المغولي للديار الاسلامية وما ارتكبت فيه من آثام وجرائم ضد الحضارة والانسانية .

وكان في طليعة الكتب التي صدرت في ذلك الحين كتاب « كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب » وهو هذا الكتاب بقلم المرحوم الوالد الذي استقصى فيه تاريخهم الحافل بالفضائح والمآسي والاجرام وفضح فيه اسطورة الاصلاح والتجديد التي زعموها وفند عقائدهم وافتراآتهم على الاسلام والمسلمين بما ليس فيه زيادة لمستزيد .

وقد اثار هذا الكتاب ضجة كبرى في العالمين الاسلامي والعربي يومذاك وألب عليهم الرأي العام واوقعهم في حيرة من امرهم لما فيه من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة

وجعلهم يحشدون كل ما لديهم من اقلام مخدوعة ومأجورة للرد عليه واضطرهم بالتالي الى التخفيف من غلوائهم ومحاولة استرضاء الرأي العام الاسلامي الذي ناصبهم العداء لا سيما بعد ان صدرت الفتاوى بعدم جواز اداء فريضة الحج لعدم امان المسلمين على ارواحهم وأموالهم واعراضهم وكان موسم الحج هو المورد الوحيد لتأمين الموارد لهم بعد ان خرجوا من ديارهم حفاة عراة جائعين وبعد ان كان تاريخهم الدامي الذي يفاخرون به سلسلة من اعمال الغزو والسلب والنهب والتقتيل .

- ٢ -

لقد هادن السعوديون الرأي العام العربي والاسلامي فترة وتظاهروا بالتوبة ثم عمدوا الى شراء اقلام الكتاب والصحافيين المأجورة يسترون بها عوراتهم وجرائمهم باموال المسلمين وذلك حرصاً على استتباب الامر لهم .

ولما ظهر البترول في البلاد العربية التي اغتصبوها من اصحابها واعطوا امتيازاتها للشركات الاحتكارية بابخس الاثمان وابطرتهم النعمة عادوا سيرتهم الاولى وانطلقوا يحملون معهم خيرات البلاد لينفقوها بالملايين وعشرات الملايين على الفسق والفجور وشرب الخمور وانتهاك الاعراض حتى انتشرت فضائحهم في الشرق والغرب وتحدثت عنها صحف العالم بينما ضنوا بالنزر اليسير منها على الشعوب التي ابتليت بحكمهم فتضورت جوعاً .

ولم يحرموا هذه الشعوب من خيرات البترول فحسب بل حرموها من ابسط ما يتمتع به الانسان من كرامة بل حرموها من ابسط الحريات فلا حرية للمعتقد ولا حرية للعبادة ولا حرية للقول ولا حرية للكلام فالكتب والصحف محظورة الا ما مجد السعوديين واباح جورهم واشاد بطغيانهم بينما تحرق كتب الاسلام الصحيح وتمزق اسفار الدين القويم وكشاهد على ذلك نروي ما فعله قاضيهم في محكمة الظهران سليمان بن عبيد عام ١٩٥٥ من امره باحراق كتاب فقهي اسمه (دعائم الاسلام) كما فعلوا بكتاب (ابو الشهداء) للاستاذ عباس محمود العقاد الذي لم يكتفوا بمنعه بل صادروه وأحرقوه وكذلك فعلوا بكثير من الكتب والاسفار .

وفي هذا العام اصدر شاب فاضل من ابناء القطيف التي نكبت بحكم السعوديين كتاباً

اسماه (مؤمن قريش) فامروا باحراق الكتـــاب واختطفوا مؤلفه واخفوه وكادوا يقضون عليه لولا الضجة التي ثارت عليهم من كل جانب فاكتفوا بسجنه وجلده .

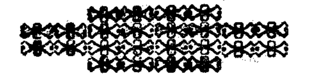
― ٣ ―

سلط السعوديون زبانيتهم ممن اسموهم زوراً «وبهتاناً هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» على الناس فامعنوا بهم تنكيلا ، وهم الذين يحكمون باحراق كتب الدين وتاريخ المسلمين وينكلون بالاحرار امثال الكاتب الفاضل عبد الله الخنيزي ويتفننون بارتكاب الموبقات وانا لنسأل عبد الملك بن ابراهيم رئيس هيئة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وامين سرها عبد الله باشميل وجلاوزتها كيف سكتوا عن مخازي امرائهم وفجور حكامهم وفسق ملوكهم وتهتك كبرائهم ولم يروا في هذه الاعمال منكراً ينهون عنه .

― ٤ ―

لقد رأينا خدمة للحقيقة والتاريخ تجديد هذا الكتاب واعـــادة طبعه وزيادة فصول جديدة عليه ونشره في الرأي العام العربي والاسلامي لاظهـــار حقيقة السعوديين خالية عن الزيف وعن بهرج الدعاية المضللة وبالله المستعان .

حسن الأمين



نسب السعوديين (١)

لماذا يكفر السعوديون المسلمين ويستحلون دماءهم واعراضهم واموالهم ؟! ولماذا لم يحارب السعوديون الا العرب ولم يخربوا الا ديارهم ولم ينتهكوا الا حرماتهم ؟! لماذا وقف السعوديون هذا الموقف المخزي من كارثة فلسطين فكانوا عوناً للصهاينة على اهلها ؟! لماذا ابى ملكهم عبد العزيز بن سعود ان يهدد بقطع النفط يوم كان هذا التهديد حاسماً في منع تقسيم فلسطين ، ولما رفض ان يساهم بدينار واحد في انقاذ الارض المقدسة ، ولماذا رفض ان يبعث جيشاً سعودياً مع جيوش العرب الداخلة الى فلسطين؟ (٢) ولماذا كان هذا الجيش السعودي جاهزاً ابداً للهجوم على اي بلد عربي حين يقف هذا البلد موقفاً حازماً مع الاستعمار ؟

كان المخلصون في كل مكان يحارون في الاجابة على هذه الاسئلة ، وكانوا يندهشون لهذا التصرف السعودي اللئيم ولا يجدون له تفسيراً الا ان طبيعة من الشر قد سيطرت على هذه السلالة فجعلتها سفاكة للدماء خائنة للعرب والمسلمين !.

ولكن لماذا كانت طبيعةالشر هذه لا توجه السعوديين الا الى العرب والمسلمين ؟! لماذا لا توجههم الى المستعمرين ، الى اليهود ، الى وجهة غير وجهة اذى الاسلام والعروبة ؟! وها نحن اليوم نكشف حقيقة السعوديين ونفسر ما اعيى تفسيره الاذهان. ان السعوديين ليسوا عربا وليسوا مسلمين ، ولكنهم تستروا بالعروبة وبالاسلام تغطية لاجرامهم وستراً لمؤامراتهم وتمويهاً لخياناتهم . وهذه هي القصة بكاملها تنشر وتطبع اليوم لاول مرة بعد ان عرفت وجالت على الافواه قبل اليوم في نجد وفي الجزيرة ، ولكن لم يكن يجرؤ احد ممن عرفوها على التصريح بها وتداولها رهبة وخوفاً ، وهـا نحن اذ نقدمها للقارىء الكريم نضع حداً لهذا الزيف في التاريخ ، ويا له من زيف !.

(١) مما استدركناه على الطبعة الاولى . (الناشر)

(٢) كان كل ما فعله عبد العزيز بن سعود ان ارسل الى فلسطين – ستراً للمظاهر – ٧٠٠ بدوي حفاة عراة ببنادق بالية ، اما الجنود واما المدافع واما المصفحات فقد كانت معدة لهدم مساجد اهل القطيف وتخريب بيوتهم ولذبح النخاولة في مدينة الرسول (ص) .

ونترك الكلام الآن لشخصية نجدية جليلة نكتفي بان نرمز الى اسمها بالحرف (ح) خوفاً من ان تمتد اليها يد البطش السعودي اذ لا تزال هذه اليد قادرة على الوصول اليها .
قال الشيخ (ح) :

اقرأتم التاريخ المزور الذي رسمته وكتبته الاقلام المأجورة المستثمرة واملته الضمائر الخائنة لقاء ارقام من المال ، انه ارقام بارقام من الجمل المرصوفة الكاذبة الخائنة بارقام من المال تبدأ بالألوف وتنتهي بالملايين ، ذلكم التاريخ هو تاريخ آل سعود تاريخ اجتمع على وضعه وتزويره خونة سعوديون أين منهم مسيلمة الكذاب وسجاح من غربيين وشرقيين ومستشرقين والانكى من ذلك والادهى هو ان هؤلاء الخونة ربطوا تاريخ هذه الجزيرة العربية الحافل بالبطولات والامجاد والتي شع منها نور المعرفة وبزغ من ربوعها فجر الحضارة واشرق على الافكار سناها ، هذه الجزيرة العربية التي يرتبط تاريخ الشعوب الاسلامية بتاريخها ، ربط هؤلاء الخونة المأجورون تاريخها بتاريخ آل سعود ، التاريخ المزور الذي حشد المستعمرون وعملاؤهم من كتاب ومؤرخين كل جهودهم لتزويره وفرضه تاريخاً على الجزيرة العربية وبالتالي على تاريخ الشعوب الاسلامية وبالنتيجة يفقد العرب والمسلمون كل تاريخهم الذي حفل بانواع البطولات والعبقريات . ونحن هنا في قلب الجزيرة العربية لا يشرفنا أن يرتبط تاريخنا بتاريخ الاسرة الخائنة الفاجرة الاسرة التي تسللت في الظلام لتسطو على مقدراتنا ومقدساتنا وتستولي على السلطة بالقوة بدون مبرر وبالتالي تتآمر على تاريخنا وذلك بان تزور لها تاريخاً على حساب تاريخنا فتدعي لنفسها زوراً وافتراء بانها صانعة التاريخ الحديث في الجزيرة العربية ونحن أمس واليوم وفي الماضي والحاضر كأننا لا تاريخ لنا يذكر الا على هامش تاريخ آل سعود . لذلك نرى لزاماً علينا ان نصحح هذا الخطأ من تاريخنا ونمحو هذه الوصمة من جبينه الناصع الوضاء ونقدم آل سعود على حقيقتهم وكيف دخلوا البلاد حاكمين وما هو دورهم في هذه الحقب التي توالوا عليها منذ تسنمهم هذا العرش المتزعزع الذي توارثوه واحداً عن واحد ولدينا من الحقائق الواضحة والادلة الناصعة ما تصفع كل مزور خائن .. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وعلى اسم الله نمضي في تحقيقنا هذا .

فمن هم آل سعود ؟ اليك الجواب ايها القارىء :

في امسية من اماسي عـام ١٩٣٧ كان ركب السيرجون فلبي الانـكليزي الشهير الذي صار الحاكم الفعلي للسعودية والموجه لسياستها والمدبر لامورها – كان ركب فلبي هـذا يدخل مدينة نجران في رحلته الشهيرة التي مضى فيها بعد ذلك الى الربع الخالي ، وكان في الركب رفيقاً لفلبي احد شيوخ النجديين الشيخ محمد التميمي .

فما هو ان استراح فلبي من وعثـاء السفر حتى راح يسأل في نجران عن اسرة يهودية وعن عميدها المسمى يوسف ليسلمه امانة مالية مرسلة من الملك عبـد العزيز بن سعود ، ثم مضى فلبي يصحبه التميمي وسلم فلبي يوسف المـذكور خمسمائة ريال فضية ، من العملة المنقوش عليها اسم ماري تريز وهي العملة المتداولة في اليمن ، وابلغه تحيات الملك ، وسأله عن حاجاته ليقضي منها ما يستطيع قضاءه وليرفع مـا لا يستطيع قضاءه الى الملك ليقضيه بنفسه .

فشكر يوسف اليهودي فضل الملك وعاطفته ثم قدم الى فلبي كتاباً خطيـاً بعضه بالعربية وبعضه بالعبرية اسمه العربي (نبع نجران المكين في تراث اهله الاولين) ، ولم يكن بعض ما في الكتاب مجهولا لدى كثير من الخاصة في نجد ولكن التفاصيل التي فيه كانت مثيرة حقاً ، وكلف يوسف اليهودي رسول الملك فلبي ان يهدي بالنيابة عنه هـذا الكتاب الى جلالة الملك السعودي تقديراً لعاطفته وصلاته المتكررة ليهود نجران بعامة وليوسف واسرته بخاصة ، وقد كان ما في الكتاب شيئاً خطيراً حمل فلبي على ان يذاكر بشأنه زميله الانكليزي الآخر هـ . ر . ب دقسن المعتمـد البريطاني في الكويت ، وان يقررا معاً وجوب طي الكتاب وعدم اظهاره حرصاً على المصلحة الاستعمارية .

يقول الشيخ محمد التميمي : لقد اغاظني هذا اليهودي يوسف وهو يحدثنـا حديث المزري على العرب المستخف بالمسلمين ، وقد كان يشير بذلك ويقوله ان العرب والمسلمين لا يصلحون لتولي امور الناس ، وبالاشادة بنجاح آل سعود – كان يشير اليها كنـا نجهل تفاصيله يومذاك وان علمنا مجمله عن الحقيقة في نسب آل سعود ، هـذه الحقيقة التي أخذنا على انفسنا تقصيها بعد ذلك حتى عرفنا دقائقها من شيوخنا الذين عرفوهـا من شيوخهم دون ان يجرؤ احد على كشفها جلية للناس اجمعين ، بل ظل الذين يعرفونهـا يتهامسون بها همساً ويوصلها جيل الى جيل ليأتي اليوم الذي يمكن الجهر بها من غير ان

يخشى الجاهر فتكا ولا بطشاً وقد جاء والحمد لله هذا اليوم المنتظر :

ان السعوديين من اصل يهودي اذ يرجعون بنسبهم الى يهود نجران ، ومن ابناء اعمامهم اليهودي النجراني يوسف المتقدم ذكره والفائز بصلات الملك السعودي ومبراته والذي يلتقي نسبه مع آل سعود في الجد السادس وقد تفرع الجميع من اليهودي سليمان اسلايم الذي كان له ولدان احدهما اسمه (مقرن) وهو جد آل سعود بينما الولد الآخر جد يوسف وهذه هي التفاصيل :

كان مقرن بن سليمان اسلايم يمتهن التجارة فيضطر للتجوال في البلاد العربية فيلاقي بسبب يهوديته متاعب واهانات كان ينوء بها ولكنه كان يتغلب عليها فاتسعت تجارته وازدادت ثروته وتضخمت معاملاته فعزم على التوسع بتجارته الى خارج الجزيرة والوصول الى العراق والتعامل مع اهليه ، وكان يرى ان يهوديته ستغري به العرب فيفتكون به او يسلبونه ، وطريقه الى العراق ومن العراق مملوء بالعشائر فقرر اولا ان يستقر في بلدة معينة يتخذها ركيزة لاعماله المقبلة فاستقر في مدينة « عيينة » النجدية وهي اليوم خربة وتمتد شرقاً مع طول الوادي الى قرية الجبيلة وكان سكانها يوم حل فيها مقرن يناهزون الخمسين الف نسمة وهي محاطة بكل من العشائر الآتية : عتيبة ، قحطان ، بنو مرة ، بنو خالد ، العجمان ، سبيع ، الدواسر ، شمر ، مطير ، حرب ، يام ، تميم .

وبعد ان توطد مقام مقرن في عيينة واكتسب هو واسرته عاداتها الاجتماعية وألف تقاليدها الحياتية واصبحوا لا يختلفون في شيء من تصرفاتهم وطراز عيشهم عن جميع العرب الساكنين داخل عيينة او حولها عزموا على الانخراط نهائياً في الحياة العربية والانتماء الى عشيرة من العشائر بحيث تضيع معالمهم الاصلية وتغيب حقيقتهم اليهودية ، ولكن الامر لم يكن سهلا على مقرن واسرته فالقبائل تأبى الدخيل وتلفظه واستعرضوا امامهم اسماء العشائر المعروفة فرأوا ان ما من قبيلة تحترم نفسها يمكن ان يذوبوا في غمارها ، لذلك اتجه تفكيرهم الى عشيرة من العشائر النكرة في المنطقة لكي لا ينكشف امرهم امام اهل العيينة وامام العشائر المجاورة لها فوقع اختيارهم على عشيرة «المصاليخ» وهي فخذ صغير من افخاذ قبيلة عنزة مشهور بين العشائر بتفاهته وعدم تحسسه بالحس القبلي والنعرة العشائرية بحيث لا يوجد منه سوى اقلية بجبل سنجار شمال العراق واقلية

اخرى انصهرت في عشيرة الحسنة القاطنة في ضواحي الشام والتابعة لمشيخة ابن ملحم وكانت هذه الفكرة اليهودية محكمة كل الاحكام فاستطاع مقرن واسرته ان يعايشو (المصاليخ) وان ينطوا بيهوديتهم في كيانها فيبرزوا وكأنهم منها وفيها وهكذا عاد (مقرن) اليهودي عربياً مسلماً يقصد بتجارته الى الاقاصي البعيدة محتمياً بمظهره الجديد. ومن مقرن هذا تحدر السعوديون واحداً بعد واحد .

يقول الشيخ محمد التميمي : كان يوسف اليهودي لا يريد ان يبوح امامي بحقيقة النسب الذي يربطه بآل سعود وكان يتكلم بالمعاريض وحرص على ان لا اعلم بحقيقة ما في الكتاب المهدى الى فلبي (وكان في الكتاب تفاصيل للاحداث النجرانية وبعضها متعلق بالنسب السعودي) .

ولكن يوسف عاد بعد ذلك يتحدث بلا تحفظ او بشيء من التفحظ فكان مما عرفناه منه ان آل سعود الاولين كانوا يعطفون عليهم ولم يتنكروا للرحم حتى جده الثالث داود ، ثم عادوا يتجاهلونهم بعد ذلك ويحاولون الابتعاد عنهم بسبب الظروف التي صار فيها آل سعود ، إلى أن انتهى الامر الى عبد العزيز واستقرت به الحال واطمأن الى المصير فعاود الاتصال بهم والعطف عليهم ، وكان ما حمله اليه فلبي بعض ما كان يصلهم به ويغدقه عليهم . على ان عبد العزيز لم يسمح لهم في حال من الاحوال بان يتصلوا به شخصياً وان يعلنوا ما يجب ستره من صلات القربى « انتهى » .

والسعوديون بهذا النسب اليهودي العريق يشبهون اليهود الاتراك الذي عرفوا باسم « الدونمة » ، وهم يهود سكنوا البلاد التركية لا سيما سلانيك ، واضطرتهم ظروف الحياة الى اعلان اسلامهم مع ابطان يهوديتهم فاطلق عليهم الاتراك اسم « الدونمة » تمييزاً لهم عن المسلمين الصحيحي الاسلام . وقد استغل الدونمة هذا التظاهر بالاسلام اسوأ استغلال فاتاح لهم ما لم يكن يتاح من التغلغل في صفوف المواطنين والامعان تخريباً وكيداً . وقد صبحوا مصدر الدسائس التي احاقت بتركيا ، ولم تحل بها نكبة ولم تقم بها مؤامرة الا كان الدونمة رأسها . وبذلك كانوا كالسعوديين في العرب نسباً وحسباً ومناقب !!

وبعد فهل عرفتم لماذا يقف السعوديون هذا الموقف اللئيم من العرب والمسلمين ؟ واذا نكر السعوديون اليوم هذا النسب فإننا [illegible]

مقرن ، فالعرب حريصة على انسابها وكل ما يتصل بهذه الانساب لا سيما من كانوا في منزلة آل سعود ، فمن هو جدكم يا آل سعود بعد مقرن ؟ . انه اليهودي سليمان اسلايم [١] .

---

(١) من طريف ما حدث عام ١٩٤٩ ان نظم احد الشعراء على سبيل المطايبة قصيدة على لسان الملك عبد الله يخاطب بها الملك عبد العزيز بن سعود بعنوان (الى الملك الثري) فنظم الشاعر عبد المطلب الامين هذه القصيدة على لسان الملك عبد العزيز يخاطب بها الملك عبد الله .

يلومونني اني بخلت ولو رأوا … براميل بترول الرياض لا قصروا
تفيض به الصحراء تبراً مذوبا … وتزهو بـه ارض الحجاز وتزهر
ولم از مثل النفط اما سواده … فمسك واما الريح منه فعنبر
غنينا به عن كل حاف مقمل … يجيء من الحجاج عريان يفخر
تزود من كل الذنوب بماله … وجاء الينا مفلساً يتطهر
فديت بني الدولار من كل اشقر … وان سكروا وقت الطعام و«خنزروا»
اتونا باكياس الريالات كلما … حردنا عليهم زودونا واكثروا
وبعد الجمال الجرب صارت تقلنا … «طنابيل» منها (هدسن)و(كرزلر)
وكل حسان الارض طوع اكفنا … نطير اليها او الينا تطير
وكنا وعدنا جنة مثل هذه … تطوف علينا الحور فيها وتخطر
نحارب اعداء الاله لاجلها … ونفني يهود الارض اني تجمهروا
فلما كفانا (العم سام) جهادنا … قعدنا على جيراننا (نتمسخر)
وما كان زهدا بالجنان قعودنا … ولكن طريق النفط للخلد اقصر
يقولون لي اخلفت وعدك حينما … وعدت بان افدي بني ليظفروا
يريدون مني ان اكون سموءلا ؟ … وذاك يهودي اذل واحقر
وما كنت الا سيدا وابن سيد … اقر متى شئت الوعود وانكر
فان تك عبد الله في ذا تلومني … فوا عجبي مما تقول وتذكر
فجدك قبلي قال للفاتح الذي … اناخ له في باب مكة عسكر
جمالي جمالي ان للبيت ربه … يقيه اذا شاء العدو ويقهر
علام احامي عن فلسطين صارفا … فلوسي وبترولي اضيع واهدر
فلا والدي في مسجد القدس موسد … وليس لاجدادي بغزة اقبر
ولكن نجدا يا ا كارم موطني … اموت على الدهناء منها وانشر
فان تقبلوني عاهلا دون مصرف … قبلت والا فاتركوني وثرثروا
فليس لاسرائيل عندي مأرب … سوى خيبر لا كانت الدهر خيبر
اذا طلبوها قلت اهلا ومرحبا … بابناء اعمام علينا تغندروا

في البيت العاشر اشارة الى ما ينشده السعوديون عند الحرب :

هبت هبوب الجنة … وين انت يا باغيها

ولم ينشدوا هذا النشيد الا في حروبهم للعرب والمسلمين، لانهم في كل ادوارهم لم يحاربوا الا العرب والمسلمين.
وفي البيت الرابع عشر اشارة الى ما كان قاله عبد العزيز بن سعود من انه يفدي اولاده من اجل فلسطين ثم كان حرباً عليها .

المقدمة الاولى

في تاريخ الوهابية وفيها فصول

الفصل الأول

الى من ينسب مذهب الوهابية ومتى ظهر وكيف ظهر ومن اتبعه بعد ظهوره ومن هو اول من بذر بذور هذا المذهب :

ينسب مذهب الوهابية الى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد ابن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد ابن علي بن وهيب التميمي. (وفي خلاصة الكلام) في امراء البلد الحرام للشيخ احمد بن زيني دحلان : ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٧ [١] فيكون عمره ستا وتسعين سنة [٢] واخذ في اول امره عن كثير من علماء مكة والمدينة وكانوا يتفرسون فيه الضلال والاضلال وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين وكان يتفرس فيه ذلك ويذمه كثيراً ويحذر الناس منه وكذا اخوه سليمان بن عبد الوهاب انكر عليه ما احدثه والف كتاباً في الرد عليه . وكان في اول امره مولعاً بمطالعة اخبار مدعي النبوة كمسيلمة وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي وامثالهم . وخلف محمد بن عبد الوهاب بعده اربعة اولاد وهم عبد الله وحسن وحسين وعلي فقام بالدعوة عبد الله اكبرهم ولما مات خلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصباً تعصباً شديداً في امرهم فقتله ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ وقبض على عبد الرحمن وارسله الى مصر فمات بها وخلف حسن عبد الرحمن وولي قضاء مكة ايام استيلاء الوهابيين عليها وعمر عبد الرحمن حتى قارب المائة وخلف عبد اللطيف وخلف كل من حسين وعلي اولاداً كثيرة ولم يزل نسلهم باقياً بالدرعية الى الآن يسمونهم اولاد الشيخ . وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد ابن سعود ثم ولده عبد العزيز ثم ولده سعود « انتهى ملخصاً » .

---

(١) يأتي في كلام الالوسي ١٢٠٦ (٢) الذي في النسخة اثنتين وتسعين سنة لكنه لا يوافق تاريخ الولادة والوفاة .
— المؤلف —

وسعود بن عبد العزيز هو الذي غزا العراق والحجاز ومنع المسلمين من الحج فانقطع الحج في زمانه عدة سنين كما سيأتي .

وقال ملطبرون في جغرافيته المترجمة من رفاعة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة بمصر المطبوعة بمصر : اصل المذهب الوهابى ان العرب سيما اهل اليمن تحدثوا بان راعيا فقيراً اسمه سليمان رأى في منامه كأن شعلة نار خرجت منه وانتشرت في الأرض وصارت تحرق من قابلها فقصها على معبر فعبرها بان ولدا له يحدث دولة قوية فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبد الوهاب فلما كبر محمد صار محترما عند اهل بلده بسبب هذه الرؤيا التي لا يعلم انها كانت ام لا فاول امره بين مذهبه سرا فاتبعه جماعة ثم سافر الى الشام فلم يتبعه احد فرجع الى بلاد العرب بعد ان غاب عنها ثلاث سنين وجاء الى بلاد نجد واظهر هذا المذهب فتبعه عليه سعود [١] وكان شهماً حازماً وتقوى كل منهما بالآخر فقوى سعود امارته من طريق الدين باتباعه محمد بن عبد الوهاب على مذهبه وقوى ابن عبد الوهاب دعوته من طريق السيف باتباع سعود له وانتصاره به فكان سعود الامير الحاكم وابن عبد الوهاب الرئيس الديني وصارت ذرية كل منهما تتولى مرتبة سلفها وبعد ان صار سعود حاكما على قبيلته تغلب على قبيلتين من اليمن ودان بهذا المذهب قبائل كثيرة من العرب وجميع اعراب نجد واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم وهي في الجنوب الشرقي من البصرة وبعد خمس عشرة سنة اتسعت ولاية سعود وهو يطمع في الزيادة وكان يأخذ من يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس فيأخذ عشر الناس بالقرعة فجمع اموالاً عظيمة وصار جيشه يربو على مائة وعشرين الف مقاتل «انتهى» .

وفي خلاصة الكلام : كان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٤٣ واشتهر امره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائفة بنجد وقرأها فقام بنصره محمد بن سعود امير الدرعية فحمل اهلها على متابعته فتابعوه وما زال يطيعه كثير من احياء العرب حتى قوي امره فخافته البادية وكان يقول لهم انما ادعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله .

وعن كتاب تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي ان ابن عبد الوهاب نشأ في بلد العيينة من بلاد نجد فقرأ على ابيه الفقه على مذهب احمد بن حنبل وكان من صغره يتكلم بكلمات

(١) الصواب ان اول من تبعه محمد بن سعود كما مر عن خلاصة الكلام — المؤلف —

لا يعرفها المسلمون وينكر عليهم اكثر الذي اتفقوا على فعله لكنه لم يساعده على ذلك احد فسافر من العيينة الى مكة المشرفة ثم الى المدينة فاخذ عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم ابن سيف وشدد النكير على الاستغاثة بالنبي (ص) عند قبره ثم رحل الى نجد ثم الى البصرة يريد الشام فلما ورد البصرة اقام فيها مدة واخذ فيها عن الشيخ محمد المجموعي وانكر على اهلها اشياء كثيرة فاخرجوه منها فخرج هاربا ثم جاء بعد عدة تحولات الى حريملة من نجد وكان ابوه بها فلازمه وقرأ عليه واظهر الانكار على مسلمي نجد في عقائدهم فنهاه ابوه فلم ينته حتى وقع بينهما نزاع ووقع بينه وبين المسلمين في حريملة جدال كثير فاقام على ذلك سنتين حتى توفي ابوه سنة ١١٥٣ فاجترأ على اظهار عقائده والانكار على المسلمين فيما اطبقوا عليه وتبعه حثالة من الناس الى ان غص اهل البلد من مقالاته وهموا بقتله فانتقل من حريملة الى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن احمد بن معمر فاطمعه ابن عبد الوهاب في ملك نجد فساعده عثمان واعلن النكير على المسلمين فتبعه بعض اهل العيينة وهدم قبة زيد بن الخطاب التي عند الجبيلة فعظم امره وبلغ خبره سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي صاحب الاحساء والقطيف وتوابعها فارسل سليمان كتابا الى عثمان يأمره فيه بقتله ويهدده على المخالفة فلم تسعه مخالفته فارسل اليه وامره بالخروج عن مملكته فقال له ان نصرتني ملكت نجدا فلم يسمع منه وخرج الى الدرعية سنة ١١٦٠ (وهي بلاد مسيلمة الكذاب) وصاحبها يومئذ محمد بن سعود فتوسل بامرأة الحاكم اليه واطمعه في ملك بلاد نجد فتبعه وبايعه على قتال المسلمين فكتب الى اهل نجد ورؤسائهم وقضاتهم بطلب الطاعة فاطاعه بعضهم وبعضهم لم يحفل به فامر اهل الدرعية بالقتال فاجابوه وقاتلوا معه اهل نجد والاحساء مراراً كثيرة حتى دخل بعضهم في طاعته طوعا او كرهاً وصارت امارة نجد جميعها لآل سعود بالقهر والغلبة ومات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ ثم مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبد العزيز وقام بنصرة هذا المذهب وقاتل عليه وبلغت سراياه وعماله اقصى بلاد نجد ثم مات عبد العزيز فخلفه ولده سعود وكان اشد من ابيه في التوهب ، منع المسلمين عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم ثم مات سعود وخلفه ابنه عبد الله «انتهى» .

وفي خلاصة الكلام ان الوهابيين ارسلوا في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفي سنة ١١٦٥ ثلاثين من علمائهم فامر الشريف ان يناظرهم علماء الحرمين فناظروهم

فوجدوا عقائدهم فاسدة وكتب قاضي الشرع حجة بكفرهم وسجنهم فسجن بعضهم وفر الباقون . ثم في دولة الشريف احمد المتوفى سنة ١١٩٥ ارسل امير الدرعية بعض علمائه فناظرهم علماء مكة واثبتوا كفرهم فلم يأذن لهم في الحج « انتهى ملخصا » .

وهذا المذهب وان كان ظهوره وانتشاره في زمن محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الا ان بذره قد بذر قبل ذلك من زمن احمد بن تيمية في القرن السابع وتلميذه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي ومن نسج على منوالهم . وقد عثرنا فيه على رسالة لمحمد ابن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني المولود سنة ١٠٥٩ والمتوفى سنة ١١٨٢ كما عن كتاب البدر الطالع للشوكاني، سماها تطهير الاعتقاد عن ادران الالحاد وسيأتي النقل عنها في محاله وهذا الرجل كان معاصراً لابن عبد الوهاب .

وعن كتاب ابجد العلوم للصديق حسن خان القنوجي : كان المولى العلامة السيد محمد ابن اسماعيل الأمير بلغه من احوال النجدي ما سره فقال قصيدته المشهورة :

سلام على نجد ومن حل في نجد وان كان تسليمي على البعد لا يجدي[1]

ثم لما تحقق الاحوال من بعض من وصل الى اليمن وجد الامر غير خال من الادغال وقال :

رجعت عن القول الذي قلت في نجد فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

« انتهى » وعن محمد بن اسماعيل المذكور انه قال في شرح القصيدة المذكورة المسمى بمحو الحوبة في شرح ابيات التوبة : لما بلغت هذه الابيات نجدا يعني الابيات الاولى وصل الينا بعد اعوام رجل عالم يسمى الشيخ مربد بن احمد التميمي وذلك في صفر سنة ١١٧٠ وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه ثم عاد الى وطنه في شوال من تلك السنة

(١) وهي التي يقول فيها كما اورده في تطهير الاعتقاد :

اعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وودا ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة اهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا ويلتمس الاركان منهن بالايدي

وكان من تلاميذ ابن عبد الوهاب الذي وجهنا اليه الابيات وكان تقدمه في الوصول الينا الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب اشياء انكرناها عليه من سفك الدماء ونهب الاموال وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال وتكفيره الامة المحمدية في جميع الاقطار فبقي معنا تردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد وله نباهة ومعه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفير اهل الايمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا احواله وافعاله فعرفنا احواله احوال رجل عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه بل طالع بعض مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقلدهما من غير اتقان مع انهما يحرمان التقليد « انتهى » .

وهذا يدل على ان محمد بن اسماعيل المذكور رجع عن مغالاته في التوهب ولعل رجوعه كان بعد تأليفه رسالة تطهير الاعتقاد لان تلك الرسالة لا تقصر عن كتب ابن عبد الوهاب في المغالاة كما ستعرف .

وقد تبع هذا المذهب من بعد ظهوره الى اليوم بعض من ينسب الى العلم من اهل السنة من غير النجديين حسنه في نظرهم ظهوره بمظهر ترك البدع مع ما يرونه من كثرة البدع لكن الافراط آفة تفسد اكثر مما تصلح (وكل يدعي وصلا بليلى) والبعض منهم لم يصل في تضليل المسلمين الى حد التكفير واستحلال الدم والمال كالالوسي صاحب تاريخ نجد فيما حكي عنه حيث قال بعد ذكر سعود بن عبد العزيز : انه قاد الجيوش واذعنت له صناديد العرب ورؤساؤهم بيد انه منع الناس عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم وشدد في بعض الاحكام وحملوا اكثر الامور على ظواهرها كما غالى الناس في قدحهم ، والانصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب اليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج ، ولا التساهل الذي عليه عامة اهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الابنية المزخرفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك مما نهى عنه الشارع ، والحاصل ان الافراط والتفريط في الدين ليس مما يليق بشأن المسلمين بل الاحرى بهم اتباع ما عليه السلف الصالح وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والغضب « انتهى » .

فتراه قد انصف بعض الانصاف في لوم الوهابيين على تكفير من خالفهم ومنع الناس عن الحج والخروج على السلطان وتسمية الغارة على المسلمين جهاداً في سبيل الله ولكنه حاد عن الانصاف في جعله الحلف بغير الله والبناء على قبور الصالحين مما نهى عنه الشارع لما ستعرف من ان النهي منه غير واقع وجعله النذر للصالحين لما ستعرف أيضاً من انه لا ينذر احد لهم بل لله ويهدي الثواب اليهم ، وربما يكون كثير من غير النجديين ممن ينسب الى العلم ويميل الى الوهابيين لا يصل في المغالاة الى حد التكفير واستحلال المال والدم ، والله العالم باسرار عباده .

الفصل الثاني

(في حروب الشريف غالب امير مكة المكرمة مع الوهابيين)

(واستيلائهم على الحجاز في زمانه وما فعلوه في الحجاز)

(والعراق وانقطاع الحج والزيارة في ايامهم)

في خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام لاحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية ان الشريف غالباً غزا الوهابية ما ينوف عن خمسين غزوة من سنة ١٢٠٥ الى سنة ١٢٢٠ فارسل عليهم في سنة ١٢٠٥ ستمائة مقاتل مع اخيه عبد العزيز مع قبائل كثيرة حتى وصل الى عريق الدسم وملك عدة من قرى نجد وحاصر عنيزة قرية بسام ثم رجع (وفي سنة ١٢٠٦) جهز جيشاً بامرة المذكور لقتال القبائل التي دخلت في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود [1] فوصل به الى تربة ثم الى رينة ثم الى بيشة فاطاعته كلها ثم عاد الى مكة (وفي سنة ١٢٠٨) غزا الوهابيين بجيش من العربان بامرة عثمان المضايفي فصبح ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وحصلت ملحمة عظيمة انتصر فيها عثمان واخذ جميع ابل ابن قيحان ثم هزمه ابن قيحان ولم ينتزع منه الابل (وفي سنة ١٢٠٩) جهز جيشاً بامرة اخيه عبد المعين لغزو هادي بن قرملة وكان ممن توهب فنذر به وهرب فقصد ابن قفطان من اتباع ابن سعود فحصره في قصرة وقبض عليه وارسله الى الشريف غالب فسأله العفو فعفا عنه واطلقه فلما وصل الى بلده غدر واظهر العصيان فدس اليه من قتله

---

(١) وهو الذي تأمر بعد موت ابيه محمد بن سعود الذي هو اول من اتبع محمد بن عبد الوهاب ـ المؤلف ـ

وقصد مواضع فيها من اتباع ابن سعود فقتل منهم ثم رجع الى مكة (وفي سنة ١٢١٠) جهز جيشاً بامرة السيد ناصر فغزا جماعة من الوهابية فقتل ونهب وعاد سالماً (ثم) جهز جيشاً بامرة السيد فهيد بن عبد الله وغزا جماعة من الوهابية وقبض على ثلاثة جواسيس ارسلهم هادي بن قرولة فقتل اثنين واخبره الثالث بموضع القوم مخافة القتل فعفا عنه وجد في السير وفي اليوم الثاني وصل الى محل هادي بن قرملة فقتل من اصحابه نحو المائة وانهزم الباقون ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان بامرة ابن قيحان وهو ممن توهب فقتل منهم ونهب وصادف ابن شذير من شيوخ قحطان غازيا فقتل من اصحابه خمسة واربعين واخذ ابن شذير وابله وخمسة من الخيل وعشرين من جياد الركاب (ثم) جهز جيشاً بامرة اخيه عبد المعين فارسل الجواسيس فوجد من يريده من العربان قد ترفع وابعد لما سمعوا به فابقى جماعة من تربة ورجع ثم جهز جيشاً كثيفاً بامرة السيد ناصر حتى أتى الشماس فدهمهم جيش الوهابيين فجرت ملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير ورجع السيد ناصر الى مكة (وفي سنة ١٢١١) [1] جهز جيشاً بامرة السيد فهيد فارسل سرية الى الخرمة فقتلت منهم ثم أغار على قوم من حرب توهبوا ثم ارتحل الى روغ النعام فدهمهم الحجيلاني امير الخرج بجند كثير فوقعت ملحمة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين ثم غزا هادي بن قرملة بموضع يقال له البقرة فقتل منهم واخذ فرس ابن قرملة وابله ثم رجع الى مكة (فجهز) له الشريف غالب جيشاً وامره بالرجوع فملك رينة ونهبها واحرق دورها ثم اتى الجنينة وارسل الجواسيس الى قوم سماهم فاخبر بارتحالهم فعاد الى مكة (وفي سنة ١٢١٢) جهز جيشاً بامرة السيد فهيد على قوم من

---

(١) في رسالة الفواكه العذاب لاحمد بن ناصر النجدي احدى رسائل الهدية السنية الخمس المطبوعة بمطبعة المنار بمصر ان الشريف غالباً في سنة ١٢١١ طلب من عبد العزيز بن سعود ارسال عالم لمناظرة علماء الحرم فارسل صاحب الرسالة وذكر صورة المناظرة وانه اذعن له علماء الحرم ولم يشر اليها في خلاصة الكلام بل اشار الى وقوع مناظرة قبل ذلك في دولتي الشريفين مسعود ومساعد كما مر واني لنا بتصديق اقرار علماء الحرم له بصحة معتقدة وانه غلبهم بشبهاته التي بان ضعفها وفسادها مما اوردناه في هذا الكتاب نعم يجوز ان تكون وقعت هذه المناظرة فلم يقنع ذلك النجدي بل بقي على إصراره وعناده .

ـ المؤلف ـ

حرب في عريق الدسم توهبوا فغنم وعاد سالماً (ثم) جهز جيشاً بأمرة السيد مبارك فأغار على قوم من حرب توهبوا بموضع يقال له العلم فغنم مواشيهم وصادف في طريقه خمسة واربعين من الوهابية فقتلهم واراد الرجوع فمنعه الشريف غالب وامده بجيش بأمرة السيد سعد فاجتمعا على صلبة وارتحلوا واقاموا على مران وبثوا الجواسيس فبلغهم ان الوهابي جمع لهم ما لا طاقة لهم به فأرادوا الرجوع فمنعهم الشريف غالب وخرج بنفسه في جيش عظيم حتى وصل مران واجتمع بهما ثم أغار على قوم من قحطان واخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية وقتل منهم مقتلة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد الى رينة وحاربها وقطع نخلها فطلب أهلها الصلح فعفا عنهم وارتحل الى بيشة فأقر بها جماعة اطاعوه وفر آخرون فاحرق دورهم وارتحل الى الخرمه فأبادها وجاءه خبر بقدوم الوهابيين في جمع عظيم فاتهم المخبر وبعد يومين اقبلوا في جموعهم والتحم القتال فقتل من الفريقين ما ينوف عن الفين ومن الاشراف نيف واربعون وكانت الغلبة للوهابية ثم رجع الى مكة .

صلح الشريف غالب مع الوهابية

(وفي سنة ١٢١٢ في جمادى الاولى) انعقد الصلح بين الشريف غالب وعبد العزيز ابن محمد بن سعود بعد مكاتبات وجعلوا حدوداً للاراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود واخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب وان يحج الوهابيون ونودي بالأمان وحج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة منهم ولم يحج اميرهم لأن سليمان باشا والي بغداد جهز عليه جيشاً بأمارة علي بك كتخدا فحاصرهم لكنهم دسوا دسائس افسدوا بها اهل العسكر وفر اميره هارباً (وفي سنة ١٢١٤) حج سعود بن عبد العزيز ومعه اناس كثير واجتمع بالشريف غالب في خيمة ضربت لهما بالابطح (وفي سنة ١٢١٥) حج سعود ايضاً ومعه جند يزيد على عشرين الفا واسل قبل قدومه هدية للشريف غالب مع حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون من الخيل وعشر من النوق العمانيات فقبلها الشريف وكافأهم عليها وكان قد احترس قبل قدومهم خوفاً من غدرهم فبنى سور الطائف والابراج التي في اطراف مكة ومداخلها وطلب كثيراً من القبائل وترس جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود مكة بجيشه قبل الوقوف بل نزل

بعرفة (وفي الثاني عشر من ذي الحجة) وقع خصام بين عرب الشريف وقوم سعود أدى الى القتال بالرصاص فمنع الشريف عربه وكف القتال ونزل الناس من منى قبل الزوال ثم رحل سعود الى بلاده .

غزو الوهابية العراق سنة ١٢١٦ - ١٢٢٥ واعادتها فاجعة كربلاء

يقول المؤلف: (وفي سنة ١٢١٦) جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيما من اعراب نجد وغزا به العراق وحاصر كربلا ثم دخلها عنوة واعمل في اهلها السيف ولم ينج منهم الا من فر هارباً او اختفى في مخبأ او تحت حطب ونحوه ولم يعثروا عليه وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله «ص» السبط الشهيدونهبها وهدم قبر الحسين (ع) واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر ولم يرع لرسول الله (ص) ولا لذريته حرمة واعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلا ويوم الحرة واعمال بني امية والمتوكل العباسي ويقول اهل العراق — وهم اعلم بما جرى في بلادهم — : انه ربط خيله في الصحن الشريف وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة . وقال العلامة السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة وفي عصره كان غزوهم للعراق : ان سعوداً الوهابي الخارج في ارض نجد اخترع ما اخترع في الدين واباح دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمة المعصومين فاغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين (ع) وقتل الرجال والاطفال واخذ الاموال وعاث في الحضرة المقدسة فافسد بنيانها وهدم اركانها .

(قال) : وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي في النجف ونحن في غفلة حتى ان بعض اصحابه صعد السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لامير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً .

(قال): وفي جمادى الاخرة سنة ١٢٢٢ جاء الخارجي الذي اسمه سعود الى العراق بنحو من عشرين الف مقاتل او ازيد فجاءت النذر بأنه يريد ان يدهمنا في النجف الاشرف غيلة فتحذرنا منه وخرجنا جميعاً الى سور البلد فأتانا ليلا فرآنا على حذر قد احطنا بالسور بالبنادق والاطواب فمضى الى الحلة فرآهم كذلك ثم مضى الى مشهد الحسين (ع) على حين غفلة نهارا فحاصرهم حصاراً شديداً فثبتوا له خلف السور وقتل

منهم وقتلوا منه ورجع خائباً وعاث في العراق وقتل من قتل وقد استولى على مكة المشرفة والمدينة المنورة وتعطل الحج ثلاث سنين .

(قال) : وفي سنة ١٢٢٥ احاطت الاعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الاشرف ومشهد الحسين (ع) وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوار الحسين (ع) بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان وقتلوا منهم جما غفير واكثر القتلي من العجم وربما قيل انهم مائة وخمسون وبقي جملة من الزوار في الحلة ما قدروا ان يأتوا الى النجف كأنها في حصار والاعراب ممتدة من الكوفة الى فوق مشهد الحسين (ع) بفرسخين او اكثر «انتهى» .

انتقاض الصلح بين الوهابية والشريف غالب

في خلاصة الكلام ان سعودا ما زال يدس الدسائس بعد الصلح ويكاتب مشايخ الاعراب سراً كشيخ محايل وشيخ بارق فصارا يفسدان القبائل حتى انتقض الصلح وتوهب جميع قبائل الحجاز فارسل الشريف الى وزيره بالقنفذة ان يذهب لقتال شيخ محايل ففعل وحصل بينهما قتال شديد فهزمهم الوزير وملك ما في واديهم واحرق ديارهم وعاد الى القنفذة ثم بلغه انهم رجعوا وتجمعوا وصاروا يراسلون اهل تلك الاطراف ويتهددون من لم يطعهم فاخبر بذلك الشريف فجهز جيشاً عظيما بامرة السيد منديل فغزا بني كنانة وقتل منهم مقتلة وجاء الخبر ان اهل حلى توهبوا فجهز الشريف غالب عليهم جيشاً بامرة السيد ناصر بن سليمان فقتل منهم كثيراً وغنم ثم رجعوا الى مكة ومعهم بعض اهل حلى تائبين وطلبوا من الشريف ان يرسل معهم جيشاً ففعل وامر عليهم السيد منديل فبنى على حلى سوراً وجعل فيها كثيراً من الذخائر خوف هجوم العدو وبعد ثمانية اشهر بلغه اقبال الوهابيين بامرة رجل اسمه حشر وكان فاجرا ختالاً وارسلوا الى شيخ حلى فاستمالوه على انهم متى خرجوا لقتالنا تمنعهم من الدخول فاخرج السيد منديل بعض رجاله لقتالهم وبقي هو في البلد في خمسين مقاتلا فنشب القتال وقتل من الفريقين جماعة وانهزم الوهابيون خديعة وجعلوا لهم كميناً فخرج على جماعة الشريف وحجز بين الفريقين حر النهار واظهر اهل حلى الخيانة فاضطر الشريف منديل الى الخروج والرجوع الى مكة (وبلغ) الشريف غالباً ان عربانا بساحل اليمن توهبوا فأرسل عليهم غزية بإمرة السيد

سعد القتادي فأغار على دمينة وغامد الفرعاء وقتل فيهم ونهب وأسر تسعة عشر رجلا (وكان) وزير القنفذة ابو بكر بن عثمان اذاقهم الويل في قتاله لهم فاحتالوا على قتله بان اظهرت له الطاعة ثلاث قبائل وكاتبوه ان يأتيهم ليحاربوا معه الوهابيين واضمروا القبض عليه اذا اتاهم فاقبل اليهم بمن معه من الجند فبادروه بالقتال فاظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم ونهب ثم اجتمع بعسكر السيد سعد وبلغه ان الوهابيين اقبلوا بجنود كثيرة وافترقوا فرقتين فتوجه في اثرهم فاقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا فلما اشرفوا عليه عرفوا عجزهم فتركوه واقبلت فرقة على القنفذة فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فاثخن فيهم القتل والنهب ولم يسلم منهم الا القليل .

(وفي اوائل سنة ١٢١٧) جمع معدى بن شار شيخ محائل اثني عشر الفاً وقصدوا القنفذة على حين غفلة فخرج اليهم الوزير في سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل فقتل منهم نحو الاربعمائة وجرح مائتين واسر مائتين وهرب الباقون واخذ سلاحهم ومواشيهم . وهذه الوقائع كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافسادهم القبائل حتى افسدوا جميع اقليم اليمن وغيرهم (ولما) علم سعود ان اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك الشريف ارسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطالبهما بالوفاء بالعهد فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وان هذه الشوائع اكاذيب من العربان لاجل نقض الصلح فارسل الشريف رسولا الى زهران ليعرف الحقيقة فاخبره ان ما بلغه حق فارسل الى الدرعية زوج اخته عثمان بن عبد الرحمن المضايفي والشريف عبد المحسن وابن حميد شيخ المقطة وغيرهم لتجديد الصلح فوصلوا الدرعية واعطوا الكتب لعبد العزيز فرحب بهم وغدر المضايفي فطلب من عبد العزيز ان يخلي له المجلس ففعل وطلب منه الامارة ليملكه مكة وذكر له اسماء شيوخ القبائل التي يريد التأمر عليها فكتب لهم كتباً انه قد اقامه اميراً عليهم وامره على الطائف وما حولها وكتب مع الوفد جواباً للشريف بمداهنة ظاهرية وهم لا علم لهم بما جرى بينه وبين المضايفي الا انهم لما خرجوا من الدرعية انكروا على المضايفي مدحه لمذهب الوهابية فلما وصلوا العبيلاء وبينه وبين الطائف يوم وللمضايفي فيه حصن على جبل فبقى فيه وقال لهم اجيء في اثركم ودخل الحصن ونصب بيرقاً ودق الزير وارسل الكتب لشيوخ القبائل

القريبة منه فاطاعوه وكان في الطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن اخيه الشريف غالب فارسل اليه المضايفي كتاباً يدعوه فيه الى التوهب واول من اطاعه من القبائل الطفحة ثم النفعة والعصمة فغزا بهم على الزوران فاطاعوه بعد قتال ثم غزا عوفا فكسروه ثم خرج على العرج فهزمهم واحرق دورهم ونهب مواشيهم فجمع الشريف غالب ما ينوف عن ثلاثة آلاف وارسلهم الى الطائف .

هجوم الوهابيين على الطائف سنة ١٢١٧

وخرج المضايفي من حصنه قاصداً الطائف فخرج اليه الشريف عبد المعين فاقتتلوا بوادي العرج تمام النهار فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من اصحاب المضايفي نحو الستين ولولا تحصنهم بالجبل ما سلم منهم احد واخذ ما معهم من ابل وذخائر وعاد الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف ثلاثة عشر ثم خرج اليهم الشريف غالب بنفسه قاصداً العبيلاء والتقى باخيه عبد المعين واحاطوا بالحصن ورموا عليه بالقنابر والمدافع فلم يقدروا عليه فرجعوا الى الطائف ثم عادوا ثانياً فامتنع عليهم فعادوا الى الطائف ثم خرج المضايفي ومن معه فاحاطوا بالطائف وجاءه مدداً امير بيشة سالم بن شكبان في عدد كثير ووقع القتال طول النهار وفي المساء تباعدوا عن السور وفي الصباح عادوا وتقاتلوا طول النهار وفي المساء عادوا الى خيامهم بعد ما قتل كثير منهم وفي تلك الليلة تفرق عن الشريف من معه من الاعراب وعالجهم على البقاء فامتنعوا وظهر خلل في السور والابراج وارتحل جماعة من الاشراف الى مكة وفي الغد اخبر الشريف بذلك وقيل له ان المضايفي وابن شكبان يريدان التوجه بمن معهم الى مكة فارسل من يكشف الخبر فاخبره انه رآهم نازلين من ريع التارة فتحقق عنده الخبر فاعطى العسكر ومن بقي معه من البوادي لكل واحد عشرة مشاخصة وحرضهم على القتال وتوجه هو الى مكة عن طريق المثناة فوقع الفشل فيمن بالطائف وخرج رجل يسمى دخيل الله بن حريب فلحق بالوهابيين واخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا الى الطائف وتقدمهم رجل من كبارهم يسمى عبد الله البويحين مع دخيل الله وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وهو من اعز اهل البلد واغناهم فاتفق معه على مبلغ من المال يدفعه لسلامة اهل البلد فخرج عبد الله ليأتيهم بالامان فرماه بعض اهل الطائف برصاصة من منارة فقتله فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور ولم يوجد من يقدر على منعهم .

دخول الوهابيين الطائف عنوة سنة ١٢١٧ وفظائعهم فيها

فدخلوا البلد عنوة [١] في ذي القعدة سنة ١٢١٧ وقتلوا الناس قتلا عاماً حتى الاطفال وكانوا يذبحون الطفل الرضيع على صدر امه وكان جماعة من اهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركتهم الخيل وقتلت اكثرهم وفتشوا على من توارى في البيوت وقتلوه وقتلوا من في المساجد وهم في الصلاة ودخل نيف وعشرون رجلا الى بيت الفتنى ومائتا رجل الى بيت الفعر وامتنعوا عن التسليم وقاتلوا ثلاثة ايام فراسلهم ابن شكبان بالامان وقال انتم في وجه ابن شكبان وعثمان واعطوهم العهود فكفوا عن القتال فارسلوا جماعة اخذوا منهم السلاح وقالوا لا يجوز للمشركين حمله ثم امروهم بالخروج لمقابلة الامير فامر بقتلهم فقتلوا جميعاً بقوز يسمى دقاق اللوز وكان في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين متترسين يرمون بالرصاص فاخرجوهم بالامان على النفس دون المال فسلبوهم واخرجوهم الى وادي وج وتركوهم فيه مكشوفي السوأتين ومعهم النساء حتى رموا عليهم اطماراً بالية ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوماً على التوهب فصاروا يتكففون الناس فيعطى السائل الحفنة من الذرة يقضمها وصارت الاعراب تدخل كل يوم الى الطائف وتنقل المنهوبات الى الخارج حتى صارت كامثال الجبال فاعطوا خمسها للامير واقتسموا الباقي ونشروا المصاحف وكتب الحديث والفقه والنحو في الازقة واخبروا ان الاموال مدفونة في المخابي فحفروا في موضع فوجدوا فيه مالا فعندها حفروا جميع بيوت البلد حتى بيوت الخلاء والبالوعات ثم ارتحل ابن شكبان وبقي عثمان اميراً على الطائف وكتبوا الى سعود يخبرونه بذلك فسر به سروراً عظيما وكان مبرزاً بالدهناء مسير سبعة ايام عن الدرعية يريد غزو العراق .

قصد الوهابية مكة سنة ١٢١٧

فسار مسرعاً الى الحجاز والتقى بابن شكبان واصحابه فاعادهم معه فلما وصلوا العيناء

---

(١) أما الجبرتي فانه قال : في اواخر سنة ١٢١٧ اغار الوهابيون على الحجاز فلما قاربوا الطائف خرج اليهم الشريف غالب فهزموه فرجع الى الطائف واحرق داره وهرب الى مكة فحاربوا الطائف ثلاثة ايام حتى دخلوها عنوة وقتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال وهذا دأبهم مع من يحاربهم . وهدم المضايفي قبة ابن عباس بالطائف الغريبة الشكل والوصف . — المؤلف —

قرية على ثلاث مراحل من مكة وبلغ خبرهم اهل مكة والحجاج الذين بهـا من الآفاق خافوا واضطربوا لا سيما لما سمعوا بما جرى على الطائف وكان ممن حج فيهـا امام مسقط سلطان بن سعيد ونقيب المكلى وجاء امير الحاج الشامي عبد الله باشا العظم وامير الحاج المصري عثمان بك قرجي ومعهما العساكر الكثيرة وشاع يوم التروية ان سعوداً نزل عرفة فخاف الناس ثم ظهر كذب ذلك فلم يأت سعود في وقت الحج لكثرة الحجـاج كثرة لم يسبق مثلها وبعد تمام الحج نادى منادي الشريف ان يخرج الناس الى الجهاد فخرج شريف باشا والي جدة بعساكره فتقهقر سعود يومين وجمع الشريف امراء الحجوج وطلب منهم محاربة الوهابية فلم يوافقوه معتلين بعدم الذخائر فتعهد لهم بها مجانـاً فلم يقبلوا وقالوا نكاتبه فان رجع والا نحاربه فكاتبوه فاجابهم بالتهديـد فاضطربت آراؤهم فطلب الشريف ثانياً منهم محاربته وقال في ركوبنا عليه ناموس للدولة وتكفل بكل ما يحتاجونه فلم يقبلوا واعادوا الرسل ثانياً فأجابهم كالاول وتهدد من اقام منهم بمكة فوق ثلاثة ايام فعزموا على الرحيل واعاد الشريف عليهم القول فلم يقبلوا فاجتمع اعيان مكة وذهبوا الى امير الحاج الشامي طالبين منه البقـاء عشرة ايام فأبى وسافر خامس المحرم سنة ١٢١٨ وفي اليوم الثاني سافر امير الحاج المصري ثم توجه شريف باشا الى جـدة وبقي الشريف غالب وحده فتوجه هو ايضاً الى جدة . « وقال الجبرتي » ان الشريف غالباً طلب من والي جدة وامراء الحاج الشامي والمصري البقاء معه اياماً لينقل ماله ومتاعه الى جدة فاجابوه بعد ان بذل لهم مالا فبقوا معه اثني عشر يوماً ثم ارتحلوا وارتحـل بعد ان احرق داره بمكة « انتهى » .

فارسل اخوه الشريف عبد المعين كتابا الى سعود بطلب الامان لأهـل مكة وبذل الطاعة وان يكون هو عامله فيها وذهب مع الرسول جماعة من افاضل اهـل مكة فاجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة فقال لهم انما جئتكم لتعبـدوا الله وحده وتهدموا الاصنام ولا تشركوا فقال بعض علمائهم والله ما عبدنا غير الله فمـد يده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه فسر بذلك وامر كاتبه فكتب لهم كتاب الامان في كاغد لا يزيـد عن خمس اصابع فيه بعد البسملة : من سعود بن عبد العزيز الى كافة اهل مكة والعلماء والاغوات

وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى [١] اما بعد فانتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بامنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فانتم في وجه الله ووجه امير المسلمين سعود بن عبد العزيز واميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له واطيعوا ما اطاع الله والسلام . فقرأه مفتي المالكية على الناس بعد صلاة الجمعة .

استيلاء الوهابية على مكة بدون حرب سنة ١٢١٨

وفي ثامن المحرم وصل سعود [٢] محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة ونزل في بستان الشريف الذي في المحصب وفي اليوم الثاني لوصوله نادى مناديه باجتماع الناس غدا ضحوة النهار فاجتمعوا وصعد على اعلى درج الصفا والمفتي عن يمينه والقاضي عن شماله فحمد الله واثنى عليه وقال الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وانجز وعده واعز جنده لا اله إلا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده وسكت ، « ثم قال » يا اهل مكة انتم جيران بيته آمنون بامنه وسكنى حرمه وانتم في خير بقعة اعلموا ان مكة حرام ما فيها لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من اضعف العرب ولما اراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما اسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه الكعبة . وقد كنت في هذا العام غازيا نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وانقذكم من الشرك وانا ادعوكم ان

---

(١) لم يكتب اليهم السلام عليكم لانه لا يراهم مسلمين .

(٢) الذي في تاريخ الجبرتي ان الواصل مع عسكر الوهابيين الى مكة هو عبد العزيز بن سعود وان دخولهم اليها كان يوم عاشورا سنة ١٢١٨ بعد ارتحال الحاج والشريف غالب بيومين قال فولى الشريف عبد المعين اميرا على مكة والشيخ عقيلا قاضياً « انتهى » وفي رسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ان دخولهم مكة كان يوم السبت نصف النهار ثامن المحرم سنة ١٢١٨ وهو الصواب لانه كان معهم .

ـ المؤلف ـ

تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه واطلب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة . ثم جلس فبايعه الشريف عبد المعين ثم المفتي ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم « ثم قال » انتظروني بعد صلاة العصر بين الركن والمقام لأبين لكم الدين وشرائط الاسلام ثم انصرف « فلما » كان العصر اجتمعوا فصعد على ظهر زمزم ومعه المفتي فجعل يعلمه وهو يعلم الناس ويقول : اعلموا ايها الناس ان الامير سعوداً يقول لكم ان الخمر والزنا حرام « الى آخر ما قال » مما لا يجهله أحد : ثم قال لهم : في غد اهدموا القبب والاصنام حتى لا يكون لكم معبود غير الله .

هدم الوهابية القبور والقبب بمكة وحملهم الناس على معتقداتهم سنة ١٢١٨

وفي الصباح بادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس بالمساحي فهدموا اولا ما في المعلى من القبب وهي كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي « ص » ومولد ابي بكر وعلي وقبة السيدة خديجة « وفي تاريخ الجبرتي » انهم هدموا ايضاً قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والابنية التي هي اعلى من الكعبة « انتهى » وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين فهدموها وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون ويبالغون في شتم القبور ويقولون ان هي الا اسماء سميتموها حتى قيل ان بعضهم بال على قبر السيد المحجوب « واما » اهل مكة فمشوا معهم خوفاً فما مضى ثلاثة ايام الا ومحوا تلك الآثار « ثم » نادوا بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد وان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء من شاء وان يصلي الجمعة المفتي « ثم » امر باحراق النارجيلات وآلات اللهو بعد كتابة اسماء اصحابها عليها ليعرف من اطاعه ووكل بذلك جماعة من قومه ومنع شرب التتن والتنباك وحمل الناس على ترك الاستغاثة بالمخلوقين وبناء القباب على القبور وتقبيل الاعتاب وغير ذلك مما يرونه بدعة أو شركا « وكان » ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي « ص » ويقولون يا ارحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك اكبر ومنعهم منه « ثم » امر علماء مكة ان يدرسوا عقيدة محمد بن عبد الوهاب المسماة كشف الشبهات فلم تسعهم المخالفة ثم طلب قبائل العرب الذين حول مكة فبايعوه واخذ منهم

اموالاً كثيرة زعم انها نكال ووضع في القلعة مائتين من بيشة وامر عليهم فهيدا اخا سالم ابن شكبان .

محاصرة الوهابية جدة ورجوعهم عنها

« وارسل » كتاباً لأهل جدة يطلب دخولهم في طاعته فاجابوه بانا رعية الشريف فطاعتنا من طاعته وان اطعناك هل تطلب منا شيئاً من المال فارسل يطلب منهم مائتي الف ريال وستين الف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه من يقبض ذلك ثم توجه بجيوشه الى جدة فاستعد له الشريف غالب بالمدافع والقلل فجعلوا يحملون على السور وتشتتهم المدافع فينهزمون حتى قتل منهم خلق كثير فبقوا ثمانية ايام وجعل سعود يشتم عثمان المضايفي لانه هو الذي اشار بمنازلة جدة ثم ارتحلوا الى بلادهم ولم يدخلوا مكة « وقال » الجبرتي في سنة ١٢١٨ جاءت كتب الى مصر من الشريف غالب وشريف باشا ان الوهابيين جلوا عن جدة ومكة لانه بلغهم ان العجم زحفوا على بلادهم الدرعية وملكوا بعضها « انتهى » فغزا الشريف غالب اهل الوادي فقتل واسر وفر اميرها ثم عاد الى جدة . وفي ايام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرق وتنهب في كل ناحية وليس عنده من الجند ما يدفعهم به .

دخول الشريف غالب مكة وخروج الوهابيين من الحجاز سنة ١٢١٨

ثم ان الشريف غالباً عزم على دخول مكة واخراج من فيها من الوهابيين فتوجه من جدة ومعه شريف باشا والي جدة وكثير من العسكر وثلاثة مدافع منها مدفع كبير اهداه له امام مسقط فنزل بالزاهر وارسل العسكر والعبيد فاحاطوا بقلعة جياد وفيها الجند الذي خلفه سعود ودخل الشريف مكة ومعه شريف باشا ولم ينازعه الشريف عبد المعين وبقي الذين في القلعة محصورين ثم هربوا ليلا « واقبلت » هذيل لمبايعة الشريف وطلبوا الامان لثقيف فلم يعطهم الامان حتى يفارقوا المضايفي فاظهرت ثقيف ذلك ثم نكثت . وجهز الشريف عسكراً لمحافظة الزيماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف فاحاطوا بها مع ثقيف وحاصروا عثمان اكثر من شهر وضيقوا عليه فامده سعود بالجنود فارتحل المحاصرون الى قرن ثم عادوا الى مكة ثم ارسل الشريف جندا الى قرن فجاءهم جند كثير من قبل عثمان فعادوا الى مكة ودخلت ثقيف في طاعة عثمان فجهز الشريف عليهم

عسكراً فقتل منهم واخذ حلتهم ومواشيهم ثم توجه المضايفي وابن شكبان لقتال هذيل الشام فقتلوا من هذيل وسلبوا النساء ثم ارسلوا الى بني مسعود وهم في جبلهم ليتوهبوا فلم يقبلوا ووقع القتال فقتل بنو مسعود من الوهابية نحو السبعمائة ثم صعد الوهابية الجبل وقتلوا من ادركوه ثم نزلوا ونادوا بالامان فعاد اليهم من بقي من بني مسعود فاخذ منهم ابن شكبان غرامة شيئاً كثيراً . ثم غزا المضايفي الاشراف بني عمرو اهل اللفاع وقامت الحرب بينهم حتى قتل من الاشراف ستة وعشرون ونهبوهم وسلبوا نساءهم حتى جردوها من الثياب فطلبوا الامان وتوهبوا ثم اقبل المضايفي وابن شكبان لحصار مكة فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما في طريقهم من المواشي واقتسموه وكان امير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك احمد باشا الجزار فطلب منه الشريف غالب ابقاء طائفة من العسكر لحماية البلد الحرام ويقوم الشريف بلوازمهم فأبى ثم قبل بواسطة امين الصرة ان يبقي مائة وخمسين مع مائة وخمسين جملا بما عليها من لوازم القتال .

محاصرة الوهابية جدة ثانياً ورجوعهم عنها

ثم دخلت سنة ١٢١٩ وفيها في المحرم اقبل ابن شكبان والمضايفي باثني عشر الف مقاتل لحصار جدة فأراد الشريف غالب تحصين مكة لعلمه بعدم قدرتهم على جدة فنادى بالنفير العام فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح وبقوا هناك سبع ليال اما الذين حاصروا جدة فبقوا ثلاثة ايام يحملون عليها حملة واحدة فيفرقهم المدفع ويقتل منهم فينهزمون الى خيامهم حتى قتل الكثير منهم وامتلأت الحفر والقنوات من جيفهم وكانوا يدفنون العشرة والعشرين في محل واحد فلما رأوا ذلك ارتحلوا وقتل عثمان في في طريقه حياً من الاعراب واخذوا ابلا للشريف غالب فجهز الشريف جيشاً الى الليث من طريق البر بقيادة بعض الاشراف مع مائة من خيل الاتراك بقيادة حسين آغا وجيشاً من طريق البحر معه عشرة من الداوات الكبار مشحونة بالذخائر والمدافع الكبار بقيادة مفرح آغا عتيق الوزير ريحان فوصل جيش البحر الى الليث واطاعة اهله بغير قتال وتلاه جيش البر وبعد ثلاثة ايام هجم عليهم اربعة آلاف من الوهابية فكانت ملحمة عظيمة انجلت عن انهزام الوهابية وقتل كثير منهم واستشهد الشريف حسن امير الجيش البري وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وارسلها الى الشريف فعلقت خارج مكة وهرع

الناس للنظر اليها ثم جهز الشريف جيشاً الى الليث فلم يجدوا فيها احداً ثم جهز جيشاً آخر فيه من الاتراك نحو مائتين وخمسين فارساً وامرهم ان يقيموا بالمدرة مرابطين فبقوا فيها ثلاثة اشهر وتغير الهواء على الاتراك فمرضوا ورجع الكثير الى مكة ولم يبق الا اربعون فهجم عليهم المضايفي بغتة باربعة آلاف مقاتل ونصر الله الاربعين على الاربعة آلاف فهزموهم وقتلوا فيهم قتلا ذريعاً حتى وصلوا الى الزيماء هاربين وارسل الشريف خلفهم مائتين من الخيل فلم تلحقهم وانعم الشريف على اولئك الاربعين (وجاءت الاخبار) ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس فتنهب اذا سنحت لها الفرصة من بادية الحرم فأرسل الشريف سرية فيها اربعة عشر فارساً وعشرون رامياً فوصلوا الى المغمس فلم يجدوا احداً فلما اقبلوا على سولة رأوا ما ينوف عن خمسمائة فوقع الحرب بينهم وانتصر ذلك العدد القليل على الوهابية فأفنوا الكثير منهم وهزموهم هزيمة قبيحة وغنموا منهم وعادوا الى مكة ومعهم الرؤوس على الرماح .

استيلاء الوهابية على ينبع سنة ١٢١٩ واخراجهم منها

ثم أن بداي شيخ حرب وقومه توهبوا وحاصر هو وابن جبارة شيخ جهينة ينبع وارسلا ابراهيم الرويتي الى وزيرها محمد الحجري فخدعه وخوفه وصعب عليه الامور ولم يكن عنده دراية بالحرب فطلب الامان ولولا ذلك لم يقدروا عليه فدخلوا ينبع وقتلوا اهلها وتوجه وزيرها الى جدة في البحر ثم اتى مكة ورمي عند الشريف بالخيانة فصلبه وتوجه الشريف الى جدة وجهز عشر داوات كبارا بالذخائر والعساكر نصفها من عسكره ونصفها من الترك وفي ايام اقامته بجدة وصلها ابراهيم الرويتي فوجد معه اوراقاً من بداي يفسد بها الرعية فأمر بصلبه فصلب ثلاثة ايام واستولى الجند المرسل الى ينبع عليها بعد قتال ثلاثة ايام وقتلوا اصحاب ابن بداي قتلا ذريعاً .

محاصرة الشريف غالب الطائف وحروبه مع الوهابية

ثم توجه الشريف غالب بعسكر عظيم وحاصر المضايفي في الطائف عشرة ايام ثم عاد الى مكة وجاء عبد الوهاب ابو نقطة من قواد الوهابية الى ارض اليمن حتى وصل الليث بجند كثير فخرج الشريف بجنوده الى قتاله حتى اتى السعدية فوجد فيها جنود الوهابية

والتحم القتال فكان النصر اولا للشريف ثم انتصر الوهابية وقتل من الفريقين نحو الالفين لكن القتلى من الوهابية اكثر ثم انهزموا ولحقتهم خيل الشريف ثم عادوا الى مكة ووصل المضايفي وابن شكبان الى الزيما بجنود كثيرة ثم اتوا عرفة ودخل في دينهم بعض قريش وهذيل وقتلوا من لم يطعهم او اسروه وهدموا عين زبيدة فقل الماء بمكة ثم انتقل كثير منهم الى وادي مروجعلوا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة .

وجاء الحاج الشامي والمصري من طريق جدة وحج الناس ولم يحج احد من الحجاز بسبب هذه الفتنة .

محاصرة الوهابية مكة سنة ١٢١٩

والاعراب محاصرة مكة من جميع الجهات وكلم الشريف امير الحاج الشامي ابراهيم باشا والي الشام ان يخرج لقتال الوهابية فأبى فطلب منه جمالا وعسكراً لاحضار القوت والذخيرة من جدة فوعد ثم اخلف (وجاء) ليلة خمسة فوارس وهو مقيم بالزاهر فصاحوا في اطراف العسكر وكبروا فخاف خوفاً شديداً وكاتب المضايفي وصار يأتيه بعض الوهابية فيكرمهم ثم سافر فجر العشرين من ذي الحجة واخذ معه لعسكر الذي كان ابقاه امير الحاج الشامي في السنة الماضية ولم يأذن له المضايفي في الرحيل حتى دفع له مائتي كيس فسكن الشريف روع اهل البلد وقام بحفظه بمن معه من الاعوان وترسه من الجوانب الاربعه .

اشتداد الغلاء بمكة عام ١٢١٩

واشتد الغلاء والجوع لانقطاع الطرق وابتدأ من اواخر ذي الحجة سنة ١٩ واستمر الى ذي القعدة سنة ٢٠ فبلغت كيلة القمح والرز مشخصين والزبيب ثلاث ريالات ورطل السكر والشحم والزيت ريالين والبن واللحم والتمر ريالا والسمن ريالا ونصفا وباع اهل مكة جميع ما يملكونه بابخس الاثمان ثم عدمت الاقوات بالكلية واكل الناس الأدوية كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحمر وشربوا الدم واكلوا الجلود والسنانير والكلاب وكل حيوان . وكاتب جملة من الناس المضايفي وانسل بعضهم اليه ليلا وكاتبه بعض شيوخ العبيد الذين بيدهم القلعة فبلغ ذلك الشريف فسجن جماعة وقتل بعض شيوخ العبيد ودخل كثير من الاشراف في طاعة الوهابي .

تشديد الوهابية الحصار على مكة

وفي المحرم سنة ١٢٢٠ ارتحل الوهابيون الذين بالوادي الى اطراف مكة فقاتلهم العبيد الذين في ابراج حول مكة من الظهر الى الغروب وقتل من الوهابيين سبعة فتوجه الوهابيون الى الحسينية واخذوا مواشيها وقتلوا من اهلها احد عشر رجلا وتوجهو الى العابدية لأنه بلغهم إن العبيد تركوا الابراج وجاؤا الىمكة لطلب الزاد فبلغ ذلك الشريف فاعادهم في الحال وامدهم بمثلهم فسبقوا الوهابيين اليها ثم ارتحل المضايفي وابن شكبان بعدما بنوا حصناً بالمدرة وتركوا فيه حامية وكان قد بايعهم اكثر العربان الذين باطراف مكة فأمروهم بقطع الجلب عن مكة فاجتهد الشريف في جمع الجمال وارسلها الى جدة لتأتي بالاقوات ومعها مائة فارس وعدد غيرهم وخرج معهم كثير من اهل مكة فرارا من الجوع حتى بلغ كراء الجمل سبعين قرشاً الى ثمانين وبلغ الشريف خروج بعض الوهابية عليهم فامدهم بمائة فارس وجاء الخبر ان الذاهبين اولاً خرج عليهم ثلاثة فرسان كانوا جواسيس ثم ظهر نحو عشرين فقتلوا بعضهم وفر الباقون ولما بلغو المنتجى وهو جبل وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين فقتلوهم وجاؤا برؤسهم الى جدة ووردت اغنام الى جدة فنهبها الوهابيون ثم رجعت القافلة الى مكة وبلغ كراء البعير ثلاثين ريالا ثم اعاد الشريف القافلة الى جدة مخفورة فذهبت وعادت سالمة ثم اعادها ثالثاً ورابعاً وخرج معها في المرة الرابعة من اهل مكة نحو ثلاثة الاف ثم انقطع الطريق بالكلية واحاطت الوهابية بمكة من جميع جوانبها فبقوا على ذلك شعبان ورمضان ثم ارسل الشريف جيشاً على قوم من لحيان توهبوا فقتل منهم ثلاثة واخذ خمسين بعيراً وفر الباقون . ثم جهز جيشاً على المناعمة والمطارفة فولوا هاربين وغنموا منهم ثم جهز جيشا مكمل العدة ومعهم مدفع كبير على حصن المدرة وفيه جماعة من الوهابية فاحاطوا به ورموه بالقنابل وجاء مدد لمن فيه فطردهم عسكر الشريف وارسل لهم الشريف مدفعاً آخر وجاء قوم يريدون دخول الحصن فقاتلهم العسكر فانهزموا ثم هجموا على الحصن ووصل الترك الى بابه فوجدوا عليه عشرة فقتلوا ستة وفر اربعة وامدهم الشريف بمائتين مع مدفع ثم بلغهم ان المضايفي امد اهل الحصن بثلاثة آلاف فعملوا متاريس فلما اقبلوا رموهم بالمدفع وقاتلوهم الى آخر النهار فقتل من جيش المضايفي نحو الخمسين ولم يقتل احد من جيش الشريف. وفي الليل اشار عليهم بعض

من خالطه الخوف بالعود الى مكة فعادوا فادركتهم خيل الوهابية قبل دخول مكة ففر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيهـــا من عسكر الشريف عشرة ومن الوهابية جماعة من المشهورين وغنم عسكر الشريف منهم خيلاً .

ثم وصل سالم بن شكبان الطائف بخمسمائة واستقبله المضايفي وخيموا قرب جبال بني سفيان وارسلوا اليهم وتهددوهم فاطاعوهم خوفـــاً وجاءت مشايخهم الى المضايفي وابن شكبان فطوقوهم بالحديد ووضعوا على كل سفياني عشرين ريالا واخذوا سلاحهم فلمـــا سمعت هذيل طلبت الأمان وحملت مـا طلبوه من المال فقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا اهل مكة المشركين وانزلوا من جبالكم واسكنوا تهـامة وامنعوا القوت عن مكة فبلغ ذلك الشريف فامر ببناء ابراج في الحسينية ثم ارتحـــل ابن شكبان والمضـايفي . وبلغ الشريف ان الوهابية تريد اخذ القافلة الواردة من جدة فجهز جيشاً لحمايتهـــا واصبح الجيش بالركابي فما ملؤا القرب حتى جاءهم الوهابية ووقع القتال على ظهور الخيل وصعد ثلاثون من عبيد الشريف على جبل وجعلوا يرمون بالبنادق فقتلوا عدة وانهزم الوهابيون وقتل اميرهم وقتل منهم جماعة مع ثمان من الخيـــل ونهبت بعض خيلهم ثم احاط جماعة منهم بالعبيد الذين في الجبل ووقع بينهم القتال فقتل من الوهابيين سبعون ومن العبيـــد خمسة وعشرون وسلمت القافلة .

ثم جمع سعود امراءه منهم عبـــد الوهاب ابو نقطة امير عسير وسالم بن شكبان امير بيشة وعثمان المضايفي امير الطائف وغيرهم وامرهم بحصـــار مكة من جميع الجهات ومنع الاقوات عنها .

فجاء المضايفي بخمسة آلاف وخيم في المضيق وارسل عشرين فارساً يركضون فكبروا وطلبوا البراز فطلبتهم خيل الشريف ففروا .

محاصرة الوهابيين جدة وقطعهم الطرقات عنها وعن مكة واشتداد الغلاءسنة ١٢٢٠

ثم قصد جدة واحاطوا بالسور ومعهم السلالم والمعاول فابعدتهم حامية السور بالبندق والمدفع وقتلوا كثيراً منهم فانهزموا ثم ارتحلوا الى المدرة وطلب المضايفي باقي العربان ورتبهم لقطع الطرقات : طريق جدة واليمن ووادي نعمان وحصن المدرة وانتقـــل هو

واصحابه الى طريق جدة يقتلون ويأسرون من يمر بهم من الحجاج وغيرهم وينادونهم يا مشركون ثم امر اربعين من هذيل ان يكونوا بين مكة والحسينية يقطعون الطريق فاخذوا اربعة من اصحاب الشريف ومنعوا الناس من الاعتمار من التنعيم وقتلوا بعض المعتمرين عند الزاهر ثم ارتحل المضايفي من طريق جدة الى الحسينية فجهز الشريف جماعة فالتقوا بهم باسفل مكة ووقع القتال فانهزم الوهابيون وقتل منهم جماعة وقتل من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني امير المدينة وعاد اصحاب المضايفي الى الحسينية فحاربوا من فيها يومين وملكوها وارسل المضايفي يبشر سعوداً بذلك وجاء ابن شكبان بزهاء خمسة آلاف وابو نقطة بنحو عشرة آلاف فتكاملوا في الحسينية ثلاثين الفاً فاشتد الكرب على اهل مكة وزاد الغلاء حتى بلغت الكيلة من القمح والرز مشخصين ومن الزبيب ثلاث ريالات ورطل السكر والشحم والزيت ريالين والسمن والعسل ريالين ونصفا والتمر والبن ريالا واللحم نصف ريال والتنباك ستة ريالات ونصفا ونفدت النقود فاشتروا بالاثاث والحلي وباعوا ما قيمته مائة بعشرة واشتروا ما قيمته عشرة بمائة واكلوا الجلود البالية والمطاط بعد حرقهـا بالنار والسنانير والكلاب وكل حيوان وشربوا الدم واكلوا نباتاً يسمى الأخريط فاثر فيهم ورماً ثم يموتون وفنيت الأقوات فأكل الناس العقاقير والأدوية كما فعلوا سنة ١٢١٩ ومات كثير بالجوع وبعضهم مات وهو يمشي وترى الأطفال موتى في كل زقاق فهرع الناس الى الحسينية من الطرق الصعبة خوفا من السطوة بهم فمنهم قتل ومنهم مات جوعا ومنهم وصل محمولا ولم يبقى بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول عند الصلاة في المسجد الحرام واغلقت الحوانيت ٠

صلح الوهابية مع الشريف غالب سنة ١٢٢٠

وجاء من الحسينية عبد الرحمن بن نامي احد علماء الوهابية وتذاكر مع الشريف في الصلح على ان يأذن لهم في الحج ثم يرجعوا لبلادهم ويدخل الناس في الطاعة ويكون حكم مكة للشريف وشرط عليهم اعادة الحسينية وغرامة ما ذهب فيها من نفوس واموال وغير ذلك مما رأى فيه الصلاح والرفق باهل مكة وان يخبروا سعوداً بالصلح وينتظرو الجواب فدخلوا مكة وعاد اليها اهلها وتنازلت الاسعار وحج الوهابية وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الي الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ووصل الحاج الشامي واميراه

عبد الله باشا ومعه قوة زائدة عن العادة نحو الف وخمسمائة خيال وقال سعود [١] لاميري الحاج الشامي والمصري ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها يعني المحمل فقالوا جرت العادة بذلك علامة لاجتماع الحجاج فتوعدهم بتكسيرها ان جاؤا بها ثانياً وشرط ان لا يأتوا بالطبل والزمر واقام الوهابيون الى حادي عشر المحرم سنة ١٢٢١ ثم ارتحلوا واصيبوا مدة مقامهم بمكة بالجدري فمات كثير منهم حتى صاروا يدفنون في الحفرة الواحدة جماعة وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة يؤجرون انفسهم لأهل مكة للاحتطاب وحمل القمائم ونزح المراحيض وغير ذلك وفي افتتاح هذه السنة وجه الشريف عماله على الاقطار فارسل وزيرا الى ينبع وارسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة ورتب امورها وامر باصلاح السور وعمارة الخندق وبناء برج على باب البوغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عنوة ثم وصل من الدرعية عشرون رجلاً فيهم حمد بن ناصر احد علمائهم وكان الشريف بجدة فاعطوه كتباً من سعود فيها اتمام امر الصلح ونزل حمد الى مسجد عكاش وجمع الناس وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين وقبل الشريف بمنع جميع الأمور التي يعتقد الوهابية منعها ، مرغماً على ذلك فامر بهدم القباب وترك شرب التنباك وعدم بيعه وبدخول الناس المسجد عند سماع الاذان لصلاة الجماعة وبتدريس رسائل ابن عبد الوهاب وترك تكرير الجماعة في المسجد الحرام والاقتصار على الاذان في المنائر وترك التسليم والتذكير والترحيم وابطل ضرب نوبته ونوبة والي جدة فتوجه حمد بن ناصر الى الدرعية يخبرهم بذلك وارسل الشريف معه رسولا فرجع بالجواب والشريف باق بجدة فاعاد الجواب لهم وفي مدة غيابه في جدة وقعت فتنة بين الاتراك والعبيد فحضر الى مكة واطفأها وعاقب من كان سببها فلما بلغ خبرها المضايفي فرح وذهب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بذلك ويشنع على الشريف فلم يصادف قبولا عند سعود فرجع وامر العربان بقطع الطرق مشاقة للشريف وكان سعود اعطاه امارة العربان فارتفعت

(١) وقال الجبرتي ان سعوداً في سنة ١٢٢٢ توعد بحرق المحمل ان جيء به ثانياً وصاحب خلاصة الكلام قال ان ذلك كان سنة ٢٠ كما سمعت مع انه لم يظهر من كلامه ان سعوداً حج تلك السنة بل ظاهره انه لم يحج . — المؤلف —

الاسعار بمكة لانقطاع الطرق فاخبر الشريف سعودا بذلك فارسل الى عثمان ومنعه فعاد الأمن وتراخت الاسعار ثم امر الشريف ببناء حصن على رأس جبل الهندي وحصنه بالرجال والذخائر وكان مدة استيلائهم على مكة يصانعهم ويهدي لهم الاموال الجزيلة وكانت هداياه تصل الى اكثر امرائهم وعلمائهم واعوانهم محافظة على نفسه وعلى اهل مكة وكان سعود وكثير من امرائهم يحجون كل سنة بجنود كثيرة فيكرمهم الشريف ويهيء لهم الضيافات الكثيرة ومع ذلك كان يكاتب الدولة العثمانية سرا ويحثها على تعجيل تجهيز العساكر لانقاذ الحرمين من الوهابية .

وفي خلاصة الكلام: في هذه السنة كان امير الحاج الشامي عبد الله باشا فلما وصل منزل هدية جاءه من الوهابي لا تأت الا على ما شرطنا عليك في العام الماضي فرجع الحاج من هدية لم يحجوا اما المحمل المصري فأمر سعود باحراقه ونادى مناديه بعد انقضاء الحج ان لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا في المناداة (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فانقطع مجيء الحاج الشامي والمصري من هذا العام [١]

نهب الوهابية ذخائر الحجرة النبوية وهدم القباب بالمدينة المنورة سنة ١٢٢١

وفيها اخذ الوهابي كلما في الحجرة النبوية من الأموال والجواهر وطرد قاضيي مكة والمدينة واقام لقضاء مكة الشيخ عبد الحفيظ ولقضاء المدينة بعض علمائها ومنعوا الناس من زيارة النبي (ص)

وقال الجبرتي: لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدموا القباب التي فيها وفي ينبع ومنها قبة أئمة البقيع بالمدينة لكنهم لم يهدموا قبه النبي (ص) وحملوا الناس على ما حملوهم عليه بمكة واخذوا جميع ذخائر الحجرة النبويه وجواهرها حتى انهم ملؤا اربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك اربع شمعدانات من الزمرد

---

(١) هذا يدل على انه منع غير الوهابيين من الحاج مطلقاً ويدل عليه كلام بعض المؤرخين لانه يرى ان جميع من ليس وهابيا مشركون وممن صرح بأن سعودا منع الناس عن الحج محمود شكري الالوسي في تاريخ نجد على ما حكي عنه وهو غير متهم في حق الوهابيين . ـ المؤلف ـ

وبدل الشمعة قطعة ماس تضيء في الظلام ونحو مائة سيف لا تقوم قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها ماس وياقوت ونصابها من الزمرذ واليشم ونحو ذلك ونصلها من الحديد الموصوف وعليها اسماء الملوك والخلفاء السالفين. وطرد الوهابية اغوات الحرم والقاضي الذي كان قد توجه لقضاء المدينة واسمه سعد بك وخدام الحرم المكي وقاضي مكة فتوجه مع الشامين

وقال الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢ في هذه السنة اخبر الحجاج المصريون انهم منعوا من زيارة المدينة المنورة

انقطاع الحج من مصر والشام والعراق

قال العلامة السيد جواد العاملي في حوادث سنة ١٢٢٢ انه تعطل الحج ثلاث سنين كما مر فيكون ابتداء انقطاعه من العراق سنة ١٢٢٠ وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢ ان منها انقطاع الحج الشامي والمصري (اقول) وكان ابتداء انقطاع الحج من الشام في سنة ١٢٢١ ومن مصر في سنة ١٢٢٢ كما مر فيظهر ان الحج انقطع من العراق اربع سنين ومن الشام ثلاث سنين ومن مصر سنتين ولا يعلم هل انقطع بعد ذلك او لا

هجوم الوهابيين على سورية سنة ١٢٢٥

عن تاريخ الأمير حيدر الشهابي انه في هذه السنة هجم عبد الله بن سعود الوهابي على بلاد حوران فنهب الأموال واحرق الغلال وقتل الأنفس البريئة وسبى النساء وقتل الاطفال وهدم المنازل وعاث في الارض فساداً حتى قيل انه اتلف في تلك البلاد ما قيمته ثلاثة آلاف الف درهم

وفي خلاصة الكلام انه في هذه السنة ارسل الوهابيون جيشاً الى ناحية الشام فتوجه يوسف باشا المعدني الى جهة المزيريب وحصن قلعتها واستعد لهم بجيش وحاربوهم وطردوهم

الفصل الثالث في محاربة محمد علي باشا للوهابيين

ونأخذ ذلك من تاريخ الجبرتي وخلاصة الكلام في امراء البلد الحرام لأحمد بن زيني دحلان :

في سنة ١٢١٨ ارسلت الدولة العثمانية الى محمد علي باشا والي مصر ان يرسل اربعة آلاف عسكري الى الحجاز لمحاربة الوهابية وانهم ارسلوا من جهة بغداد اربع بشوات مع

العساكر وارسلوا الى احمد باشا الجزار والي عكا بالتوجه لمحاربتهم وفي سنتي ١٢٢٢ و ٢٣ ارسلت تحثه فاعتذر بان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى الاستعداد وفي سنة ١٢٢٤ ارسلت له بذلك وان يوسف باشا المعدني تعين للسفر الى الحرمين عن طريق الشام وسليمان باشا والي بغداد تعين للسفر من ناحيته على الدرعية وفي سنة ١٢٢٥ حضر عيسى اغا من قبل الدولة العثمانيه الى الاسكندرية ومعه مهمات وآلات مراكب ولوازم حرب لسفر الحجاز ومحاربة الوهابية وفي سنة ١٢٢٦ اهتم محمد علي باشا بأمر الحجاز وارسال العساكر اليه فسافر الى السويس وحجز المراكب وكان عمل قبل ذلك مراكب بالسويس لهذا الغرض وامر بعمل مراكب كبار لحمل الخيول ثم قلد ابنه طوسون باشا ساري عسكر الحجاز وعسكروا خارج مصر [١] ثم سافر طوسون في شهر رمضان من هذه السنة مع قسم من العسكر عن طريق البحر ومعه رئيس التجار السيد محمد المحروقي واوصاه ابوه بالاخذ برأيه ومن العلماء الشيخ المهدي والسيد احمد الطحطاوي وسافر القسم الآخر من العسكر عن طريق البر وكان الشريف غالب يراسل محمد علي باشا ويعده معاونة عساكره والمذكور ايضاً يراسله فلما وصلت العساكر البحرية الى ينبع البحر لم يعطوهم ماء ومنعهم المرابطون عند العين ورموا عليهم من القلعة بالمدافع والرصاص فاحاطوا بها وضربوا عليها بالقنابل وصعدوا اليها بالسلالم غير مبالين بالرصاص النازل عليهم فملكوها وقتلوا من بها سوى سبعة هربوا على خيولهم منهم وزير الشريف ونهبت ينبع وسبيت نساؤها على رواية الجبرتي وارسل بعض الرؤوس الى مصر ووصلت العساكر البرية الى المويلح ثم اجتمعت بعساكر البحر واخذوا ينبع البربلا قتال واتتهم العربان افواجا فخلع عليهم طوسون ثم ملكوا قرية السويق قرية ابن جبارة وفر هارباً . واجتمع جماعة من كبار الوهابية فيهم عبد بن سعود والمضايفي في نحو من سبعة آلاف فارس عدى الرجالة وقصدوا تبييت العسكر فنذر بهم وخرج اليهم شديد شيخ الحويطات بفرسانه وطائفة من العسكر

---

(١) وبهذه الواسطة احتال على امراء المماليك وقتلهم فانه عمل موكباً عظيما لتجهيز العساكر وخروجها الى الحجاز حضره امراء المماليك وكان قد اسر الى بعض امرائه بقتلهم فلما توسطوا الموكب اغلقت الابواب امامهم وورائهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من لم يحضر فبقي شريدا وصفت له مصر بقتلهم لانهم كانوا امراءها وينازعونه الملك . ـ المؤلف ـ

فوافاهم قبل شروق الشمس ووقع القتال والوهابية ينـــادون هاه يا مشركون فانهزمت الوهابية وغنموا منهم سبعين هجيناً وكانت الحرب بقدر ساعتين ثم انتقـــل العسكر الى الصفراء والجديدة واجتمع مع الوهابية كثير من قبائل العرب فوقع القتال ثالث عشر ذي القعدة ووجد العسكر المصري متاريس فحاربوا عليها حتى اخذوها وصعدوا الى الجبال فهالهم كثرة جيش الوهابية وسارت الخيل في مضيق الجبال وبقيت الحرب في اعاليها يوما وليلة فما شعر السفلانيون الا والذين في الأعالى هابطون منهزمين فانهزموا جميعاً وتركوا خيامهم واثقالهم وساروا طالبين السفن التي كانوا اعدوها بساحل البريك احتياطاً ووقع في قلوبهم الرعب وظنوا ان الوهابيين في اثرهم والحال انهم لم يتبعوهم فازدحموا على السفن وذهب كثير منهم مشاة الى ينبع البحر ورجع طوسون وخاصته والخيالة الى ينبع البحر فبقوا فيها خمسة وعشرين يوماً وبعد الأذن من محمد علي باشا حضر طوسون ومن معه الى مصر ومعهم العلماء والمحروقي في اوائل سنة ١٢٢٧ فسخط محمد عـــلي باشا على العسكر وطرد الذين جاؤا بغير اذن ولم يثنه ما وقع عن عزمه وشرع في تجهيز جيش آخر فبعث عسكرا من طريق البحر مع خزنداره الملقب بونابرته وامره ان يكون هو وطوسوس في ينبع لمحافظتها وارسل عسكرا مع صالح آغا الى ينبع عن طريق البر وسافر عـدة من عسكر المغاربة والعثمانيين الى ينبع وجـــاءت عساكر كثيرة من الاتراك وعينت للسفر وقام هوبلوازمهم وصار يوالي ارسال العساكر برا وبحرا واظهر العزم على السفر بنفسه الى الحجاز فاجتمعت العساكر في ينبع ومعهم صناديق الأموال فأخذوا في تألف العربان واستمالتهم بالمال واستولت عساكر الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة بـدون حرب بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب وتدبير شريف مكة الذي كان يكاتبهم سرا ويكاتبونـــه ويعملون بتدبيره ولم يجدوا بها احدا من الوهابيين ثم وصلت عساكر الاتراك الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها ثم ان كبراء العرب الذين استمالوهم ومنهم شيخ الحويطات اخبروا ان الهزيمة السابقة كانت من مقاتلة عرب حرب والصفراء المتوهبين وانهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئـاً ويقولون قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلت لهم الاموال صاروا معكم وملكوكم البلاد فارسل محمـــد علي بعض امرائه ومعه صناديق الاموال والكسوة واشاع الخروج بنفسه واستمر على ارسال النجدات وهو معسكر خارج باب النصر دائب عـلى

تعليم العساكر يومي الاثنين والخميس فوصل الأمير ينبع البر وذهب شيخ الحويطات وجماعة الى شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وجاؤا به اليه فاكرمه وخلع عليه وعلى شيوخ العربان فالبسهم الفرو والكسوة وشالات الكشمير وصب عليهم الاموال واعطى شيخ حرب مائة الف ريال فرانسة فرقها على عشيرته وخصه بثمانية عشر الف ريال ورتب لهم العلوفات والمؤن ونقودا في كل شهر فادخلوهم المدينة المنورة فاخرجوا من فيها من الوهابية واستولوا على قلعتها ونزل متولي القلعة من قبل الوهابية واسمه مضيان او ابن مضيان على حكمهم فارسلوه الى مصر فارسله محمد علي الى اسلامبول فقتلوه وعلقوه على باب السراية وجاء جماعة الى مصر معهم مفاتيح المدينة فزينت مصر وارسل محمد علي المفاتيح الى اسلامبول وارسل البشائر الى كافة بلاد الاسلام وحج سعود في هذا العام ثم رجع الى بلاده مسرعا وكاتب الشريف العساكر الذين في ينبع فحضرت منهم طائفة الى جدة من طريق البحر في المحرم سنة ١٢٢٨ وملكوها بدون قتال وكان في قلعة مكة جماعة من الوهابية يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول العساكر الى جدة هربوا ليلا وتوجه بعض عسكر جدة الى مكة فاكرمهم الشريف ولما بلغ ذلك وهابية الطائف استولى عليهم الرعب فهربوا مع اميرهم المضايفي ووصلت البشائر الى مصر فزينت خمسة ايام وارسل محمد علي بشيراً الى اسلامبول اسمه لطيف آغا فتلقاه اعيان الدولة في موكب عظيم ومعه مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف وقد وضعوها على صفائح الذهب والفضة امامها البخور في مجامر الذهب والفضة وخلفها الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع وانعم عليه السلطان وكبراء الدولة وسمي لطيف باشا وانعمت الدولة على محمد علي واهدته خنجرين وسيفا مجوهرة وعدة اطواخ بالباشوية لمن يريده وسأل الشريف مفتي المالكية الشيخ عبد الملك القلعي هل جعلتم تاريخا لانقضاء مدة الوهابية فقال « قطع دابر الخوارج » ١٢٢٧ وارسل محمد علي باشا ولده اسماعيل باشا الى اسلامبول بالبشارة فاكرمته الدولة ثم عاد الى مصر وبعد استقرار العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية القريبين من الطائف حتى قتلوا كثيراً منهم وفرقوا جموعهم .

القبض على المضايفي

ثم قبضوا على المضايفي بناحية الطائف وكان قد جرد على [illegible] الشريف

غالب مع عساكر الاتراك والعربان ووقع الحرب واصيب جواده واصابته جراحة فنزل الى الارض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه وارتفع الحرب بنزوله ثم خرج عنهم وسار نحو اربع ساعات فصادفه جند الشريف فقبضوا عليه فجعل الشريف في عنقه زنجيرا وكان المضايفي زوج اخت الشريف فاستاء منه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذي كان يحارب لهم ويجمع قبائل العرب ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا وهو الذي فتح الطائف وهو المحارب مع عرب حرب بناحية الصفراء الذي هزم عساكر طوسون وشتتهم كما مر وكان فصيحا متأنيا في الكلام عليه آثار الامارة ومعرفة مواقع للكلام ثم ارسلوه الى جدة ومنها الى مصر والزنجير في عنقه وجاءت البشارة الى محمد علي بالقبض على المضايفي وقد تهيأ للسفر الى الحجاز فوصل جدة في اواخر شوال سنة ١٢٢٨ وكانوا ارسلوا المضايفي فلم يره وبعد وصول المضايفي الى مصر بثلاثة ايام ارسلوه مع ابن مضيان الى اسلامبول فطافوا بهما فيها ثم قتلوهما .

ولما وصل محمد علي باشا الى جدة واجتمع بولده طوسون حضر الشريف غالب لمقابلته وجاءته رسل سعود الوهابي فقالوا الامير سعود يطلب الافراج عن المضايفي ويفتديه بمائة الف ريال فرانسة ويريد الصلح فقال اما المضايفي فارسل الى اسلامبول واما الصلح فلا نأباه بشرط دفع كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الحرب الى اليوم وارجاع كل ما اخذه من ذخائر الحجرة النبوية ودفع ثمن ما استهلك منها وان يأتي الي لاتعاهد معه ويتم صلحنا وان أبى فنحن ذاهبون اليه فقالوا اكتب له كتابا فقال لا اكتب لانه لم يرسل معكم كتابا فكما جئتم بمجرد الكلام فعودوا به فلما ارادوا الانصراف جمع العساكر ونصبوا ميدان الحرب والرمي من البنادق والمدافع ليرى الرسل ذلك .

ثم توجه محمد علي الى مكة فاحتفل به الشريف غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واكرامه مع شدة التحذر منه وانزله وولده طوسون كلا في دار وكان الباشا يعظم الشريف غاية التعظيم ويقبل يده وتعاهد معه في جوف الكعبة على الوفاء وعدم الخيانة من الطرفين ومن تحذره منه ان حسن له توجه العساكر من جدة الى الطائف بدون دخول مكة لئلا يحصل ضيق في الماء لكثرة الحاج ففعل ولم يكن مع الباشا في مكة من العساكر الا قليل وكان عند الشريف عساكر موظفون نحو الألفين متفرقين قلقات في اطراف مكة

ومن العبيد نحو الالف في القلاع ولكن اذا جاء القدر لم ينفع الحذر .

القبض على الشريف غالب

وكان محمد علي باشا مأموراً من السلطنة بالقبض على الشريف غالب فتحير في ذلك لتحذر الشريف منه ولما بينهما من العهود فرأى ان يقبض عليه ابنه طوسون تخلصاً من خلف العهد بزعمه فاظهر ان بينه وبين ابنه منافرة وذهب ابنه لجدة مظهراً انه مغاضب لابيه وكتب الى الشريف ان يشفع له عنده ففعل فكتب الشريف اليه بالحضور فحضر وذهب الشريف للسلام عليه وليأخذه الى ابيه فلما وصل الى بيت طوسون وجد اكثر العساكر مجتمعة فلم ينكر ذلك لظنه انهم جاؤا للسلام فدخل على طوسون وتفرق اتباعه في الدهليز وقبل طوسون يده وعظمه ومنع الناس من الدخول على العادة ثم دخل عابدين بك من كبار العسكر فقبل يد الشريف وقبض على الجنبية ليأخذها من وسطه وقال انت مطلوب للدولة فلم يجد بداً من التسليم فقال سمعاً وطاعة اقضي اشغالي في ثلاثة ايام ثم اتوجه فقال لا سبيل الى ذلك وادخلوه الى بيت آخر ولا يعلم احد بشيء وذلك في اواخر ذي القعدة من سنة ١٢٢٨ ومكة مملوءة بالحجاج وارسل طوسون الى ابيه يعلمه بذلك فاستشار الشيخ احمد تركي الذي كانت هذه الحيلة بتدبيره وهو مطوف ذو عقل ودهاء وكان من المختصين بالشريف ويعتمد عليه في المهمات ويبعثه الى دار السلطنة فلما قدم محمد علي الحجاز جعله ملازماً له فوجده محمد علي ذا خبرة ودراية فقربه وصار يستشيره ولما رجع الى مصر امر نائبه بمكة باستشارته فقال ان الشريف له ثلاثة اولاد كبار فيخشى ان يحدثوا فتنة والقلاع بايدي عبيدهم وعندهم عساكر موظفة فلا بد من الاحتيال للقبض عليهم فذهب الشيخ احمد الى الشريف غالب وقبل يده وقال افندينا يسلم عليكم ويقول لا تهتموا والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم ويكون مدة غيابكم احد اولادكم نائباً عنكم فاطلبوهم واخبروهم بالحقيقة ليطمئنوا فصدقه وامر بكتابة ورقة لهم ليحضروا وختمها فحضروا وقبض عليهم وقيل بل ارادوا الحرب لما علموا فتهددهم الباشا وارسل اليهم الشريف فمنعهم عن ذلك وخدعهم الشيخ احمد تركي فقال ليس على ابيكم بأس انما هو مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة والباشا يريد ان يولي كبيركم نيابة عن ابيه حتى يرجع فانخدعوا وقاموا معه والله اعلم . واشار الشيخ احمد بتولية

الشريف يحيى ابن اخي الشريف غالب امارة مكة قبل شيوع الخبر فاحضروه والبسه محمد علي فرو سمور وشالا ثميناً واحضر له صندوقاً من المال واركبوه على فرس مرخت ومشت القواسة بين يديه حتى اوصلوه الى داره وعندها علمت الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفاً من فتنة فلم يحصل شيء وفي الليل ارسلوا الشريف غالباً واولاده مع اربعة عبيد طواشية الى جدة ومعهم عسكر فاخذ العسكر ما في جيوبه ثم ارسلوا الى مصر فوصلوها في المحرم سنة ١٢٢٩ وضربوا لوصولهم عدة مدافع ودخل الشريف مصر بالاجلال والاكرام لكن منعت الناس من السلام عليه الا خواص الباشا ثم ارسلوا حريمه الى مصر واستولى الباشا على جميع موجودات الشريف فاخذ ما لا يحصيه الا الله واخرج حرمه وجواريه من داره بما عليهن من الثياب بعد ما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً . وفي خلاصة الكلام ان العساكر نهبت داره التي بجياد واخذوا منها اموالا كثيرة واخرجوا اهله منها بصورة شنيعة وحضر مرسوم من اسلامبول بارجاع ما اخذ من الشريف فصالحوه عنه بخمسمائة كيس وكان اكثر من ذلك بكثير . وفي شعبان من هذه السنة ارسلوه مع اولاده وحريمه الى سالونيك فاقام بها منفياً الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٣١ وكان من دهاة العالم وكانت امارته نحوا من سبع وعشرين سنة .

مداومة محمد علي باشا على حرب الوهابية

ثم استحضر الباشا من مصر سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس وكان بناحية تربة امرأة مشهورة بالشجاعة تسمى غالية هي الاميرة على العرب واجتمع عندها كثير من امراء الوهابية وجنودهم فارسل اليها الباشا عسكراً سنة ١٢٢٩ فهزمته شر هزيمة ثم ارسل اليها ابنه طوسون فحاربتهم ثمانية ايام ورجعوا منهزمين ونفرت العرب من الباشا بما صنعه مع الشريف غالب وانضم كثير من الاشراف الى الخصم ووقع الغلاء بالحرمين .

وفيها في ربيع الثاني مات سعود امير الوهابية في الدرعية وتولى مكانه ابنه عبد الله وفيه ارسل الباشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة براً وبحراً فاستولوا عليها وهرب من فيها من الوهابية ولم يجدوا فيها غير اهلها فقتلوهم فتجمعت قبائل عسير مع طامي ابي نقطة وحاصروا القنفذة ومنعوا عنها الماء فانهزمت العساكر وقتل كثير منهم فارسل الباشا اليهم نجدة فهزموها .

وفي جمادى الثانية توجه بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية والعساكر والذخائر والاموال تأتيه من مصر وبلغت العشور بميناء جدة، اربعة وعشرين لكا وجعل يستميل الناس بالمال وصالح الاشراف ومشايخ العربان الذين فروا منه ثم توجه من الطائف الى كلاخ ووجه العساكر الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون الى المدينة ثم عاد هو الى مكة الى ان حج .

وفي افتتاح سنة ١٢٢٠ عاد الى الطائف ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر له فيها عليهم واستولى على تربة وبيشة ورينة وقتل الكثير من الوهابيين وتوجه الى القنفذة من بلاد عسير فملكها وقبض على طامي ابي نقطة فان الشريف راجحا بذل لابن اخي طامي مالا جزيلا ليقبض على عمه فصنع وليمة ودعاه اليها فقبض عليه فارسلوه الى مصر مغلولا ثم الى اسلامبول فقتل .

ولم يزل محمد علي باشا يجول في بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء في كل موضع يستولي عليه الى جمادى الاولى ثم عاد الى مكة ورتب بها الارزاق للاشراف وغيرهم وجدد دفاتر الجراية لاهل مكة وكانت انقطعت في زمن الوهابية وابطل ما استولى عليه الاغنياء منها بالفراغات ورتبها ترتيبا جديداً ثم اقام حسن باشا الارنؤطي نائباً عنه بمكة وتوجه الى مصر فوصلها في رجب .

الصلح بين طوسون باشا والوهابية سنة ١٢٣٠ ووفاة طوسون

وفي شعبان من هذه السنة تصالح طوسون وعبد الله بن سعود وترك عبد الله الحرب واذعن للطاعة وجاء من الوهابية نحو عشرين شخصاً الى طوسون فارسل اثنين منهم الى ابيه بمصر فلم يعجبه الصلح ثم حضر طوسون الى مصر في ذي القعدة وفي سنة ١٢٣١ توفي بالطاعون وعمره نحو عشرين سنة وولد له في غيابه مولود اسمه عباس وهو الذي ولي مصر بعد عمه ابراهيم باشا .

وبقي امر محمد علي باشا نافذاً بالحجاز وعساكره في كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشخ احمد تركي والشريف شنبر ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر لى الحجاز .

وفي اوائل سنة ١٢٣٢ ارسل ولده ابراهيم باشا الى الحجاز لاكمال محاربة الوهابيين والاستيلاء

على الدرعية فتوجه بعساكر واموال وذخائر كثيرة حتى دخل مكة ثم خرج منها بالعساكر قاصداً الدرعية وجعل يملك كل ارض وصلها بلا معارض حتى وصل الى موضع يسمى الموتان ووقع بينه وبين الوهابية حرب شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر منهم وغنم خياماً ومدفعين (وفي سنة ١٢٢٣) امده ابوه بعساكر اتراك ومغاربة وملك بلداً من بلاد الوهابية وقبض على اميرها ويسمى عتيبة ثم استولى على الشقراء وكان بها عبد الله ابن سعود فخرج هارباً الى الدرعية ليلا وبينها وبين الشقراء يومان ثم استولى ابراهيم باشا على بلد كبير من بلادهم ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمان عشرة ساعة ثم زحف على الدرعية فملك جانباً منها وحاصر الوهابيين واحاط بهم ثم غاب عن معسكره لامر اقتضى ذلك فاغتنموا فرصة غيابه وكبسوا العسكر وقتلوا منهم عدداً وافراً واحرقوا «الجبخانة» ولما بلغ الخبر اباه امده بالعساكر براً وبحراً مع قائد اسمه خليل باشا ولم يزل يتابع ارسال الذخائر والاموال حتى انها بلغت اجرة الذخيرة مرة من ينبع الى المدينة على جمال العرب خاصة خمسة واربعين الف ريال لكل بعير ستة ريالات ومن المدينة الى الدرعية مائة واربعين الف ريال هذا في مرة واحدة ومثله مستمر . ولم يزل ابراهيم باشا يغير على اطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصله المدد ازدادت قوته وحصل له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وكسر الوهابية وقبض على اميرهم عبد الله بن سعود وكثير من اقربائه وعشيرته واخرب الدرعية فسكن من بقي من اهلها الرياض ولما بلغ ذلك محمد علي باشا بمصر فرح فرحاً شديداً وضرب لذلك نحو الف مدفع وبلغ عدد المدافع التي ضربت ايام الزينة ثمانين الف مدفع

وفي اول سنة ١٢٣٤ ارسل ابراهيم باشا عبد الله بن سعود وكثيراً ممن قبض عليهم الى مصر فدخلها وهو راكب على هجين وامامه العسكر وخرج الناس للتفرج وضربوا عند دخوله المدافع فلما ادخل على محمد علي باشا قابله بالبشاشة وقام له واجلسه الى جانبه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال كيف رأيت ابراهيم باشا فقال ما قصر ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى قال انا ان شاء الله اشفع فيك عند السلطان فقال المقدر يكون فخلع عليه وكان معه صندوق صغير مصفح فسأله ما فيه فقال فيه ما اخذه ابي من الحجرة اصحبه معي الى السلطان فاذا فيه ثلاثة مصاحف متقنة وثلثمائة حبة لؤلؤ

كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الذي اخذه ابوك من الحجرة اشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته فانه لم يستأصل كل ما في الحجرة لنفسه بل اخذ منه كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة فقال صحيح وجدنا عند الشريف غالب اشياء من ذلك ثم ارسله في تاسع عشر المحرم مع اتباعه مخفوراً الى اسلامبول فطافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه في نواح متفرقة (وفيها) ارسل محمد علي ابن اخته خليل باشا بعساكر الى الحجاز فتوجه الى يمن الحجاز واستولى عليه صلحاً ثم صار محافظاً لمكة وفيها في رجب وصل من اسرى الوهابية نحو اربعمائة الى مصر ارسلهم ابراهيم باشا بحريمهم واولادهم ومعهم اولاد عبد الله بن سعود وبعد ان حج ابراهيم باشا توجه الى مصر فوصلها في صفر سنة ١٢٣٥ واحضر من رؤساء الوهابية فشهروهم وقتلوهم واستقر ملك محمد علي باشا على مصر والحجاز ونجد

وكان قد هرب كثير من كبار الوهابية من ابراهيم باشا حين ملك الدرعية فلما ارتحل عنها رجعوا اليها منهم عمر بن عبد العزيز وتركي ابن اخي عبد العزيز ومشاري بن سعود وكان قبض عليه ابراهيم باشا فهرب من الحمراء فعمروا الدرعية ورجع اكثر اهلها وقدموا عليهم مشاريا المذكور فجهز محمد علي عسكراً له بإمرة حسين بك فقبضوا على مشاري وارسلوه الى مصر فمات في الطريق وتحصن الباقون في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية اربع ساعات فحاصرهم حسين بك ثلاثاً فطلبوا الامان فأمنهم وخرجوا الا تركياً فهرب من القلعة ليلا فقيدهم وارسلهم الى مصر سنة ١٢٣٦ ثم ملك تركي الرياض بعد سنين وثار عليه رجل من آل سعود اسمه مشاري فقتل تركياً وكان لتركي ولد اسمه فيصل كان عند قتل ابيه في الغزو فلما بلغه جاء برجال الغزو وقتل مشارياً واستقل بالملك واستفحل امره واشهر الدعوة التي كان عليها اسلافه فجهز محمد علي العساكر لقتاله مع خورشيد باشا فتوجه من المدينة سنة ١٢٥٣ ومعه خالد بك ابن سعود وهو من اسرى سنة ١٢٣٣ كبر وتربى بمصر فاستحسن محمد علي ان يؤمره في نجد فلما وصل خورشيد الى نجد حصل بينه وبين فيصل وقائع كثيرة الى ان قبض على فيصل وارسله الى مصر سنة ١٢٥٤ واقام خالداً اميراً في الرياض ورجع فاستمر خالد في الامارة سنتين ثم ظهر لاهل نجد عدم سلوكه الطريقة التي يرتضونها فثار عليه عبد الله بن ثنيان مع النجديين

وارادوا الفتك به فهرب الى مكة ثم مات وصار امر نجد لابن ثنيان فلما بلغ ذلك فيصلا وهو محبوس بمصر قال لعباس باشا ابن طوسون باشا وكان يجتمع به لو وصلت الى نجد لانتزعتها من ابن ثنيان وصرت خادماً لافندينا فاحتال عباس لاخراجه ليلا من القلعة فهرب بمن معه حتى وصلوا جبل شمر مقر امارة ابن رشيد فأكرمهم وتوجهوا الى القصيم فانضاف اليهم كثير منهم فقصدوا ابن ثنيان في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقاً في الحبس سنة ١٢٥٨ واستقل فيصل بالملك وفي سنة ١٢٦٢ صدر الامر من الدولة العثمانية بتجهيز العساكر لمحاربة فيصل بن تركي امير الرياض لانه استفحل امره ويخشى ان يقع منه ما وقع من اسلافه ، وان يكون ذلك برأي الشريف محمد بن عون امير مكة المكرمة فتوجه الشريف مع العساكر من المدينة حتى وصل جبل شمر فسار معه اميره ابن رشيد بكثير من القبائل ولما وصلوا القصيم اطاعهم اهله فخاف فيصل خوفاً شديداً فأرسل لاهل القصيم ان يتوسطوا في الصلح على تأدية عشرة آلاف ريال في كل سنة فتم الصلح ورجع الشريف بالعساكر واستمر فيصل يدفع ذلك حتى مات سنة ١٢٨٢ فقام بعده ابنه عبدالله فنازعه اخوته وانتزعوا الامر منه واقاموا اخاه سعوداً ثم توفي فعادت الامرة اليه الى سنة ١٣٠٠ ولكن ملكه ضعف لان الدولة العثمانية انتزعت منه الحسا والقطيف وخرج عن طاعته اهل القصيم واطاعوا الدولة العثمانية وادوا لها الخراج واميرهم منهم وخرج عن طاعته ابن رشيد امير جبل شمر وقوي ملكه واطاع الدولة العثمانية وادى لها الخراج على قول صاحب خلاصة الكلام . والذي نعلمه انه لم يكن يؤدي لها خراجاً وانما يهدي لها الخيل الجياد وغيرها وهي دائماً في جانبه دون ابن سعود بل كان الشائع في ذلك العصر ان ابن سعود في جانب الانكليز .

الفصل الرابع فيما آل اليه امر نجد وما فعله الوهابيون في الحجاز والعراق والشام في هذا الزمان

بعد ما تقلص حكم محمد علي باشا عن بلاد نجد صار فيها امارتان احداهما لآل سعود مقرها القصيم وعاصمتها الرياض والاخرى لآل رشيد وعاصمتها حائل في جبل شمر وهو المعروف في القديم بجبل طيء وقوت الدولة العثمانية جانب امارة آل الرشيد وصارت هي صاحبة الحول والطول في نجد وبخفارتها يسير الحاج العراقي والنجدي عن طريق حائل

بخاوة (خفارة) قدرها ثلاثون ريال فرنسة عن العربي وضعفها عن العجمي وليس للدولة العثمانية على نجد حكم سوى انها في جانب آل الرشيد ومع ذلك فرعايا ابن رشيد كلهم او جلهم على المذهب الوهابي بل لعل آل رشيد كانوا ايضاً على هذا المذهب . وفي عهد السلطان عبد الحميد انشأت الدولة العثمانية متصرفية في اطراف نجد غير متصرفية القطيف فكان نصيبها الفشل وحاصر النجديون العساكر المرسلة لحمايتها فعادوا باسوأ حال والغيت تلك المتصرفية ثم ان ابن رشيد غلب آل سعود على أمرهم واخرج الامير عبد الرحمن الفيصل آل سعود والد سلطان نجد الحالي وولده عبد العزيز واقرباءهم من الرياض عاصمة امارتهم فاقاموا عند ابن صباح صاحب الكويت ثم ان عبد العزيز استنفر زهاء ثلاثين رجلا من قومه فركب كل منهم ذلولا وخرجوا من الكويت الى نجد يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم فحارب ابن رشيد واستعاد امارة آبائه منه ثم هجم في ايام الحرب الكبرى على عشائر شمر في جبلهم وازال امارتهم وكانت قد ضعفت بعد موت الامير محمد ابن رشيد باختلافهم وقتل بعضهم بعضاً واخذ ابن سعود آخر امير منهم وهو الامير محمد ابن طلال وما بقي من آل رشيد اسراء وابقاهم عنده . وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ حاول الامير محمد بن طلال قتل الامير سعود بن عبد العزيز على ما يقال فتسلق داره هو واتباعه وعبيده فاخطأ مكانه فامر سعود بقتلهم فقتلوا وهم عشرون شخصاً . وما زال عبد العزيز سلطان نجد يتقوى شيئاً فشيئاً بذكائه ودهائه وعزمه وثباته ومساعدة التقادير له ، وفي اواخر عهد الاتحاديين استولى على متصرفية القطيف التي كانت لاجداده قبل وقبض على منصور باشا احد كبراء القطيف لموالاته الدولة العثمانية ثم قتله خفية وسكتت الدولة العثمانية عنه لانشغالها بالفتن والحروب وصالحته كما صالحت امام اليمن وعقدت معه اتفاقاً اعترفت له فيه بامارة نجد له ولذريته .

ولما نشبت الحرب العامة ودخلت فيها الدولة العثمانية سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م بقي ابن سعود على الحياد وتعاهد مع الانكليز واستمالت الدولة الانكليزية اليها الشريف حسين ابن علي امير مكة ووعدته ومنته استقلال بلاد العرب وتعاهدت معه على ذلك كما تعاهدت مع الفرنساويين في الوقت نفسه على اقتسام بلاد العرب فساعدها الشريف حسين ورجال العرب مساعدة تذكر ولما وضعت الحرب العامة اوزارها سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م ودخلت

جيوش الحلفاء سورية وبينها الجيوش العربية بقيادة الأمير فيصل احد انجال الملك حسين ابن علي ثم كان الى الجيوش البريطانية والعربية احتلال المدن الاربع دمشق وحلب وحمص وحماه وتوابعها ومنها حوران، والتصرف الاداري فيها بيد الحكومة العربية، والى الجيوش الافرنسية احتلال بيروت ولبنان وطرابلس وجبل عامل والاردن وتوابع ذلك والى الجنود البريطانية احتلال فلسطين وشرق الاردن وبعض حوران. واعلن استقلال الحجاز ونودي بالشريف حسين ملكا عليه باسم ملك العرب ووافقت على ذلك الدول الكبرى وخطب باسمه على المنابر حتى في مدن سوريا وفلسطين ثم بويع بالخلافة في الحجاز واكثر تلك المدن

واعلن استقلال نجد تحت سلطنة الامير عبد العزيز آل سعود باسم سلطان نجد ووافقت على ذلك الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا ومنحته راتباً لا يقل عن اربعين الف ليرة انكليزية وبلغ مجموع ما دفعته له من ابتداء سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٢٣ ميلادية زهاء خمسمائة الف واثنين واربعين الف جنيه انكليزي وكان ذلك اولا للمساعدة في الحرب ضد تركيا وبعد الحرب ليمتنع عن القيام ضد الحجاز والكويت والعراق وليساعد في ترويج سياستها الخاصة التي ترمي الى ايجاد احوال سلمية في بلاد العرب.

صرح بذلك وزير المستعمرات مسترامري وتناقلته صحف العالم ونقلناه بحروفه، وتعاهدت معه على ان امارة نجد وملحقاتها له ولأولاده بشرط ان يكون الامير اللاحق مختاراً من السابق ولا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة، وان تساعده وذريته على اي دولة اجنبية تعتدي على بلادهم اذا كان الاعتداء بدون علمها ولا اعطائها الوقت الكافي لمراجعته في ازالة الخلاف المسبب للاعتداء وان لا يعقد اتفاقاً ولا معاهدة مع اي حكومة او دولة اجنبية ويعد بعدم مفاوضة احد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز او تعد على بلاده ويلتزم ان لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده ولا يمنح امتيازا لدولة اجنبية او احد رعاياها بدون رضا بريطانيا وبأن يتبع في ذلك نصائحها وبابقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة مفتوحة والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها وعدم الاعتداء على حكومات

جيرانه البحرين والكويت وقطر وعمان والمشايخ الذين تحت الحماية البريطانية . ونقلنا ذلك من مجموع مقالات صاحب المنار (الوهابية والحجاز)

واقيم الامير عبد الله نجل الملك حسين اميرا على شرق الاردن واطلق على امارته امارة الشرق العربي وجعلت تلك الامارة له ولذريته

وبقيت الجنود البريطانية في المدن الاربع سنة كاملة ثم خرجت منها واستقلت بها الحكومة العربية تحت امارة الامير فيصل ثم وقع الاختلاف بينها وبين الافرنسيين بعد ان اقيم الامير فيصل ملكا على سوريا وكانت وقعة ميسلون المشهورة بين العرب من الدمشقيين وغيرهم وبين الافرنسيين التي انتهت بقتل جملة من العرب والافرنسيين وقتل يوسف بك العظمة وزير الحربية العربي بعدما ابدى بساله تذكر واحتلال الجنود الافرنسية المدن الاربع وخروج الملك فيصل من سوريا سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م ثم اقيم ملكا على العراق برأي الانكليز ومشورة العراقيين

هجوم الوهابيين في الحجاز على عرب الفرع من قبيلة حرب

في سنة ١٣٤٠ غزا الوهابيون عرب الفرع من قبيلة حرب في عقر دارهم في الحجاز ونهبوا المواشي فجاء النذير الى اهل الفرع فلحقوهم واستخلصوا منهم ما نهبوه وقتلوا فيهم وغنموا جميع ما معهم وولوا منهزمين ومن جملة ما غنموه اعلام وبيارق فدفعوه الى الملك حسين وانقطع مجيء اعراب نجد الى الفرع لاكتيال التمر فحصل بذلك ضيق على اهل الفرع بسبب كساد تمورهم التي كان يشتريها النجديون

قتل الوهابيين الحاج اليماني سنة ١٣٤١

في هذه السنة التقى الوهابيون بالحاج اليماني وهو اعزل من السلاح وجميع آلات الدفاع فسايروهم في الطريق واعطوهم الامان ثم غدروا بهم فلما وصلوا الى سفح جبل مشى الوهابيون في سفح الجبل واليمانيون تحتهم فعطفوا على اليمانيين واطلقوا عليهم الرصاص حتى قتلوهم عن بكرة ابيهم وكانوا الف انسان ولم يسلم منهم غير رجلين هربا واخبرا بالحال

واراد الشيخ رشيد رضا صاحب المنار على عادته في تلفيق الاعذار عن افعال الوهابيين الاعتذار عن

هذه الفعلة الشنعاء فقال في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) [1] : ان الملك حسينا كان ارسل حملة على منطقة عسير بعد وفاة السيد محمد علي الادريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد وفي أثر تنكيل الوهابية بجملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون انهم نجدة منهم فاطلقوا عليهم الرصاص وبعد ان عرف الامر اعتذر السلطان عبد العزيز للامام يحيى عن هذا الخطأ واتفقا على حفظ المودة بينهم بتعويض مقبول معقول (انتهى)

وهذا عذر فاسد بارد يراد به ستر فظائع الوهابيين في استحلالهم دماء المسلمين وتوجيه بأسهم وسطوتهم وافواه بنادقهم كلها الى قتال المسلمين خاصة وغزوهم كلما سنحت لهم فرصة وقتلهم بانواع الغدر والبغي تارة في سورية واخرى في الحجاز وثالثة في العراق ورابعة في اليمن وهيهات ان تستر هذه الاعذارالفاسدة فظائعهم وقد عرفها العام والخاص ولم تعد تخفى على احد من الناس . يقول صاحب المنار انهم اعتقدوهم نجدة وكيف ذلك وهم عزل من السلاح ولا يؤذن لهم بحمله في مملكة اجنبية ولو كانوا مسلحين ما استطاع الوهابية قتلهم ولكانوا اقصر باعاً من ذلك وهل تخفى حالة الحجاج من حالة الغزاة المحاربين فكيف يمكن لعاقل ان يعتقد او يظن او يحتمل انهم نجدة . وهل اعتقد الوهابيون في اعراب شرق الاردن انهم نجدة حينما غزوهم في عقر دارهم واعملوا فيهم رصاص البنادق وحد السيوف وهل اعتقدوا في اهل العراق انهم نجدة فتابعوا عليهم الغزو والقتل والنهب . وكيف ساغ للوهابيين وهم وحدهم المسلمون الموحدون الابرار الاتقياء الورعون الذين تورعوا عن الفتيا في التلغراف لعدم النص فيه ان يقتلوهم قبل سؤالهم وتعرف حالهم ولكن حالهم كما قال الحسن البصري في اهل العراق : يسألون عن دم البقة ويستحلون دم الحسين

وكما اقتضت المصلحة الانكليزية والدهاء البريطاني ان يكون الشريف حسين ملك الحجاز والامير ابن سعود سلطان نجد اقتضت ثانياً ان يكون السلطان ابن سعود ايضاً ملكا على الحجاز مكان الملك حسين واولاده عقيب امتناعه عن امضاء المعاهدة البريطانية الحجازية

(١) صفحة ٣٣

هجوم الوهابيين على الحجاز وفظائعهم في الطائف سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٤

ففي اوائل هذه السنة هجم الوهابيون على الحجاز وحاصروا الطائف ومعهم الشريف خالد بن لؤي من اشراف مكة المعادين للملك حسين واحد عمال السلطان ابن سعود ثم دخلوها عنوة واعملوا في اهلها السيف فقتلوا الرجال والنساء والاطفال حتى قتلوا منها ما يقرب من الفين بينهم العلماء والصلحاء واعملوا فيها النهب وعملوا فيها من الفظائع ما تقشعر له الابدان وتتفطر القلوب نظير ما عملوه في المرة الاولى كما سبق وممن قتلوا من المعروفين الشيخ عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بصورة فظيعة وقتلوا جملة من بني شيبة سدنة الكعبة المكرمة كانوا مصطافين في الطائف وجاءت الاخبار بارتكابهم فظائع لا يليق ذكرها وان السلطان ابن سعود لما سئل عنها لم ينكر وقوعها لكنه اعتذر بما وقع من خالد بن الوليد يوم فتح مكة وقول النبي (ص) (اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد) . ثم اخذوا ما وراء الطائف من المعاقل الحصينة واهمها الهدى وكرى

مهاجمة الوهابية شرق الاردن واستيلاؤهم على مكة

وفيها هجم جماعة من الوهابيين فجأة على اعراب شرقي الاردن الآمنين فهجموا على ام العمد وجوارها فقتلوا ونهبوا وما لبثوا ان ارتدوا مدحورين مأسورين لان الطيارات والدبابات الانكليزية اشتركت في قتالهم مع عرب شرقي الاردن وانجلت المعركة عن قتل ثلثمائة من الوهابيين واسر جماعة كثيرة منهم وقتل مائتين وخمسين من اهل شرقي الاردن ثم اطلقت اسرى الوهابيين بامر من الانكليز واوصلوا الى مأمنهم .وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ جاءت الاخبار بمهاجمة الوهابيين شرقي الاردن ووصولهم الى معان بنحو من ثلاثين الفاً وانهم اعلنوا الجهاد .

استيلاء الوهابيين على مكة المكرمة سنة ١٣٤٣

وفيها دخل الوهابيون مكة بغير قتال بعدما خرج الملك حسين وولده منها الى جدة فنهبوا داره واستولوا على جميع ما يؤول اليه ثم اكره على التنازل عن الملك لولده الامير علي وعلى الخروج من الحجاز الى العقبة وبعد فتح الوهابيين الطائف ومكة حضر السلطان عبد العزيز بن سعود الى مكة وقامت الحرب بينهم وبين الملك علي المتحصن في جدة وانقطع الحج في تلك السنة فاستحضر الملك علي اليه جماعة من السوريين من الضباط

وغيرهم واشترى الاسلحة والطيارات وصرف الاموال ولكن على غير جدوى وصادرت له الحكومة المصرية في الظاهر ، اسلحة واردة في البحر من طريق مصر عملا بقانون الدول المتحايدة. وبقيت في يده ايضاً المدينة المنورة وباقي سواحل الحجاز والحرب قائمة في الكل وجدة والمدينة تحت الحصار وابوه وهو في العقبة يمده بالمال والرجال ثم نفي ابوه من قبل الانكليز من العقبة الى جزيرة قبرص على دارعة بريطانية مع حرمه وخدمه ولم يحضر لوداعه احد ممن كان يظهر له الصداقة غير ولده الامير عبد الله ولما طال الحصار على الملك علي اضطر الى صلح الوهابية فتم ذلك بتوسط قنصل الانكليز في جدة فخرج من جدة على دارعة او باخرة بريطانية ودخلها الوهابية سنة ١٣٤٤ واستولوا على مراكب ابيه البحرية وذهب هو الى العراق فاقام عند اخيه الملك فيصل . ودامت الحرب ما يزيد عن سنة كاملة واصبح ابن سعود سلطان نجد وملك الحجاز واستولى الوهابيون على المدينة المنورة والحجاز كله ودخلت جميع اعراب الحجاز تحت طاعتهم .

وكان السلطان ابن سعود يعلن وهو يحارب الملك علياً أنه ما جاء الى الحجاز الا لينقذه من ظلم الاشراف ولا يريد تملكه وانما يجعل مصيره راجعا الى رأي عموم المسلمين فكانت هذه الاقوال جارية على عادات المتغلبين في دهائهم وسياساتهم لم يف منها بشيء. نعم عقد مؤتمراً بمكة دعا اليه الحكومات واهل البلاد الاسلامية لارسال مندوبين عنها فحضره طائفة منهم وامتنع آخرون وارجعت الدولة الايرانية مندوبها بعدما عينته لما بلغها ما فعل بائمة البقيع واجتمع المؤتمر ولم يسفر عن نتيجة وبث السلطان ابن سعود الامن في الحجاز وعاد الحج وارسلت الحكومة المصرية عسكرها المعتاد مع امير الحاج المصري وفي منى استاء الوهابيون من فعل العسكر المصري بعض ما يراه الوهابيون محرماً فرشقوا العسكر بالحجارة فقابلهم العسكر برمي البنادق والمدفع فقتلوا جماعة من الوهابيين وقابلهم الوهابيون بالمثل فجرح جماعة من العسكر بينهم بعض الضباط وقتل بعضهم فارسل السلطان ابن سعود ولده لاخماد الفتنة فلم يستطع فحضر هو بنفسه واخمدها. وتفنن عماله في الاستفادة من اموال الحجاج فدخل عليه بذلك اموال عظيمة تعد بالملايين من الليرات [1] .

(١) كان هذا قبل اكتشاف البترول وظلوا بعد اكتشافه يتوسلون بكل وسيلة لاستنزاف اموال الحجاج وفرض الضرائب عليهم . — الناشر —

التاريخ يعيد نفسه

وقد جرى على الملك حسين من طرده من مقر ملكه الى جدة ثم الى العقبة ثم نفي الانكليز له الى جزيرة قبرص نظير ما جرى على سلفه الشريف غالب من خروجه من مكة ومحاصرته في جدة ونفيه الى مصر ثم الى سلانيك كما مر . وجرى على الطائف واهله في هذا العصر نظير ما جرى عليهم في ذلك العصر وفعل الوهابيون في الحجاز في هذا العصر من هدمهم القباب والضرائح ومحوهم آثار سادات الاسلام ومنعهم الحرية المذهبية للمسلمين واغاراتهم على بلاد المسلمين في العراق وسوريا نظير ما فعلوه في ذلك العصر فان التاريخ كما يقولون يعيد نفسه .

هجوم الوهابيين على العراق

وقد تكرر هجوم الوهابيين على اطراف العراق سنة ١٣٤٥ – ١٣٤٦ بقيادة فيصل الدويش يقتلون وينهبون وكان نتيجة ذلك ان اشتكى العراقيون الى الحكومة الانكليزية وقالوا لها إما ان تردعهم او تترك العراقيين واياهم ليدفعوا عن انفسهم فخابرت معتمدها في البحرين ليخابر للسلطان ابن سعود فكان جوابه انه لا علم له بما جرى وسيسأل فيصل الدويش عن ذلك وما زال فيصل الدويش يشن الغارات على اعراب العراق المجاورة لنجد فينهب مواشيهم ويقتل فيهم وقد قرأنا اليوم في الجرائد خبر هجومه عليهم ونهبه وقتله لهم ومطاردة الطيارات البريطانية والجند العراقي لجنوده وان السلطان ابن سعود ارسل لحكومة العراق يحذرها منه ويقول انه خارج عن طاعته وغير قادر على ردعه[1] .

---

(١) فاتنا ان نذكر في تاريخ الوهابية بعض امور فنستدركها هنا نقلا عن خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام . وهي ان محمد بن سعود امير الدرعية بعدما اتبع محمد بن عبد الوهاب واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له اتسع ملكه وملك اولاده من بعده حتى ملكوا جزيرة العرب وكان اذا اراد ان يغزو بلدة كتب كتابا بقدر الخنصر الى الاعراب فيلبون دعوته ويتحملون على انفسهم كل ما يحتاجون اليه واذا نهبوا شيئاً يدفعون اليه خمسه ويأخذون اربعة اخماس فاذا ملك القبيلة من العرب سلطها على من دنا منها وهكذا حتى ملك الشرق كله ثم اقليم الحسا والبحرين وعمان ومسقط وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا من جهة الشمال ثم ملك من الجنوب الحرار باسرها ثم الخيوف ذوات النخيل والحربية والفرع وجهينة وملك ما بين المدينة المنورة والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وعربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ومكة ثم ملك الطائف ودخل مكة بالصلح سنة ١٢٢٠ بعد حرب الشريف غالب معه نحوا من خمس عشرة سنة وعجزه عنه واستمر فيها الى غاية سنة ١٢٢٧ وحاربه محمد علي باشا حتى وصل ابنه ابراهيم باشا الى الدرعية سنة ١٢٣٣ .

هدم الوهابيين القباب والمزارات بالحجاز عام ١٣٤٣

لما دخل الوهابيون الى الطائف هدموا قبة ابن عباس كما فعلوا في المرة الاولى ولما دخلوا مكة المكرمة هدموا قباب عبد المطلب جد النبي « ص » وابي طالب عمه وخديجة ام المؤمنين وخربوا مولد النبي «ص» ومولد فاطمة الزهراء « ع » ولما دخلوا جدة هدموا قبة حواء وخربوا قبرها كما خربوا قبور من ذكر ايضاً وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها والطائف ونواحيها وجدة ونواحيها من القباب والمزارات والامكنة التي يتبرك بها ولما حاصروا المدينة المنورة هدموا مسجد حمزة ومزاره لانها خارج المدينة وشاع انهم ضربوا بالرصاص على قبة النبي «ص» ولكنهم انكروا ذلك ولما استولوا على المدينة المنورة خرج قاضي قضاتهم الشيخ عبد الله بن بليهد من مكة الى المدينة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ ووجه الى اهل المدينة سؤالا يسألهم فيه عن هدم القباب والمزارات فسكت كثير منهم خوفاً واجابه بعضهم بلزوم الهدم وسيأتي ذكر السؤال والجواب ان شاء الله في فصل البناء على القبور .

وانما اراد بهذا السؤال تسكين النفوس لا الاستفتاء الحقيقي فان الوهابيين لا يتوقفون في وجوب هدم جميع القباب والاضرحة حتى قبة النبي « ص » بل هو قاعدة مذهبهم واساسه وبعد صدور هذا السؤال والجواب هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها من القباب والاضرحة والمزارات فهدموا قبة أئمة اهل البيت بالبقيع ومعهم العباس عم النبي « ص » وجدرانها وازالوا الصندوق والقفص الموضوعين على قبورهم وصرفوا على ذلك الف ريال مجيدي ولم يتركوا غير احجار موضوعة على تلك القبور كالعلامة وهدموا قباب عبد الله وآمنة ابوي النبي «ص» وازواجه وعثمان بن عفان واسماعيل بن جعفر الصادق ومالك إمام دار الهجرة وغير ذلك مما يطول باستيفائه الكلام . وبالجملة هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها وينبع وغيرها من القباب والمزارات والاضرحة وكانوا قبل ذلك هدموا قبة حمزة عم النبي «ص» وشهداء احد كما مر حتى اصبح مشهد حمزة والشهداء والجامع الذي بجانبه وتلك الابنية كلها اثرا بعد عين ولا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم الا قبرا في برية على رأس تل من التراب وتريثوا خوفاً من عاقبة الامر عن هدم قبة النبي « ص » وضريحه التي حالها عندهم كحال غيرها او اشد لشدة تعلق المسلمين بذلك وتعظيمهم له وادلتهم الاتية

وفتواهم لا تستثني قبة نبي ولا غيرة وما اعلنه سلطانهم في الجرائد من انه يحترم قبة النبي «ص» وضريحه يخالف معتقداتهم جزماً ولا يراد منه الا تسكين الخواطر ومنع قيام العالم الاسلامي ضدهم ولو امنوا ذلك ما توقفوا عن هدمها والحاقها بغيرها بل كانوا بدأوا بها قبل غيرها. وفي بعض اعتذاراتهم انها قبة المسجد لا قبة النبي « ص »، ومنعوا الزوار من الدنو الى قبر النبي «ص» وقبور اهل البيت « ع » ولمسها وتقبيلها واقاموا حرسا بايديهم الخيزران يمنعون الناس من ذلك الا اذا قبضوا بعض الدراهم وكان لا يراهم احد فيشيرون الى الزائر بالدنو من ضريح النبي « ص » ولمسه وتقبيله والرجوع بسرعة .

ولما شاع في الاقطار الاسلامية ما فعلوه في الحجاز بقبور أئمة المسلمين ومشاهدهم اكبر المسلمون ذلك واعظموه لا سيما ما فعلوه بقبة أئمة البقيع وجاءت برقيات الاحتجاج على ذلك من العراق وايران وغيرها وعطلت الدروس والجماعات واقيمت شعائر الحزن في هذه البلدان احتجاجاً على هذا الامر الفظيع .



فصل

من مخازي السعوديين [١]

اما مخازيهم فليست تنقضي	ولو انقضت وتناهت الاعداد
ولو ان اشجار البسيط مراقم	والبر طرس والبحار مداد

اننا حين نسرد فيما يلي بعض مخازي السعوديين نعترف باننا اعجز من أن نلم بطرف منها ولكننا نورد ما نورده تدليلاً على طبيعة الحياة التي يحياها السعوديون ، ويحياها في ظلالهم الشعب العربي الذي قدر لهم ان يحكموه بأخس الوسائل واحقر الاساليب وافظع الطرق واشدها همجية ووحشية ونذالة :

ارض الزيت والدماء

عام ١٩٥٢ منح الدكتور بيير جرونفيل عقدا بسنتين ليعمل في مستشفى الملك سعود وذهب الى المملكة وعندما انتهت مدة السنتين فتح عيادته الخاصة واستمر بها الى وقت قريب ، وفي خلال هذه المدة تجول في داخل البلاد . وهو هنا يتحدث عما ابصره بعينيه وسمعه باذنيه في البلاد التي نكبت بحكم السعوديين :

عدت من « المملكة السعودية » قريبا بعد ان كنت ازاول مهنة الطب في عدة بلدان مختلفة وصرح لي بالعمل حتى في البقاع البعيدة التي لا يصرح بدخولها الا لعدد قليل جداً من غير العرب .

ولن تجد في اية بقعة من بقاع العالم من الوحشية والمذابح والجوع مثل ما تجده « في السعودية » اليوم التي اصبحت تفوق قصص الف ليلة وليلة الخرافية ! . ان الزيت الموجود في باطن الارض قد جذب الشركات الامريكية ، كما ان موقع « السعودية » الجغرافي جعلها حليفة مرتبطة اشد الارتباط بالولايات المتحدة الامريكية التي انشأت المطارات العسكرية وتكلفت الكثير في بناء القواعد والمؤسسات الحربية .. والثروة التي تنفق في سبيل الفساد

(١) مما استدركناه على الطبعة الاولى «الناشر»

والافساد والترف وبناء القصور المجهزة بتكييف الهـــواء ووسائل اللهو والعبث المليئة بالرقيق والحريم التابع للملك سعود وعائلته ، لم يكن لها ولو تأثير بسيط عـلى مستوى الحياة العامة للشعب ، التي تشبه حياة الحيوان والتي لا يمكن للمرء ان يصدقها ابداً ، ولم تتحسن هذه الحياة منذ عدة قرون .

التمثيل بالانسان الحي

فاذا خطر ببالنا مسألة الجريمة وكيفية العقـــاب نرى ان العربي الفقير الذي يتهم بالسرقة ـ وهي الجريمة الشائعة ـ يلقى القبض عليه ويودع في سجن حقير كاللحـــد ليس به نوافذ . ومن الناحية النظرية نجـــد ان البوليس هو السلطة التي تتولى عمل التحريات الخاصة بالجريمة المزعوم ارتكابها ، ولكن التحريات تستدعي اناسا على جانب من الذكاء اكثر من رجال البوليس السذج البسطاء الذين معظمهم اميون لا يمكنهم القراءة او الكتابة والطريقة المألوفة في معاملة المتهم هي ان يضرب بالسياط حتى يعترف ، وان لم يعترف ، فهناك طريقة أخرى . وهي قلع الاظافر والكي بالنار وربط عضوه التنـــاسلي في سلك معدني دقيق مع اطعامه اشياء مدرة للبول وتكبيل يديه ، وتعذيبه ، وسيعترف بعـــد ذلك ! حتما !.. ولو في غيبوبته ! ، وقد ادخلت « على السعودية » وسائل هذا النوع من العذاب من قبل شخص جاء به جون فيلبي من العراق ووضعه مديراً للامن العام ويدعى مهدى بك .. وفي امكاني ان اذكر من نتائج الكشوف الطبية التي كنت اقوم بها انـــه يكفي المتهم سبع جلدات (دون ما سواها) حتى يعترف سواء اكان مذنباً او بريئاً !. ثم يحضر المتهم بعد ذلك امام « القاضي » وهو رجل الدين الجاهل الذي يصدر الاحـــكام ارتجالا في كل منطقة حسب مزاجه ! .

ومعظم هؤلاء « القضاة » الذين يكون تعيينهم الحقيقي تعيينا من الناحية السياسية ، هم اميون مثل رجال البوليس سواء بسواء ، فـــاذا تصادف ان كان مع المتهم ثمة نقود ، (وهذا من النادر ان يحدث) فان المتهم يمكن انقاذه بالرشوة وتكون العقوبة في هـــذه الحالة مجرد ضربه عدد من السياط . ولكن النتيجة العادية من « المحاكمة » والمحاكمـــة كلها تتلخص في ان رجل الدين او البوليس يقول : (ان المتهم قد اعترف بالجريمـــة !) هي صدور النطق بالحكم « السعودي » رأساً من القرآن الذي يصرفونه حسب اهوائهم ،

وهذا بصرف النظر عما اذا كان السجين قد سرق ريالا واحداً او تمرة او قطعة رغيف لانقاذ حياته من الجوع ، فان الحكم يستوى في ذلك ، فاذا سرق لاول مرة فـان يده اليمنى يجب ان تقطع من ناحية المعصم ، واذا سرق مرة أخرى ، فيجب ان تبتر رجله اليسرى ، وثالث مرة تقطع قدمه من ناحية المفصـل ، ولا تظنوا ان فيما اقوله مبالغة فقد اشرفت بنفسي على بعض هذه العمليات المضحكة التي ذهب ضحيتها احد الفقراء ، اما اللص الحقيقي فذلك الحاكم الذي يأمر بقطع ثلاثة اعضاء من جسم الفقير العاطل عن العمل ، وليس هناك ثمة خلاف « في تطبيق الحكم » كما قلت اذا كان المتهم قد سرق كسرة من الخبز ليطعم بها عائلته التي تموت جوعاً ، فان « الحكم » لا يخفف وهو واجب التنفيذ في هذا الصدد !.

وبصفتي طبيباً فقد كنت احضر مئات من هـذه « المحاكات » العلنية وذلك لكي اعالج السجين بعد ان ينتهي معه هؤلاء الموظفون والعبيد . ولقـد صممت على ان اعمل تقريراً عن هذه الوحشية الى العالم الخارجي مهما كان في ذلك الامر من مخاطرة . وقـد ادخل الحكام اخيراً بعض التحسينات على هذه التشويهات في المدن الكبيرة فقـط ... فعندما تجري هـذه التشويهات في احدى المدن الكبيرة يحضر بعض الاطباء لاستعمال « ضاغطة الشرايين » ويعالج الضحية من الصدمه ، ثم يأخذه بعـد ذلك الى الصيدلية .. تجري هذه «التحسينات» كما قلت في المدن التي يوجد بها عدد من الاجانب الذين يهزأون ويبكون احياناً لهذه المناظر المؤذية . اما في المدن الصغيرة ، فان الايدي والارجل تغمس في الزيت المغلي بعد قطعها لايقاف نزيف الدم ! وغالبا ما يموت الضحية، واما في القرى البعيدة فان السجين يترك ليعالج نفسه بنفسه ، اي ليموت موتا بطيئا .. « وفي البلاد المتمدينة » التي يسيطر عليها الامريكان ، كالظهران مثلا ، يعطى للسجين حقنة ضد (التيتانوس) وهي احدى الوسائل التي تميز البلاد « المتمدينة » عن البلاد المتأخرة في المملكة العربيـة السعودية السعيدة !.

وقد صرح لي شخص مطلع جداً ومن الحاشية بانه (قد زاد عدد الذين قطعت ايديهم وارجلهم عن ١٠٠ الف رجل وطفل وامرأة منذ ان حل في البلاد حكم العائلة السعودية) فليتصور الاوربي مصير هؤلاء الناس وعائلاتهم .. بـل ليتصور العرب الذين يهاجمون

الاستعمار الغربي ووحشيته ، بينما يغمسون رؤسهم في رمال الصحراء عن مخازي بعضهم وهمجيتهم ..

جريمة القتل

واذا كانت الجريمة المرتكبة هي القتل (سواء كان صادرا عن ارادة او غير ارادة) فلا تختلف عما اذا كان القتل مقصودا به مجرد الدفاع عن النفس ام لا !. فان النظام السعودي لم يميز بين هذا وذاك ! والعقاب يجب ان يطبق تطبيقاً حرفياً وهذا على الفقير فقط كما اسلفت.

عقوبة الزنى

وعقوبة الزنى هي التي تبدو اكثر بربرية ووحشية من جميع العقوبات السعودية ، — واني قد رأيت تنفيذ هذه العقوبة . ولكني لم احتمل تنفيذها بهذا الشكل البشع على الرغم من طبيعتي كطبيب .

فالمرأة الفقيرة التي يلقى القبض عليها بتهمة الزنى ، تجرد من ثيابها حتى تصبح عارية ثم تربط بالحبال وتؤخذ الى المدينة او القرية لتجوب الطرقات ليتمكن كل انسان من مشاهدتها ، وفي الميدان الرئيسي حيث توجد حفرة ما ، تدفن هذه المرأة هناك ، وهي حية ما عدا رأسها الذي يكون مرتفعا نوعا ما عن سطح الارض ، ثم تحضر عربة محملة بالصخور الى هذا الميدان ويتسلح كل فرد من الخدم والعبيد لرجم الفقيرة بهذه الصخور . ثم يقفون خارج دائرة معينة حول هذه المرأة ، وعندما تعطى اشارة من رئيس الشرطة فان هؤلاء القوم يبدأون بقذف الحجارة وتصويبها الى هذه الضحية المسكينة ، التي تكون قد ارتكبت الخطيئة لتطعم اطفالها ، وتستمر هذه العملية حتى تموت هذه المرأة ، ثم بعد ذلك يأخذون في اخراج الجثة الخاصة بهذه المرأة لاعادة دفنها من جديد بطريقة « صحيحة » هناك .

ولا فرق في هذا التشريع بين الرجل والمرأة ، وغالباً ما يؤتى بالرجل والمرأة معاً فيربطان ظهراً لظهر ويرجمان حتى الموت بالطريقة سالفة الذكر . هذا اذا كانا من الفقراء . اما الامراء والكبار فانهم يختطفون النساء والغلمان من الشوارع ، دون حسيب او رقيب وغالباً ما تذبح الضحية ، بعد اتيان الفاحشة بها ، وتعاد مذبوحة لترمى على عتبة باب اهلها . وماذا يفعل الاهل بعد ذلك ؟ .. ولمن الشكوى فالخصم هو الحاكم ..

وليس هناك منازل علنية للدعارة وفي الحقيقة فاننا نجد ان الدعاوة موجودة وتمارس بصورة وحشية في القصور ..

حكم العبيد !

وهناك حركة كبيرة في شراء وبيع الجواري والعبيد وليس هناك ثمة تحديد للجواري والعبيد من البنات وخاصة الملك وامراء العائلة المالكة والاتباع . واكبر سوق علني للرقيق موجود في مكة ، ومن سخرية القدر أن هذه المدينة تعتبر من اقدس المدن العربية والاسلامية على الاطلاق . فهناك يمكن للعبيد من النساء او الجواري (العبدة هي امرأة افريقية اما غير الافريقية فتعتبر جارية) ان تباع بثمن يتراوح بين (١٥٠ جنيها الى ٣٠٠ جنيه) وهذا يتوقف على مقدار جمالهن ، او جمالهم اذا كانوا ذكوراً . وتذهب البنات الى السوق بطرق مختلفة كثيرة فبعضهن قد اختطف من اطراف الجزيرة الصحراوية الفقيرة حيث كن يعشن عيشة الحيوانات .. والبنت الجميلة الجذابة التي يشتريها رجل سعودي غني ، تعيش عيشة راضية وهناك عدد كبير من البنات يفضلن هذه العلاقة او هذه العيشة الفخمة نسبياً على حياة القصور المفزعة . ومع ذلك فان غالبية البنات اللائي يعرضن للبيع يحضرن الى السوق بواسطة تجار الرقيق الذين يبيعونهن كما تباع المواشي . ويعمل تجار الرقيق على ربط هؤلاء البنات مع بعضهن بالسلاسل ثم يعرضن في في السوق بالجملة (من خمسة الى خمسين وستين) دفعة واحدة . والذين يرغبون في الشراء يعطى لهم الوقت الكافي الذي يرغبونه لفحص البضاعة ، وتكون البنات لابسات ثيابهن ولكن لا يلبسن النقاب على وجوههن وهو النقاب الذي تلبسه المرأة السعودية ، فالعبدة يجب ان تكشف وجهها ! واذا رغب المشتري شراء احدى هؤلاء الفتيات ، فان الوسيط يخلي سبيلها ثم يأخذها المشتري الى خيمته ليجري عليها اختباراً خاصاً لفحص الثدي والسن والبطن وكافة انحاء جسمها ، فان الدين السعودي يقول : (من اشترٍ ولم ير فله الخيار حتى يرى) والمشتري المرتقب يجوز له ان يصطحب معه طبيباً لفحص الفتاة ومعرفة ما بها من امراض ، وفي احدى الحالات التي طلبت فيها للكشف على فتاة عمرها ١٥ سنة اراد ان يشتريها امير سعودي معروف بالشذوذ الجنسي والتعذيب ، فانني لم اساعده بشهادة طبية في صالح الفتاة ، وذلك حتى لا تقع هذه الضحية بين قبضته وعلى الرغم من الحقيقة وهي ان هذه الفتاة كانت ملائمة وحالتها الصحية لا بأس بها

فانني قد اعطيتها شهادة طبية غير حسنة والغيت بذلك صفقة البيع . ان سماسرة بيع الرقيق يحتفظون بهؤلاء العبيد والجواري ذكوراً واناثاً في غرف ذات قضبان حديدية في منازلهم الخاصة . وذلك ليضمنوا بقاء البكارة للنساء .. ومعظم هؤلاء الارقاء اختطفوا اصلا من اليمن وقطر ودبي وعمان والبريمي والجنوب العربي وسوريا ولبنان والعراق والاردن وفلسطين والمناطق الصحراوية في الحجاز ونجد ، ومتوسط ثمن الجارية الصحيحة البدن هو حوالي ١٥٠٠ جنيه . ولكن ما يتكبده تاجر الرقيق في هذا الصدد هو مبلغ زهيد بخس دراهم معدودة كافية له لكي يستحوذ على مثل هذه الفتاة .

وتعيش الجارية مع زوجات السعودي الحرائر !. (وعشرة من الجواري يعتبرن اقل عدد ملائم لرجل سعودي ثري) ويجب عليهن ان يعملن في المنزل . اما الزوجات فهن لا يعملن شيئاً من الاعمال المنزلية . وانني لم ار اي سعودي يمنع من شراء وحفظ هذه الجواري على الرغم من انه كان هناك في الماضي بعض حالات تدل على تحرير الرقيق . وتستراً على الفضائح نلاحظ ان السعوديين يتشددون الآن في طرد غير العربيات من سوق الرقيق . وبامكان اي واحد ان يحضر هذه الاسواق العلنية . ان المنظمات الدولية التي تتحرى تجارة الرقيق في السعودية حاولت من آن لآخر ان تتعرف على بعض الوسطاء الذين يعملون في تجارة الرقيق ولكنها لم تحاول منعه في السعودية ، وان حاولت فانها لا يمكن ان تتمكن من منعه لوجود هذا الحكم العجيب ، وبعض هؤلاء الارقاء حاول شراء نفسه ، وكان هؤلاء ممن لهم مقدرة على الاندماج بالوطنيين وإراد العيش في عالم افضل من عالم العبيد .. ولكن كثيراً منهم اكتشف امره ، وكان عقابهم دائماً هو القتل او الخصي امام العامة الذين يجتمعون في ميدان عام ، ويتركون بعد ذلك ليموتوا ، والفائدة التي تعود من شراء الجارية – بدلا من استخدام امرأة تعمل باجر زهيد جداً – هو ان هناك ثمة مخاطرة في الاتصال الجنسي ومزاولته مع خادمة ليست من العبيد ، بينما يمكن للسيد ان يفعل ما يشاء مع اية فتاة تكون عبدة له او جارية . وايضاً فان العبد او العبدة فيهما استثمار حسن . ذلك ان كثيراً من السعوديين يأخذون معهم خمسة او ستة من العبيد في رحلاتهم ثم يبيعونهم اثناء السفر على طول الطريق كانهم شيكات مع المسافرين ، او يعلمونهم قيادة السيارات وبعض الحرف لاستثمار حياتهم . ومسألة شراء زوجة ما (بقصد الزواج) هي في الواقع طريقة غير مأمونة العواقب اذا قورنت بشراء الجارية او

المحظية ذلك لان وجه المرأة يجب ان يكون مغطى دائماً ولا يمكن للرجل ان يرى وجه المرأة العادية التي يريد ان يتخذها السعودي زوجة له .. وعلى ذلك فان العريس المرتقب غالباً ما يستشير العجائز من اهل الحي نظير اجر معلوم وهن اللائي يخبرنه عن اجمل الفتيات .. حسب اذواقهن !. والزوج المأمول يتفاوض بعد ذلك مع والد الفتاة ، ويمتد هذا التفاوض في الغالب الى مدة سبعة اشهر . والفتاة الجميلة يدفع مهرها مبلغاً يتراوح في حدود ٢٦٥ جنيه .. ولن يحظى العريس بمعاينة زوجته المرتقبة قبل الليلة الاولى او الثانية للزواج .. وغالباً ما يفر العريس او العروس عندما يشاهد كل منهما الآخر .. ومع ذلك فان والد الفتاة يحجز لديه النقود التي دفعت له ، وعلى العكس من ذلك اذا حدث ان هربت الفتاة بعد الزواج ، وفي ذلك يكون والد الفتاة ملزماً بان يدفع الى الزوج ضعف المبلغ الاصلي الذي دفعه مهراً لابنته .

اين تذهب الثروة

وكل ثروة البلاد التي لا يمكن تصديقها تذهب الى سعود وعائلته الملكية ، الا البعض من هذه الثروة فهو يذهب في مشروعات لا تعود الا على نفس العائلة السعودية واتباعها بالمال الوفير .

ان هذه الثروة الكبيرة لم تحدث اي تغيير في معيشة هؤلاء الناس او حتى اصلاح الطرق البدائية الخربة .. ومتوسط منزل المواطن هو عبارة عن حجرة قذرة او حجرتين . ويتكون الاثاث من كليم على الارض وهو كل ما يمكن تدبيره كسرير وجميع المياه يجب ان تحمل بواسطة الصفائح من الابار . اما المراحيض ودورات المياه فلم نسمع بها . والحمام ايضاً غير موجود . وعلى الرغم من ان تعاليم القرآن تتطلب ان يغسل الشخص اذنيه ووجهه ويديه وانفه وقدميه قبل ان يؤدي الصلاة وان هناك خمس صلوات في اليوم على الرغم من كل ذلك فان السعوديين الحكام يحاولون تجهيل شعبهم ليمر المواطن على هذا مر الكرام ويتمسح على هذه الاعضاء من جسمه ليلمسه مجرد اللمس فقط ، لتفتك بهم الجراثيم الناتجة عن تراكم الاوساخ !.

وقد لعب البنسلين دوراً كبيراً في تخفيض بعض الامراض مثل السيلان ، ولكن الزهري الذي غالباً ما يكون وراثياً ، لا يزال منتشراً ، وهذه مشكلة مؤلمة .

وقد قدم الملك سعود بعض المستشفيات في بعض المدن الكبرى ولكنه لا يوجد ثمة شخص يدير هذه المستشفيات ، وهذه المستشفيات بما فيها من معدات هائلة لا تزال شاغرة يعلوها الصدأ والتراب . وبمستشفى الملك سعود الخاص بالعائلة المالكة (يوجد اكثر من ٣٠٠ امير من الدم الملكي الذين غالباً ما تكون امراضهم ناتجة عن التخمة او السمنة او الرغبة في اصطياد الممرضات) وهو غاص بالاطباء المتمرنين والموظفين الاميركان الذين يشتغلون هناك باجور خيالية . اما ابناء الشعب فان المرض يعتبر جزءاً من حياتهم ، فلا اطباء ولا عناية طبية .. ويعيش العربي هناك على وجبة واحدة من الرز والتمر ، فاذا ما كان سعيدا فانه يأكل مرة واحدة في الشهر قطعة من لحم الماعز . والاطفال الذين هم من ابناء الاغنياء يعطون في بعض الاحيان لبن الجمال ، والا فانهم ايضاً يعيشون على الارز والمياه ، لان معظم الاموال تذهب على الملذات الجنسية ..

على من تحرم الخمور ؟!

وجميع المشروبات الروحية محرمة تماماً « ولكن هذا على الشعب فقط » اما الامراء ورجال الدين الوهابي ، فانهم يستوردونها او يصادرونها ممن يستوردها ويشربونها شرب الهيم ويبيعون ما تبقى منها على التجار وزبائنهم . وفي الوقت نفسه فان اي شخص من ابناء الشعب يضبط متلبساً ثملا او يمتلك زجاجة من الخمر فانه يجلد بالسياط بلا رحمة ويسجن وينفى عن تلك المنطقة التي ضبط فيها .. وهذه « الممنوعات » تنطبق على المقاهي والبوفيهات الشعبية التي لا يمتلكها امير او اميرة او ملك او ملكة او واحد من الاتباع او اتباع الاتباع .. فتلك المقاهي (الشعبية) يجب ان تغلق خمس مرات في اليوم وذلك ليؤدي افراد الشعب الصلاة طالبين من الله اطالة عمر العائلة المالكة ! حيث يساق الشعب مرغماً على « هذه الصلاة » من قبل جلاوزة الهيئة الدينية « الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر » لتدخله « بيوت الله » فيعتاد « على الطاعة طاعة الامراء » . . اما قارورة الوسكي فتتراوح قيمتها بين ٣٠٠ – ٤٠٠ ريال ، وجميع المشروبات متوفرة لانها تجلب عن طريق الحكام ورجال الدين لبيعها على الشعب بباهظ الاثمان .. وليس هناك ثمة مسارح في البلاد كما انه ليس هناك صحافة بالمعنى المفهوم ، وليس هناك متاحف ولا نواد من اي نوع كان ، والتدخين لا يسمح به ، في الوقت الذي تستورد فيه الحكومة

هذا الدخان لتبيعه باثمان باهظة وتأخذ من مستورديه رسوماً خيالية ، والحقيقة ان الدين السعودي لا يسمح بأي نوع من انواع النشاط عـــدا نوع واحد في وقت الفراغ : « ذلك هو الصلاة » ... والجهل في رأي الدين السعودي وحكومته « فضيلة » والمرأة « عار على اهلها » وتعليمها « جريمة » .

الحياة العامة

والناس هناك يضعون حولهم سياجاً قدسياً كاذبا ، ذلك ان كل انسان يخاف من كرباج رجل البوليس والدين السعودي ، ولكنهم في داخل جحورهم ومنازلهم العارية يفعلون كل ما يمكن ان يفعلوه .. ان كبارهم يلعبون الميسر مع مراقبة البوليس وتحت حمايـة الحكم نفسه ، ويشتركون في اللذة الجنسية مع احدى الجاريات التي يمتلكها شخص منهم ، فاذا ما تصادف وضبط احد آخر غير الذي يمتلك هذه الفتاة فان العقاب يكـون الجلد بالنسبة لهذه الجريمة .. وقد علمت من احد المقربين للعائلة ان الامراء يمـارسون اللذة الجنسية مع قريباتهم واقربائهم الصغار ايضاً ، ويبيعون الافيون على الشعب ليدخنه ، ولكن ثمة عقوبة موجودة في ذلك وهي الضرب بالسياط بشكل قاس . وهكذا يبيعون الافيون ويجلدون المشتري . وقد يسمح بالرقص في بعض الاحيان حيث تقرع الطبـول الموسيقية ولكن يمكن للرجل الرقص مع الرجـال والنساء مع النساء . ولا يمكن للرجل السعودي ان يعطي صوته في الانتخابات حيث ليس هناك برلمان وليس هنـاك بالطبع اجتماع لهذا البرلمان ، والانتخابات محرمة ، والكلمة العليا فقط تصدر من البيت السعودي . وليس هناك سكك حديديه او طرق ذات صفة مستديمة .. والسفر يكون بطريق السيارة والاوتوبيس على الطرق التي انشئت بواسطة صب الزيت على الرمال .. ثم سويت بعد ذلك بالهراسة البخارية .. ان العواصف قد جعلت السكك الحديديـه والاسفلت في الطرق الرئيسية غير صالحة ، فقد يحدث ان تغطى تماماً هذه الطرق بالرمال ثم لا يوجد لها اثراً بعد ذلك ... وهذا مـا يحدث لخطوط السكك الحديدية والطرق الرئيسية التي حاولوا ان ينشئوها في الماضي .

وإنه لمن الصعب حقاً للرجل الغربي ان يفهم مقدار الشقاء والتعاسة التي يعيشها الناس في القرى البعيدة عن البلاد .

والمرأة الحامل تستمر في السير حتى يأتيها المخاض ويرغمها على ان ترقد في الارض في حفرة او تحت جذوع الاشجار ، وتضع طفلها . وبعد ان تنتهي من هذه الولادة تستمر في سيرها او ترجع مرة اخرى الى عملها اذا كانت فلاحة وفي نهاية اليوم تحمل طفلها وتأخذه معها الى منزلها . ومثل هؤلاء النساء يتزوجن وهن في العاشرة او الحادية عشرة من عمرهن (ويتزوج الرجل وهو في سن ١٣ الى ١٨ سنة) وبمضي الوقت ، عندما يصبحان في سن الثلاثين يكونان قد انتهيا من هذه الحياة .

ولكن الذي يجب ان ندركه في هذا الصدد بشأن الطريقة القاسية التي تنجب هؤلاء النسوة بمقتضاها الاطفال التعساء ، او القدرة الموجوة في الرجل العربي على ان يشفى بعد ضربه او جلده سبعين جلدة ، فان الرجل الامريكي او الاوربي قد يموت على الارجح في في مثل هذه الظروف من جلدة او جلدتين. ان هؤلاء الناس قد تعودوا على مثل هذه الحياة الوحشية .

والشيء الوحيد الذي يخفف كل هذه القيود وكل هذه الحياة المنخفضة المملة التي يسودها الفقر والعذاب هو الحياه الجنسية السعودية التي تعتبر من النسب العالمية في انجاب الاطفال وكذلك استعمال المخدرات ، وبامكانك ان تقدر ان ٨٠ بالمائة يموتون والباقي يعيش .

فاذا كنت في البلاد « السعودية » العربية واقمت هناك مدة مثل ما اقمت فسوف تلمس ان الحكومة قد قررت على ان تجعل الشعب في حالة من التأخر والانحطاط والتعاسة كما هم عليه الآن .

اين تذهب الاموال

وفيما عدا المدن الكبيرة ، فليس هناك مدارس في البلاد ، وليس هناك مشروعات لهذه المدارس . وابناء الملك سعود لهم مدرسون خصوصيون وبينما نجد التعاسة والشقاء يخيمان على عدد كبيرة من المواطنين في البلاد نجد ان الكماليات الخيالية تسيطر على الحياة الموجودة في القصور الملكية . ان الزيت الموجودة في البلاد يقدر بثلاث اضعاف الزيت الموجود في الولايات المتحدة ، وكل هذا الذهب السائل يعتبر ملكا خاصاً لآل سعود ! .

فليس « لجلالته » ان يعمل شيئاً بصدد هذا الزيت وهذه الابار « التي يمتلكهـا » ان رؤوس الاموال الامريكية والموظفين الامريكيين هم فقط كل شيء .. ولـكن في النهايه وبمعنى آخر في نهاية كل عام يعطى الملك مئة مليون جنيه بالاضافة الى ما يستحصل عليه بطرق اخرى . وكل هذه الاموال تهدر دون وعي ، فالسيارات الكاديلاك تطلب بالعشرات ، والطائرات الخاصة وكذلك آلات تكييف الهواء في القصور التي توجـد في جميع انحاء « مملكة العائلة » وكذلك السيارات المصفحة والمذهبة الملكية المكيفة بالهواء، التي تقابل الملك اينما حل في البلاد او رحل ، كل ذلك يتطلب اموالا باهظة وعملة صعبة ولكن .. لكل شيء نهاية ..

القصور والحريم

وآخر قصر ملكي انتهى من عمله في جدة تكلف تسعة ملايين جنيـه وامثاله في في الرياض ومكة والمدينة والظهران .. وفي الوقت الحاضر يمتلك سعو ١٢٤ قصراً خاصاً له بما فيها قصر آخر يبنى الان في الدمام .

ويتكون حريم سعود فقط من (٣٠٠٠) امرأة . وثلاثة من هؤلاء الزوجات يكن دائماً على استعداد يومياً .. ومعظم النساء والجواري يتنافسن في اللون والعمر والجمال والحجم .. والسعوديون يعتبرون الحياة الجنسية لازمة مستلزمة من مستلزمات المظهر الملكي . وليس هناك من يعلم من موظفي القصور الرسمية ما هو عدد بنات الملك سعود (النساء ليس لهن اهمية قليلة بالنسبة للسعوديين، لدرجة ان الملك لا يهتم مطلقاً بتعداد بناته) .

وقد قيـل لي من مصـدر موثوق ان الملك له ١٣٠ ولدا آنذاك . وسعود يهتم كثيرا بالاولاد .. فهو يلعب معهم ويمنح كلا منهم مرتباً ثابتاً خيالياً وعندما يبلغ عمر الابن سن الـ ١٢ عاماً يظهر ومعه عدد من سيارات الكاديلاك وعدد من الخدم والجواري والنساء والعبيد.. وعندما زارت السعودية الملكة ثريا ملكة ايران السابقة منذ عدة سنوات اهداها الملك سعود من المجوهرات ما يعادل مبلغ ٣٥٠٠٠٠ جنيه . وعدد من السيارات المـذهبة .

السفه

وفي اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن ، ادهش موظفي المطاعم بالمنح التي كان يهبهـا

كساعات الذهب التي كان يخلعها على جميع الجرسونات وفي اثناء حكم الوالد عبد العزيز بن سعود عندما كان يسافر الامراء السعوديون الى بيروت واوروبا كانوا ينفقون اموالاً باهظة جداً من الذهب ولكن الملك سعود قد عمل على ايجاد مخصصات للبيت المالك ، فجعل اخوانه الامراء (وعددهم لا يحصى) يعيشون على مبلـــغ ثابت لكل منهم متوسطه (١٠٥٠٠ جنيه شهريا) علاوة على المصاريف الاخرى التي يمكن ان تستحصل عن طريق المصاريف اللازمة لادارة قصورهم وسياراتهم الكاديلاك والطائرات الخاصة والحريم الخ..

وقد عين سعود اخاه الامير فيصل رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجيـة بمرتب شهري قدره – ١٠٠،٠٠٠ جنيه في السنة وقـد اعطى مثل هـذا المرتب الى اربعة آخرين من الامراء الذين عينهم في وزارته . ومع ذلك فان « مجلس الوزراء المستوزرين » هذا ليس ألا صورة ناطقة بلسان الحكم السعودي ووحشيته . والامير فيصل يملك ٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه عبارة عن عمارات سكنية في القاهرة فقط .. وهناك امير آخر يبني الان قصراً في مشارف القاهرة يطل على ١٤ عماره سكنية بناها من قبل . ولو فرضنا جدلا ان بعض امراء البيت السعودي قد يودون ان يعملوا بعض التحسينات لبلادهم فـانهم في نفس الوقت لا يريدون ان يشعروا الناس بأنهم بدأوا يعرفون معنى الديمقراطيـة او معنى مشاركتهم في الثروة. وقد بنيت بعض المستشفيات القليلة جداً والمدارس الموجهة ، وليس هناك اي فائدة لوجودها .

وسعود بطيء التفكير بطيء الحركة ، ليس لديه ما يؤهله ليتعامل ويتفرغ للمشكلات السعودية .

وقد تعلم سعود من والده الطرق الوحشية التي كان يجريها والده في الصحراء .

فهو لم يدخل مدرسة ما ولم يتعلم شيئاً سوى القرآن ، ولكنه تعلم كيف يكون لصاً خطيراً ومزواجا شهيرا .. وقد ساعد والده على تقوية الرقابة حول المملكة العربيـــة السعودية عن طريق قطع الرقاب للقبائل المعارضة والثائرة على الوضع الفاسد .

والملك الحالي جاء بعد موت والده في عام ١٩٥٣ وذلك بالنسبة لماضيه الشرير ، فهو لا يمكنه ان يفهم او يحاول ان يفهم المشاكل المعاصرة في بلاده ، فمثلا ، عندما دعي سعود الى زيارة رسمية لشركة ارامكو حيث يعمل بها ١٥،٠٠٠ عامل من العرب هناك (هذا

هو كل العدد الذي يعمل في الصناعة في جميع انحاء المملكة السعودية السعيدة) كان هناك مظاهرة بقيادة ٤٠٠٠ من العمال لمقابلة الموكب الملكي قبل وصوله بقليل وكنت بنفسي موجوداً في الشركة في ذلك الوقت ، وعلى ذلك فانني شاهد عيان لما حدث عندما وصل الملك .

عندما وصل سعود وحاشيته الى بوابة الشركة بدأ العمال بالصياح : « فليسقط الظلم . فليسقط المستعمرون الامريكان » وذلك في ٩ - ٦ - ١٩٥٦ . وهنا التفت سعود الى رئيس الحرس واعطاه امراً : على الفور نزل الحراس الخصوصيون بين العمال وبدأوا بضرب المتظاهرين حتى اماتوا الكثير منهم .

وتعتبر ارامكو بما فيها من الامريكان الفنيين الشريان الحيوي للعرش السعودي وبدون هذه الشركة لا يمكنهم ان يستحوذوا على قطرة من الزيت من باطن الارض كما انه لا يمكنهم ان يديروا هذه الشركة بما فيها من الآلات المعقدة لانهم لا يعلمون ابناء الشعب ولا يعتمدون عليهم ، لسبب واحد هو انهم يخشونهم ، وفي الواقع انه لكي يكون سعر الزيت منخفضا ومبلغ الـ ١٠٠ مليون جنيه بعيدة عن ان يشترك فيها احد ، لا بد ان يكون معظم الشعب « المسعدن » جاهلاً بما يجري في العالم الاخر من احداث ، ولكن الشعب يفهم واقعه تماماً وهو يغلي كالبركان ، رغم عدم تعليمه . وهذا هو السبب الذي من اجله لا توجد مدارس ولا انظمة لانشائها وهذا هو السبب الذي من اجله يسمح فقط بعدد قليل من الكتب والجرائد بدخول البلاد .

ولكن على الرغم من هذا فان الشعب كما قلت قد عرف مظاهر الحضارة الموجودة في الظهران على الاقل اجدى الوسائل التي يعيش فيها الامريكان وهي التي بذرت البذرة الاولى وفتحت العيون .

وسينتصر الشعب حتما .. « انتهى ما اورده الطبيب » .

كيف تحكم البلاد السعودية وتساس

قالت مجلة « العرفان » في الجزء الثالث من المجلد ٤٢ بتوقيع : نصير الشعب :

في العدد الثالث من مجلة « العرفان » الصادر في جمادى الاولى سنة ١٣٧٣ كتب أحد أبناء القطيف كلمة تحت عنوان « كيف تحكم بلاد القطيف وتساس » وباعتباري أحد أبناء

الشعب السعودي يهمني جداً أن اقرأ عن بلادي الشيء الكثير ، ولكن الذي استوقفني كثيراً في هذه الكلمة هو أن كاتبها تحدث عن القطيف وحدها وكيف تحكم وتساس من دولة الامراء وقد بين الظلم الذي يقع على القطيف لكونها موطن الشيعة ليس إلا ، وكان الأحرى به أن يكون اكثر علماً ومعرفة بالاوضاع العامة التي يعانيها الشعب السعودي بصورة عامة بما في ذلك النجديون والحجازيون والاحسائيون ورجال القبائل البدو وأهالي نجران وغيرهم ..

ان هذه المظالم التي ذكرها الكاتب لم تقتصر على أهل القطيف وحدهم لكونهم من مذهب غير مذهب حكومة الأمراء ولكن هذه المظالم تصيب هؤلاء الذين على دينهم باعظم الاسهم واكثرها جوراً وتعسفاً ان هؤلاء الذين يلتقطون النواة التي يرميها الحجاج أثناء الحج لم يكونوا إلا من النجديين وابناء الحجاز وان هذا الذي يصرخ من اعماقه (هللة يا حاج) لم يكن قطيفياً وإنما هو سني .

إن القضية اوسع بكثير من هذه النظرة الضيقة للمسألة ، ان هؤلاء يسمونهم علمياً بالاقطاعيين وبالأوتوقراطيين أي رجال الحكم الرجعيين وان همهم هو استغلال خيرات البلاد وامتصاص دم الشعب كما يمصه الاستعمار وشركاته الاستثمارية وهم لا يفرقون ابداً بين طائفة وأخرى وإنما همهم بالدرجة الاولى اكتناز الأموال وصرفها في الطرق التي لا يقرها دين ولا ضمير ولا إنسانية .

ارجو ان يعرف صاحبنا جيداً ان المسألة أبعد عمقاً من هذه السطحية التي عالج فيها كيفية الحكم في القطيف وكان الأحرى به أن يقول كيف تحكم هذه الملايين التي يخيم عليها الجهل والفقر والمرض والادواء الفتاكة الثلاثة ولا يزيد السني عن الشيعي ولا الحجازي عن الاحسائي. والحكومة لا تفرق بين هؤلاء ابداً في هذا الغرض البتة وان الذي أصدر كتاب « هذه هي الاغلال » لم يكن قطيفياً وإنما كان نجديا من القصيم . وان اعضاء « لجنة ممثلي العمال السعوديين » الذين اعتقلوا لكونهم من الاحرار الذين طالبوا بايقاف « أرامكو » عند حدها واودعوا سجن العبيد في الآي بي سي وكبلوا بالحديد الثقيل لم يكن بينهم شيعي واحد كما اعتقد فقد كان معظمهم من النجديين أبناء العمومة لدولة الامراء وهؤلاء الذين اوقفوا في الحجاز منذ أيام وعددهم يربو على ٣٥٠ شابا لم يكونوا من الشيعة او من اهالي القطيف وهؤلاء الذين اعتقلوا في الرياض وعددهم اكثر

من ثمانين لم يكونوا إلا نجديين. وان المطالب التي رفعها اهالي القطيف الى الملك سعود أثناء توليه العرش والتي كانت بسيطة جداً للغاية ومن حق أي إنسان ان يطالب بها ومن بينها تمثيل القطيف في مجلس الشورى لكيما يتسنى للقطيفيين أن يفهموا الحكومة اذا كانت تريد الاصلاح ، مشاكل البلاد وما تحتاجه من إصلاح وطالبوا ايضاً بمساواة القضاء الشيعي بالقضاء السني وفتح المدارس والسماح للبعثات بالسفر إلى الخارج وفتح المستشفيات ورفع الرقابة عن الكتب الخارجية والسماح بحرية الاعتقاد دينياً كان أو غيره ..

أتعرف ماذا كان جواب الحكومة عليها؟ كان الصمت والصمت وحده وقد بقي وفد القطيف الذي انتخبه الشعب هناك ينتظر اياماً طوالا في قصر الضيافة ليحظى بالجواب ولكن بدون جدوى .

فهل اقتنعت يا عزيزي الكاتب بان القضية لم تكن قضية معينة بالذات وانما هي قضية عامة لان الاصلاح الذي ينشده الشعب السعودي بمختلف طبقاته وعناصره ومذاهبه يختلف كل الاختلاف مع مصالح الطبقة الحاكمة الاستغلالية .

ولو انك سمعت بذلك التهديد الذي ألقاه في آذان وفد القطيف الامير سعود ابن جلوى أظلم انسان عرفته البشرية في قرنها العشرين . قال لهم : « اذا عدتم لها أي اذا عدتم للمطالبة بحقوقكم فسوف لا نبقي عليكم ولا نذر ، وانكم لا تثقون بالحكومة وانكم مشاغبون » وقد قال مثل هذا لاعضاء لجنة ممثلي العمال السعوديين وقد قلنا سابقا انهم لم يكونوا إلا سنيين .

والآن دعني أعالج مطالب أهالي القطيف الحيوية .. وليعلم القارىء بأنني من ابناء السنة ونجدي قح ولكن هاتوا يدكم الكريمة يا ابناء شعبي لأشد عليها بقوة ولنعمل سوية في سبيل تمتعنا نحن الشعب بكل أجناسه بخيرات أرض اجدادنا : اذا علمنا ان الحكومة السعودية حكومة ملكية ونحن نعرف ان الحكومات التي تشارك أمم العالم في مجالسها الدولية ومنظماتها العالمية وتتبادل التمثيل مع كافة الحكومات يجب ان تتبادل التمثيل وتتجاوب بالاحاسيس مع شعوبها بالدرجة الاولى ، واذا كانت الحكومات الملكية تكون عادة دستورية ، وكل القوانين المتعارف عليها تقر (ان الشعب مصدر السلطات) واذا علمنا أن الحكومة لا يمكن أن تكون مستقلة ومعترف بها دولياً بين الشعوب الحرة الا اذا كان شعبها حراً ومستقلا في تصريف شؤونه واختيار طريقة الحكم التي يريدها .

بقي أن نتساءل هل أن هذا متوفر لدينا نحن شعب المملكة السعودية ؟ واقع الحال يؤكد عدم توفره وهل ان حكومة من الحكومات تحكم من الامراء فمنهم الوزراء ومنهم حكام اكثر المناطق أهمية وبيدهم الحل والربط ومعفيون من كل الاجراءات النظامية التي تتحكم بمقدرات الشعب العربي . فإذا ما طالب الشعب العربي السعودي بمساواته بالشعوب العربية الاخرى فلا يعني هذا خروجا على المألوف .. واذا ما طالب القطيفيون بان يمثلوا في مجلس الشورى وهذا من حقهم الطبيعي فهذا لا يعني باية حال انهم لا يثقون بالحكومة واذا لم يطالب أهالي نجد والاحساء بذلك لا يعني هذا ايضاً بان القطيفيين أهل شغب .

ولكن الواقع يا اصحاب الشأن ان الشعب السعودي بمختلف طبقاته متذمر من هذه الاوضاع الاجتماعية المتردية التي يتخبط بهـا وان هذه المساوىء لا تؤثر على القطيفيين وحدهم بل هي تؤثر على الكل بدون استثناء بما في ذلك اهالي نجد والاحساء والحجاز «انتهى» .

وقد علقت العرفان على هذه الكلمة بما يلي : نشرنا ما نشرناه عن القطيف لانه لم يردنا من غير القطيف رسائل لننشرها ، ولعل ذلك مرده الخوف من الانتقـام مع ان اكثر الذين زاروا المملكة العربية السعودية حتى من الذين يقبضون من السعوديين يؤيدون ما جاء في هذه الرسالة وما قبلها من الرسائـل ويروون العجائب والغرائب عن حالة الشعب السيئة في تلك البلاد التي يحتكر ذهبها الأسود الامراء فينفقونه عـلى الفساد والافساد ، وفي غير مواضعه ومواقعه دائماً ، ولذلك نجد المسبحين بحمدهم ، والمطبلين والمزمرين لهم ، طمعا في عطائهم ، واملا في نفعهم ، لا حبا بهم «انتهى» .

فضيحة في حريم الملك سعود

قالت مجلة آخر ساعة : حكاية تسربت من حريم الملك سعود في العربية السعودية .

لقد قرر الملك سعود فجأة ان يطلق ابنه المدلل الامير خالد من زوجته فريال .

والسبب كما قال لي قادم من المملكة العربية السعودية ان الملك سعود الذي يقول انه مسلم .. وانه حامي الحرمين كان يغار من ابنه بسبب زواجه من فريال .

وكانت هذه الغيرة تثير اعصاب الملك .. فلم يكن يتمالك نفسه وهو يراهـا تروح وتغدو امام عينيه ..

وكشف الملك « المسلم » عن مشاعره الخبيثة تجاه زوجة ابنه حتى اصبحت الفتـاة

المسكينة حديث الحريم في قصر الناصرية .. قصر الملك في الرياض ..

ولم يكن امام الملك حتى يشفي نفسه من حالة الهستيريا التي كان يصاب بها كلما رآها امام عينيه الا ان يقرر تطليقها من ابنه ..

ولم يضع في اعتباره ابدا انها زوجة ابنه ولم تكن زوجته في يوم من الايام ..

وكما سمعت من القادم من المملكة العربية السعودية .. ذهبت فريال الى لبنان لتقضي عدة اسابيع .

ومنذ اسبوعين عادت الى الرياض فلم تجد زوجها الامير خالد في انتظارها ..

واستدعاها الملك سعود ليقول لها بنفسه :

— ولدي خالد لا يصلح لان يكون لك زوجاً .. ثم سلمها الملك وثيقة الطلاق ومعها شيك بمبلغ مائة الف ليرة لبنانية ..

وبكت فريال وهي تقول للملك :

— ليش ما قلت الكلام ده « يا طويل العمر » قبل ما تيجي أنت بنفسك وتطلبني من اهلي ؟

ولم يستطع الملك سعود .. الملك المتمسك كما يقول بتعاليم دينه الاسلامي .. ان يقول شيئاً ..

واضطرت فريال لان تعود الى لبنان دون ان تودع زوجها الذي تطلقت منه بامر الملك ..

وبقية الحكاية .. تقول .. ان الملك سعود عندما زار لبنان وذهب ليخطب فريال لم يكن يريدها لابنه .. ولكنه كان يريدها لنفسه ..

وسأل الملك عمها عن سنها وهو يقول له :

— عمرها قد آش ؟

واجاب العم قائلا : ٢٢ سنة !

ولمعت عينا الملك ببريق عجيب .. ثم مسح شعيرات ذقنه كعادته براحة يده وهو يقول :

— اذن نزوجها لولدنا خالد ..

ولم يفهم العم لماذا عدل الملك فجأة عن رأيه في طلب الزواج من فريال .. ولماذا قرر تزويجها من ابنه المدلل الامير خالد ؟

ولكن لبنان كله عرف السبب ..

فالملك كما قال يفضل فيمن يختارها زوجة لنفسه أن يكون عمرها أقل من ١٨ سنة. وأنه وجد فريال اكبر سنا مما كان يعتقد .

وكان ان قرر تزويجها من ابنه بدلا من ان يتزوجها هو «انتهى» !

ماذا يجري في السعودية

قالت الاهرام في عددها الصادر في ١١ ايار سنة ١٩٦١

الذي يجري في السعودية الآن ، هل هو غير طبيعي ؟

– بالعكس ، ذلك ما كان ينبغي ان يحدث بالضبط !

وهل كان في تصور احد مثلا ان القوى الرجعية الحاكمة في السعودية سوف تستسلم ببساطة للافكار الجديدة المتحفزة للتغيير الثوري ؟

هل كان في تصور احد انه يكفي ان يقال للملك سعود :

« يا صاحب الجلالة ، ان هذه الحياة التي تعيشها لم تعد تتفق مع طبيعة العصر ولقد بات محتما ان تتغير هذه الحياة .

لم يعد مقبولا ان تحصل لنفسك وحدك من دخل بترول السعودية على مائة مليون جنيه استرليني ، وان تحصل اسرتك على مائة مليون اخرى غيرها ، ثم لا يتبقى لسبعة او ثمانية ملايين من البشر في مملكتكم غير الفتات الذي لا يرد الجوع !

لم يعد مقبولا يا صاحب الجلالة ان يكون في قصرك اكثر من الف جارية ومحظية وان يكون لك من الاولاد والبنات ما يزيد على المائة كل منهم له مرتباته ومخصصاته وحاشيته وقصوره .

ان البترول – يا صاحب الجلالة – ليس موردا ثابتاً وانما هو نبع سوف ينضب في يوم من الايام ، ومن صالح الشعب العربي في بلادك ان تنتهز فرصة تدفقه لبناء قاعدة للانتاج تبقى وتدوم للشعب الباقي الدائم » .

هل كان في تصور احد ان الملك سعود ، حين يسمع هذا الكلام مثلا ، سوف يطرق برأسه مفكراً لوهلة ، ثم يرفع رأسه ويقول :

– هذا حق ، ولست اعرف كيف فات علي امره ، ولكن الفرصة لم تفت بعد .

ثم يقوم جلالته فيعطي للشعب ما هو حق للشعب .

ويحتفظ لنفسه بمليون واحد ، او حتى مليونين ، وبقصر واحد ، او حتى قصرين ، وبزوجة واحدة ، او حتى زوجتين .

ثم يقول لمن حوله : اقتدوا بي حتى يعم الخير على الناس !

★

ذلك لم يحدث ، ومن المستحيل حدوثه ، لانه هو غير الطبيعي .

وانما الطبيعي هو ما جرى ، وما يجري الآن فعلا !

يحاول الملك ان يخادع تيار التطور ويماطله، ولقد ينجح – وقد نجح فعلا – في تأجيل الصراع المحتوم سنتين او ثلاث .

لكن تأجيل الصراع لا ينهيه .

ثم جاءت لحظة المواجهة التي لم يكن منها مفر .

وانتفض الملك بكل غيظه وحقده وعدائه الذي يصل بغير تردد الى حد القتل – يحاول الانقضاض على تيار التطور .

داس على مشاكله الصغيرة لكي يستجمع قواه للمعركة المريرة .

لم يقف عند حد في حقده الاعمى .

لم يتردد لحظة في الاصرار على القتل .

من نماذج المشاكل التي داس عليها جلالته ، خصومته مع اخيه الامير فيصل .

ومن المدهش مثلا ان الملك لم يتورع عن سؤال بعض اصدقائه الاميركيين ان يتوسطوا بينه وبين اخيه لكي يفهم ان التغيير الذي يحوم حول الشرق العربي يهددهما معا .. وقد كان .

تدخل اميركي بين ملك عربي ، وبين اخيه الامير العربي ، ولم ينس الاميركي طبعا ان يحتسب عمولته في الوساطة ، فأخذها في شكل اخراج السيد عبد الله الطريقي الذي كان وزيرا لشؤون البترول في الوزارة التي ألفها سعود في عنفوان خصومته لفيصل وبعد ان اقاله من الوزارة سنة ١٩٦٠

وكان الملك قد استعمل « الطريقي » واجهة لتضليل الشباب الجديد المثقف في الجزيرة العربية وايهامهم انه مستعد للتغيير ، لكن التغيير يجب ان يجيء تدريجا وخطوة بعد خطوة .

ولقد كان الطريقي يعتبر الخبير الوحيد في شؤون البترول في مملكة سعود ، وكانت خبرته **في صدام مستمر طول الوقت مع المصالح البترولية المتحكمة في السعودية .**

ثم حدثت حكاية مثيرة

في آخر جلسة لمجلس الوزراء السعودي ، حضرها الملك سعود ، قبل مرضه وطيرانه المفاجىء الى اميركا ، طلب الطريقي وزير شؤون البترول في وزارة سعود ان يتكلم في المجلس ، واعطاه الملك الكلمة ، وقال الطريقي :

« ان شركات البترول اليابانية اخطرتني بأن السيد كال ادهم شقيق حرم الامير فيصل طلب منها مليون من الدولارات مع عمولة مستمرة قدرها خمسة في المائة على ان يتكفل هو بحصولها على الامتيازات التي تقدمت لها » ثم استطرد الطريقي :

« ان المسألة ليست مسألة كال ادهم ولكني اعلم ان اسرة الامير فيصل ذاتها تشترك معه في الحصول على هذه المبالغ الطائلة » .

وقال الملك :

– هذا كلام خطير ولا بد ان نحقق فيه !

واحس عدد من الجالسين في قاعة اجتماع الوزارة ان ما قاله الطريقي لم يكن مفاجأة للملك وانما كان الملك على علم بما سوف يقوله الطريقي بوسيلة او بأخرى !.

وتأجل الاجتماع .

وفي هذه الفترة قرر سعود ان يهرب من المنطقة العربية كلها الى اميركا وترك الامور في السعودية لفيصل بعد تدخلات ووساطات .

وعقد فيصل اجتماعاً للوزارة بعد سفر سعود .

وبدأ فيصل جلسة للوزارة بقوله :

– اريد اسمع معكم مناقشات مجلس الوزراء في آخر جلسة حضرها الملك ، حتى

نستأنف تصريف الامور من حيث تركها جلالة الملك .

ودخل احد رجال حاشية فيصل يحمل جهاز التسجيل ، والقاعدة في السعودية بسبب عدم وجود العدد الكافي من المختزلين والسكرتيرين ، ان تسجل جلسات مجلس الوزراء على شريط كهربائي يحتفظ به المالك .

وساد القاعة صمت ثقيل بينما وضع رجل الحاشية جهاز التسجيل على مائدة الاجتماع وركب الشريط عليه ، وبدأت الاصوات ، اصوات المناقشة في الاجتماع السابق ، تتصاعد منه .

وفجأة بدأ اتجاه الحديث المسجل يقترب من اللحظة المسرحية المثيرة .

وسمع صوت السيد عبد الله الطريقي يطلب الكلمة ، وصوت الملك يعطيها له ثم راح صوت السيد عبد الله الطريقي يوجه الاتهام الى صهر الامير فيصل والى اسرة الامير فيصل .. والامير هو الذي يجلس هذه اللحظة المسرحية المثيرة على رأس مجلس الوزراء .

وكان فيصل طوال الوقت يوجه للطريقي نظرات لا اجد حاجة الى وصفها !

وانتهى التسجيل ، وقال فيصل :

— لا اظن اني استطيع ان اتعاون معك بعد هذا .

وذهب الطريقي الى بيته .

وكانت الترتيبات في اميركا تجري .

وعاد الملك ، وقبل فيصل ان يستمر في العمل نائباً لرئيس الوزراء مع الملك الذي تمسك برئاسة الوزارة .

واعيد تشكيل الوزارة .. وخرج الطريقي «انتهى» .

كفاآت وظائف الدولة الكبرى عند السعوديين

١ — في السلطة الادارية :

تنحصر السلطة الادارية في الملك واتباعه وتنحدر تدريجياً الى وزارة الداخلية حتى تنتهي في الامارات وكل امير في بلد يعتبر حاكماً ادارياً ومعطى الصلاحيات التي بموجبها له الحق في قطع الرقاب والايدي والارجل والسجن مدى الحياة ونفي اي مواطن لاي بلد يختاره له وكل الدوائر الرسمية في حدود منطقة الامير مربوطة به ولا يجوز لاي دائرة

ان تكتب لجهات اختصاصها إلا بعد اخذ موافقة الامير واطلاعه على تفاصيل الموضوع مقدماً وله الحق في الموافقة والرفض بدون ابداء الاسباب. وبالاختصار الامير هو كل شيء في منطقته يحيي ويميت ويعز ويذل .

ما هي مؤهلات الأمير لكي يفوز بهذه الصلاحيات الواسعة ؟

أ – يجب ان يكون من خويان الملك القدامى او خويان الامير فيصل العتاق الذين خدموا في المعية السامية ما لا يقل عن عشر سنوات ونالوا شهادة البراءة من النار والثقة من الملك او فيصل واجتازوا مرحلة الاختبار واثبتوا انهم لا يمتون الى الشعب بصلة . والشيء الوحيد الذي يعرفونه عن الشعب هو انه ملك آل سعود ، استولوا عليه بالسيف وهم – اي الامراء – خلائف آل سعود على هذا القطيع من الآدميين الذين لا حق له في الحياة الا بارادة سيده ومولاه الملك سعود .

ب – ان يكون الامير قد حمل السلاح وراء احد آل سعود وقدم لهم الحذاء .

ج – يشترط ان يكون الامير من بيئة منحطة في المجتمع حتى يعتبر نفسه خادماً حقيراً لآل سعود ويشعر بانه شخص تافه ولولا فضل آل سعود وعطفهم عليه لم يصل لهذا المنصب الخطير ولا كان له مكان في الناس وشعوره هذا هو الدافع الذي يجعله يتفانى في الاخلاص لهم وتقديم آيات الولاء والطاعة لانه يعلم ان مصيره مربوط برضاهم وبدونهم لا بقاء له وعلى هذا الاساس يكون شعوره نحو الشعب فلا هو من الشعب ولا الشعب منه .

د – والأهم ان يكون الامير امياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف سوى محل توقيعه على المعاملات .

هذه هي مؤهلات الحاكم الاداري المسلط في السعودية على رقاب الشعب

٢ – في السلطة القضائية :

تنحصر السلطة القضائية في مفتي نجد الاكبر وهو اليوم كفيف البصر اسمه الشيخ محمد ابراهيم من سلالة ابن عبد الوهاب ومنه تنحدر السلطة الى رئاسة القضاة التي يقوم بها اما مؤهلات القاضي فيجب ان يكون قبل كل شيء وهابي الدين اما دراسته

محدودة ، لا تتعدى الاطلاع على مجموعة التوحيد النجدية ولا بد من التأكد من ان دراسته محصورة في المجموعة المذكورة . ويجب ان يحفظ الكثير منها عن ظهر قلب كأحكام ابن عبد الوهاب واحاديثه ودعوته الاولى وكذلك يجب ان يطلع على تاريخ الدرعية بما فيه الاسباب التي ادت الى فشل آل سعود في الدعوة السابقة ، ولا يولى القضاء الا من عرف بالعبودية للوضع القائم بغض النظر عن تحصيله العلمي ونزاهته واستقامته وكفاءته « انتهى ما كتبه فاضل نجدي » .

مشاهدات سائح سوداني

قال الشيخ عمر مرتضى من ابناء السودان : لقد زرت الجزيرة العربية عام ١٣٧٦ ﻫ وطفت بها من الظهران الى الحجاز ، فعرفت اثناء رحلتي الكثير عن اعمال طاغية الاحساء ابن جلوى ، وزرت وادي بني مالك في الطائف البلد الذي احرقه ابن السعود بأهله وماشيته واشجاره . ورأيت كيف هدم آل سعود بيوت الرسول وآل الرسول واصحاب الرسول ومنازل الوحي دون ان يخشوا الله ويتقوه او يستحوا ـ على الأقل ـ ويتركوا هذه البيوت الطاهرة التاريخية التي تجلت بها اعظم المواقف الانسانية ـ يتركوها ـ ولو من باب المحافظة على الآثار القديمة . ولكنني لما رأيت المنكر والترف والتبذير وسرقات الحكام والرشوات ، ولما رأيت القصور الفاجرة والفسق فيها ، وطريقة زواجهم اللا شرعية والتي هي زنى مستور ، وكذلك توالدهم واقتناء الجواري والعبيد والظلم والطغيان وتفضيل اللصوص الكبار وتقطيع ايدي وارجل الضعفاء وجلدهم في الطرقات الشيء الذي يبرأ منه الاسلام ، أيقنت بعد ذلك ان من يخرب بيوت الله والانبياء لا يتورع أبداً من ان يخرب بيوت شعبه .. فوالله لم يفعل قارون وفرعون وهامان ، وجنودهم وقوم لوط واصحاب الأيكة وقوم تبع ـ حسبما رأيت بعيني وسمعت من الشعب المقطعة أيديه باذني ـ مثلما يفعل سعود وآله وخدمه بارض الجزيرة التي كانت منبعا للرساله الانسانية والشجاعة والايمان «انتهى» .

حول المؤتمر السعودي

في هذه الايام ونحن نطبع هذا الكتاب «ذي الحجة ١٣٨١» عمد السعوديون الى طريقتهم التي درجوا عليها من التمويه على العالمين الاسلامي والعربي ، والتظاهر بالغيرة والحمية فسخروا بعض من

نبذتهم اوطانهم وفضحتهم اعمالهم ـ سخروهم ليعاونوهم في استغلال موسم الحج بان يجمعوا لهم ما اسموه بالمؤتمر الاسلامي ، ففشل هـذا المؤتمر فشلاً ذريعاً ، وانكشف السعوديون واذنابهم فيه انكشافاً مريعاً .

وفي التعليق على مقررات المؤتمر المزعوم نشرنا هذه الكلمة في مجلة الحوادث البيروتيه ونحن نضيفها الى هذه الفصول :

١ ـ لا يجهل احد حقيقة هذه الغيرة المفاجئة على الاسلام والمسلمين التي اظهرها اليوم الحكام السعوديون ولا ما هي البواعث التي حملتهم على الدعوة الى مؤتمرهم ، هذه البواعث التي هي ابعد ما تكون من الغيرة على الاسلام والدفاع عنه .

٢ ـ تتحدث قرارات المؤتمر السعودي في مادتها الاولى عن ان الاسلام فوق العصبيات ، فهل من الارتفاع فوق العصبيات ان يحرم فريق من المواطنين المسلمين في السعودية من ابسط حقوق المواطن لا لشيء الا لانهم لا يرون في بعض شؤونهم مـا يراه رجل اسمه محمد بن عبد الوهاب .

وهل من الارتفاع فوق العصبيات ان يهدم مسجد اهل القطيف وان ينكل بهم ، وان تهدر انسانية النخاولة وان يصف المئات منهم وفيهم العلماء والمفكرون ويدعى الرعاع بالالوف ليبصقوا عليهم ويسخروا بهم ويمزقوا كراماتهم بكل ما اوتوا من نذالة .

وهل من الارتفاع فوق العصبيات ان يحدث في موسم حج هذا العام ، في نفس الوقت الذي كان يتشدق واضعو هذه القرارات بها ، ما حدث من شتم الوف الحجاج ومصادرة ما يحملونه من كتب دينية ، والكتابة عليها بانها صودرت لما فيها من الشرك.. ونصوص هذه الكتابة تحت يدنا .

٣ ـ تتحدث المادة الثانية عن العدالة الاجتماعية فهل من العدالة الاجتماعية ان يركض معظم سكان السعودية وراء قشور البطيخ سداً لارماقهم في حين يحيا الامراء والكبراء السعوديون الحياة التي اصبحت فضيحة العرب الاجتماعية في العالم .

٤ ـ توصي المادة الخامسة بازالة جميع آثار الشرك والبدع المخالفة للاسلام ويؤسفني ان اقول بأن المسؤولين السعوديين قد استغفلوا المؤتمرين فدسوا عليهم هذا الكلام الخطير ولو كنا نعلم ان المؤتمرين يدركون خطورة ما قالوا لكان لنا معهم شأن آخر ، ولكننا

نعلم حق العلم ان المؤتمرين كانوا قسمين : قسما مؤمناً مخلصاً حقا ولكنه يجهل اللغة العربية او يلم بها الماما ، وقد دفعه اخلاصه وايمـــانه ان لا يتعمق بالنصوص وان يكتفي بأن يحضر مؤتمراً اسلامياً ظاهره الغيرة على الاسلام .

وقسما يعرف العربية ويعرف مرمى هذه الكلمات ولكن حقده الشخصي واهواءه الانانية جعلتـــه يسترضي السعوديين ويسير معهم كما يشاؤون ولو كان في ذلـــك اهانة للعالم الاسلامي كله .

وعند الحاج امين الحسيني — الذي رضي لنفسه ان يكون بوق السعوديين الاكبر بعد ان كان مفتي المسلمين الاكبر — عند الحاج امين الخبر اليقين ..

ما هي آثار الشرك التي يريد السعوديون ومؤتمرهم ان يزيلوها من الاسلام ؟!

يؤسفنا ان نكشف حقيقة العقيدة السعودية التي ترى في المسلمين جميعاً مشركين لانهم يزورون بين الحين والحين اجداث احبائهم ، فالمسلم البيروتي الذي يعن له ان يزور قبر اب او اخ او صديق في مقبرة الباشورة هو عند السعوديين مشرك خارج عن الاسلام ، والمسلم اللبناني الذي يؤمن بقدسية الامام الاوزاعي فيخطر له ان يشد الرحال للانحناء امام قبره هو مشرك عند السعوديين الوهابيين .

والمسلم الهندي والباكستاني والايراني الذي يحب عـــلي بن ابي طالب وولده الحسين والامام ابا حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني فيلم بقبر واحد منهم في العراق زائراً محييا هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم المغربي الذي تستهويه سجايا مولاي ادريس فيعرج على ضريحه الطـــاهر مسلما داعيا هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم المصري الذي يحترم قبر رأس الحسين وقبر السيدة زينب وقبر الامام الشافعي فيدعو الله هناك هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم الدمشقي الذي يكبر صلاح الدين الايوبي فيطوف بضريحه متحمساً هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم الحلبي الذي يعتز بعبـــد الرحمن الكواكبي فيزور رمسه مكبراً هو مشرك عند السعوديين . والمسلم الحمصي الذي يقرأ الفاتحة على قبر خالد بن الوليـــد هو مشرك عند السعوديين .

وهكذا قل عن كل المسلمين في كل البلاد الاسلامية الذين لا يرون رأي الاعرابي محمد ابن عبد الوهاب وجماعته السعوديين .

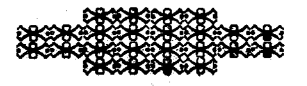
هذه هي آثار الشرك التي يريد السعوديون الوهابيون ازالتها من الاسلام ، وهذا هو موقفهم من المسلمين .

ومن العجيب بل ليس من العجيب ان السعوديين الوهابيين منذ برزوا حتى اليوم ومنذ الساعة التي حملوا فيها السلاح حتى هذه الساعة لم يحاربوا الا العرب ولم يسفكوا الا دماء المسلمين ، وان رصاصة واحـــدة من رصاصهم الكثير لم تطلق على مستعمر او صهيوني ، وان هبوب الجنة الذي يهتفون به في حروبهم لا يهب عليهم الا في قتالهم للعرب والمسلمين .

٥ — في سجون السعوديين اليوم كاتب كبير وعالم جليل اسمه عبد الله الخنيزي فهـل لحكام الرياض ان يقولوا لنا لماذا سجنوه؟ وباي ذنب جلدوه وعذبوه؟ وهل لهم ان يدلونا على مادة من مواد مؤتمرهم تجيز لهم فعل ما فعلوه ويفعلونه بهذا الرجل الفذ العبقري وبسكان القطيف والاحساء جميعاً وبفريق من مجاوري المدينة المنورة ؟

وهل من روح المؤتمر الاسلامي ان يعذب مفكر نحيل الجسم رقيق الشعور على ايدي حكام غلاظ الرقاب تنفر بطونهم حيث تختفي عقولهم ؟

٦ — ليس هذا كل ما يقال في هذا المؤتمر .



فصل

في متفرقات من مقالات الوهابية واعتقاداتهم وتشدداتهم ومقالات مروجي دعوتهم وردها

الاول : توقفهم في (التلغراف) وفتواهم في شيعة الاحساء والعراق وفي المكوس

فمن الطرائف ما نقلته الصحافة العربية من توقف علماء الوهابية في جواز استعمال التلغراف لانه امر حادث وإفتائهم بعدم جواز معارضة السلطان ابن سعود في اخذ المكوس مع فتواهم بأنها من المحرمات الظاهرة. قالت جريدة الرأي العام في العدد ٤٠٦١ الصادر في ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ بدمشق ومثلها قالت جميع الصحف العربية : ورد على جلاله السلطان ابن سعود من بعض الوهابيين اسئلة تتعلق بالمحمل والهاتف والضرائب وغيرها فاستفتى علماء نجد فورد عليه منهم الاجوبة الآتية ننشرها ليطلع عليها الرأي العام الاسلامي وهي موقعة من نحو من اربعة عشر رجلا من علماء نجد منهم محمد بن عبد اللطيف وسعد بن عتيق وسليمان بن سمحان وغيرهم .

قالوا : اما بعد فقد ورد على الامام سلمه الله تعالى سؤال من بعض الاخوان عن عن مسائل فطلب منا الجواب عنها فأجبناه بما نصه :

اما مسألة البرق « التلغراف » فهو امر حادث في آخر هذا الزمان ولا نعلم حقيقته ولا رأينا فيه كلاما لاحد من اهل العلم فتوقفنا في مسألته ولا نقول على الله ورسوله بغير علم والجزم بالاباحة والتحريم يحتاج الى الوقوف على حقيقته [1] « واما » مسجد حمزة وابي رشيد فأفتينا الامام وفقه الله بهدمها على القوم. (الى ان قالوا): واما الرافضة: فأفتينا الامام ان يلزمهم البيعة على الاسلام ويمنعهم من اظهار شعائر دينهم الباطل وعليه ان يلزم نائبه على الاحساء ان يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ويبايعونه على دين الله ورسوله وترك الشرك من دعاء الصالحين من اهل البيت وغيرهم وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم على مآتمهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل ويمنعون من زيارة المشاهد

(١) هذا مثال من الاصلاح والتجديد الذي يدعيه قصار النظر للدعوة الوهابية «الناشر»

ويلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ويرتب الامام فيهم ائمة ومؤذنين ونوابا من اهل السنة ويلزمون بتعليم الثلاثة الاصول (١) وتهدم المحال المبنية لاقامة البدع فيها (٢) ويمنعون من اقامة البدع (٣) في المساجد وغيرها ومن ابى قبول ما ذكر ينفى عن بلاد المسلمين (واما رافضة القطيف) فيلزم الامام ايده الله الشيخ ابن بشران يسافر اليهم ويلزمهم بما ذكرنا (واما البوادي والقرى) التي دخلت في ولاية المسلمين فأفتينا الإمام بان يبعث اليهم دعاة ومعلمين ويلزم نوابه بمساعدة الدعاة على الزامهم بشرائع الاسلام (واما رافضة العراق) الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين فافتينا الامام بكفهم عن الدخول في مواطن المسلمين وارضهم « واما المكوس » فأفتينا انها من المحرمات الظاهرة فان تركها فهو الواجب عليه وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلها حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ «انتهى» .

فهذا نموذج من فتاوى الوهابية فليتأمل فيه العاقل المنصف وليقايس بين تشددهم واستشكالهم في التلغراف خوفاً من القول على الله ورسوله بغير علم وبين تساهلهم في المحرمات الظاهرة كالمكوس وإرخائهم العنان فيها لآخذها خوفا من شق عصا المسلمين بزعمهم. وهل اعوان الامام غير الوهابية فأين شق عصا المسلمين «اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ولماذا لم يفتوا بعدم هدم قبور ائمة المسلمين وعظمائهم خوفاً من شق عصا المسلمين ولماذا هدموها والحقوا الاهانة بأهلها فأوغروا قلوب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها حتى صار كل فرد منهم يتمنى خروجهم من الحجاز ولا يتأخر عن مقاومتهم في اول فرصة تمكنه أليس في هذا شق لعصا المسلمين وتفريق لكلمتهم. ولكنهم اذا اعتقدوا ان لا مسلم غيرهم كانوا قد شقوا بذلك عصا غير المسلمين بزعمهم . « واذا » كانوا يستشكلون ويتوقفون في حكم التلغراف لانه حادث لا يعلمون حقيقته فهلا توقفوا في كل حادث كالبندقية والمدفع والسيارة التي لا يعلمون حقيقتها وكيف تسير بلا مسير ظاهر ويركب فيها ابن سعود واتباعه وكثير من الوهابية وهي احدث من التلغراف الى غير ذلك فكانوا بذلك كالخوارج الذين استشكلوا في قتل الخنزير الشارد

(١) التي في رسالة محمد بن عبد الوهاب (٢) كالحسينيات (٣) مثل قراءة التعزية ـ المؤلف

في البر وقالوا انـــه فساد في الارض ولم يستشكلوا في قتل الصحابي المسلم الصائم في شهر رمضان وفي عنقه القرآن لانه لم يوافقهم على تكفير علي بن ابي طالب، وقتل زوجته معـه وهي حامل وبقر بطنها . « واذا » كانوا بكل هذا الورع في التوقف عن حكم التلغراف فهلا توقفوا عن استباحة دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم واخافة السبيل وكفروهم تقليداً لرجل يجوز عليه الخطأ . وتكفير المسلم عظيم كاستباحة ماله ودمه وعرضه واستندوا في ذلك الى امور اجتهادية يكثر فيها الخطأ وادلة واخبار ظنية قابـــلة للصدق والكذب فلو كانوا اهل ورع حقيقة كما يزعمون للزمهم ان يفاوضوا علماء المسلمين المنتشرين في اقطار الارض ويباحثوهم ويجادلوهم بالانصاف لا بالبنادق ويعقدوا مجتمعاً عاما اسلاميا ويبسطوا المسائل المتنازع فيها على بساط البحث ويحكموا بينهم الكتاب والسنة المسلمة بين الكل حتى ينظروا لمن يكون الفلج لا ان ينحازوا في بادية نجد بين اعطان الابل ويصدروا الفتاوى استناداً الى اقوال تلقوها من اسلافهم الذين يجوز عليهم الخطــأ يتوارثها اللاحق من السابق ولا يحيد عنها قيد شبر ثم يجبروا الناس على اتباعها بالسيف والسنان شاءوا او ابو اعتقدوا اولا (ما هكذا تورد يا سعد الابل) واذا لم يريــدوا ذلك فليتركوا للناس اجتهادهم فان مسائلهم التي خالفوا فيها المسلمين ليست ضرورية بل اجتهادية للبحث فيها والتأويل مجال ولم ينزل عليهم بها وحي ولا شافههم بها نبي وانما اخذوها من اشياء زعموا دلالتها وعند غيرهم ما ينفيها ويمنع دلالتها

وكذلك فتاواهم الجزافية في حق اتباع اهل البيت الطاهر الذين اذهب الله عنهـم الرجس وطهرهم تطهيراً الذين دخلوا مدينة العلم النبوي من بابهـــا وتمسكوا بالثقلين كما امرهم نبيهم ، ونبزهم بالرافضة، من شيعة الاحساء والقطيف من رعايا سلطانهم وشيعة العراق الذين يدخلون بلاد نجد، لمخالفتهم لهم في امور اجتهادية يشاركهم في اكثرها سائر المسلمين ويحتمل في حق كل احد فيها الاصابة والخطأ فالمصيب مأجور والمخطىء مع عدم تقصيره معذور مثل دعاء الصالحين واقامة المآتم وزيارة المشاهد وليست من ضروريات الدين كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج فكيف يجبرون على البيعة على الاسلام وهم مسلمون يقرون لله بالواحدانية ولنبيه بالرسالة ويلتزمون بجميع ما جاء به من عند ربه مما اتفق عليه جميع المسلمين ويرجعون فيما اختلفوا فيه الى اقوال ائمة اهل البيت الذين ان لم يكونوا فوق الأئمة الاربعة وفوق ابن عبد الوهاب في العلم فليسوا دونهم وكيف يمنعون

من اظهار شعائر دينهم فان كان ذلك في الضروريات فهم يوافقون المسلمين عليها وان كان في الاجتهاديات فباب الاجتهاد عندكم مفتوح فكيف جاز لكم الاجتهاد ومنع منه غيركم بالسيف والنفي من بلاد المسلمين وكيف يجوز الزامهم بالصلاة خلف من قد يعتقدون ببطلان صلاته لترك البسملة التي هي جزء السورة عندهم او غير ذلك من الامور الاجتهادية وكيف يمنعون من الاذان وهو شعار الاسلام ويجعل لهم مؤذن من غيرهم والى اي دليل استندتم في هذه الفتوى. وبأي عدل والى اي دليل استندتم في منع شيعة العراق عن الدخول الى بادية نجد والارض لله تعالى لا لكم والناس كلهم عبيده وهلا أفتيتم الامام بمنع الشيعة وباقي المسلمين المشركين بزعمكم عن حج بيت الله الحرام والله تعالى يقول (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وكيف ان حكومتكم النجدية تبذل كل ما في وسعها لترغيب الناس في الحج لتعيش وتعيشون في الحجاز القاحلة لولا الحجاج

الثاني: في حكم الوهابية بوجوب اتلاف كتب المنطق وروض الرياحين ودلائل الخيرات وغيرها :

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية الخمس : ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل « يعني دلائل الخيرات » وهو كتاب مشهور معظم يشتمل على ادعية وأوراد . (قال) وما اتفق لبعض البدو من اتلاف بعض كتب اهل الطائف انما صدر من بعض الجهلة وقد زجروا عن مثل ذلك .

ونقول : اما روض الرياحين فلا نعرفه لنبدي رأينا فيه واما علم المنطق الذي امر بتعريبه من اليونانية المأمون العباسي ككثير من كتب العلوم العقلية والرياضية وكان له بذلك الفضل والذكر الجميل الخالد وتداوله المسلمون والفوا فيه كثيراً ودرسوه من ذلك العصر الى اليوم ولم يترك درسه متسم بالعلم، فقد ابتلي هذا العلم النفيس الذي يشحذ الاذهان ويفيد قوة الحجة من طرف الوهابية بما ابتليت به قبور الانبياء والصلحاء فله اسوة بها ودليلهم على وجوب اتلاف كتبه انه يحصل بسببه خلل في العقائد وانه حرمه جمع من [illegible]اء فليذكروا لنا من هو الذي اختلت عقيدته بسبب علم المنطق وهل يكون تحريم

جمع من العلماء ان صح النقل مجوزاً لاتلاف كتبه المملوكة للغير بغير اذنه. على اننا لم نسمع تحريمه عمن يصح ان يعتمد على علمه سوى ما حكاه صاحب السلم عن بعض الجامدين بقوله:

فابن الصلاح والنواوي حرما   وقال قوم ينبغي ان يعلما

واعتذار صاحب المنار في الحاشية بقوله انما حرموا بعض كتب المنطق القديمة الممزوجة بالفلسفه اليونانية الباطلة دون ما الفه المسلمون، غير مجد لأن الكتب القديمة لا وجود لها حتى نشغل انفسنا بتحريمها وتحليلها وكلام صاحب السلم كالصريح في عدم هذا التقييد والاعتذار عن اتلاف كتب اهل الطائف المساكين كالاعتذار عن قتل نفوسهم البريئة ونهبهم وسلبهم وتعذيبهم بانه وقع من البدو الجاهلين فهو كالذي وقع من خالد بن الوليد وقال (ص) اللهم اني ابرأ اليك مما فعله خالد. وهؤلاء البدو هم الذين تسمونهم غزو الموحدين وهذه افعالهم مع المسلمين وما يفيد زجركم لهم بعد خراب البصرة وذهاب النفوس والاموال بأيدي غزو الموحدين واذا كان هذا فعلهم في كتب لا يعلمون ما هي ولا نفع لهم فيها فما حال النفوس والاموال التي وقعت في مخالبهم

الثالث: في كتاب (القديم والحديث) للكاتب الشهير محمد كرد علي الدمشقي من جملة مقال له في الوهابيين [1] ما لفظه: ورسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على انه بريء من تلك الافتراءآت التي افتروها على عقائده وعقائد ابيه وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وان مذهبه عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين وتلك الرسالة منقولة في اتحاف النبلاء من شاء الاطلاع عليها فليرجع اليها. (الى ان قال): قال احمد سعيد البغدادي في كتابه نديم الادب: حقيقة هذه الطائفة انها حنبلية المذهب وجميع ما ذكره المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليها بتأمل لأن غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الأفرنجية فان كان المنقول عنه صاحب دراية مصدق تجد ان من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل وان كان غير صادق الرواية فمن باب اولى ومن اراد ان يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الامام احمد بن حنبل « ر ض » فانه مذهبهم « انتهى ».

(١) صفحة ١٦٦ طبع مصر،

ونقول: الرسالة المشار اليها هي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية وقد نسب فيها الى المسلمين الشرك وانواع الشرك وانهم من اقبح المشركين واجهلهم وانهم مصرون على الاشراك والشرك الاكبر الذي يهدر الدم ويبيح المال وجعل قبور الصالحين اصناماً وطواغيت تعبد وان الخلاف بين الوهابية وبين الناس في اخلاص التوحيد وانهم لما دخلوا مكة عبد الله وحده وان الناس قبل ذلك لم تكن تعرف التوحيد والشرك وان من بلغته دعوتهم ولم يتبعهم فهو كافر الى غير ذلك في نحو من عشرين موضعاً والرسالة لا تزيد على ١٥ صفحة وصرح فيها بانهم يوجبون اتلاف كتب المنطق كما مر في الامر الثاني وانهم يجعلون قول يا رسول الله اسألك الشفاعة شركا موجباً لحلية الدم والمال مع اعترافهم بان له الشفاعة يوم القيامة وقد نقلنا جملة من اقواله في تلك الرسالة في تضاعيف هذا الكتاب. فما قول الاستاذ في هذه الشاهدة العدل التي استشهد بها على صحة عقائد ابن عبد الوهاب وابنه وبراءتها من الافتراءات التي افتروها على عقائدهما وبنوا عليها الزلازل والقلاقل وهل مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين تكفير جميع المسلمين واباحة دمائهم واموالهم ووجوب اتلاف كتب المنطق. والهدية السنية التي هذه الرسالة احدى رسائلها طبعت مراراً بمطبعة المنار بمصر فليرجع اليها فهي شاهدة عدل على ان ما نسب الى عقائده وعقائد ابيه هو عين ما يصرحان به ليس فيه كذب ولا افتراء عليهما. اما ما نقله عن كتاب نديم الأدب، ففيه انه لم يبق حاجة والحمد لله في معرفة عقائد الوهابية الى اخذها من الكتب الافرنجية ولا من ترجمتها فكتب الوهابية المتضمنة عقائدهم مطبوعة منتشرة يوزعونها مجانا وبذلك قد مزقوا اعذار من يبتغي الاعتذار عنهم واما ان مذهبهم مذهب الامام احمد بن حنبل فهم وان انتسبوا اليه لكنهم يصرحون كما عرفته في الباب الأول بانهم لا يلتزمون بمذهبه ولا بغيره اذا بان لهم دليل على خلافه كما انهم يصرحون على ما عرفت بكفر جميع من يخالفهم من المسلمين واستحلال دمه وماله والامام احمد بن حنبل بريء من ذلك.

قال بعض اعاظم العلماء في كتاب كتبه الينا ما صورته: قال لي بمصر بعض من يدعي العلم بالحديث: ان كتب الحنابلة هي كتب الوهابية فما تنكر منها وليس لك ان تؤاخذهم

إلا بما تجده صريحاً في كتبهم ولا عبرة بنقل الخصم [1] فقلت ما تقول في القرامطة قال كفار ملاحدة قلت انهم يزعمون ان مذهبهم مذهب اهل البيت وان كتبهم كتبهم فهل تجد في كتب اهل البيت الا الحق والنور ؟ قال ان القرامطة كذبوا وهؤلاء نقلة التاريخ يثبتون كفر القرامطة وزورهم قلت وهل ترى قيام الحجة بنقل اهل التاريخ قال نعم فان الشافعي صرح في الرسالة بان نقلهم جماعة عن جماعة احب اليه من نقل اهل الحديث واحداً عن واحد قلت اذا يجب ان تقبل مني من نقل المؤرخين المشاهدين للوهابية ما هو صريح في كفرهم ، فسكت ، فقلت له فعل المرء حجة ودليل عليه وان كذبه لسانه فالقرامطة لما استحلوا دماء المسلمين واموالهم لم تبق شبهة في كفرهم وكذلك سادتك ، فغضب ولم يدر ما يقول، فقلت ما تقول فيما ورد في الخوارج ومروقهم وانهم كلاب النار وشر قتلى تحت اديم السماء وغير ذلك ؟ قال ان المجموع يفيد العلم القطعي بمروق الخوارج واستحقاقهم غضب الله، ولكنهم هم الذين قتلهم علي بالنهروان وليس الوهابية منهم. قلت بم استحق اولئك غضب الله ابكونهم يحقر الصحابة صلاتهم في جنب صلاتهم وصيامهم في جنب صيامهم ؟ قال لا . قلت ابسبب زهدهم وتقشفهم؟ قال لا قات بقولهم من قول خير البرية وبقراءتهم القرآن يقومونه كالقدح ؟ قال لا قلت فبماذا ؟ فتلعثم فقلت ما ذاك الا باستحلالهم دماء المسلمين واموالهم وتكفيرهم لهم مع ادعائهم انهم هم المسلمون وحدهم ولا شك ان من اتصف بما اتصفوا به يستحق ما استحقوا بتلك الصفة « انتهى » .

وقد ظهر بذلك ايضاً فساد اقوال من يريدون تبرير اعمال الوهابية وانكار فظائعهم بان الحامل لاهل عصرهم على نقل ما نقلوه عنهم وعلى ذمهم هو السياسة والانتصار لدولة الترك واشراف مكة فنسبوا اليهم الفظائع في مكة والمدينة وكربلا وغيرها لينفروا الناس منهم ! فانك قد عرفت فيما ذكرناه في تاريخهم وغيره من هذا الكتاب ان فظائعهم وأعمالهم في تلك الأماكن اصبحت معروفة متواترة كتواتر وجود مكة والمدينة وكربلا والوهابية ، وليست قابلة للشك والانكار وكذا تكفيرهم المسلمين واستحلالهم اموالهم ودماءهم وجعلهم غزوهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم دار حرب اصبح غير قابل للاعتذار بعد تصريحهم به فيما نشروه من كتبهم المطبوعة التي نقلنا عباراتها واشرنا الى صفحاتها فيما مر .

(١) بعد ما بيناه فيا سلف نقلا عن كتبهم المطبوعة من تكفيرهم جميع المسلمين وقول بعضهم ان كفرهم اصلي واستحلالهم دماءهم واموالهم بل واعراضهم لا يبقى مجال لهذا الكلام ولا احتياج الى الجواب. — المؤلف —

المقدمة الثانية

في امور مهمة يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية

الاول

احكام الشرع الاسلامي منها ما هو ضروري كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والكذب وهذا لا يحتاج الى اقامة الدليل عليه ولا يجوز الاجتهاد بخلافه بل يخرج منكره عن الاسلام . ومنها ما هو نظري ككون افعال العباد مخلوقة لله والكسب للعبد وكون صفات الله عين ذاته وثبوت الكلام النفسي ورؤية الله تعالى وان الامامة بالنص او باختيار الامة وغير ذلك. هذا في الاصول واما في الفروع فكحكم الشك في الصلاة والبناء على القبور وحكم ما لا نص فيه كالتدخين وغير ذلك وهذا يجب اخذه من ادلة الشرع: الكتاب والسنة والاجماع والعقل للقادر على ذلك وغيره يقلد القادر .

ولا يجوز الحكم بضلالة احد او فسقه فضلا عن شركه وكفره لمخالفته في امر اجتهادي اي ليس من ضروريات الدين ولا يجوز معارضته وممانعته واجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده بل هو معذور في اجتهاده ما لم يكن مقصراً وللمخطىء اجر واحد وللمصيب اجران . روى البخاري في صحيحه عنه «ص» اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر . وقال ابن تيمية في كتابه الذي سماه منهاج السنة [١] على ما حكي : قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثمون مجتهداً مخطئاً لا في المسائل الاصولية ولا في الفرعية «انتهى» فمن اجتهد في اباحة شيء كالتدخين او استحبابه كالتبرك بقبة النبي « ص » وتقبيله وشد الرحال الى زيارته او انه ليس ببدعة كالترحيم والتذكير ليس لمن اجتهد على خلافه معارضته وممانعته ولا تفسيقه وتضليله فضلا عن تكفيره وتشريكه لان ذلك ليس من ضروريات الدين التي لا يجوز الاجتهاد فيها .

الثاني

الكتاب كلام الله تعالى المنزل على نبيه «ص» وهو قطعي السند لاتفاق المسلمين كافة

---

(١) ص ٢٠ ج ٣ .

على ان ما بين الدفتين منزل منه تعالى ، اما دلالته ففيه المحكم والمتشابه او المجمل والمبين فالمحكم ما يكون ظاهر الدلالة ويسمى المبين . والمتشابه ما يكون غير ظاهر الدلالة بل المعاني فيه على السواء في الاحتمال ويسمى المجمل ، ثم المبين قسمان : النص وهو ما لا يحتمل الخلاف ، والظاهر وهو الراجح مع احتمال الخلاف . ويسمى المرجوح المقابل للظاهر : المؤل . وفي الكتاب ايضا العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ . ولا يجوز الاحتجاج من الكتاب بغير النص والظاهر الا ما بينته السنة بعد ثبوتها او الاجماع. كما لا يجوز العمل بالعام او المطلق الا بعد الفحص عن الخاص او المقيد ولا بالدليل الا بعد الفحص عن معارضه او ناسخه لان الدليل لا يكون دليلا بدون ذلك .

وبسبب وجود هذه الاقسام الكثيرة في القرآن وغيرها امكن لكل ذي قول حقاً كان او باطلا ان يستند في صحة قوله الى ظاهر آية من القرآن . فربما استند الى الحقيقة وغفل عن قرينة المجاز او المطلق او العام وغفل عن المقيد او الخاص الى غير ذلك . وقد جمع احمد بن محمد بن المظفر الرازي من اعيان القرن السابع ومن علماء اهل السنة كتابا سماه « حجج القرآن » ذكر فيه من الآيات ما يمكن ان تحتج به كل فرقة لمذهبها واقوالها المتباينة المتناقضة. ونحن نذكر مثالا من ذلك من جملة ما ذكره وما لم يذكره: فالوعيدية المنكرون للعفو الموجبون المؤاخذة على المعاصي يمكنهم الاستدلال بآية : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . والوعيدية القائلون برفع المؤاخذة بالكلية وان الله لا يعاقب على المعصية لهم الاستناد الى آية : يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً . والمثبتون للرؤية في الآخرة استندوا الى آية : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . والنافون الى قوله : لا تدركه الابصار . لن تراني . والجبرية الى آيات كثيرة مثل : وخلق كل شيء . قل كل من عند الله . يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة . يضل من يشاء ويهدي من يشاء . ان الله لا يهدي القوم الكافرين . فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء والعدلية الى مثلها كقوله تعالى : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . وما الله يريد ظلما للعباد . او للعالمين . سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا «الاية» . فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا والقائلون بالتجسيم على الحقيقة بالجهة يستندون الى الايات التي فيها اليد والعين والوجه والنافون الى آية : ليس كمثله شيء . والمجوزون المعصية على الانبياء

الى آيات : وعصى آدم.وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه «الآية» . فانساه الشيطان ذكر ربه . سبحانك اني كنت من الظالمين . ليغفر لك الله مـا تقدم من ذنبك ومـا تأخر والنافون الى آية : لا ينال عهـدي الظالمين والقائلون بخطـاب الكفار بالفروع الى عموم : يا ايها الناس اعبدوا ربكم . والنافون بخطاب : يا ايها الذين آمنوا . (والوهابية) استدلوا على عدم جواز دعاء غير الله والتشفع بغيره والاستغاثة به بآية : فلا تدعوا مع الله احدا . لله الشفاعة جميعا « وغيرهم » بآية : فاستغاثه الذي من شيعته . ولو انهـم اذ ظلموا انفسهم جاؤك «الاية».يا ابت استغفر لنا. ولا يشفعون الا لمن ارتضى.من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . اذكرني عند ربك اغناهم الله ورسوله . آتاهم الله ورسوله . وسيؤتينا الله من فضله ورسوله

الثالث

السنة قول المعصوم او فعله او تقريره وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور الوجه فلو فعل المعصوم شيئاً وجهل وجهه علم عدم تحريمه مع تردده بين الوجوب والندب والكراهـة ولم يثبت واحد منها ولا تثبت السنة لنا الا بالخبر المتواتر وهو اخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تواطؤهم عـلى الكذب او المحفوف بقرائن توجب القطع بصدوره ولا يثبت بخبر الفاسق ولا مجهول الحال لعدم افادته العلم وعدم الدليل على حجيته بل الدليل قـائم على عدمها من قوله تعالى : ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (الاية) والنهي عن اتباع الظن. (اما خبر الثقة العدل) مع عدم افادته العلم فقد اختلف في حجيته فمنعهـا قوم لاصالة عدم حجية الظن واثبتها آخرون واستدلوا بأدلة مذكورة في الاصول (وعلى) القول بحجيتـه لا بد من ثبوت العدالة اما بالعلم او شهادة عدلين وفي كفاية العدل الواحد خلاف (والعدالة) ملكة تبعث على اجتناب الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر وترك منافيـات المروءة الكاشفة عن عدم مبالاة فاعلها بالدين .(واثبات) عدالة من بعد عنا زمانهم من اصعب الأمور لانحصار الامر في علمنا بها في اخبار الغير وهو مفقود غالباً الا من اخبـار البعض المستند على الظنون والاجتهادات التي تخطىء كثيراً لا على الممارسة والمعاشرة مع اختلاف الآراء فيما يوجب الجرح وما لا يوجبه ولذلك وقع الاختلاف كثيراً في الجرح والتعديل، فما عدله واحد جرحه آخر والقاعدة ان الجرح مقدم على التعديل لجواز اطلاع الجارح عـلى

ما لم يطلع عليه المعدل . (فعلم) من هذا ان التسرع الى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في احد كتب الحديث او بمجردقول واحد انه صحيح وتخطئه الغير بذلك فضلا عن الحكم بكفره او شركه خطأ محض . (ويشترط) لجواز العمل بالخبر عدم مخالفته لدليل قطعي من اجماع المسلمين وسيرتهم او نص القرآن او نص خبر آخر متواتر بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه بمرأى منهم ومسمع وعدم معارضته بدليل اقوى منه بأحد الوجوه الاتية في الامر الرابع . «والخبر» فيه الاقسام السابقة في الكتاب كلها وما يحتج به من الكتاب من تلك الاقسام يحتج به من الخبر ، وما لا فلا « ويشترط » في العمل بالخبر ما اشترط في العمل بالكتاب مما مر في الامر الثاني وبسبب وجود هذه هذه الاقسام في الخبر امكن لكل ذي قول حق او باطل الاستناد الى ظاهر رواية كما يعرفه المتتبع لأقوال العلماء وادلتهم . حتى ان البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر ان المهدي يأتي بأمر جديد وقرآن جديد ، (واتباع) المسيح المهدي القادياني يحتجون على ضلالهم بخبر لا مهدي الا عيسى . «والحاصل» ان كل من يريد العناد والعصبية فله مدرك يتشبث به من الكتاب او السنة ما لم يكن له حاجب من تقوى الله . والمنصف الطالب للحق لا يتمسك بظواهر الآيات والاحاديث ما لم يبحث عن معارضاتها من عقل او نقل او اجماع وما لم يبحث عن سند الحديث ويستفرغ الوسع في فهم معناه

الرابع

الاخبار المتعارضة الوادرة عن النبي «ص» كثيرة . وسبب التعارض إما كون بعضها مكذوباً فقد كثرت الكذابة عن النبي «ص» في عصره حتى قام خطيباً فقال ما معناه : قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . وبعد عصره تقربا الى الملوك وترويجاً للاهواء ومحافظة على الدنيا من طريق الدين وغير ذلك . وخبر الذي روى للمهدي العباسي وكان يحب اللعب بالحمام « لا سبق الا في خف او حافر او جناح » فزاد او جناح اتباعاً لهوى المهدي فلما خرج قال المهدي اشهد ان قفاه قفا كذاب على رسول الله «ص» ، خبر مشهور وكم اعطيت الجوائز ووليت الولايات واقطعت الاقطاعات على اختراع الروايات الموافقة للشهوات « واما » الاشتباه لخطأ في فهم المراد او سماع اللفظ او الاطلاع على العام او المطلق او المنسوخ وعدم الاطلاع على الخاص او المقيد او الناسخ

او غير ذلك . وللتعارض علاجات وردت بها الاخبار والروايات وقال بها علماء المسلمين « منها » العرض على كتاب الله والثابت من سنة رسول الله « ص » فيؤخذ بما وافق ويترك ما خالف « ومنها » الموافقة للاجماع او السيرة او المشهور بين علماء المسلمين او الموافقة لما عليه الصحابة والتابعين « ومنها » الترجيح بحسب السند بكون رواته اوثق او احفظ او اكثر او الدلالة بكونه اظهر دلالة او العبارة بكونها افصح او احسن سبكا او غير ذلك

الخامس

الكتاب والخبر عربيان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز « فالحقيقة » [١] الكلمة المستعملة فيما وضعت له كقولك سمعت زئير الاسد في الغاب وتريد الحيوان المفترس « والمجاز » الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لمناسبة ما وضعت له مناسبة موافقة للعرف غير مستهجنة [٢] كقولك رأيت اسدا في الحمام وتريد رجلا شجاعا، والمناسبة بينهما الشجاعة . وقد كثر المجاز في كلام العرب جداً ومنه الكتاب والخبر بل اكثر كلام العرب مجاز « ومما » جاء منه في القرآن : يد الله فوق ايديهم . واصنع الفلك بأعيننا .ولتصنع علي عيني . فانك باعيننا . ولو ترى اذ وقفوا على ربهم . يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. كل شيء هالك الا وجهه . اينما تولوا فثم وجه الله . ويبقى وجه ربك . الرحمن على العرش استوى . يخافون ربهم من فوقهم . فكان من ربه قاب قوسين او ادنى . الا من رحم ربك الا من رحم الله . وغضب الله عليه . الله يستهزىء بهم وجاء ربك.و «القرينة» على المجاز في الكل عدم امكان ارادة المعنى الحقيقي المستلزم للتجسيم والتحيز. والوجود في مكان دون غيره و كونه محلا للحوادث « ومما » جاء منه في السنة حديث ابي هريرة : ان النار لا تمتلىء حتى يضع الله قدمه فيها . لقد عجب الله او ضحك من فلان وفلانة والقرينة ما مر. « ولا بد » للمجاز من قرينة كقولنا في المثال المتقدم في الحمام لان الحيوان المفترس لا يكون في الحمام عادة وقد تكون القرينة حالية لا مقالية فتخفى على بعض الافهام ويقع فيها الاشتباه وقد يكثر استعمال اللفظ في

---

(١) فصلنا هذه الامور ليفهمها من لم يطلع على معانيها فيعم النفع فلا ينسبنا احد في ذلك الى ذكر ما لا لزوم له لانها مبينة في مواضعها (٢) احتراز عن مثل استعمال الحائط في الرجل الطويل لمناسبة الطول فانه مستهجن عرفا (المؤلف)

المعنى المجازي حتى يصير مجازاً مشهوراً لا يحتاج الى قرينة غير الشهرة وقد يكثر حتى يبلغ درجة الحقيقة فيسمى منقولا

ثم المجاز قد يكون في الكلمة كما مر وقد يكون في الاسناد كأنبت الربيع البقل وصام نهاره وجرى النهر وبنى الامير المدينة وغير ذلك فاسند الانبات الى الربيع مجازاً باعتبار انه زمان له وحقه ان يسند الى الله والصوم الى النهار باعتبار انه زمانه وحقه ان يسند الى الشخص والجري الى النهر باعتبار انه مكانه وحقه ان يسند الى الماء والبناء الى الامير باعتبار انه سبب آمر وحقه ان يسند الى البناء « ومما » جاء منه في القرآن الكريم « فما ربحت تجارتهم » اي فما ربحوا في تجارتهم « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً » والذي زادهم هو الله والآيات سبب (يذبح ابناءهم) والذي ذبحهم اتباع فرعون وهو سبب آمر (ينزع عنهما لباسهما) والنازع هو الله وابليس سبب « يوماً يجعل الولدان شيباً » والجاعل هو الله واليوم سبب لكثرة اهواله « يا هامان ابن لي صرحاً » والبناء فعل العملة وهامان سبب آمر «فلا يخرجنكما من الجنة» والمخرج الله، وابليس سبب « ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن » والآكل اهل السنين وهي زمان للاكل « واخرجت الارض اثقالها » والمخرج الله والارض مكان للاخراج . « ولا بد » للمجاز في الاسناد ايضاً من قرينة لفظية او عقلية كقول الموحد انبت الربيع البقل فان كونه موحداً كاف في حمل كلامه على المجاز في الاسناد. ومثله لو قال المسلم الموحد يا رسول الله اغفر لي او اشف ولدي او طول عمري او ارزقني او رد غائبي او نحو ذلك فيجب حمل كلامه على المجاز في الاسناد اي كن سبباً في ذلك بشفاعتك ودعاء الله لي ويكفي قرينة على ذلك كونه مسلما موحداً ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلا عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحل دمه وماله الا من غبي غير عارف باساليب كلام العرب او معاند .

ثم انه قد اختلف في المعاني الحقيقية لألفاظ كثيرة واردة في الكتاب والاخبار مثل صيغة افعل هل هي للوجوب او الندب او مشتركة بينهما، وصيغة لا تفعل هل هي للحرمة او للكراهة او مشتركة بينهما وكذا مادة الامر والنهي وما يشتق منهما الى غير ذلك مما تضمنته كتب الاصول ، وكيفما قلنا فقد كثر استعمال اللفظتين في الندب والكراهة كثرة مفرطة بحيث يصعب الحكم بالوجوب او الحرمة بمجرد ورودهما اذ لعلهما صارا مجازا

مشهوراً في ذلك خصوصاً بملاحظة خصوصيات المقامات المبعدة للحمل على الوجوب او التحريم .

وفي الكتاب والخبر ايضاً كسائر كلام العرب التصريح والكناية . « فالتصريح » كقولنا: فلان كريم و « والكناية » وهي ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولنا: كثير الرماد وجبان الكلب ، كناية عن كرمه لأن الكرم يلزمه كثرة الطبخ للاضياف المستلزم كثرة الرماد ويلزمه كثرة الطراق المستلزم جبن الكلب عادة .

وفي الكتاب والخبر ايضاً كسائر كلام العرب المبالغات كقوله تعالى « عبدا مملوكا لا يقدر على شيء . يكاد البرق يخطف ابصارهم » .

وقوله «ص» : لو امرت احدا بالسجود لأحد لأمرت المرأة بالسجود لزوجها. لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد . لا يزني الزاني وهو مؤمن « الحديث »[1] وقول علي « ع » ما زال رسول الله «ص» يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالمرأة حتى ظننت انه يحرم طلاقها وقال المتنبي :

وضاقت الارض حتى ظل هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وقال الآخر :

كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال شاعر العرب :

انعى فتى الجود الى الجود ما مثل من انعى بموجود

انعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود

وقال شاعرهم :

عقيلية أما ملاث ازارها فدعص واما خصرها فبتيل

وزادوا في المبالغة حتى قال قائلهم في وصف من يتغزل بها :

تدخل اليوم ثم تد خل اردافها غدا

وهذا باب متسع لا تمكن الاحاطة باطرافه . ولم نر احدا قال انهم مهما بالغوا قد خرجوا عن طريقة العرب ومنهج كلامهم. « والمبالغة ايضا » واقعة في لساننا ومحاوراتنا

---

(١) وفيه نفي الايمان ايضاً عن السارق وشارب الخمر والقاتل وسيأتي في الامر السادس . ـ المؤلف ـ

بل في كل لسان. «ومن المبالغات» الواقعة في الكتاب والخبر تسمية الذنب او العظيم منه: كفراً وفاعله كافراً ونحو ذلك كما يأتي في الامر السادس، واطلاق المعصية على فعل المكروه خصوصا اذا صدر من الانبياء والاولياء ولكن ذلك كما قال بعض العظماء: بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى. ومنه المعاصي المنسوبة في القرآن الى الانبياء عليهم السلام بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم

السادس

ليست جميع المعاصي ولا الكبائر منها كفراً خلافا لما يحكى عن الخوارج لعدم الدليل على ذلك ومتى حكم بالاسلام لا يحكم بغيره الا بيقين ومضت على ذلك سيرة النبي (ص) والصحابة والتابعين وتابعي التابعين ولو كانت المعاصي او الكبائر منها كفراً لبطلت الحدود والتعزيرات ولم يبق لها ثمرة فان المرتد يستتاب والا قتل فلا معنى لاقامة الحد عليه او تعزيره وللزم الحكم بارتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصي بل والكبائر ولم ينج منه الا القليل ولو كان كذلك لبينته العلماء في كتبها ونادت به الوعاظ والخطباء وعرفه كل احد وصار من ضروريات الدين لشدة الحاجة اليه من عموم المكلفين وكون المرتد له احكام خاصة به يلزم على كل مكلف معرفتها وترتيبها عليها (وروى) عبادة بن الصامت [١] عن النبي (ص): خمس صلوات كتبهن الله على العباد من اتى بهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وهذا دليل على ان ترك الصلاة ليس كفرا لأن الكفر لا يغفره الله « ان الله لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » هذا ان لم يكن مستحلا لما ثبت وجوبه او تحريمه بضرورة الدين والا كان كافرا (ولكن) قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر او الشرك او النفاق او نحو ذلك تعظيما للذنب وتحذيرا منه وتشبيها لمؤاخذته لعظمها بمؤاخذة الكفر وبيانا لان مقتضى الإسلام والايمان ان لا يفعل ذلك الذنب او لانه ربما انجر بالاخرة الى ذلك كما ورد ان في قلب المؤمن نكتة بيضاء فاذا عصى الله اسود منها جانب وهكذا الى ان يتم سوادها فذلك الذي طبع الله عليه (كما) جاء التهديد

(١) الحديث في الهدية السنية ص ٦٦

بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات او فعل بعض المكروهات بيانا لتأكد الاستحباب حتى كأنها واجبة ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة او لان التهاون بها ربما ينجر الى التهاون بالواجب، وفعل المحرم كما ورد ان من ترك فرق شعره فرق بمنشار من نار . ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له ولعن النائم في البيت وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده كما يأتي في فصل اتخاذ القبور مساجد . واطلاق المعصية على فعل المكروه كما في المعاصي المنسوبة الى الانبياء عليهم السلام على ما مر في الامر الخامس (ومما) ورد من اطلاق الكفر ونحوه على الذنب في القرآن قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) (وفي الاحاديث) قوله (ص) لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت . أيما عبد ابق من مواليه فقد كفر حتى يرجع اليهم (روى الثلاثة مسلم)[1] وفي الجامع الصغير للسيوطي[2] عن الطبراني في الكبير : من ارضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله . قال العزيزي في الشرح: ان استحل والا فهو زجر وتهويل «انتهى». وقال الحفني في الحاشية : اي من كماله او حقيقته ان استحل «انتهى» (وقوله ص) بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (رواه مسلم) . العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (رواه احمد واهل السنن). بين العبد والكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد كفر واشرك. من تركها - اي الصلاة - عمدا فقد خرج من الملة . من تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة « رواهما عبد الرحمن بن ابي حاتم في سننه » من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه احمد « انس عنه ص » لا دين لمن لا عهد له « ابو هريرة عنه ص » لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن (ابو هريرة عنه ص) علامة النفاق الكذب وسوء الخلق والخيانة (عبد الله بن عمر عنه ص) ان النفاق عبارة عن اربع: الخيانة والكذب والغدر والفجور (ابو هريرة عنه ص) المراء في القرآن كفر (وعنه ص)لا يفوت حضور الجماعة الا منافقاً (ابو ذر عنه ص) الرقى والتمائم من الشرك (ابو هريرة عنه ص) من قال مطرنا

---

(١) صفحة ٤٠٢ الجزء الاول بهامش إرشاد الساري (٢) ص ٣٢٦ ج ٢

بنوء كذا فهو كافر الرياء الشرك الاصغر (ابو سعيد عنه ص) الرياء شرك خفي (عمر عنه ص) كسب الربا شرك (شداد بن اوس عنه ص) من صلى يرائي فقد اشرك (ابن مسعود عنه ص) قتال المسلمين كفر (ابن عمر) نسبة المسلم الى الكفر كفر (وهذا الاخير) منطبق على الوهابيين في نسبتهم المسلمين الى الكفر وروى احمد بن حنبل في مسنده [1] عنه (ص) اذا احدكم قال لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما وروي عدة روايات بهذا المعنى او قريبا منه (وروى) ذلك غيره ايضاً (وما ذكرناه) احسن وجه للجمع بين حديث عبادة المتقدم وهذه الاخبار ويرشداليه حديث ابي هريرة السابق لا يزني الزاني الخ ، حيث نفى الايمان عنه في حال تلبسه بالمعصية لا مطلقاً فدل على المراد ان تلبسه بالمعصية خلاف مقتضى الايمان فنفي الايمان عنه في تلك الحال مجاز تشبيهاً لمن لا يعمل بمقتضى إيمانه بغير المؤمن نظير لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فتكون هذه الرواية شاهداً للجمع المذكور . (وحكم الوهابيون) بكفر تارك الصلاة او الزكاة وان لم يكن مستحلا واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام او شعائره على عادتهم في التسرع الى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وتشددهم في ذلك اقتفاء بالخوارج الذين اشبهوهم من كل الوجوه كما يأتي في المقدمة الثالثة (فقالوا) في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية [2] : اختلف العلماء في تارك الصلاة من غير جحود لوجوبها فذهب ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه ومالك الى انه لا يحكم بكفره واحتجوا بحديث عبادة المتقدم وذهب احمد والشافعي في احد قوليه واسق بن راهوية وجماعة الى انه كافر وحكاه اسحق اجماعا وقال ابن حزم سائر الصحابة والتابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ويحكمون عليه بالارتداد وعد عشرة من الصحابة ثم قال ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة (قال) واجابوا عن حديث عبادة ان المراد عدم المحافظة عليهن في اوقاتهن بدليل الآيات والاحاديث الواردة في تركها واورد جملة مما مر ثم قال ان العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة والزهري وداود فقالوا يحبس حتى يموت او يتوب واحتجوا

---

(١) ص ١٨ ج ٢

(٢) ص ٦٥

على قتله بقوله تعالى فاقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وبقوله (ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (الحديث) ثم ذكر رواية الترمذي : امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان يتقبلوا قبلتنا وان يأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا (الحديث) قال والمقصود فساد هذه الشبهة التي دسها من يدعي انه من العلماء على الجهلة من الناس ان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله انه مسلم ولا يجوز قتله وان ترك فرائض الاسلام ثم اطال في الاستشهاد بكلام الاجهوري والاذرعي والهيتمي وابن تيمية وغيرهم الدال على ان ترك بعض شعائر الاسلام موجب للمقاتلة كأهل القرية اذا تركوا الاذان او الجماعة او صلاة العيد او غير ذلك وفي جملة ما نقله عن ابن تيمية [١] ايما طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضة او الزكاة او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال [٢] والخمر والزنا والميسر او نكاح المحارم او الجهاد او ضرب الجزية او غير ذلك فانها تقاتل عليها وان كان مقرة بها . «ونقول»: اما الاحاديث التي اطلق فيها الكفر على جملة المعاصي فقد عرفت انه لم يرد بها الحقيقة للشواهد التي قدمناها من لزوم لغوية الحدود ورواية عقادة وحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن وغيرها اما حمل ترك الصلاة في حديث عبادة على ارادة عدم المحافظة عليها في وقتها فلا شاهد عليها بل هو تخرص على الغيب بخلاف حمل الكفر على تعظيم الذنب فان له نظائر وشواهد كثيرة كما عرفت ولا اقل من وقوع الشبهة فلا يجوز التهجم على الدماء مع وجودها وعدم صراحة النصوص « ومن الغريب » ما نقلوه عن اسحق بن راهوية من حكاية الاجماع مع مخالفة عظماء ائمة المذاهب كأبي حنيفة والشافعي في احد قوليه ومالك التي نقلوها في صدر الكلام كاستدلال ابن حزم عليه بقول نفر من الصحابة ان صح النقل عنهم مع عدم العلم بمذهب الباقين وهم الوف وكقولهم العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة والزهري وداود فما فائدة هذا الاجماع مع مخالفة هؤلاء الثلاثة . اما الاستدلال بآية فاقتلوا المشركين فغير صحيح لان الاسلام قول باللسان وعمل بالاركان فمن كان مشركا وتشهد

(١) ص ٨١ (٢) هذا ينطبق علي الوهابية المتنعين عن التزام تحريم دماء المسلمين واموالهم (المؤلف)

الشهادتين ولم يأت بأعمال الاسلام لا يحكم باسلامه بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الاسلام الملتزم باحكامه الفاعل لها اذا عصى بترك فرض يعتقد بوجوبه ويعلم انه عاص بتركه. فالآية واردة في الاول لا في الثاني وكذلك ما اطالوا به بدون طائل من الاستشهاد بكلام فلان وفلان على ان ترك بعض شعائر الاسلام موجب للقتال لا شاهد فيه على حلية قتل تارك الفرائض كسلا فضلا عن كفره فان صح جواز القتال على ترك بعض الشعائر حتى المستحبة كالاذان والجماعة لا ربط له بترك الفرض كسلا والحاصل انه لا يجوز الاقدام والتهجم على دماء المسلمين باخبار غير ظاهرة وبأقوال الاجهوري والاذرعي والحراني والهيتمي فليتق الله المتهجمون والمهورون

السابع

الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد «ص» على امر ديني في عصر من الاعصار وهو حجة اما لما روي عنه «ص» لا تجتمع امتي على خطأ او لوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم كما يقوله اصحابنا وهو رئيس اهل الحل والعقد او للكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما يستكشف رأي المتبوع براي اتباعه الذين لا يصدرون الا عن رأيه فيعلم رأي ابي حنيفة باتفاق الحنفية والشافعي باتفاق الشافعية وغير ذلك وفي حكم الاجماع سيرة المسلمين والفرق بينهما أن الاجماع اتفاق قولي والسيرة اجماع عملي فيكشف عن ان ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع يداً عن يد ويئمله: لا تجتمع امتي على خطأ. والوهابية لا ينكرون حجية الاجماع وقد تكرر في كتبهم الاحتجاج به والرد على غيرهم بمخالفته وفي الرسالة الثالثة من رسائل السنية [1] ما نصه: والعلماء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة « انتهى » ولكن الصنعاني من الوهابية انكر في رسالته تطهير الاعتقاد امكان وقوع الاجماع او امكان العلم به حيث قال [2] بعدما عرف الاجماع بانه اتفاق مجتهدي امة محمد «ص» على امر بعد عصره: وعلى ما نحققه فالاجماع وقوعه محال فان الأمة المحمدية قد ملأت الافاق فعلماؤها لا ينحصرون ولا يتم لأحد معرفة احوالهم فدعوى الاجماع بعد انتشار الدين وكثرة العلماء دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق « انتهى » وصدر كلامه دال على استحالة وقوعه وعجزه

(١) ص ٦٥ . (٢) ص ١٩

ظاهر في عدم امكان الاطلاع عليه وكلاهما فاسد فان كثرة العلماء لا تمنع من اتفاقهم لا عقلا ولا نقلاً والاطلاع عليه ايضاً ممكن وواقع بملاحظة الفتاوى وعمل المسلمين وعدم نقل الخلاف وقرائن أخر : فانا نعلم علماً ضروريا باتفاق العلماء على ان البنتين لهما الثلثان في الميراث بالفرض اذا انفردن عن الاخوة لا النصف وان لم نشافه جميع العلماء ونطلع على فتاواهم تفصيلاً وامثال ذلك في الشرعيات كثير كما نعلم علماً ضروريا باجماعهم على استحباب زيارة النبي «ص» وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائها والتبرك به وبها وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها لاستمرار سيرتهم على ذلك قولا وفعلاً من الصدر الاول الى اليوم وعدم نهي احد عنه من الصحابة فمن بعدهم قبل الوهابية بل الانصاف انه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون قولا وعملاً من جميع المذاهب مثل هذه المسألة .

الثامن

الاصل الاباحة فيما لا نص فيه ولم يقم دليل على تحريمه لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان ولقوله تعالى : (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) اي لانتفاعكم . وقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وبعث الرسول كناية عن وصول الاحكام والا فمجرد البعث قبل تبليغ الاحكام لا تتم به الحجة . وقوله تعالى : (قل لا اجد فيما اوحي الي محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به . الآية) وامثالها من الآيات .

التاسع

البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين ولا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على احكام الله تعالى ولا التنقيص منها لاختصاص ذلك به تعالى وبانبيائه الذين لا يصدرون الا عن امره مع انه قد ورد النص بان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . واما تشخيصها فهو مما يقع فيه الاشتباه فكم بدعة عدت سنة وبالعكس . وسبب الاشتباه اما خطأ في الدليل المستدل به على ان ذلك من الشرع او ليس منه او تقليد من سنها لحسن الظن به مع انه مبدع او توهم انه لا بد من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها في عمومه او اطلاقه كما وقع في زماننا من بعض المتشددين فقالوا ان القيام عند ذكر ولادة النبي «ص» بدعة لعدم ورود النص به والحال انه يكفي فيه عموم ما فهم من

الشرع من لزوم احترام النبي «ص» ورجحان تعظيمه حياً وميتاً بكل انواع الاحترام التي لم ينص الشرع على تحريمها . ثم البدعة لا تكون بدعة الا اذا فعلت بعنوان انها من الدين فما قاله بعضهم من ان ما اصطلح عليه بعض المسلمين في هذه الاعصار من ترك الاعمال يوم الجمعة بدعة لانه لم ينص الشرع على ذلك بل امر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة : اشتباه لان الترك هنا بعنوان الراحة او بعنوان مصلحة اخرى دينية او دنيوية كاظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك لا بعنوان انه في نفسه عبادة وطاعة ومن ذلك توهم الوهابية ان التذكير والترحيم بدعة لأنه لم يكن في عهد النبي «ص» اذ يكفي في مشروعيته عموم ما دل على رجحان ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه « ص » والدعاء ونحو ذلك وتخصيصه ببعض الامكنة والازمنة لفائدة مع عدم اتيانه بعنوان الخصوصية اي بعنوان انه مأمور به بالخصوص في هذا الزمان والمكان لا يجعله بدعة وكذلك جملة اشياء مما جعلوه بدعة كما سيأتي بيان ذلك في الباب الاول .

العاشر

الافعال تختلف احكامها باختلاف القصد الموجب لاختلاف العنوان وتبدل الموضوع وباختلاف الازمان والامكنة والاحوال والاشخاص الموجب لذلك وهذا معنى ما اشتهر ان الاحكام تتغير بتغير الازمان . اما اختلافها باختلاف القصد فكضرب اليتيم فانه محرم بقصد الايذاء ، راجح بقصد التأديب وكغيبة المسلم فانها محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر او نصح المستشير او اقامة الحق في مقام جرح الشاهد وكالسجود عند قبر النبي «ص» فانه راجح مستحب بقصد الشكر لله تعالى على توفيقه لزيارته محرم بقصد السجود للنبي «ص» لعدم جواز السجود لغير الله تعالى الى غير ذلك .

واما اختلافها باختلاف الازمان والاشخاص والاحوال فكلبس الازرق مثلا حيث يعد زينة في بعض الازمان او الامكنة فيحرم على الزوجة في وقت الحداد ويستحب اذا ارادت التزين لزوجها وكلباس الشهرة ولباس النساء المحرم على الرجال وبالعكس فانه يختلف باختلاف الازمان والاشخاص والامكنة وكدفن المؤمن الجليل القدر قريباً من المزبلة فانه يعد اهانة له فيحرم وكانزال الضيف الشريف في مرابط الدواب فانه يعد اهانة مع امكان غيره بخلاف المكاري وقد

يكون ترك القيام للشخص في زمان او بلاد يعد اهانة له فيحرم وفي زمان آخر او بلاد اخرى لا يعد فلا يحرم وملبوس الزهد ومـــا كوله يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاحوال وكهدم قبور الانبياء والاولياء وقبابهم ومشاهدهم فهب انه كان منهياً عن البناء نهي كراهة او تحريم الا ان الهدم صار يعد في هذا الزمان اهانة لهم فيتعارض عنوان واجب وهو الهدم وعنوان محرم وهو الاهانة فيقدم الاهم ولا شك ان مراعاة عدم اهانة النبي او الولي اهم من كل شيء .

الحادي عشر

قد يتعارض عنوان واجب مع عنوان محرم فيقدم الاهم كلمس بدن الاجنبية فانه محرم لكن اذا توقف عليه انقاذها من الغرق او شفاؤهـــا من المرض فيجوز او يجب . وكالنظر الى عورة الغير فهو محرم ويباح للطبيب وكأخذ المكوس فهو محرم عند الوهابية وغيرهم لكن الوهابية في فتواهم المذكورة فيما مر قالوا ان تركهـــا الامام فهو الواجب عليه وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلهـا . « اقول » وذلك لان جمع كلمة المسلمين وعدم شق عصاهم اهم في نظر الشرع من عدم اخذ المكوس لأن المفسدة التي تترتب على شق عصا المسلمين اعظم من المفسدة المترتبة على اخذ المكوس وبناء على هذا كان يجب على الوهابية عدم التعرض لهـــدم قبور أئمة المسلمين الذي يسوء مئات الملايين من المسلمين تحن قلوبهم الى هذه القبور ويسوءهم هدمها وتدميرهـا افما كانت هذه المفسدة التي تشتت كلمة المسلمين وتسوءهم وتوقع الخصام والعداوة بينهم في هذه الايام العصيبة التي تبدد فيها جمعهم ووهى ركنهم وضعف سلطانهم وفتحت بلادهم اعظم من مفسدة تحريم البناء على القبور ان كانت واهم واولى بالرعاية . افما تقابل هذه المفسدة مفسدة شق عصا المسلمين ؟ بلى والله بل هي اعظم منها وافظع واوجع لقلوب المسلمين فهلا ابقيتم هذه القبور ولو حرم عندكم ابقاؤها كما ابقيتم قبر النبي «ص» وابقاؤه عندكم حرام مراعاة لأهم المصلحتين ودرءاً لاعظم المفسدتين ومنعتم الناس من الدنو اليها ولمسها الذي هو عندكم شرك كما منعتم من لمس قبر النبي «ص» والدنو اليه مع انكم لا ترون ابقاء القبور شركا غايته التحريم .

الثاني عشر

تكفير المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين واستحلال دمه وماله وعرضه عظيم

فلا يجوز الاقدام عليه واعتقاده استناداً الى امور نظرية اجتهادية يكثر فيها الخطأ واخبار ظنية محتملة للكذب والتأويل كالاجتهادات والاخبار التي يستند اليها الوهابية في تكفير المسلمين ولا يجوز تكفير المسلم الا بشيء قطعي يوجب خروجه عن دين الإسلام وكانت سيرة النبي «ص» والصحابة والتابعين وتابعي التابعين معاملة الناس على الاكتفاء باظهار الشهادتين والالتزام باحكام الاسلام. اخرج البخاري عنه «ص» امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم واموالهم. وعنه «ص» امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فان فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم وحسابهم على الله، وعنه «ص» من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، وعن ابي هريرة انه «ص» اتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال ما بال هذا قالوا يتشبه بالنساء فنفاه الى البقيع فقيل يا رسول الله الا تقتله فقال نهيت عن قتل المصلين. فيستفاد من هذه الاخبار انه بعد اظهار الشهادتين يبنى على الاسلام ما لم يعلم شيء ينافيه ولا يلزم التفتيش والتجسس بل نهى الله تعالى عنه. ولسنا نقول ان المقر بالشهادتين الذي يصلي ويزكي لا يمكن الحكم بكفره مع ذلك لجواز ان يحكم بكفره مع ذلك كله كالخوارج والمجسمة ومنكر الضروري وغير ذلك لكنا نقول الاقرار بالشهادتين والتزام احكام الاسلام كاف في الحكم بالاسلام حتى يثبت ما ينافيه باليقين والقطع لا بالاجتهادات الظنية والاخبار الظنية وحتى ينتفي احتمال التأويل وما كفر به الوهابية المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط.

الثالث عشر

القول أو الفعل الصادر من المسلم وله وجهان على احدهما يكون صحيحاً وعلى الآخر فاسداً يجب حمله على الوجه الصحيح ولا يجوز حمله على الوجه الفاسد الا مع العلم وعلى ذلك سيرة المسلمين واجماعهم وبه انتظام امر معاشهم ومعاملاتهم مثلاً لو رأينا المسلم يضرب يتيما وامكن ان يكون ضربه له تأديباً وايذاء وجب حمله على الصحيح ولم تنتقض بذلك عدالته ان كان عدلا وكذا لو رأيناه يضاجع امرأة ولم نعلم انها زوجته او اجنبية او يشرب شراباً احمر ولم نعلم انه خل او خمر او سجد ولم نعلم ان سجوده لله او لمخلوق او تزوج او طلق او باع أو وقف أو نذر أو ذبح ولم نعلم ان ذلك على وجه الصحة أو

الفساد وجب حمله على الصحيح الا ان يعلم الفساد ولا يكفي الظن بالفساد فضلا عن الشك ولو صدر من المسلم فعل او قول وله وجه او معنى يوجب الارتداد وكان يمكن حمله على وجه أو معنى صحيح لا يوجب الارتداد لا يجوز الحكم بارتداده ووجب حمل فعله على الوجه الصحيح وقوله على المعنى الصحيح ولو كان احتمال قصده لذلك المعنى ضعيفاً فضلاً عما لو كان ظاهراً او مساوياً في الإحتمال فإذا استغاث مسلم بنبي أو ولي واحتمل ان تكون استغاثته لطلب ان يدعو له ويشفع له الى الله لم يجز الحكم بارتداده لمجرد احتمال ارادته معنى يوجب الارتداد « وهكذا » لو قال ارزقني وعاف ولدي وانصرني على عدوي ونحو ذلك واحتمل ارادته طلب ان يكون واسطة وشفيعاً فيسأل الله ذلك وان اسناد الفعل اليه من باب اسناده الى السبب كما في بنى الأمير المدينة لم يجز الحكم بشركه وارتداده فضلاً عما لو علم ارادته ذلك او كان ظاهر حاله ذلك باعتبار انه مسلم يعلم ان هذه الأمور لا يقدر عليها غير الله تعالى .

الرابع عشر

في تحقيق معنى للعبادة : العبادة في اللغة الذل والخضوع ومنه بعير معبد أي مذلل وطريق معبد أي مسلوك مذلل ونقلت في الشرع الى معنى جديد أو اريد بها معنى خاص من المعاني اللغوية كما نقلت الفاظ كثيرة غيرها كالصلاة والزكاة والصيام والحج التي كانت في اللغة لمطلق الدعاء والنمو والامساك والقصد ونقلت في الشرع الى معان جديدة وذلك لأن الألفاظ اللغوية قد تبقى في الشرع على معانيها القديمة كالبيع والشراء وقد تنقل عنها في الشرع الى معان جديدة فاذا لم تنقل وجب حملها على معانيها القديمة اذا لم يعلم انه اريد بها معنى خاص منها سواء وردت في الكتاب او الخبر أو غيرهما واما اذا نقلت عن المعاني الأولى الى معان جديدة فلا بد من معرفة تلك المعاني بما ثبت عن الشارع فان عرفت وجب الحمل عليها والا بقيت تلك الالفاظ مجملة وكذا لو علم عدم ارادة المعاني القديمة وأنها استعملت في المعاني الجديدة المحدودة مجازاً فلا بد من معرفة تلك المعاني ايضاً والا كانت من المجمل المحتاج الى البيان فالعبادة بمعناها اللغوي الذي هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركا ولا كفراً قطعاً والا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم الى يومنا هذا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها احد فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخادم والأجير والرعية والجنود باطاعة المولى والزوج والأب والمخدوم

والمستأجر والملك والامراء وجميع الخلق لاطاعة بعضهم بعضاً بل كفر الانبياء لاطاعتهم آباءهم وخضوعهم لهم وقد اوجب الله طاعة الابوين وخفض جناح الذل لهما وقال لرسوله «ص» واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واطاعة الزوجة لزوجها حتى ورد لو امرت احداً بالسجود لاحد لامرت الزوجة بالسجود لزوجها واطاعة الانبياء وجعل نبينا «ص» اولى بالمؤمنين من انفسهم وامرنا باطاعته واطاعة اولي الامر منا وقرنها باطاعته تعالى الى غير ذلك .

ثم انه ورد في الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة فورد ان العاصي عبد الشيطان وعبد الهوى «وقال تعالى» افمن اتخذ إلهه هواه . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله . مع ما ورد انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما حرموا عليهم حلالا واحلوا لهم حراما فاتبعوهم، وان الانسان عبد الشهوات، وان من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان ينطق عن الله فقد عبد الله وان كان ينطق عن غير الله فقد عبد غير الله ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية :

لك الف معبود مطاع امره دون الاله وتدعي التوحيدا

ولا ريب ان هذه الامور التي سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد والا لم يسلم منه احد والضرورة قاضية بخلافه .

ثم ان من جملة العبادة السجود وقد امر الله الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليوسف كما اخبر عن ذلك القرآن الكريم فدل على ان السجود ليس في نفسه قبيحاً وممنوعاً منه موجباً للشرك والكفر وان سمي عبادة والا لم يأمر به الله تعالى وانه ليس مثل اتخاذ الشريك للباري في جميع صفاته فان هذا لا يعقل ان يأمر الله به او يجيزه ولا يمكن ان لا يكون شركا وكفراً وعلم من ذلك ايضاً انه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحاً في نفسه وشركا وكفرا .

ثم انه ورد اطلاق العبادة على دعاء الله تعالى في القرآن بقوله تعالى ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتي . والاخبار بقوله (ص) الدعاء مخ العبادة ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه اللغوي قطعا وهو النداء والا لكان كل من نادى احدا وسأله شيئا عابدا له بل المراد به نداء الله تعالى وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه

وانزال حاجات الدنيا والاخرة به على انه الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأمور الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشاء فمن دعا مخلوقا على هذا النحو كان عابدا له اما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت ان الله جعل له الشفاعة فلا يكون عابداً له ولا فاعلا ما لا يحل

فظهر انه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجبا للشرك والكفر اذا وقع لغير الله بل ولا محرما الا ان ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهي عنه في القرآن والسجود لغير الله المتفق على تحريمه وان مطلق الخضوع والانقياد لغير الله لا يوجب ذلك ولو فرض انه سمي عبادة وان العبادة التي يترتب عليها ذلك ليست العبادة اللغوية بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها الا ببيان الشارع وبدون بيانه تكون مجملة وانه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا التحريم على ما يسمى عبادة الا اذا علم انها من تلك العبادة الخاصة ومع الشك او الظن لا يجوز ترتيب ذلك الحكم فاذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم انه من المنهي عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير (١) والانحناء عند غير العرب ورفع اليد عند الجنود وكشف الرأس عند الافرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهي عنه ليس مطلق ما يسمى عبادة وخضوعا

ثم ان الذي علم ترتب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات او الاعتقادات امور

(الاول) اعتقاد المساواة لله تعالى في جميع الصفات او انه هو الله ولو بطريق الحلول .

(الثاني) انكار الشرائع وتكذيب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيد الله تعالى ولم يعبد وثنا بل بقي على شريعة منسوخة

(الثالث) ما ذكر مع عبادة الاوثان بما لم يأذن به الله تعالى بل نهى عنه من سجود ونحر وذبح لها وذكر اسمها عليه وطلبها بدمه وتعظيم باعتقاد استحقاق ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد ان له تدبيرا واختيارا كما كان يفله عبدة الاصنام سواء كان مع الاعتراف بوجود آله وعدمه

---

(١) هو وضع احدى اليدين على الاخرى خضوعا كالذي يفعل في الصلاة ـ المؤلف ـ

الخامس عشر

لا شك ان الله تعالى فاوت بين مخلوقاته في الفضل فجعل بعضها افضل من بعض من الازمنة والامكنة والاحجار والآبار والحيوانات وبني آم وغير ذلك ففي الازمنة فضل شهر رمضان على سائر شهور السنة وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من الف شهر وجعل من اشهر السنة الاثني عشر اربعة حرما حرم فيها القتال وفضل يوم الجمعة على سائر الايام وفضل ساعة منه على سائره . وفي الامكنة فضل الكعبة على سائر بقاع الارض وتعبد الناس بالحج اليها والطواف حولها ومكة والمقام وحجر اسماعيل والمسجد والمساجد الاربعة والمسجد الحرام منها على غيرها. وفي الاحجار فضل الحجر الاسود على غيره وتعبد الناس باستلامه وتقبيله وفي الابار فضل بئر زمزم على غيره وفي الحيوانات فضل الخيل على غيرها وامر بارتباطها واكرامها وجعل الخير معقودا بنواصيها وجعل بعض دم الغزال مسكا وفي ذلك يقول الشاعر :

فان تفق الانام وانت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال

وفي بني آدم فضل الانبياء على غيرهم ومحمداً (ص) على سائر الانبياء والشهداء على غيرهم والعلماء على الشهداء وعلى بعض الانبياء بل الشيء الواحد له فضل في حال دون حال فالكنيف لا فضل له وهو منتهى الخسة فاذا جعل مسجدا صار معظما عند الله وحرم تنجيسه ووجب تعظيمه وجلد الشاة يجعل نعلا وحذاء فيكون في منتهى الاهانة ويعمل جلدا للقرآن الكريم فيكون في منتهى الاكرام والاعظام كما قال الشاعر :

او ما ترى نوع الاديم فانه ... منه الحذاء ومنه جلد المصحف

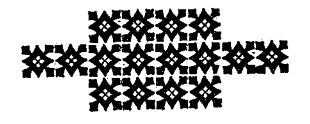
والرجل يكون كسائر الناس فيبعثه الله بالنبوة فتجب اطاعة امره ونهيه او ينصبه النبي « ص » بعده خليفة او المسلمون فيدخل في قوله تعالى : اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم . ومن هذا القبيل البقعة من الارض تكون كسائر البقاع فيدفن فيها نبي او ولي فتكسب شرفا وفضلا وبركة بدفنه لم تكن لها من قبل ويجب احترامها وتحرم اهانتها لحرمة من فيها ومن احترامها قصدها لزيارة من فيها وبناء القباب عليها والحجر حولها لتقي زائريها من الحر والبرد وعمل الاضرحة لها التي تصونها عن كل اهانة وايقاد المصابيح عندها لانتفاع زائريها واللاجئين اليها وجعل الخدمة والسدنة

وتقبيلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فوقها وغير ذلك. ومن اهانتها هدمها لها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالارض وجعلها معرضا لوقوع القاذورات ووطىء الدواب والكلاب والآدميين وترويث وبول الدواب والكلاب وغير ذلك وما ورد مما يوهم المنافاة لذلك مما سيأتي في محله على فرض صحته مخصوص بغيرها او منصرف بحكم التبادر الى غيرها لما علم من الشرع من لزوم تعظيم اصحابها احياء وامواتا وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم احياء وامواتا وهذا منها وهل يشك في ذلك عاقل وهو يرى ان الله تعالى جعل احتراما لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليه السلام عليها حين بنى البيت فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى افيجعل الله احتراما لمقام رجل خليله ولا يجعل احتراما لمدفن جسده او مدفن جسد سيد انبيائه. واذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقبيله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله تعالى كما يصلى عند مقام ابراهيم «ع» ويدعى فان كان لتوهم انه عبادة له كعبادة الاصنام فهو توهم فاسد لان احترام من جعل الله له حرمة احترام له وعمل بامر الله وعبادة واطاعة لله فهو كتقبيل الحجر الاسود وتعظيم الكعبة والحرم والمقام والمساجد والتبرك بماء زمزم وسجود الملائكة لآدم وان كان لزعم ورود النهي فستعرف انه لا نهي.

السادس عشر

الأحكام لا تغير الموضوعات فاذا كان الموضوع على حالة او صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم وهذا من البديهيات الاولية التي لا يشك فيها من عنده اقل المام بالعلوم. مثلا اذا حرم الشرع شتم زيد أو اوجبه وكان الشتم في نفسه مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه او وجوبه اهانة لزيد لا يصير بعد التحريم او الوجوب احتراما له وكذا لو اوجب اضافة زيد او حرمها وكانت اضافته في نفسها اكراماً له لا تصير بعد ايجابها او تحريمها اهانة له واذا كان تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما اشبه ذلك عبادة له وشركا بالله تعالى فاذا اوجب الله تعالى تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به واطاعته والذل والخضوع له ونحو ذلك لم يخرجه هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركا بل يكون الله تعالى قد اوجب الشرك وعبادة المخلوق لما عرفت

من ان الحكم لا يغير الموضوع . اذا عرفت هـــذا فاعلم ان وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به واطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم في هذا السلك ثابت في الشرع بلا شك ولا ريب ، فقد امر الله الملائكة بالسجود لآدم والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما وامر باطاعة الرسول واولي الامر منا بالائتمار بامره والانتهـــاء عن نهيه وعدم رفع اصواتنا فوق صوته وامر بتعظيم المساجد والكعبة والطواف بها وتعظيم المقام والحجر والحجر الاسود وبئر زمزم والتبرك بمائـــه وتعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد في الشرع فلا بد حينئذ من التزام احد امرين امـــا القول بانه ليس كل تعظيم عبادة وشركا او القول بان الله امر بالشرك وعبادة غيره ! ولما كان الشرك قبيحا منهيا عنه موجبا للخلود في نار جهنم يغفر الله مـــا دونه من الذنوب ولا يغفره بنص القرآن الكريم لم يمكن ان يأمر الله به فتعين القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك



المقدمة الثالثة

في شبه الوهابيين بالخوارج وذلك من عدة وجوه :

« اولا » كما ان الخوارج شعارهم « لا حكم الا لله » وهي كلمة حق يراد بها باطل كما قال امير المؤمنين علي «ع» . كلمة حق لمطابقتها قوله تعالى « ان الحكم الا لله » ، يراد بها باطل ، وهو انه لا امارة لاحد ولا يجوز التحكيم في الامور الدينية ، وفرعوا عليه ان التحكيم الذي كان بصفين كان معصية وكفراً ، مع ان التحكيم قد جاء في الشرع بقوله تعالى : « فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكماً من اهلها » وقال تعالى في جزاء الصيد : « يحكم به ذوو عدل منكم » .

كذلك الوهابيون شعارهم : لا دعاء الا لله ، لا شفاعة الا لله ، لا توسل الا بالله ، لا استغاثة الا بالله ، ونحو ذلك . كلمات حق يراد بها باطل : كلمات حق لان المدعو والمتوسل به حقيقة لدفع الضر وجلب النفع والمغيث الحقيقي ومالك امر الشفاعة هو الله. يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمه الله بدعائه والتوسل به ليشفع عند الله تعالى ويدعوه لنا وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغيثاً وجعل له الوسيلة كما يبين في محله . وهي كجملة من كلماتهم المزخرفة كقولهم : لمن يقول يا محمد ويا فلان ويا فلان : هل الله اعطاك القوة أو محمد «ص» ؟ فلا بد ان يقول الله فيقولون له لم لا تدعو الله وتدعو محمداً . وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل ، اذ لا يوجد احد يعتقد ان محمدا «ص» أو غيره بيده الامر اصالة وانما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة ، واعتراضهم هذا يرجع الى الاعتراض على الله الذي جعل الشفاعة لمحمد «ص» والا فمتى جعلها له فعلينا ان نطلبها منه . ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له : الله الذي يجيب دعاءك أو اخوك المؤمن ؟ فلا بد ان يقول الله ، فيقال له : لم لا تدعو الله وتطلب من اخيك ان يدعو لك ؟ وكقولهم لمن يقبل ضريح النبي «ص» أو المنبر الموضوع في مسجده وفي مكان منبره : انما تقبل حديداً أو خشباً جيء به من بلاد الافرنج ، ولم يعلموا انه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلداً للمصحف ، والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه ، كذلك يحترم الحديد والخشب الذي وضع

على قبر النبي «ص» او في مسجده وفي مكان منبره . ومر بيانه في الامر الخامس عشر من المقدمة الثانية .

« ثانياً » كما ان الخوارج متصلبون في الدين مواظبون على الصلوات وتلاوة القرآن والعبادة حتى اسودت جباههم من طول السجود ، طالبون للحق كما قال امير المؤمنين «ع» : لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فاصابه ، متورعون عن المحارم حتى بلغ من تورعهم ان انساناً منهم ضرب خنزيراً بريا بسيفه فقالوا هذا فساد في الأرض ، والتقط احدهم تمرة من الطريق فوضعها في فمه فبادر آخر وطرحها من فمه . .

كذلك الوهابيون متصلبون في الدين يؤدون الصلاة لأوقاتها ويواظبون على العبادة ويطلبون الحق وان اخطأوه ويتورعون عن المحرمات حتى بلغ من تورعهم انهم توقفوا في استعمال «التلغراف» كما مر . وقد رأيت نجديا يصرف الريالات الجديدة بالقديمة بتفاوت ، فاراد رجل ان يعطيه قديماً وزيادة بجديد ، فقال على الفور : لا ، هذا ربا . وكان معه دلال يهودي ، فلما فارقه قال له اليهودي : ادع لنا ، فقال : « الله يهديك » ، والتفت الي وقال هذا يهودي .

« ثالثاً » كما ان الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين وقالوا ان مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار واستحلوا دماءهم واموالهم وسبي ذراريهم وقالوا ان دار الاسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر حتى انهم قتلوا عبد الله بن خباب احد اصحاب رسول الله «ص» صائماً في شهر رمضان والقرآن في عنقه وقتلوا زوجته وهي حبلى وبقروا بطنها لانه لم يتبرأ من علي بن ابي طالب ، وقالوا له هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك فذبحوه على شاطىء النهر حتى سال دمه في النهر . وكانوا اذا اسروا نساء المسلمين يبيعونهن فيما بينهم حتى انهم تزايدوا في بعض الوقائع على امرأة جميلة وغالوا في ثمنها فقام بعضهم فقتلها وقال ان هذه الكافرة كادت تقع فتنة بسببها بين المسلمين ، وقالوا للحسن بن علي يوم ساباط المدائن : اشركت يا حسن كما اشرك ابوك .

كذلك الوهابيون حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين واستحلوا ماله ودمه

وبعضهم استحل سبي الذرية كما سيأتي في الباب الاول ولم يخاطبوه الا بقولهم يا مشرك وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار ايمان تجب الهجرة اليها وحكموا بقتال تارك الفرض وان لم يكن مستحلا كما في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١) ونقلوه فيها ايضا عن ابن تيمية (٢) .

قال سليمان بن عبد الوهاب على ما حكي عنه في رسالته في الرد على اخيه محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية : قال ابن القيم : الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم احداهما خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسنة سنة والثانية انهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على ذلك استحلال دماء المسلمين واموالهم وان دار الاسلام دار حرب ودارهم هي دار الايمان فينبغي للمسلم ان يحذر من هذين الاصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم واموالهم وعامة البدع انما تنشأ من هذين الاصلين « انتهى » .

وهذا الذي ذكره بعينه موجود في الوهابية .

« رابعاً » كما ان الخوارج استندوا في شبهتهم هذه الى ظواهر بعض الآيات والادلة التي زعموها دالة على ان كل كبيرة كفر . كذلك الوهابيون استندوا في هذه الشبهة الى ظواهر بعض الآيات والادلة التي توهموها دالة على ان الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك وعلى غير ذلك من معتقداتهم كما يظهر من استشهاداتهم بالآيات التي لا دلالة فيها على معتقداتهم عند نقلنا لها . وسيأتي في الامر العاشر عدة روايات تشير الى ذلك .

« خامساً » كما ان الخوارج استحلوا قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم لانهم باعتقادهم أئمة ضلال كذلك الوهابيون استحلوا قتال ملوك الاسلام وامرائه لانهم باعتقادهم أئمة ضلال ناصرون للشرك والبدع .

« سادساً » كما ان الخوارج لا يبالون بالموت ويقدمون على الحرب لانهم رائحون بزعمهم الى الجنة حتى ان بعضهم طعن برمح فمشى والرمح فيه الى طاعنه فقتله وهو يتلو : « وعجلت اليك ربي لترضى » .

كذلك الوهابيون يظهرون بسالة واقداما ولا يبالون بالموت لانهم بزعمهم رائحون الى الجنة ويقولون في حروبهم مع المسلمين :

---

(١) ص ٦٥ — ٨٦ (٢) ص ٨١ .

هبت هبوب الجنه   وين انت يا باغيها

« سابعا » كما ان الخوارج على جانب من الجمود والغباوة ، فبينما هم يتورعون عن أكل تمرة ملقاة في الطريق ويرون قتل الخنزير الشارد في البر فساداً في الارض، تراهم يرون قتل الصحابي الصائم وفي عنقه القرآن طاعة لله تعالى ويكفرون جميع المسلمين ويرون كل كبيرة كفرا . ولقيهم قوم مسلمون فسألوهم من انتم ؟ وكان فيهم رجل ذو فطنة ، فقال اتركوا الجواب لي ، قال : نحن قوم من اهل الكتاب استجرنا بكم حتى نسمع كلام الله ثم تبلغونا مأمننا . فقالوا لا تخفروا ذمة نبيكم فأسمعوهم شيئا من القرآن وارسلوا معهم من يوصلهم الى مأمنهم . وقالوا لعبد الله بن خباب الصحابي ما تقول في علي بن ابي طالب ؟ فاثنى خيراً فقالوا انك ممن يتبع الرجال على اسمائها وفعلوا معه ما تقدم .

كذلك الوهابيون على جانب من الجمود . فبينما هم يحرمون الترحيم والتذكير لانه بزعمهم بدعة وامثال ذلك ، ويتوقفون في « التلغراف » لعدم وقوفهم على نص فيه ، ويحرمون التدخين ويعاقبون عليه ، تراهم يكفرون المسلمين ويشركونهم ويستحلون اموالهم ودماءهم ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة .

« ثامنا » كما ان الخوارج قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر مقاومة أئمة الضلال ورفع الظلم الذي لا شك انه كان موجوداً في الجملة ، وانه لا حكم الا لله ، الكلمة التي قال عنها امير المؤمنين علي «ع» : انها كلمة حق يراد بها باطل كما مر .

كذلك الوهابيون قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر رفع البدع التي لا شك في وجودها في الجملة وانه لا عبادة ولا شفاعة الا لله ولا استعانة ولا استغاثة الا بالله . وهذه كتلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت وستعرف .

« تاسعا » كما ان الخوارج عمدوا الى الآيات الواردة في المشركين فجعلوها في المسلمين والمؤمنين كذلك الوهابيون جعلوا الآيات النازلة في المشركين منطبقة على المسلمين . اما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه ما في خلاصة الكلام [1] مما هذا لفظه : روى

(١) صفحة ٢٣٠

البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية اخرى عن ابن عمر عند غير البخاري انه «ص» قال أخوف ما اخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه « انتهى » وعن ابن عباس لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الاموال .

وأما صدور ذلك من الوهابيين فيدل عليه ما سيأتي عند نقل كلماتهم ومعتقداتهم من جعلهم الآيات الكثيرة النازلة في الكافرين والمشركين منطبقة على المسلمين مثل : اغير الله اتخذ ولياً . اروني ماذا خلق الذين من دونه . قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا . أجعل الآلهة الهاً واحداً . اجئتنا لنعبد الله وحده فلا تجعلوا لله انداداً . اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يسردونها وهي نازلة في الكافرين والمشركين فيجعلونها منطبقة على المسلمين انطباقا تاما بغير مائز ولا فارق .

« عاشراً » كما ان الخوارج سيماهم التحليق أو التسبيد كذلك الوهابيون سيماهم التحليق وعن النهاية في حديث الخوارج : التسبيد فيهم فاش هو الحلق واستئصال الشعر «انتهى» .

« حادي عشر » كما ان الخوارج يقتلون أهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان كما اخبر النبي «ص» عنهم بما رواه في السيرة الحلبية [١] من قوله «ص» في الخوارج : يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا تلاوة الفم وانهم يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان « الحديث » .

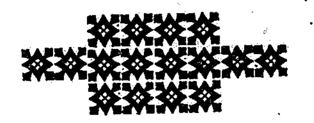
كذلك الوهابيون يقتلون اهل الاسلام وحدهم ولم ينقل عنهم انهم حاربوا احداً سوى المسلمين . وفي قتلهم اهل الطائف اولاً وآخراً بلا ذنب وقتلهم اهل كربلا سنة ١٢١٦ وغزوهم بلاد الاسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرقي الأردن وغيرها وقتلهم من ظفروا به من المسلمين وقتلهم نحو الف رجل من اليمانيين جاؤا لحج بيت الله الحرام سنة

---

(١) ص ١٤٠ ج ٣ طبع عام ١٣٢٠ بمصر .

١٣٤٠ وذبحهم لهم ذبح الاغنام كما مر ذلك كله في تاريخهم، وعدم غزوهم للمستعمرين أو الصهيونيين وتوجيه بأسهم وحربهم كله الى المسلمين والعرب اقوى شاهد على ذلك .

« ثاني عشر » كما ان الخوارج كلما قطع منهم قرن نجم قرن كذلك الوهابيون كلما قطع منهم قرن نجم قرنٌ فقد حاربهم محمد علي باشا واستأصل شأفتهم ووصل ولده ابراهيم باشا الى قاعدة بلادهم الدرعية واخربها ثم نجم قرنهم بعد ذلك وقطع ثم نجم وقطع مراراً .



الباب الاول

في ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مذهبهم الذي يدور عليه

الاجتهاد عند الوهابيين

الوهابيون سنيون وينتحلون مذهب الامام احمد بن حنبل الا انهم لا يلتزمون بتقليد احد المذاهب الأربعة بل قد يجتهدون على خلافها . قال بن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب واحد مؤسسي المذهب ابي في رسالته تطهير الاعتقاد [١] : وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد بعة وان كان هذا قولا باطلا وكلاما لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلا « انتهى » . ال محمد بن عبد اللطيف احد احفاد ابن عبد الوهاب في آخر الرسالة الخامسة [٢] من سائل الهدية السنية مذهبنا مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ندعي الاجتهاد واذا بانت سنة صحيحة عن رسول الله «ص» عملنا بها ولا نقدم عليها قول احد كائنا من كان انتهى» . وهذا هو الاجتهاد الذي انكره في اول كلامه وقال به في آخره . وما هي سنة الصحيحة التي تبين له هل يشافهه بها الرسول «ص» أو تكون متواترة خفيت على ميع أئمة المذاهب الاربعةوغيرهم وبانت له؟! هذا مستحيل عادة أو هي خبر ظني الدلالة السند أو السند فقط والله تعالى قد نهى عن العمل بالظن في كتابه وذم متبعه فهل يكون عمل بذلك الخبر الظني الا بالاجتهاد الذي انكره . وقال ابوه عبد اللطيف في احدى سائل الهدية السنية [٣] ان محمد بن عبد الوهاب لا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي قيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده . الى ان قال : نعم عند الضرورة وعدم الاهلية المعرفة بالسنن والأخبار وقواعد الاستنباط يصار الى التقليد ولا يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل من الكتاب والسنة خلافا لغلاة المقلدين .

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية [٤] لا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها الا انه اذا صح لنا نص جلي من

---

(١) صفحة ١٩ (٢) صفحة ١١٠ (٣) صفحة ٤٩ (٤) صفحة ٣٩

كتاب او سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض باقوى منه وقال به أحـــد الأئمة الأربعة اخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والاخوة فنقدم الجـــد بالإرث وان خالف مذهب الحنابلة . الى ان قال : ولا نعترض على احـــد في مذهبه الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لأحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كإمـــام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجـــدتين لوضوح ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض وقد اختار جمع من أئمة المذاهب الأربعة مـــا يخالف مذهب مقلده « انتهى » وهذا الأخير يخالف ما ذكره محمد بن عبد اللطيف وما حكاه ابوه عن محمـــد بن عبد الوهاب فهذا يشترط في جواز الأخذ بالنص من الكتاب والسنة ان يقول به احد الأئمة الاربعة ومحمد يقول لا نقدم على السنة قول احد كائنا من كان وابن عبد الوهاب يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليـــــل . ثم الزام صاحب المذهب بخلاف مذهبه فيما فيه شعائر ظاهرة خطأ فانه ان كان معذوراً لم يجب الزامه بل لم يجز وان لم يكن معذوراً وجب الزامه سواء كان فيه شعائر ظاهرة اولا .

اعتقاد الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في الله تعالى وصفاته

اعلم ان الوهابية ومؤسس دعوتهم محمد بن عبد الوهاب وباذر بذورها احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم واتباعهم ادعوا أنهم موحدون وانهم باعتقادهم التي خالفوا بهـــا جميع المسلمين حموا جناب التوحيد عن ان يتطرق اليه شيء من الشرك . وادعى الوهابيون انهم هم الموحدون وغيرهم من جميع المسلمين مشركون كما سيأتي ولكن الحقيقة ان ابن تيمية وابن عبد الوهاب واتباعهما قـــد اباحوا حمى التوحيد وهتكوا ستوره وحرق حجابه ونسبوا الى الله تعالى ما لا يليق بقدس جلاله تقدس وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

فاثبتوا لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فـــوق السماوات والارض والنزول الى سماء الدنيا والمجيء والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية ، واثبتوا له تعالى الوجه واليدين اليد اليمنى واليد الشمال والاصابع والكف والعينين كلها بمعانيها الحقيقية

وحملوا ألفاظ الصفات على معانيها الحقيقية فاثبتوا لله تعالى المحبة والرحمة والرضا والغضب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية من غير تأويل ، وانه تعالى يتكلم بحرف وصوت فجعلوا الله تعالى محلا للحوادث وهو يستلزم الحدوث كما بين في محله من علم الكلام .

اما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة والتكلم بحرف وصوت . وهو اول من زقا بهذا القول وصنف فيه رسائل مستقلة كالعقيدة الحموية والواسطية وغيرهما واقتفاه في ذلك تلميذاه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي واتباعهم ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره والزموا السلطان بقتله او حبسه فاخذ الى مصر ونوظر فحكموا بحبسه فحبس وذهبت نفسه محبوساً بعد ما اظهر التوبة ثم نكث . ونحن ننقل ما حكوه عنه في ذلك وما قالوه في حقه لتعلم ما هي قيمة ابن تيمية عند العلماء :

قال احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم في جملة كلامه الآتي في فصل الزيارة ان ابن تيمية تجاوز الى الجناب المقدس وخرق سياج عظمته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم الخ

وقال ابن حجر ايضاً في الدرر الكامنة على ما حكي : ان الناس افترقت في ابن تيمية فمنهم من نسبه الى التجسيم لما ذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك بقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستو على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم أن التحيز والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول بالتحيز في ذات الله . ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله ان النبي (ص) لا يستغاث به وان في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله «ص» وكان اشد الناس عليه في ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزر ، فقال البكري: لا معنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزر ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي إنه كان مخذولاً حيث ما توجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل للرياسة لا للديانة وانه كان يحب الرياسة وان عثمان كان يحب المال. ولقوله : ابو بكر اسلم شيخاً يدري ما يقول وعلي اسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول ، ولكلامه في قصة خطبة بنت ابي جهل وما نسبه من الثناء على قصة ابي

العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فانه شنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله «ص» : لا يبغضك الا منافق . ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه وكان ذلك مولداً لطول سجنه . وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقق والزم يقول لم ارد هذا انما اردت كذا فيذكرا حتما لا بعيداً «انتهى» .

وعن منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال للمفتي صدر الدين انه قال فيه : قال الشيخ الامام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه اتحاف اهل العرفان : وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعدله وذكر تحريمه للسفر الى زيارة النبي «ص» الى ان قال حتى تجاوز الجناب الاقدس المستحق لكل كمال انفس وخرق سياج الكبرياء والجلال وحاول اثبات ما ينافي العظمة والكمال بادعائه الجهة والتجسيم ونسبة من لم يعتقدهما الى الضلالة والتأثيم واظهر هذا الامر على المنابر وشاع وذاع ذكره بين الاكابر والاصاغر . الى آخر ما يأتي في فصل الزيارة

وعن صاحب اشرف الوسائل الى فهم الشمائل انه قال في بيان ارخاء العمامة بين الكتفين . قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية انه ذكر شيئاً بديعا وهو انه «ص» لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة . قال العراقي ولم نجد لذلك اصلا . اقول : بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما اذ هو مبني على ما ذهبا اليه واطالا في الاستدلال له والحط على اهل السنة في نفيهم له وهو اثبات الجهة والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما يصم عنه الاذان ويقضي عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان قبحهما الله وقبح من قال بقولهما . والامام احمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهي كفر عند كثيرين (انتهى)

وعن المولوي عبد الحليم الهندي في حل المعاقد حاشية شرح العقائد كان تقي الدين ابن تيمية حنبليا لكنه تجاوز عن الحد وحاول اثبات ما ينافي عظمة الحق تعالى وجلاله فاثبت له الجهة والجسم وله هفوات أخر كما يقول ان امير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله عنه كان يحب المال وان امير المؤمنين سيدنا عليا رضى الله عنه ما صح ايمانه فانه آمن في حال صباه . وتفوه في حق اهل بيت النبي صلى الله عليه وعليهم ما لا يتفوه به المؤمن المحق وقد وردت الاحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح، وانعقد مجلس في قلعة الجبل وحضر

العلماء الاعلام والفقهاء العظام ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي وحضر ابن تيمية فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه كذا في مرآة الجنان للامام ابي محمد عبد الله اليافعي ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ وقال اني اشعري ثم نكث عهده واظهر مرموزه فحبس حبساً شديداً ثم تاب وتخلص من السجن واقام في الشام وله هناك واقعات كتبت في كتب التواريخ ورد اقاويله وبين احواله الشيخ ابن حجر في المجلد الاول من الدرر الكامنة والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين والمرام ان ابن تيمية لما كان قائلا بكونه تعالى جسما قال بانه ذو مكان فان كل جسم لا بد له من مكان على ما ثبت ولما ورد في الفرقان الحميد (الرحمن على العرش استوى) قال ان العرش مكانه ولما كان الواجب ازليا عنده واجزاء العالم حوادث عنده اضطر الى القول بأزلية جنس العرش وقدمه وتعاقب اشخاصه الغير المتناهية فمطلق التمكن له تعالى ازلي والتمكنات المخصوصة حوادث عنده كما ذهب المتكلمون الى حدوث التعلقات «انتهى» .

وعن اليافعي في مرآة الجنان انه قال في ذكر فتنة ابن تيمية : وكان الذي ادعي عليه بمصر انه يقول ان الرحمن على العرش استوى حقيقة وانه يتكلم بحرف وصوت ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه (انتهى) .

وعن تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٠٥ : وفيها استدعي تقي الدين احمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقد له مجلس وامسك واودع الاعتقال بسبب عقيدته فانه كان يقول بالتجسيم «انتهى» .

وجاء في المنشور الصادر بحقه من السلطان : وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومد عنان كلمه وتحدث في مسائل القرآن والصفات ونص في كلامه على امور منكرات وأتى في ذلك بما انكره أئمة الاسلام وانعقد على خلافه اجماع العلماء الاعلام وخالف في ذلك علماء عصره وفقهاء شامه ومصره وعلمنا انه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا انهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم « انتهى » .

وعن كشف الظنون عن بعضهم انه بالغ في رد ابن تيمية حتى صرح بكفر من اطلق عليه شيخ الاسلام « انتهى » .

واما محمد بن عبد الوهاب فاقتفى هو واتباعه في ذلك اثر ابن تيمية كما اقتفى اثره في

زيارة القبور والتشفع والتوسل وغير ذلك وبنى على اساسه وزاد وقد اثبت ابن عبد الوهاب لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والارض والجسمية والرحمة والرضا والغضب واليدين اليمنى والشمال والاصابع والكف كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل .

قال محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد الذي هو حق على العبيد على ما حكي عنه في باب قوله تعالى : « حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير » : العشرون اثبات الصفات خلافا للاشعرية المعطلة .

قال الشارح : الاشعرية الفرقة المنتسبة لابي الحسن الاشعري انكرت كثيرا من الصفات « منها » علو الله تعالى واستواؤه على عرشه بائنا عن خلقه ومحبته لعباده الصالحين ورحمته لهم ورضاه وغضبه وغير ذلك خلافا لما جاء عن رسول الله «ص» واصحابه وسائر السلف الصالحين ثم استدل على ذلك بالاحاديث فقال باب ما جاء في قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة » (الآية) عن ابن مسعود رضي الله عنه جاء حبر من الاحبار الى رسول الله « ص » فقال يا محمد أنا نجد ان الله يجعل السماوات في اصبع والارضين في اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي « ص » حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ : «وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة» (الآية) وفي رواية لمسلم والجبال والشجر على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله . وفي رواية للبخاري : يجعل السماوات على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع اخرجاه ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك اين الجبارون اين المتكبرون . وروى عن ابن عباس ما السماوات السبع والارضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد احدكم . وعن ابن مسعود بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابن مهدي وعن العباس بن عبد

المطلب رضي الله عنه قال رسول الله « ص » هل تدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم اخرجه ابو داود وغيره وفيه مسائل : « الاولى » تفسير قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) « الثانية » ان هذه العلوم وامثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه «ص» لم ينكروها ولم يتأولوها « الثالثة » ان الحبر لما ذكر ذلك للنبي « ص » صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك « الرابعة » وقوع الضحك منه « ص » لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم « الخامسة » التصريح بذكر اليدين وان السماوات في اليد اليمنى والارضين في الاخرى « السادسة » التصريح بتسميتها الشمال «انتهى» .

وهو صريح في اثبات جهة الفوق لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والارض واثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب واثبات اليدين والاصابع واليد اليمنى واليد الشمال والكف له تعالى كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل ونسبة الاشعرية الذين يؤلونها الى التعطيل وهو عين التجسيم الذي اطبق المسلمون على كفر معتقده لاستلزامه التركيب والتحيز والوجود في جهة دون جهة وكل ذلك يستلزم الحدوث كما قرر في محله ويلزم من اثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب بمعانيها الحقيقية وهي ميل القلب ورقته وعدم هيجان النفس وهيجانها كونه تعالى محلا للحوادث الموجب حدوثه كما علم من علم الكلام مع ان حديث حبر اليهود عليه لا له فان الضحك لم يكن لتصديق قول الحبر كما توهم بل للرد عليه فهو ضحك تعجب من نسبة ذلك اليه تعالى مع بطلانه في العقول ويدل عليه قراءته «ص» وما قدروا الله حق قدره أي ما قدروه حق قدره بنسبتهم اليه الجسمية والاعضاء .

واما اتباع محمد بن عبد الوهاب فاثبتوا لله تعالى جهة العلو والاستواء على العرش والوجه واليدين والعينين والنزول الى سماء الدنيا والمجيء والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية .

ففي الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس المسمى مجموعها بالهدية السنية [١] لعبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب عند ذكر بعض اعتقادات الوهابية وانها مطابقة لعبارة ابي الحسن الاشعري قال : وان الله تعالى على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » وان له يدين بلا كيف كما قال : «لما خلقت بيدي بل يداه مبسوطتان» وان له عينين بلا كيف وان له وجها كما قال «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» وقال [٢] ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله «ص» ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر . « الى ان قال » ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال : « وجاء ربك والملك صفا صفا » وانه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » .

وفي الرسالة الخامسة لمحمد بن عبد اللطيف المذكور [٣] ونعتقد ان الله تعالى مستو على عرشه عال على خلقه وعرشه فوق السماوات قال تعالى « الرحمن على العرش استوى » فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء ولا نكيف ولا نمثل قال امام دار الهجرة مالك ابن انس وبقوله نقول ، وقد سأله رجل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة . (الى ان قال) فمن شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر ونؤمن بما ورد من انه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول الخ .(ونقول) : يلزم من ذلك احد امرين: التجسيم او القول بالمحال وكلاهما محال لان حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ومع الكيف تجسيم فلا بد من التأويل والمجاز والقرينة العقل . ومنه تعلم ان الكلام المنسوب الى الامام مالك لا يكاد يصح وحسن الظن به يوجب الريبة في صحة النسبة اليه وذلك لان قوله الاستواء معلوم ان اراد انه معلوم بمعناه الحقيقي فهو ممنوع بل عدمه معلوم بحكم العقل باستحالة الجسمية عليه تعالى واستحالة الاستواء الحقيقي بدون الجسمية وان اراد بالمعنى المجازي فلا يصلح شاهدا لقوله: نثبت حقيقة الاستواء، ولا يكون السؤال عنه بدعة ولا يلزم الكيف حتى يقال انه مجهول. ثم كيف يكون السؤال بدعة والتصديق بالمجهول محال وان اراد انا نؤمن به على حسب المعنى الذي اراده الله تعالى منه وان لم نعلمه تفصيلا فان كان يحتمل انه اراد حقيقة الاستواء ففاسد لما عرفت من استحالته بحكم

(١) ص ٩٧ (٢) ص ٩٩ (٣) ص ١٠٥ طبع المنار بمصر .

العقل وان كان الترديد بين المعاني المجازية فقط فاين حقيقة الاستواء التي اثبتناها. واذا كان قول الامام مالك عند هؤلاء قدوة وحجة في مثل هذه المسألة الغامضة فلم لم يقتدوا بقوله فيما هو اوضح منها واهون وهو رجحان استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسبما امر به مالك المنصور فيما مرت الاشارة اليه. « وكذا » الاعتقاد باليدين والعينين والوجه بدون الكيف فان كانت بمعانيها الحقيقية لزم اعتقاد المحال لاستحالة المعاني الحقيقية بدون الكيف ومع الكيف يلزم التجسيم فلا بد من المجاز والتأويل والقرينة حكم العقل. وكذا بانه تعالى ينزل الى سماء الدنيا ويجيء يوم القيامة ويقرب من خلقه ان كان بمعانيها الحقيقية لزم التجسيم فلا بد من المجاز والتأويل لعين ما مر. قوله: فمن شبه الله بخلقه كفر، قلنا: اثبات حقيقة هذه الاشياء هي تشبيه له بخلقه فتكون كفرا لعدم امكان اثباتها بدون التشبيه كما عرفت. قوله: ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر، قلنا: جحود الصفة والاقرار بها حكم عليها والحكم على الشيء فرع معرفته فيلزم اولا ان نعرف ما اريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقي او المجازي لنعرف ما وصف به نفسه فنقر به واذا كان المعنى الحقيقي يستحيل ارادته كما بينا فلا يكون مما وصف به نفسه فلا يكون جحوده كفرا.

ومن هنا تعلم فساد ما حكي عن محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد من ان الوهابيين يقرون آيات الصفات والاحاديث على ظاهرها ويكلون معناها الى الله تعالى «انتهى» فان اقرارها على ظاهرها يناقض ايكال معناها الى الله كما هو واضح بل ايكالها اليه تعالى عبارة عن التوقف وعدم الحكم ببقائها على ظاهرها

اما قول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية [1] انه لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو لان لازم المذهب ليس بمذهب ففيه ان كون لازم المذهب ليس بمذهب ان صح فمعناه ان من ذهب الى القول بشيء لا يجب ان يكون قائلا بلازمه الا انه اذا كان هذا اللازم باطلا كان ملزومه الذي ذهب اليه باطلا

لأن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم والا لبطلت الملازمة فمن قال بجهة العلو وان لم يقل بالتجسيم الا انه لازم قوله فاذا كان التجسيم باطلا فالقول بجهة العلو خطأ وباطل مع انك قد عرفت آنفا ان قدوتهم ومؤسس ضلالتهم ابن تيمية قد صرح بالجسمية وكفره علماء عصره لذلك وحكموا بقتله او حبسه وان مؤسس مذهبهم ابن عبد الوهاب اقتدى بابن تيمية في ذلك فاثبت اليدين اليمين والشمال والاصابع والكف وهم على طريقته لا يحيدون عنها قيد أنملة فلا ينفعهم التبري من القول بالتجسيم

اعتقاد الوهابيين في النبي «ص» وسائر الانبياء والصالحين وقبورهم

اعتقادهم في النبي (ص) ان الاستغاثة به وطلب الشفاعة منه الى الله والتوسل به اليه بقول يا رسول الله او يا رسول الله اشفع لي او اتوسل بك الى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء عنده وتعظيمه كل ذلك شرك وكفر وعبادة للاصنام والاوثان موجبة لحل المال والدم وانه يحرم السفر لزيارته ويجب هدم ضريحه وقبته ويحرم التبرك بتربته ولمس ضريحه وتقبيله وان ضريحه صنم من الاصنام ووثن من الاوثان بل هو الصنم الاكبر والوثن الاعظم وكذلك سائر الأنبياء والصالحين، وفي خلاصة الكلام:[1] كان محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبي «ص» انه طارش، وان بعض اتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد لانه ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع وانما هو طارش ومضى، وكان يقال ذلك بحضرته او يبلغه فيرضى وكان يقول: وجدت في قصة الحديبية كذا كذا كذبة « انتهى »

اعتقادهم في عموم المسلمين

واعتقادهم في عموم المسلمين انهم كفروا بعد ايمانهم واشركوا بعد توحيدهم او انهم كفار بالكفر الاصلي بل شرّ من الكفار فيجب قتالهم وتحل دماؤهم واموالهم، وعلى بعض الأقوال: تسترق ذراريهم، وهذا الكفر والشرك حصل منهم منذ ستمائة سنة قبل ابن عبد الوهاب، على ما في خلاصة الكلام، وانهم ابدعوا في دين الاسلام. هذا محور مذهب الوهابية الذي يدور عليه

---

(١) صفحة ٢٣٠

اما كفرهم وشركهم فبعبادتهم الانبياء والصالحين بل وغير الصالحين ممن يعتقدون فيهم الولاية وهم من فسقة الناس وعبادتهم قبورهم فكانوا بذلك كمشركي قريش وغيرهم الذين عبدوا الاصنام والاوثان من الاحجار والاشجار وغيرها وعبدوا الملائكة والجن ، كالنصارى الذين عبدوا المسيح وامه ، وذلك باستغاثتهم بالاموات ودعائهم لكشف الملمات والهتاف بأسمائهم والتشفع بهم الى الله بقول: يا رسول الله اسألك الشفاعة ونحو ذلك ، والنذر والذبح لهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وعمل الاضرحة لها ووضع الجوخ وغيره عليها وعمل الستور لها واسراجها وتخليقها والعكوف عليها كما كان المشركون يعكفون على اصنامهم ، والنذر لها وتزيينها بالقناديل والذهب والفضة وغيرها وجعل الخدمة والسدنة لها وعمل أعياد ومواسم لها وتقبيلها والطواف حولها والتمسح بها واخذ ترابها تبركا والصلاة عندها واتخاذها مساجد وشد الرحال اليها وكتب الرقاع عليها ونحو ذلك ، فان ذلك كله عبادة لها ولاهلها . وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها موجب للشرك والكفر

وفرعوا على ذلك وجوب هدم قبور الانبياء والصالحين والقباب المبنية عليها وعدم جواز تعميرها وتعليق المعلقات فيها والوقف عليها بل هو باطل ، وعدم جواز لمسها والتبرك بها والصلاة والدعاء عندها وايقاد السرج عليها وغير ذلك

وقسموا التوحيد الى توحيد الربوبية وهو الاعتقاد بان الخالق الرازق المدبر للأمر هو الله . وتوحيد العبادة وهو صرف العبادة كلها الى الله . قالوا ولا ينفع الاول بدون الثاني لأن مشركي قريش كانوا يعتقدون بالاول فلم ينفعهم لعدم اقرارهم بالثاني، كذلك المسلمون لا ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية لعبادتهم الانبياء والصالحين وقبورهم بنفس الاشياء التي كان المشركون يعبدون اصنامهم بها

وقالوا : الكفر نوعان مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاءبه الرسول «ص» والمقيد ان يكفر ببعضه وهو كفر المسلمين الذين هم باعتقادهم مشركون ، وقسموا الشرك الى قسمين : اكبر واصغر فالاكبر هو الذي تقدم والاصغر كالرياء والحلف بغير الله تعالى

وفرع الوهابية على هذا الاعتقاد الذي اعتقدوه من اشراك جميع المسلمين : وجوب

قتالهم واستحلال دمائهم وجعل بلادهم دار حرب وقتالهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم بلاد شرك تجب الهجرة منها الى بلاد الاسلام التي اهلها وهابية موحدون كما كانت هذه الأشياء ثابتة في حق عبدة الاوثان والاصنام . قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة ثلاثة الأصول (١) : والهجرة فريضة على هذه الامة من بلد الشرك الى بلد الاسلام وهي باقية الى ان تقوم الساعة الخ

اما سبي ذراري المسلمين فهومقتضى قواعد المذهب الوهابي الذي اساسه ومبناه ومحوره الذي يدور عليه التسوية بين عبدة الاصنام وبين المسلمين في الاشراك بالعبادة ، وقد صرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد في عدة مواضع بما يدل على ذلك حيث قال : (٢) ومن فعل ذلك (اي الاستغاثة وما يجري مجراها) لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور إلها لعابديه وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق وان اقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب اموالهم .

وقال في موضع آخر : (٣) فمن رجع واقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ومن اصر فقد اباح الله منه ما اباح لرسول الله (ص) من المشركين « انتهى » . ويدل عليه ما حكاه الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٧ كما تقدم نقله عنه في بعض الحواشي السابقة : انهم لما دخلوا الطائف قتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال . قال : وهذا دأبهم مع من يحاربهم. وعن كتاب التوضيح لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب انه قال : واباح لأهل التوحيد اموالهم ونساءهم وان يتخذوهم عبيداً « انتهى » .

ومر عن تاريخ الامير حيدر ان الوهابيين في بعض حروبهم سبوا النساء وقتلوا الاطفال ، ولكن في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (٤) : ومما نحن عليه انا لا نرى سبي العرب ولم نفعله نقاتل غيرهم « كذا » ولا نرى سبي النساء والصبيان « انتهى » وهذا مناقض لقواعد مذهبهم ولما سمعت من كلام بعضهم ، والتناقض في كلامهم غير عزيز كما يظهر لك من تضاعيف هذا الكتاب .

(١) صفحة (٢) صفحة ٧ (٣) صفحة ١٢ طبع المنار بمصر (٤) صفحة ٤٠ .

وأما ابداع المسلمين في الدين فباحداثهم اشياء فيه لم تكن على عهد النبي « ص » والصحابة . وقالوا : البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة (اي قرن النبي «ص» وما بعده) مذمومة مطلقاً . ذكره حفيد ابن عبد الوهاب في احدى رسائل الهدية السنية [١] وذلك مثل المحاريب الاربعة في المساجد للائمة الاربعة وجعل اربعة أئمة للصلاة من اهل المذاهب الاربعة والترحيم والتذكير الذي يفعل في المآذن ليلة الجمعة ويومها وليلة الاثنين وبين الاذان والاقامة وقبل الفجر [٢] ورفع الصوت في مواضع الاذان كالمنائر بغير الاذان من قرآن أو صلاة على النبي «ص» أو ذكر بعد اذان أو في ليلة جمعة أو رمضان أو العيدين وقراءة حديث ابي هريرة قبل خطبة الجمعة والاجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف النبوي وقراءة المولد النبوي بقصائد بالحان وتخلط بالصلاة عليه وبالاذكار والقراءة وتكون بعد التراويح والتظاهر باتخاذ المسابح والاجتماع على رواتب المشايخ برفع الصوت وقراءة الفواتح كراتب السمان والحداد وغيرهما وقراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات الخمس وكصلاة الخمسة الفروض بعد آخر جمعة من رمضان ورفع الصوت بالذكر عند حمل الميت وعند رش القبر بالماء وكاتخاذ الطرائق وتعليق الاسلحة والبيارق في التكايا والزوايا وعمل الذكر المتعارف ونقر الدفوف وما يتخلل ذلك من الشهيق والنهيق والنعيق وتكرار لفظ الجلالة (الله الله) وغير ذلك .

واحرق الوهابية دلائل الخيرات بدعوى اشتمالها على البدعة أو الشرك . وفي خلاصة الكلام : [٣] ان محمد بن عبد الوهاب كان ينهى عن الاتيان بالصلاة على النبي «ص» ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر وانه قتل رجلا اعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي « ص » في المنارة بعد الاذان فلم ينته فأمر بقتله فقتل . ثم قال : ان الربابة في بيت الخاطئة اقل اثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي «ص» في المنائر «انتهى» وذلك لان الربابة في بيت الخاطئة لا يتجاوز اثمها صاحبها اما الصلاة على النبي « ص » بتلك الكيفية فهي بزعمه بدعة فيتعدى اثمها لكل من يقتدي بفاعلها .

(ونقول) : البدعة كما مر في المقدمات ادخال ما ليس من الدين في الدين كاباحة محرم

«١» ص ٤٧ «٢» وهذا جاء في سؤال ابن بليد الموجه الى اهل المدينة كما يأتي «٣» ص ٢٣ .
– المؤلف –

أو تحريم مباح أو ايجاب ما ليس بواجب أو ندبه أو نحو ذلك سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها وتخصيصها بما بعد القرون الثلاثة لا وجه له ، ولو سلمنا حديث . خير القرون قرني الخ فان اهل القرون الثلاثة غير معصومين بالاتفاق وتقسيم بعضهم لها الى حسنة وقبيحة أو الى خمسة اقسام ليس بصحيح بل لا تكون الا قبيحة . ولا بدعة فيما فهم من اطلاق ادلة الشرع أو عمومها أو فحواها أو نحو ذلك وان لم يكن موجوداً في عصر النبي «ص» فتقبيل يد العالم أو الصالح أو الابوين بقصد التعظيم والاحترام تقربا اليه تعالى جائز وراجح وان لم يكن ذلك في عصره «ص» ولا ورد فيه نص خاص فانه بعد ان صار نوعاً من التعظيم عادة وفهم من ادلة الشرع رجحان تعظيم المؤمن بوجه العموم يكون جائزاً وراجحاً ، وكذا القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) او ذكر اسم رجل عظمه الشرع هو من هذا القبيل ما لم يكن التعظيم بفعل حرمه الشرع كالغناء وآلات اللهو والكذب في المدح ونحو ذلك . كما انه لا بدعة فيما فعل لا بقصد الخصوصية أو العبادة . ومنه يعلم عدم صحة الحكم بالبدعة في كل ما ذكروه وصحته في البعض فرفع الصوت بالاشياء المذكورة لا مانع منه لعموم ادلتها أو اطلاقها وعدم تقييدها برفع الصوت ولا بخفضه خصوصاً اذا كان في رفع الصوت فائدة كالاعلان بذكر الله واتعاظ السامع ونحو ذلك ، نعم لو فعلت بقصد الخصوصية والورود كانت بدعة ، ودعوى ان السامع يتوهمها كذلك لا تسمع لان السامع عليه الفحص وسؤال أهل المعرفة وكذا التذكير والترحيم يشمله عموم ذكر الله ودعائه والترحم على المؤمنين والصحابة ونحو ذلك . وعد ذلك بدعة ، جمود وقلة فقه ، فلو ان رجلا اصطلح على ان يصلي على النبي « ص » عند طلوع الشمس عشر مرات أو ان يكبر بعد العصر سبعين مرة مثلا او نحو ذلك ولم يقصد ان هذا مأمور به بخصوصه لم يكن مبدعاً في الدين بعد دلالة الادلة الشرعية بعمومها أو اطلاقها على استحباب الصلاة على النبي « ص » في أي وقت كان واستحباب ذكر الله بالتكبير وغيره . ولو فرضنا انه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبي «ص» بها ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة لكانت الصلاة بالطربوش او الشال الهندي أو البنطلون أو العقال والمنديل بدعة ، ولكانت الخطبة في الجمعة والعيدين بدون قلنسوة بدعة اذا فرض انه «ص» كان يفعلها متقلنساً ، وبقلنسوة بيضاء بدعة اذا فرض انه كان يفعلها بقلنسوة حمراء مثلا ، وهكذا ، وهذا لا يقول به من عنده ادنى معرفة

بادلة الشرع . وكأنهم منعوا الترحيم الذي يقال فيه يا ارحم الراحمين ارحمنا بجاه فلان لأن ذلك عندهم من التوسل الموجب للكفر ، وستعرف فساده . والالتزام بقراءة حديث فيه فائدة امام خطبة الجمعة لا ضرر فيه ان لم يفعل بقصد الورود . والاجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف فيه تعظيم للنبي « ص » واستبشار بخبر ولادته التي كانت سبباً لسعادتنا الابدية فيشمله عموم ما دل على رجحان ذلك ، وقراءة المولد مع قصائد وصلاة عليه لا مانع منها ان لم تشتمل على الغناء المحرم لعموم الادلة ، والتظاهر بحمل المسابح لا محذور فيه لما فيها من الفوائد من عد الاذكار الموظفة بعدد خاص فتكون كما ورد من العد على النوى الذي اشار اليه صاحب المنار في الحاشية . وقوله في الحاشية : أي اتخاذها شعاراً يوهم انه مطلوب شرعاً، مردود بانه لا يوهم ذلك عند ذي المعرفة ، وغيره لا يضرنا وهمه ولا يلزمنا دفعه ولا يصير فعلنا بدعة بسببه ، وقراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات يراد بها اهداء الثواب اليهم فيعمها ما دل على جواز اهداء الثواب للميت واختيار اوقات الصلاة لأنها افضل فيزداد الثواب . ومن ذلك تعلم ان قوله : فالربابة الخ مع ما فيه من سوء الادب العظيم مبني على ما هو فاسد من كون رفع الصوت في المنارة بالصلاة بدعة وقد عرفت فساده ، وان الصلاة عليه (ص) مستحبة مطلقاً مع رفع الصوت وبدونه على المنارة وغيرها فيجوز مطلقا الا ان يقصد وروده في الشرع بهذه الكيفية وهذا لا يقصده احد .

والحاصل ان ما ثبت استحبابه على وجه العموم اذا التزم بكيفية منه لا من باب الخصوصية لا يكون ذلك بدعة . اما المحاريب الاربعة والائمة الاربعة للصلوات الخمس فقد بينا في مقام آخر من هذا الكتاب انه لو كان بدعة لكانت المذاهب الاربعة بدعة ومع كونها سنة فلا بد ان يكون سنة .

اما اتخاذ الطرائق وما يتبعها مما عددوه الى الشهيق والنهيق والنعيق وتكرار الجلالة الذي يشبه في كثير من حالاته نبح الكلاب فنحن نوافقهم في انه من البدع القبيحة ومن تسويلات الشيطان .

ثم قال حفيد ابن عبد الوهاب في احدى رسائل الهدية السنية بعد كلامه السابق :

واما مالا يتخذ ديناً ولا قربة كالقهوة وقصائد الغزل ومدح الملوك فلا ننهى عنه ويحل كل لعب مباح لان النبي (ص) اقر الحبشة على اللعب يوم العيد ويحل الرجز والحداء وطبل الحرب ودف العرس وقد قال (ص) : بعثت بالحنيفية السمحة لتعلم يهود ان في ديننا فسحة (انتهى) .

وهنا نشكر للوهابية تسامحهم وتساهلهم في تحليل الاشياء المذكورة وعدم عدهم لها كفراً وشركاً او تحريمهم لها او عدها بدعة كما حرموا التدخين وعاقبوا عليه وكما توقفوا في (التلغراف) كما مر واذا كانوا يعلمون انه (ص) بعث بالحنيفية السمحة فما بالهم يضيقون على العباد في الامور الاجتهادية التي ليست من ضروريات الدين مع تجويزهم الاجتهاد ومخالفة جميع المذاهب الاربعة واعتقادهم ان المخطىء في اجتهاده مأجور. وتحريم التدخين ليس من ضروريات الدين ولم يرد فيه نص ولم يكن في زمن النبي (ص) وحاله حال القهوة التي يشربونها وصرحوا بحليتها فان كان تحريم الدخان لعدم النص فالقهوة كذلك وان كان للاضرار فلا يحرم على من لا يعتقد الضرر وان كان للاسراف فالمدخنون يرتاحون اليه ويستعينون به على التسلي وتصفية الفكر وان كان لانه من الخبائث فليس بمأكول ولا مشروب حتى يعمه تحريم الخبائث لان اضافة التحريم الى الاعيان على حذف الفعل المناسب ، فحرمت الخمر اي شربها ، والميتة اي أكلها ، وامهاتكم اي نكاحها ، والخبائث اي اكلها وشربها وغير ذلك . على ان الخبائث مجملة فما شك في دخوله فيها بقي على إصالة الحل . وبعد ذلك كله فالمجتهد في حلية التدخين ليس لنا معارضته اصاب او اخطأ لانه معذور وكذا كل ما ينقمونه على المسلمين لا يخرج عن امور اجتهادية ليست ضرورية فكيف ساغ لهم معارضة المسلمين فيها بالسيف والسنان . وجعل الوهابية حالهم في الدعاء الى مذهبهم والى تجديد التوحيد ورفع البدع حال رسول الله (ص) والانبياء قبله في الدعاء الى الاسلام والتوحيد فكما جاءت الانبياء لتلزم الناس بالتوحيد وتمنعها من الشرك وترفع من بينها البدع وكما دعا النبي (ص) مشركي قريش ومن ضارعهم من عبادة الأوثان الى اخلاص التوحيد واستحل دم ومال من إبى ، فالوهابيون يدعون جميع المسلمين الذين هم جميعاً عندهم من عبدة الاوثان الى اخلاص التوحيد وترك الشرك والبدع ومن ابى ولم يتوهب حل ماله ودمه كما حل مال ودم عبدة الاصنام ومشركي قريش في زمن

النبي (ص) . صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات وصرح به محمد بن اسماعيل الصنعاني في تطهير الاعتقاد كما سيأتي عند نقل كلامهما وغيرهما .

والحاصل ان حكم الوهابيين بكفر جميع المسلمين وشركهم هو اساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه لا يتحاشون منه وكتبهم مشحونة بالتصريح به تصريحاً لا يقبل التأويل بل صرح محمد بن عبد الوهاب في رسالتي اربع القواعد وكشف الشبهات كما سيأتي بان شرك المسلمين اغلظ من شرك عبدة الاصنام لأن اولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم دائم في الحالتين ولأن اولئك يدعون مع الله اناساً مقربين عنده واشجاراً واحجاراً غير عاصية وهؤلاء يدعون معه اناساً من افسق الناس ، وصرح بذلك الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد في عدة مواضع بل صرح في تلك الرسالة كما ستعرف بأن كفر المسلمين اصلي لا كفر ردة . وصرح بالتكفير بجملة مما كفر به الوهابية غيرهم ابن تيمية في رسالتي الواسطة وزيارة القبور كما ستعرف ومنه اخذ الوهابية تكفير المسلمين وعلى اساسه بنوا وزادوا وصرح بذلك ايضاً الوهابيه في عدة مواضع من رسائل الهدية السنية الخمس وغيرها وصرح به عبد اللطيف حفيد ابن عبد الوهاب فيما حكاه عنه الالوسي في تاريخ نجد. وقد اطلق محمد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدى الوهابيين فيما يزيد عن اربعة وعشرين موضعاً واطلق عليهم اسم الكفر والكفار وعباد الاصنام والمرتدين والمنافقين وجاحدي التوحيد واعدائه واعداء الله ومدعي الاسلام واهل الباطل والذين في قلوبهم زيغ والجهال والجهلة والشياطين وان جهال الكفار عبدة الاصنام اعلم منهم وان ابليس إمامهم ومقدمهم الى غير ذلك من الالفاظ الشنيعة فيما يزيد عن خمسة وعشرين موضعاً [١] واطلق عليهم الصنعاني في تطهير الاعتقاد اسم الشرك فيما يزيد عن ثلاثين موضعاً واطلق عليهم اسم الالحاد والكفر والكفر الاصلي وانهم عبدوا غير الله وزادوا على عبادة الاصنام وانهم مثل اصحاب مسيلمة والسبائية واليهود والخوارج واهل الجاهلية فيما يزيد عن خمسة عشر موضعا واطلق اسم الاله والصنم والوثن والند لله على من يستغيثون ويتبركون به في نحو من عشرة مواضع [٢]

«١» راجع صفحاتها من صفحة ٥٧ الى ٧٢ تجد في كل منها شيئاً كثيراً من ذلك «٢» راجع صفحة ٧ و ١٧ و ٢٠ و ٢٢

واطلق اصحاب الهدية السنية على المسلمين اسم الشرك والاشراك والشرك بالله والشرك الاكبر واعظم الشرك والشرك الوخيم ومتخدي الشريك والشرك الموجب لحلية المال والدم والمشركين والمشركات واقبح المشركين وانهم مشركون شاؤا او ابوا وان شركهم اقبح واشنع ممن قالوا : اجعل لنا ذات انواط ، واعظم واكبر من شرك الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا ، وان الوهابيين لما جاؤا الى مكة عبد الله وحده ، فيما يزيد عن ستين موضعا ، واسم الكفر والكفار وانهم كاليهود والنصارى والسبائية وعباد الملائكة والشمس والقمر والقائلين اجعل لنا ذات انواط بل شر منهم وعباد اللات والعزى وعباد الاصنام والاوثان وان ما هم عليه هو دين الجاهلية ، فيما يزيد عن عشرين موضعاً ، ووصفوهم بعبادة غير الله فيما يزيد عن عشرة مواضع وسموا من يتوسل ويتبرك بهم المسلمون وبقبورهم بالاصنام والاوثان والانداد لله فيما يزيد عن اثني عشر موضعاً [١] وسننقل في تضاعيف ما يأتي جملة من كلماتهم الصريحة في ذلك . واطلق حفيد ابن عبد الوهاب على المسلمين اسم الكفر في ثلاثة مواضع ، والشرك في اربعة ، ومدعي الاسلام وانهم يحبون مع الله محبة تأله وانهم شر من جاهلية العرب وان شركهم اشد واشنع واكبر من شركها وانه لم يبلغ شرك الجاهلية الاولى شركهم ، ونسبهم الى الفساد وانهم من اجهل الخلق واضلهم وخارجون عن الاسلام وعابدون لغير الله وخارجون عن الملة ، الى غير ذلك من الالفاظ الشنيعه . وفي القصائد الملحقة بالهدية السنية تصريح بذلك في عدة مواضع يطول الكلام بنقلها .

وفي خلاصة الكلام [٢] كان محمد بن عبد الوهاب اذا اتبعه احد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانياً فان حجتك الأولى فعلتها وانت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا اراد احد الدخول في دينه يقول له بعد الشهادتين اشهد على نفسك انك كنت

---

(١) راجع الهدية السنية ص ١٠ الى ١٥ و ١٩ و ٢٠ و ٢٢ الى ٢٨ و ٣٠ الى ٣٤ و٣٦ و ٣٧ و ٤١ و ٤٢ و ٤٥ و ٥٣ و ٥٥ الى ٥٧ و ٥٩ و ٦١ الى ٦٣ و ٦٥ و ٨٦ الى٩٣و ٩٥ و ١٠٢ الى ١٠٥ و ١٠٧ ويوجد مواضع غير هذه كثيرة يجدها المتتبع .

(٢) ص ٢٢٩ — ٣٣٠

كافراً وعلى والديك انهما ماتا كافرين وعلى فلان وفلان ويسمي جماعة من اكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفاراً فان شهد قبله والا قتله وكان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة ويكفر من لا يتبعه ويسميهم المشركين ويستحل دماءهم واموالهم « انتهى »

وفي خطبة سعود بمكة التي تقدمت تصريحات عديدة بان جميع من عداهم من المسلمين هم مشركون وانما يصيرون مسلمين باتباعهم اياهم مثل قوله : ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع القبائل انما اسلموا بهذا السيف . وقوله : فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وانقذكم من الشرك وانا ادعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه. وقد صرح بذلك محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد على ما حكي وهو غير متهم في حق الوهابيين ، فقال : ان سعوداً غالى في تكفير من خالف الوهابيين وان علماء نجد وعامتهم يسمون غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله « انتهى » . وقد صرح بذلك صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) [1] فقال : كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدداً للاسلام في بلاد نجد بارجاع اهله عن الشرك والبدع الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية « انتهى » واذا كان هذا اعتقاد صاحب المنار في المسلمين فما باله يكرر في تلك المجموعة نداءه للمسلمين بقوله : ايها المسلمون ان الحجاز مهبط دينكم ايها المسلمون الى متى انتم غافلون ايها المسلمون ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض ايها المسلمون حسبكم ما بينا لكم ، الى غير ذلك ، بل كان عليه ان يقول ايها المشركون المدعون للاسلام فما باله لا يبالي بالتناقض في كلامه ولعله يريد بالمسلمين خصوص اهل نحلته الوهابية .

ومع كل هذه التصريحات التي لا تقبل التأويل والتي نشاهد اعمال الوهابية موافقة لها وسيرتهم عليها فانهم لا يفترون عن غزو المسلمين والهجوم عليهم في عقر ديارهم وقتلهم وقتالهم كلما سنحت لهم فرصة وامكنهم ذلك ومناداتهم بقول يا مشركون ، نرى بعض الوهابيين واتباعهم كصاحب المنار يريدون التبري من هذا المعتقد وستره لما رأوا بشاعته وشناعته وتقبيح الناس له ونفورهم عنهم وتشنيعهم عليهم بسببه ، وهيهات .

فممن رام ستر ذلك والتبري منه صاحب الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية فانه

---

(١) ص ٦

قال في تلك الرسالة [١] : واما ما يكذب علينا ستراً للحق وتلبيساً على الخلق . الى ان قال : وانا نضع من رتبة نبينا «ص» بقولنا : النبي رمة في قبره وعصا احدنا انفع له منه .

الى ان قال : وانا نكفر الناس على الاطلاق اهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ومن فروع ذلك ان لا نقبل بيعة احد الا بعد التقرر عليه بانه كان مشركاً وان ابويه ماتا على الشرك بالله الخ فجميع هذه الخرافات جوابنا عنها سبحانك هذا بهتان عظيم فمن نسب الينا شيئاً من ذلك فقد كذب وافترى وان جميع ذلك وضعه علينا اعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك انواع الشرك الذي نص عليه بان الله لا يغفره ويغفر مـا دون ذلك لمن يشاء «انتهى» .

وتراه في نفس اعتـذاره الذي حاول فيه انكار تكفير المسلمين صرح بتكفيرهم وتشريكهم بقوله : « تنفيراً للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله بالعبادة وترك انواع الشرك » فحكم على الناس بانهم مشركون بشرك العبادة ، وان من ينسب الى الوهابية هذه الأشياء يريد تنفير الناس عن التوحيد وترك الشرك فكان بهذا الاعتذار شبيهاً بمـا يحكى ان رجلا قال لأعجمي لماذا تقلبون الذال زايـاً والقاف غيناً فقال (كزب الزي يغول زلك) ، وبما يحكى ان عالماً قال لبعض امراء الحرافشة : ان اهل هذه القرية يسبون الدين فمرهم بترك ذلك ، فامر الامير مناديه ان ينادي : (يا اهل القرية اتركوا مسبة الدين ومن سب منكم الدين فالأمير يحرق دينه ودين دينه) . وهؤلاء يصرحون بان التوحيـد لا يتم الا بتوحيد العبادة وان الناس مشركون وغير موحدين بتوحيد العبادة وان الذي احل دماء المشركين في زمن النبي «ص» واموالهم ودماءهم وسبي ذراريهم هو شركهم في العبادة وان المسلمين مثلهم بلا فرق. ومع ذلك يقولون: من نسب الينا انا نكفر الناس فقد كذب وافترى هذه خرافات هذا بهتان عظيم ومن نسب الينا انا نلزم المبايع الشهادة على نفسه وابويه بالشرك فقد كذب وافترى واتى بالخرافة والبهتان العظيم . هـل هذا الا التناقض الذي لا يرضى به لنفسه عاقـل . ومن نسب الينا انا نكفر الناس فقد كذب وافترى وقصد بافترائه تنفير الناس عن الرجوع عن شركهم الى اخلاص التوحيد . فهذا

(١) ص ٦

هو الاعتذار الذي وضعصاحب المنار فوقه الخطوط المستطيلة ليكون عذر الوهابية بارزاً جلياً للأنظار. ومن يكون أساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه كفر المسلمين وشركهم واستحلال اموالهم ودمائهم وسبي ذراريهم. وكتبهم مشحونة بالتصريح بذلك وقد طبع منها الألوف، الا يخجلون من انكاره والتبري منه بعبارة هي اقرار به ولئن صح عنهم قولهم عن النبي «ص» انه طارش ومضى وانه رمة في قبره وعصا احدنا انفع له منه أو لم يصح، فجعلهم قبر النبي «ص» وثنا وتعظيمه والتبرك به شركاً ومنعهم من زيارته أو من شد الرحال اليها وغير ذلك لا يقصر عن هذا القول ومعتقده لا يستبعد منه قول ذلك. وممن رام ستر ذلك والتملص منه عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فانه قال في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية [١] : فان قال منفر عن قبول الحق: يلزم من قطعكم ان من قال يا رسول الله اسألك الشفاعة، انه مشرك مهدور الدم، ان يقال بكفر غالب الأمة لا سيا المتأخرين لتصريح علمائهم ان ذلك مندوب وشنوا الغارة على المخالف. قلت لا يلزم لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو، ونقول فيمن مات: تلك امة قد خلت ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا وقامت عليه الحجة وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم وغير الغالب انما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون والاجماع في ذلك ممنوع قطعياً ومن شن الغارة فقد غلط ولا بدع فقد غلط من هو خير منه عمر بن الخطاب في مسألة المهر فلما نبهته المرأة رجع بل غلط الصحابة والنبي بينهم فقالوا اجعل لنا ذات انواط. ثم قال: فان قلت هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه، فكيف بمن حرر الأدلة وعرف كلام الأئمة واصر حتى مات ؟! قلت: ولا مانع ان نعتذر له ولا نقول بكفره لعدم من يناضل في هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه فلم تقم عليه الحجة بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً، ومن اطلع عليه اعرض عنه، ولم تزل اكابرهم تنهي اصاغرهم عن النظر في ذلك، وقد رأى معاوية واصحابه منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقتاله وهم مخطئون بالاجماع واستمروا على الخطأ حتى ماتوا، ولم يكفرهم احد من السلف ولا فسقهم بل اثبتوا لهم اجر الاجتهاد.

---

(١) ص ٤٠

ولا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه وورعه وزهده وبذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها وان اخطأ في هذه المسألة كابن حجر الهيثمي فانا نعرف كلامه في الدر المنظم [١] ونعتني بكتبه ونعتمد على نقله .

اقول : اعتذاره عن لزوم تكفير غالب الأمة بل كلها عدى الوهابيين بان لازم المذهب ليس بمذهب فذهابهم الى ان من قال : يا رسول الله اسألك الشفاعة مشرك مهدور الدم وان لزم منه تكفير غالب الأمة لا سيما المتأخرين المصرحين بانه مندوب الا انهم لا يقولون بهذا اللازم ، غير صحيح : (اولاً) لمخالفته لتصريحاتهم التي لا تقبل التأويل . (ثانياً) ان تكفير غالب الأمة ليس بلازم المذهب بل هو عين المذهب فان مذهبهم ان كل من توسل أو تشفع بمخلوق فقد اشرك فإذا كان المسلمون يفعلون ذلك فمذهبهم انهم مشركون بطريق الصراحة ودلالة المطابقة لا بطريق اللزوم ، وقياسه على مسألة التجسيم ان صحت قياس مع الفارق ، فالقائل بجهة العلو لا يصرح بالتجسيم لكن يلزم من جهة العلو الجسمية ولكن لا يلزم ان يكون القائل بجهة العلو قائلا بالتجسيم لجواز ان يعتقد الشخص شيئاً ولا يعتقد بلازمه بل اذا سئل عن لازمه يبرأ منه ولذلك لم يكن لازم المذهب مذهباً بخلاف ما نحن فيه اذ مذهب الوهابية ان المتشفع والمتوسل بغير الله مشرك ، وهذا شامل بوجه العموم والدلالة المطابقية لمن يقول يا رسول الله اشفع لي لا بوجه الملازمة ولا يمكن الجمع بين القول بان من تشفع بغير الله مشرك ومن قال يا رسول الله اشفع لي ليس بمشرك بل هو تناقض صريح محال بخلاف الجمع بين القول بجهة العلو والقول بعدم الجسم فانه ممكن واقع .

وان ارادوا انهم لا يكفرون من يعتقد رجحان التشفع اذا لم ينطق به ، ففيه اولا انه اذا كان سؤال الشفاعة كفراً وشركاً لزم ان يكون معتقد جوازه كافراً مشركاً وان لم يتلفظ بالسؤال فهو كمن يعتقد جواز السجود للصنم وان لم يسجد. والكفر كما يكون بالاعمال يكون بالاعتقاد . ثانياً : ان هذا لو سلم لا ربط له بمسألة كون لازم المذهب ليس

---

(١) اسم كتابه الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم لا الدر المنظم فالظاهر انه وقع سهو في ابدال احدهما بالآخر وهذا الكتاب هو الذي يرد فيه على ابن تيمية ويذمه باقبح الذم وسيأتي نقل كلامه فيه في فصل زيارة القبور وهو الذي أشاروا اليه بقولهم فانا نعرف كلامه الخ — المؤلف —

بمذهب. ثالثاً: انه لا يوجد بين المسلمين من لم يقل طول عمره يا رسول الله اسألك الشفاعة ولم يهتف باسمه ولم يستغث ولم يتوسل به ولم يفعل شيئاً مما يرونه كفراً وشركاً بل اعتقد جوازه فقط ولم يفعله ، وهم قد قطعوا بأن من قال ذلك مشرك مهدور الدم كما صرحوا به في نفس السؤال ، فقد قطعوا بان جميع المسلمين مشركون مهدورة دماؤهم ، ولم ينفع هذا الاعتذار مهما اكثر صاحب المنار فوقه من الخطوط المستطيلة ليزيد في ظهوره للابصار وجلوته للانظار .

اما تقييده التكفير ببلوغ الدعوة الوهابية وقيام الحجة مع الاصرار مستكبراً معانداً فهو مخالف لما ذكره ابوه وغيره كما عرفت من اطلاق اسم الكفر والشرك والارتداد ونحو ذلك على عامه المسلمين من دون تقييد بذلك في مواضع تنبو عن الحصر بل عرفت تصريح الصنعاني احد مؤسسي مذهبهم بأن كفر المسلمين اصلي لا ارتدادي ، وكل ذلك مبطل لهذا العذر الواهي ، وجميع الوهابيين لا يخاطبون المسلمين الا بقولهم يا مشرك من غير نظر الى قيام الحجة على المخاطب وعدمه ، وسمعت بعض النجديين في مجلس صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي بحضر صديقنا الشيخ عبد الرزاق البيطار يقول : قرر الاخوان ان لا يخاطبوا احداً الا بقول يا مشرك حتى لو اراد احدهم شراء لبن بعشر بارات فعليه ان يقول يا مشرك اعطني لبناً بعشر بارات ، فمع كل هذه التصريحات لا ينفع هذا الاعتذار عن الوهابيين شيئاً . اما اعتذاره عمن مضى بانهم مخطئون معذورون لعدم بلوغ الدعوة لهم وتنظيره بغلط عمر في المهر والصحابة في ذات انواط : ففيه ان معتقد الكفر والشرك غير معذور لقيام الحجة عليه من العقل والنقل قبل ان يخلق الله الوهابيين ولو كان معذوراً لعذر عبدة الاصنام من اهل الجاهلية الذين ماتوا في الفترة ولم يقل احد بعذرهم مع ان بلوغ الدعوة المعتبر انما هو بلوغ الدعوة النبوية الى التوحيد وترك عبادة الاوثان وهذا قد حصل ومع ذلك فقد بقي المسلمون مصرين على عبادة الاوثان بقولهم : نسألك الشفاعة يا رسول الله ، وجهلهم بانه شرك لا يكون عذراً كجهل من عبد الاصنام بعد الاسلام ، والمجتهد معذور مثاب وان اخطأ في الفروع لا في الاصول . ومن ذلك يظهر بطلان التنظير بغلط عمر في المهر لانه في مسألة فرعية لا في مسألة اعتقادية توجب الشرك واما التنظير بغلط الصحابة وبينهم النبي (ص) في ذات انواط فنقول لو لم يرجعوا عن ذلك

لاشركوا فبطل التنظير . واما اعتذاره عن عدم كفر من حرر الادلة وعرف كلام الأئمة ومات مصراً : بأنه لم يكن في زمانه وهابية يناضلون باللسان والسيف والبنادق ، فلم تقم عليه الحجة ، فغير صحيح لما عرفت من انه يكفي في قيام الحجة ادلة الشرع من العقل والنقل بعد ما اكمل الله الدين واتم الحجة قبل خلق الوهابية ثم ان هؤلاء المسلمين الذين يكفرهم الوهابية ويشركونهم ، يعتقدون ان حججهم اقوى من حجج الوهابية وان الوهابية مخطئون وكلهم يقولون لو ظهر لنا صحة اقوال الوهابيين لاتبعناها فكيف قامت عليهم الحجة وبقوا مصرين معاندين ، اللهم الا ان تكون حجة السيف والرصاص (وآية السيف تمحو آية القلم) ، وليس مع الوهابية معجز تقوم به الحجة كما كان مع الانبياء ولو كانت الحجة تقوم باللسان والسنان لما احتاج الأنبياء الى المعجز كما لم يحتج اليه الوهابية ، ولو كانت الحجة لا تقوم الا بالسيف والسنان لكان الذين قبل منهم النبي (ص) الجزية ولم يجبرهم على الاسلام لقوله تعالى (لا إكراه في الدين) معذورين لأنهم لم تقم عليهم الحجة . ونسبته الى علماء المسلمين انهم تواطئوا على هجر كلام أئمة السنة والاعراض عنه افتراء وسوء ادب ، واذا كان منتهى قيام الحجة المناضلة باللسان والسيف والسنان ، لم يكن معوية واصحابه معذورين ، فقد ناضلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام باللسان والسيف والسنان فكيف عذرتهم الامة واثبتت لهم أجر الاجتهاد . واما قوله لا نكفر من صحت ديانته الخ وان اخطأ في هذه المسألة فكيف تصح ديانته ويعتمد على نقله وقد اعتقد الكفر والشرك وفعل ما يوجبه وما ينفعه مع ذلك التدريس والتأليف (ان الله لا يغفر ان يشرك به)

وممن رام ستر الحقائق وانكار تكفير الوهابيين للمسلمين بكلام هو اقرار واعتراف بتكفيرهم للمسلمين ولم يبال بالتناقض الصريح الواقع في كلامه وكلامهم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) فانه قال [1] ان الامير فيصلا نجل السلطان عبد العزيز آل سعود نشر بلاغاً في شوال سنة ١٣٤٢ جاء فيه ان اهل نجد يوافقون اخوانهم اهل مصر والهند في وجوب عرض مسألة الخلافة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلا صحيحاً ، وتعقبه صاحب المنار بقوله: فهذه تصريحات قطعية

---

(١) صفحة ٣٧

ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الاسلامية اخوانا لهم خلافاً لما يفترى عليهم من عدم اعتراف النجديين لاحد بالاسلام غير الوهابيين «انتهى» ووصف في المجموعة المذكورة [١] مؤتمر الشورى المنعقد في الرياض في ذي القعدة سنة ١٣٤٢ وانه اجتمع فيه كبار علماء البلاد وزعماؤها ورؤساء الاجناد وقوادها وتذاكروا في امر الحج وان السلطان ابن سعود اجابهم بما معناه ان شريف مكة لا يمنعكم من الحج ولكنه يخشى وقوع فتنة في الموسم وفيه المسلمون كل جنس الخ ثم قال ما نصه: وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده باسلام جميع الشعوب الاسلامية والرغبة في التعارف والتواد معها، هذا كلامه « معزى ولو طارت »[٢] فاذا كانت هذه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل من سلطان نجد وعلماء بلاده وحكامها باسلام جميع الشعوب الاسلامية واخوتها للوهابية واذا كان في رسائل علماء بلاده التي طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد كما كتب على ظهرها، وغيرها من رسائل ابن عبد الوهاب التي طبعها صاحب المنار. وفي كلام صاحب المنار نفسه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل كما بيناه فيما سبق بتكفير جميع المسلمين واشراكهم عدى الوهابيين ومناداة بتكذيب هذه الدعوى وبأن مدعيها كمن يقول بان مكة ليست بموجودة والوهابيون لم يوجدوا في الدنيا ، كان كلام الوهابية ومنهم صاحب المنار متناقضا تناقضاً صريحاً قطعيا لا يقبل التأويل ومن لا يبالي بالتناقض الصريح في كلامه لا يتكلم معه فعند حاجتهم الى المسلمين في ميدان السياسة وجلب القلوب يسمونهم اخوانهم ويعترفون باسلامهم وعند بيان معتقدهم وأساس مذهبهم ونشر دعوتهم يكفرون المسلمين ويشركونهم بدون تحاش فهم في ذلك كالنعامة قيل لها احملي قالت انا طائر قيل لها طيري قالت انا جمل . وكأن صاحب المنار يرى من موجبات الأخوة وأهم اسباب التعارف بين الوهابيين والشعوب الاسلامية والتواد معها غزوها وشن الغارات عليها وقتلها كلما سنحت الفرصة لتتوثق عرى الاخوة ويتم التعارف وتكمل المودة .

---

(١) صفحة ٣٨ ـ ٤١

(٢) يقال ان رجلين رأيا غربانا واقعة على الارض فقال احدهما هذه غربان وقال الاخر هذه معزى ثم طارت فقال الاول اعلمت انها غربان فقال له الثاني هي معزى ولو طارت ـ المؤلف ـ

وهذا حديث اجمالي عن اعتقادات الوهابية وتفصيل ذلك ورده في الباب الثاني والباب الثالث .

وحيث ذكرنا معتقدات الوهابية اجمالا فيناسب ان نذكر هنا بعض ما يدل اجمالا على فساد شبهتهم في حكمهم بشرك جميع المسلمين ، وهو ما رواه البخاري في باب الصلاة على الشهيد وعلامات النبوة والمغازي وذكر الحوض، ومسلم في فضائل النبي (ص)، وابو داود في الجنائز ، كذا النسائي [١] عن النبي (ص) اني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخاف الدنيا ان تنافسوا فيها وفي رواية لمسلم [٢] ان تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلكم . ولو كان الامر كما زعم الوهابية من ان الناس اشركت كلها قبل ظهورهم وانهم جاؤا ليدعوهم الى التوحيد للزم تكذيب هذه الاحاديث كلها. وقوله «ص» ألا ان الشيطان قد أيس ان يعبد في بلدكم هذا ابداً ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحقرون من اعمالكم فيرضى بها. رواه احمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وهذا ينافي حكم الوهابيين باشراك اهل مكة بل قالوا انهم لم يروا بلداً تعبد فيه القبور والاموات مثل مكة. وقوله «ص» ان الشيطان قد ايس ان تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن رضي منهم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات ، رواه الحاكم وصححه وابو يعلى والبيهقي . وفي رواية انه «ص» قال ان الشيطان قد يئس ان يعبد في جزيرة العرب . ومكة والمدينة من جزيرة العرب قطعاً . بل حكى في النهاية الاثيرية عن انس بن مالك انه قال اراد بجزيرة العرب المدينة نفسها وهذا ينافي حكمهم باشراك اهل جزيرة العرب عدا نجد بعبادة الاوثان وقال «ص» ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ذكره ابن الأثير في النهاية وفيه من المبالغة في ثبوت الايمان ورسوخه في المدينة ما لا يخفى المنافي لما يدعيه الوهابية من رسوخ الكفر فيها وجعل بلادهم بلاد الايمان .

---

(١) صفحة ٣١

(٢) ص ١٦٠ ج ٩ بهامش ارشاد الساري

فصل

من آثام الحكم السعودي

في موسم حج العام ١٣٦٢ سفك السعوديون في مكة دم حاج ايراني جاء من بلاده يطوي المراحل تقرباً الى الله بالحج الى بيته فتقرب السعوديون بقتله ظلماً وعدواناً فسجلوا بذلك صفحة جديدة من صفحات غدرهم بالمسلمين واستهانتهم بدمائهم . ولقد كان لهذا الحادث ضجة كبرى شملت العالم الاسلامي وتركته في غليان شديد .

وبعد ان تباهى السعوديون بفعلتهم تلك عادوا يحاولون التنصل منها بعد ان رأوا ما تركته من ثورة وهياج عليهم في كل مكان واليك تفصيل الحادث وذيوله :

تفصيل الحادث

كان الحاج الايراني عبده طالب بن حسين يطوف حول الكعبة محرماً خاشعاً فاصيب وهو في طوافه بدوار فانقض عليه الزبانية السعوديون وساقوه الى ساحة الموت حيث قطعوا رأسه واجروا دمه في اقدس بقعة اسلامية ، ثم لم يخجلوا مما فعلوه فنشروا في جريدة ام القرى التي يصدرونها في مكة في عددها ٩٩٠ بلاغاً رسمياً رقم ٨٢ قالوا فيه :

القت الشرطة القبض في بيت الله الحرام في يوم ١٢ ذي الحجة ١٣٦٢ على المدعو عبده طالب بن حسين الايراني من المنتسبين الى الشيعة في ايران وهو متلبس بأقذر الجرائم واقبحها وهي حمل القاذورات « العذرة » ، وهو يلقيها في المطاف حول الكعبة المشرفه بقصد ايذاء الطائفين واهانة هذا المكان المقدس وبعد اجراء التحقيق بشأنه وثبوت هذا الجرم القبيح منه فقد صدر الحكم الشرعي بقتله وقد نفذ حكم القتل فيه في يوم السبت في ١٤ ذي الحجة ١٣٦٢ ولذا حرر «انتهى»

هذا هو البلاغ الرسمي الوقح الذي برروا به جريمتهم ، والحقيقة ان عقيدتهم في استحلال دماء المسلمين هي وحدها كانت الباعث لهم على استغلال الدوار الذي اصيب به الحاج الشهيد حيث شفوا احنهم باهراق دمه وقطع رأسه .

صدى الحادث

ولم يكد يعلن الحادث الذي شهده مئات الالوف من المسلمين والذي تناقلت خبره

اسلاك البرق في كل مكان حتى هاجت النفوس على السعوديين فقطعت ايران علاقتها معهم بعد ان قدمت احتجاجاً صارخاً ، وثار البرلمان الايراني ، واننا لننقل بعض ما جرى فيه عن جريدة « النهار » البيروتية الصادرة يوم السبت في ٥ شباط سنة ١٩٤٤ .

طهران – اثار بعض النواب ضجة حول اعدام الحاج الايراني في الحجاز وسأل فريق منهم وزير الخارجية ماذا كان جواب الحكومة العربية السعودية على الاحتجاج الايراني ، فاجاب الوزير ان الحكومة الايرانية تلقت جواباً حاولت فيه حكومة الحجاز تبرير عملها وقد عدت طهران هذا الجواب غير مرض وقررت ان ترد عليه بمذكرة شديدة اللهجة قبل ان تتخذ التدابير التي يتطلبها الموقف .

وقالت « النهار » في نفس العدد :

اذاع راديو انقره نقلا عن القاهرة ان حادثا خطيراً وقع بين ايران والمملكة العربية السعودية قد يؤدي الى وقف العلاقات بين الدولتين .

وقد تلقت جريدة « جمهوريت » رسالة من طهران جاء فيها ان حكومة الشاه بعثت بمذكرة الى الحكومة العربية السعودية تحتج فيها احتجاجاً شديد اللهجة على اعدام احد الحجاج الايرانيين . وتفصيل الحادث ان الحاج المذكور اتهم بانتهاك حرمة الكعبة المشرفة عمداً فاعتقل وحوكم فقضى الحاكم باعدامه . وقد نفذ الحكم به فوراً .

والظاهر ان جواب الحكومة السعودية على احتجاج ايران عد في طهران غير مرض .

ولم تكتف حكومة ايران بالاحتجاج الى الحكومة السعودية بل قدمت مذكرة الى الحكومة المصرية تلفتها فيها الى خطورة الحادث بوصفها المكلفة حماية الحجاج الايرانيين في البلاد العربية السعودية .

وتقول صحف طهران في تعليقها على الحادث ان الديار المقدسة ليست ملكا لابن السعود وحكومته فعلى الأمم الاسلامية ان تؤمن سلامة ابنائها الذين يحجون الى مكة المكرمة بانشائها قوة مسلحة ذات طابع دولي «انتهى» .

تراجع السعوديين

والواقع ان النقمة على الحكم السعودي بسبب هذا الحادث بلغت ذروتها فاضطر السعوديون للتراجع

وحاولوا ستر فضيحتهم — ولكن هيهات — واليك نموذجاً مما نشروه ، فقد جاء في العدد ١٨٤١ من جريدة « الرابطة الشرقية » ما يلي :

القاهرة ٤ — اوضحت الاوساط السعودية في القاهرة الحادث الايراني السعودي الذي تأثر له العالم الاسلامي في الشرق الاوسط ، وقد اعلنت ان الرجل المحكوم عليه بالموت ليس شيعياً بل مجوسيا لا ينتمي الى مذهب من مذاهب الاسلام .

وهذا الكافر تجرأ وستة عشر من رفاقه المجوسيين على تدنيس الكعبة المقدسة متحديا الاسلام . وحاول الحجاج تمزيقه ولكن رجال الامن اقبلوا في الموعد وقبضوا على الكافرين واحالوهم الى محكمة دينية شرعية .

وقد حكم عليهم جميعا بالموت ، ولكن تدخل وزير العدل المصري — وكان يومذاك في مكة — قضى بقتل واحد وابعاد الآخرين الى ايران .

وترى الاوساط السعودية في القاهرة انه يجب اعتبار القضية مفروغا منها ما دامت اعلنت الحكم محكمة شرعيه قانونية «انتهى» .

وهكذا بعد ان نشروا بلاغا رسميا في ام القرى اكدوا فيه ان الشهيد هو شيعي عادوا هنا يقولون انه مجوسي ثم صرحوا انهم لم يكونوا يريدون ان يقتلوه وحده بل كانوا يريدون ان يقتلوا معه ستة عشر حاجا غيره ، اما المحكمة الشرعية القانونية فهي من عرفت — فيما مر — كفاءتها ونزاهتها وعلمها .

رد المؤلف

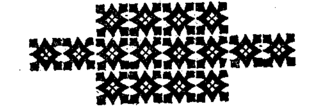
وعلى اثر ما نشروه اذاع مؤلف هذا الكتاب بيانا قال فيه :

بيان حقيقة

لقد كثر اللغط حول مسألة الرجل الايراني المسلم الموحد الحاج الى بيت الله الحرام الذي قتل ظلما وعدوانا في حرم الله وامنه الذي من دخله كان آمنا والذي يأمن فيه الطير والوحش « مكة المكرمة » بحجة لا تنطلي على الأطفال الرضع وابانت عن ان قابليها ليسوا اهلا للحكم : هي انه القى النجاسة في المسجد الحرام ، والحقيقة ان سبب ذلك هو التعصبات المذهبية المعروفة وان الرجل كان يطوف فغلب عليه الضعف فشهدوا عليه بانه جاء ليلقي النجاسة في المسجد فحكم بقتله بدون سؤال ولا تحقيق كما اخبرنا بذلك

متواترا الحجاج الصادقون الذين شاهدوا الحادث، وهو لا يحتاج الى اخبار مخبر بل كل من عنده ادنى ذرة من العقل لا يمكن ان يصدق بان رجلا مسلما تحمل المشاق من بلاد بعيدة وصرف الأموال الكثيرة لأجل ان يلقى نجاسة في المسجد الحرام وهو معظم عنده اكثر من الذين حكموا بقتله، وان كان غير مسلم فما الذي يدعوه لأن يسافر من شقة بعيــدة ويصرف اموالا طائلة ليلقي نجاسة في مسجد المسلمين وما الذي يجنيه من وراء ذلك .

والدولة الايرانية ليست وحدها التي ستطالب بدم هذا المسلم البريء بل سيطالب به بحق مائة وخمسون مليونا من المسلمين أو اكثر ، هم بقدر الثلث من مجموع المسلمين .



الباب الثاني

في ذكر معتقدات الوهابية التي كفروا بها المسلمين وحججهم على ذلك وردها على وجه العموم

ناقلين لها من كتبهم المطبوعة المشهورة كرسالتي اربع القواعد وكشف الشبهات عن خالق الأرض والسماوات لمحمد بن عبد الوهاب ، والثانية هي التي الفها لأهل نجد حينما اتاهم بالدعوة وكتابهم الذي ارسلوه الى شيخ الركب المغربي وذكره الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٨ ورسالة تطهير الاعتقاد عن ادران الالحاد لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب ورسالتي الواسطة وزيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية باذر البذر الأول لمذهب الوهابية والرسائل الخمس المسمى مجموعها بالهدية السنية وتاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي الذي ينقل فيه عن كتبهم وغير ذلك مع استيفاء نقل كلماتهم كلها وردها وان أدى ذلك الى الاطالة وبعض التكرار :

قال محمد بن عبدالوهاب في رسالة اربع القواعد [١] ما حاصله : ان الخلاص من الشرك يكون بمعرفة اربع قواعد : الأولى ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بان الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر ولم يدخلهم ذلك في الاسلام لقوله تعالى(قل من يرزقكم) (الاية) . «الثانية» انهم يقولو ما دعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة (والذين اتخذوا من دون الله اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) « الثالثة » انه (ص) ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم فبعضهم يعبد الملائكة وبعضهم الانبياء والصالحين وبعضهم الأشجار والاحجار وبعضهم الشمس والقمر فقاتلهم ولم يفرق بينهم . الرابعة ان مشركي زماننا اغلظ شركاً من الاولين لان أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون .

(١) صفحة ١ - ٤ - الموضوع عليها ٢٤ - ٢٧ - طبع المنار بمصر

وقال في رسالة كشف الشبهات [١] ما حاصله : ان التوحيد افراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي ارسلهم الله به الى عباده فأولهم نوح (ع) ارسله الله الى قومه لما غلوا في الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وآخرهم محمد (ص) الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ارسله الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعتهم عنده كالملائكة وعيسى ومريم وغيرهم من الصالحين فبعثه الله يجددلهم دين ابيهم ابراهيم ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما والا فهم يشهدون ان الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر الأمر وان السماوات والارض وما فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره لقوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون . قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون) فاذا عرفت ان اقرارهم هذا لم يدخلهم في التوحيد وان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد [٢] وكانوا يدعون الله ليلا ونهاراً ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم الى الله ليشفعوا له او رجلا صالحاً كاللات او نبياً كعيسى عرفت انه (ص) قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم الى اخلاص العبادة كما قال (فلا تدعوا مع الله احداً . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وانه (ص) قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلها لله وان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام وان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دماءهم واموالهم وعرفت التوحيد

---

(١) صفحة ١ - ٣ الموضوع عليها - ٥٦ - ٥٨ - طبع المنار بمصر

(٢) يأتي نظيره في كلام الصنعاني حيث يقول بل يسمونه معتقداً كما ان سائر كلامه متوافق معه - المؤلف -

الذي دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار به المشركون وهو معنى لا إله الا الله فان الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الامور ملكا كان او نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً لا الخالق الرازق المدبر فأنهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما مر وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ « السيد » والمراد من كلمة التوحيد معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون ان مراده «ص» بها هو افراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله فانه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا « اجعل الآلهة الهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب » فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن ان ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله فلا خير في رجل جهال الكفار اعلم منه بلا اله الا الله . ثم قال : فاذا عرفت ان هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي انزل فيه القرآن وقاتل رسول الله «ص» الناس عليه فاعلم ان شرك الاولين اخف من شرك اهل وقتنا بأمرين احدهما ان الاولين لا يشركون الا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم . أرأيتم ان اتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون . واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه الى قوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار . واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين . الثاني : ان الاولين يدعون مع الله اناساً مقربين نبياً او ملكا ويدعون اشجاراً وأحجاراً مطيعة ليست عاصية واهل زماننا يدعون مع الله اناساً من افسق الناس يحكون عنهم الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

وقريب من ذلك ما حكي عن محمود شكري الالوسي في تاريخ نجد انه حكاه عن ابن عبد الوهاب ولعله لخصه وانتخبه من مجموع كلماته فانا لم نجده بهذه العبارات في كتبه المطبوعة .

قال بعد ذكر الايات الدالة على توحيد الله والرد على المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة اخرى والشرك المراد بهذه الايات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله

ورسوله محمد «ص» فانهم كانوا يدعونها ويلجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله زلفى كما حكى ذلك الله عنهم بقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله «الاية». والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» وغيرها من الايات. ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تعالى «ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قال حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما اقروا به من هذه الجمل ومجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية وقد أكذب الله المنافقين فيما اتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم مع انهم أتوا بالفاظ مؤكدة بانواع التأكيدات قال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فأكدوا بلفظ الشهادة وان واللام والجملة الاسمية فأكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما اكدوا به شهادتهم سواء بسواء وزاد التصريح باللقب الشنيع وبهذا تعلم ان مسمى الاذعان لا بد فيه من الصدق والعمل ومن شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام قال تعالى(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) الآية «انتهى» .

والجواب : اما اجمالا : فان جعله ما يصدر من المسلمين في حق الانبياء من الاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم الذي مرجعه الى طلب الدعاء منهم والنذر والذبح لله والتصدق به واهداء الثواب اليهم الذي توهم انه نذر وذبح لهم وتعظيمهم وتعظيم قبورهم والتبرك بها وغير ذلك عبادة لهم ولقبورهم كعبادة الاصنام خطأ وغلط فانه ليس المراد من العبادة التي لا تصلح لغير الله وتوجب الشرك والكفر اذا وقعت لغيره مطلق التعظيم والخضوع كما

مر مفصلا في المقدمات بل عبادة خاصة لم يصدر شيء منها من آحد من المسلمين . واما تفصيلا فقوله في رسالة اربع القواعد ان الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بان الله هو الخالق الرازق المدبر وان ذلك لم يدخلهم في الاسلام فنقول لم يدخلهم في الاسلام لأنهم يكذبون رسول الله (ص) ويقولون انه ساحر كذاب وينكرون جميع شرائعه ويدينون بدين الجاهلية وهذا كاف في كفرهم سواء تشفعوا بالاصنام وعبدوها او لا فكيف يقاس بهم ويجعل مساوياً لهم من يؤمن بالله وبرسوله وبأن جميع ما جاء به من عند الله حق لأنه يتشفع الى الله تعالى بمن جعله شافعاً ومشفعاً ويتوسل اليه بمن جعل له الوسيلة سبحانك اللهم ما هذا التمويه والتضليل وليس موجب كفرهم تشفعهم بالانبياء والصالحين كما زعم واستدلاله على ذلك بالآيتين واضح الفساد كما يأتي في الفصل الثاني من الباب الثالث . قوله انه «ص» ظهر على قدم متفرقين في عبادتهم فقاتلهم ولم يفرق بينهم . نعم لم يفرق بينهم لاشتراكهم جميعاً في تكذيبه وانكار نبوته ورد ما جاء به من عند ربه والتمسك بأديان آبائهم الفاسدة وهؤلاء لا فرق بين ان يعبدوا ملكا أو نبياً او صنما او كوكبا او لا يعبدوا . وانما يتم لابن عبد الوهاب ما اراد لو كان بعضهم آمن بالنبي «ص» وصدق بجميع ما جاء به ولكنه بقي يتشفع الى الله بنبي أو صالح فقاتله النبي «ص» ولم يفرق بينه وبين من يعبد الحجر والشجر والشمس والقمر وانى له بذلك .

اما قوله في كشف الشبهات ان الله تعالى ارسل محمداً «ص» الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله فيظهر فساده من وجوه: الاول: انهم كانوا يتعبدون ولكن كانت عبادتهم كما أخبر الله تعالى عنها بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) المكاء التصفير والتصدية التصفيق . في الكشاف كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها يقصفون « انتهى » . كانوا يتعبدون فيسجدون للاصنام التي نهى الله عن السجود لها ويقربون لها القرابين ويهلون عليها باسمائها ويطلونها بدمائها هذه كانت عبادتهم ويحجون ولكنهم احدثوا في الحج بدعاً وقبائح كثيرة . منها : انهم كانوا يطوفون عراة رجالا ونساء وعوراتهم بادية يتقربون الى الله بذلك . وقصة المرأة التي الزموها بذلك وكانت

جميلة ففعلت واجتمع اهل مكة للنظر اليها فطافت عارية ويدها على فرجها وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا احله

مشهورة فهؤلاء الذين انحصر كفرهم وشركهم في تشفعهم بالصالحين عند ابن عبد الوهاب (ويتصدقون) مع تكذيبهم الرسل فما تنفعهم صدقاتهم (ويذكرون الله) أحياناً ان صح ذلك وفي غالب أحوالهم أو كلها يعرضون عن ذكر الله ويذكرون اسماء أصنامهم كما كانوا يقولون (أعل هبل) وكانوا يذكرون اسماءها على ذبائحهم دون اسم الله. وما أدري لمَ لم يقل ابن عبدْ الوهاب ويصلون ويزكون ولا يزنون ولا ينكحون ما نكح آباؤهم ولا يشربون الخمر ولا يعملون الميسر ولا الأنصاب ولا الأزلام ولا يأكلون الربا ولا يئدون البنات ويفعلون جميع شرائط الاسلام حتى صلاة التراويح ولا يصدر منهم الا امر واحد وهو التشفع بذوي المكانة عند الله وجعلهم وسائط بينهم وبينه كالملائكة وعيسى فلذلك قاتلهم النبي «ص» وحكم بشركهم وكفرهم أليس كذلك أيها الاخوان ألم يقل الله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) ألم يكونوا يكرهون فتياتهم على البغاء وهن يردن التحصن ألم يكونوا يفعلون جميع الموبقات والمنكرات وأفعال الجاهلية فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يقول ان رسول الله «ص» لم يقاتلهم الا على تشفعهم الى الله بالملائكة والأنبياء والصالحين .

الثاني : ان حصره شرك وكفر من بعث اليهم النبي «ص» في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله جهل أو تمويه . أما مشركو قريش فانهم وان اعتقدوا ان الرازق الخالق المحيي المميت المدبر الأمر المالك ما في السماوات والأرض هو الله كما دلت عليه الآيات التي ذكرها الا أنه لا شيء يدلنا على أنهم لا يعتقدون في الأصنام والأوثان ومعبوداتهم من الجن والانس والملائكة انه لا تأثير لها في الكون وان التأثير وحده لله تعالى وهي شافعة فقط اذ يجوز أن يعتقدوا ان لها تأثيراً بنفسها بغير ما في الآيات المستشهد بها فتشفي المرضى وتنصر على الأعداء وتكشف الضر وغير ذلك وانها تشفع عند الله حتما ولا يرد شفاعتها أو ان الله تعالى جعل لها قسطاً من التأثير أو كله اليها بل ظاهر الآيات هو ذلك مثل قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) بل ظاهر قوله تعالى (واذا قيل لهم إسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) انهم كانوا لا يسجدون لغير الأصنام ولا يعتقدون

الها غيرها وظاهر قوله تعالى حكاية عن أهل جهنم (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) اعتقادهم انها مساوية لرب العالمين وان لم يكن من جميع الوجوه بل يخرج عنه الأمور المذكورة في الايات المستشهد بها في كلام ابن عبد الوهاب وذلك كاف في الشرك والكفر وذلك أيضاً ظاهر جميع الايات الدالة على اتخاذهم آلهة من دون الله وشركاء لله ونحو ذلك . مثل (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا . أئنا لتاركو آلهتنا . أإفكا الهة دون الله تريدون . أجعل الالهة الها واحداً . ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون . وقالوا آلهتنا خير أم هو . أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا . وقالوا لا تذرن آلهتكم . وما نحن بتاركي آلهتنا . فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله . الذين يجعلون مع الله الهاً آخر . قل لو كان معه آلهة كما يقولون . واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) الى غير ذلك .

وكيف يمكن حصر شركهم وكفرهم في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله وهم يكذبون رسول الله «ص» ويجعلونه ساحراً وينكرون ما جاء به من عند ربه من الاحكام والشرائع مع ظهور المعجزات على يديه ويتمسكون بدين الجاهلية كما مر أفلا يكفي هذا في كفرهم وشركهم وماذا ينفعهم الاقرار بوجوده تعالى والعبادة والحج والصدقة وذكر الله ان سلم صدور ذلك منهم وهل ينفي ذلك عنهم الكفر الذي أوضحناه ويحصر شركهم في تشفعهم بالصالحين ؟ هيهات.

وكيف يمكن حصر كفرهم في ذلك وقد بدلوا دين الله تعالى الذي جاءهم به ابراهيم «ع» فاحدثوا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء [1] وغير ذلك من مبتدعاتهم ومخترعاتهم وهذا أيضاً كاف في كفرهم مع أنهم قد عبدوا الأصنام والأوثان والملائكة

(١) البحيرة : الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فان كان آخرها ذكراً بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ولو لقيها المعيي لم يركبها (والسائبة) كان الرجل يقول اذا قدمت من سفري او برأت من مرضي فناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في تحريم الانتفاع (والوصيلة) كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت ذكراً ذبحوه لآلهتهم فان ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر (والحامي) الفحل كان اذا نتجت من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى (والنسيء) كانوا اذا احتاجوا الى القتال في شهر حرام قاتلوا فيه واخروه الى شهر غيره وجعلوه مكانه فتركوا فيه القتال . — المؤلف —

وجعلوهم شركاء لله تعالى وعبادتهم لهم مشاهدة معلومة ولم تكن تلك العبادة مجرد التشفع والتوسل بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة وما يجري مجرى ذلك كما موه به ابن عبد الوهاب (أما عبادتهم للأصنام والأوثان) فانهم عمدوا الى أصنام من حجر أو نحاس أو خشب أو غيرها على صور قوم صالحين متوهمة أو غيرهم عملوها بايديهم والى اشجار فعبدوها من دون الله وسجدوا لها ونحروا وذبحوا لها واهلوا بذبائحهم لها وذكروا اسماءها عليها دون اسم الله وطلوها بدمائها كما قال قائلهم :

اما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما

وطلبوا منها كل ما يطلب من الله وأعرضوا عن عبادة الله فكانوا يقولون لا طاقة لنا على عبادة الله فنحن نعبدها لتقربنا الى الله وهذا أيضاً صريح في ان عبادتهم لها غير طلب الشفاعة منها وتشفعوا بها وخالفوا امر الله وانبيائه في نهيهم عن عبادتها وطلب شيء منها عناداً وعتواً وخالفوا مقتضى عقولهم الحاكمة لو رجعوا اليها بانها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تقرب ولا تشفع ولو كانت على صورة نبي أو صالح فان الشافع هو النبي أو الصالح لا صورته الموهومة ولا تدفع عن أنفسها بول الثعالب عليها ولا تروث الدواب فوقها فقد كان لبعضهم صنم فجاء ثعلب فبال عليه فقال قائلهم :

لرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ومنهم من عمل صنما من تمر فسجدوا له أول النهار وعبدوه فلما كان آخر النهار جاعوا فأكلوه . وكانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله واشياء منها لآلهتهم فاذا زكا ما جعلوه لله رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه وذلك قوله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) ولم يفعل أحد من المسلمين شيئاً من ذلك مع نبي ولا ولي ولا قبر ولا غيره وإنما تشفع المسلمون بمن جعله الله شافعاً وتوسلوا بمن جعل له الوسيلة وما التشفع سوى سؤال الدعاء الذي لا ينكره الوهابية وكذا الاستغاثة وما جرى مجراها لا تخرج عن سؤال الدعاء وأهدوا ثواب الصدقة بالمذبوح الى النبي أو الولي الذي ثبت جواز اهداء الثواب اليه ولم يذكروا اسمه عليه بل اسم الله تعالى كما سيأتي تفصيل ذلك كله في الفصول المختصة بذلك . فهذه

الاعتقادات والأعمال والتكذيب للرسل هي التي قاتلهم النبي «ص» عليها ودعاهم الى تركها لا على مجرد التشفع بنبي أو صالح والتوسل به الى الله تعالى . واما عبادتهم للملائكة فقد اتخذوهم اربابا من دون الله كما يدل عليه قوله تعالى في سورة آل عمران (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الى قوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وفي هذا دليل على أنهم فعلوا أو اعتقدوا بالنسبة اليها ما هو من خصائص الربوبية ولا يليق الا بالله تعالى من سجود ونحوه من أنواع العبادات والاعتقادات وليس لنا ما يدل على انه لم يصدر منهم الا مجرد التشفع بالملائكة الى الله . وذكر صاحب الكشاف في تفسير الاية انه «ص» كان ينهي قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر «الاية» وقوله تعالى في ذيلها أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له « انتهى » وفي ذلك دليل على ان اتخاذهم الملائكة أرباباً كان من هذا السنخ بارادة عبادتهم لهم بالسجود وغيره كما أرادوا ان يتخذوه « ص » رباً ويسجدوا له . وكانوا يقولون في الملائكة انهم بنات الله كما قالت اليهود والنصارى في عزير والمسيح انهما ابنا الله وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك كله بقوله في سورة الزخرف (وجعلوا له من عباده جزءاً . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . وجعلوا الملائكة الذينهم عباد الرحمن إناثا . وقالوا لو شاء الله ما عبدناهم) ففي قوله تعالى لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة أرباباً دليل على فعلهم معها ما هو من خصائص الربوبية كما مر وقوله تعالى (لو شاء الله ما عبدناهم) صريح في عبادتهم لهم ولا شيء يدل على أنها كانت مجرد الاستغاثة والتشفع بل ما مر يدل على عدمه . وقوله بما ضرب للرحمن مثلا دليل على جعلهم لها مماثلة لله تعالى ومشابهة له لأن الولد مماثل للوالد ومن جنسه وكذلك قوله من عباده جزءا (قال صاحب الكشاف) فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له « انتهى » وافتروا على الله في ذلك عدة افتراءات . « احداها » نسبة الولد الى الله تعالى « ثانيتها » نسبتهم اليه أخس النوعين الذي كانوا اذا بشر به أحدهم ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ووأده حياً « ثالثتها » جعلهم لها من الملائكة الذين هم من اكرم عباد الله

عليه فاستخفوا بهم « رابعتها » نسبتهم الى الله تعالى أنه رضي لهم عبادة الملائكة . وبذلك ظهر أن كفرهم ليس لمجرد استغاثتهم بالملائكة وتشفعهم وتوسلهم بهم وستعرف ان الملائكة ممن ثبتت لهم الشفاعة باعتراف الوهابية فالمتشفع بهم ليس مخطئاً فضلا عن ان يكون مشركا وكذا المتشفع بالنبي «ص» ومن جعل الله له الشفاعة فليس مخطئاً فضلاً عن ان يكون مشركا فكيف يقاس من يستغيث ويتشفع ويتوسل بنبي أو وصي ليشفع له الى الله تعالى بالمشركين في عبادتهم الملائكة وكون قريش لم تكن تعتقد في الملائكة انها تخلق وترزق وتدبر الأمر من دون الله بدليل (قل من يرزقكم من السماء والأرض الى قوله فسيقولون الله) لا يدل على ان كفرها وشركها لتشفعها وتوسلها واستغاثتها بالملائكة لأن الشرك يكون بغير اعتقاد الخلق والرزق مما مر في صدر الكلام ولو كان الصادر منها الاستغاثة بالملائكة والتشفع بها فقط لم يكن ذلك موجباً لشركها وكفرها واما من عبد المسيح وامه فلم يكن منه مجرد الاستغاثة والتوسل وطلب الشفاعة قطعاً بل جعل المسيح «ع» الها مستحقا لجميع صفات الألوهية وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن تارة بانهم قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وتارة انهم قالوا إن الله ثالث ثلاثة المسيح أحدهم وذلك انهم قالوا الاقانيم الثلاثة آله واحد وتارة انهم اتخذوه وامه الهين من دون الله بقوله تعالى : (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) وتارة ان المسيح ابن الله فتسوية ابن عبد الوهاب بين من يستغيث ويتشفع ويتوسل من المسلمين الى الله بنبي أو ولي جعل الله له الشفاعة والوسيلة وجعله مغيثاً بدعائه وبين من يعبد المسيح وامه تمويه وتضليل .

وأما قوم نوح «ع» فقد فعلوا فعل مشركي قريش من تكذيب الرسل وانكار ما جاءت به وعبادة غير الله كما اخبر بذلك عنهم القرآن الكريم وكفى ذلك في كفرهم ولم يرد في دليل قوي ولا ضعيف ان عبادتهم لغير الله كانت مجرد التشفع والتوسل اليه بالصالحين وانهم كانوا يقيمون جميع شرائع الدين سوى هذه وان نوحا «ع» ما بعث الا لينهاهم عن التوسل بالصالحين والتشفع بهم وأي كتاب أو سنة نطق بذلك . بلى انهم قد غلوا في الصالحين وعبدوهم بما نهى الله عنه كما اخبر الله عنهم في كتابه العزيز اما انه لم يصدر منهم الا مثل ما يصدر من المسلمين من الاستغاثة والتوسل والتشفع بالصالحين فهو تخرص على الغيب بل افتراء محض وكذا غيرهم من امم الانبياء عليهم السلام وظاهر

قوله تعالى حكاية عن قوم هود في خطابهم لهود «ع» (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) اعتقادهم بانها قادرة مختارة بنفسها على الضر والنفع والاعتراء بسوء فظهر ان عبادة المشركين للاصنام لم تكن مجرد الاستغاثة والتوسل والتشفع الى الله بذوي المكانة عنده كما توهم الوهابيون . وسيأتي كلام في مثل ذلك في رد كلام الصنعاني ويأتي له مزيد توضيح في الباب الثالث ان شاء الله .

(قوله) فبعثه الله يجدد لهم دين ابيهم ابراهيم الخ قد ظهر بطلانه مما مر فان دين أبيهم ابراهيم الذي بعث محمد «ص» لتجديده ليس هو عبارة عن عدم التشفع بالصالحين ولا داخلا فيه . أما انه ليس عبارة عن عدم التشفع بالصالحين فلأن دين أبيهم ابراهيم الذي جدده لهم رسول الله «ص» وترك ما كانوا يفعلونه من المحرمات والموبقات التي مر بعضها كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء والطواف بالبيت عراة ونكاح أزواج آبائهم والخمر والميسر واكراه فتياتهم على البغاء ووأد بناتهم وسجودهم للاصنام وذكر اسمائها على ذبائحهم وتركهم الصلاة واستبدالها بالمكاء والتصدية وغير ذلك فهذا وأمثاله مما بدلوه من دين ابيهم ابراهيم هو الذي بعث رسول الله «ص» ليجدده لهم واما ان عدم التشفع والتوسل بالصالحين ليس داخلا فيما جدده لهم فلان ذلك وما يجري مجراه لم ينههم الرسول «ص» عنه فضلا عن ان يكون بعثه محصوراً في ذلك بل اقرهم على التشفع والتوسل الذي هو نوع من طلب الدعاء منه بما حث عليه من سؤال الدعاء من المؤمنين وبما اخبرهم به من ان الله تعالى جعل له الشفاعة والوسيلة واكرمه بذلك كما ستعرفه مفصلا في الفصول الخاصة بذلك ولا ينكره الوهابيون .

قوله : ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ، هذا افتراء على الله وعلى ابراهيم عليه السلام فمتى امر الله تعالى محمداً (ص) ان يخبرهم انه لا يجوز طلب الشفاعة ممن له الشفاعة وان طلبها محض حق الله لا يجوز طلبها من غيره ومتى اخبرهم محمد (ص) بان لا يطلبوا منه الشفاعة بل الامر بالعكس فقد أخبرهم بأنه الشفيع المشفع وصاحب الوسيلة ولازم ذلك ان يطلب منه ما جعله الله له ولم يقل لهم حين أخبرهم بذلك ان طلب الشفاعة منه شرك وكفر مع انه امرهم يطلب الدعاء من الغير ، وطلب الشفاعة لا يخرج عن ذلك كما ستعرف وتشبث الوهابية للمنع بآية « لله الشفاعة جميعاً . فلا تدعوا مع الله أحداً) ستعرف انه من السخافة بمكان . فالذي اوجب شركهم وكفرهم واحل

قتالهم تبديلهم دين الله وتكذيبهم رسله وعبادتهم الصور والتماثيل من دون الله لا مجرد التشفع بالصالحين الى الله . وبذلك تعرف ان توحيد العبادة الذي جحدوه ليس هو عدم التشفع والتوسل بالصالحين الى الله وان هذا التشفع ليس عبادة لغير الله ولا منافيا لتوحيد الله في العبادة وان ما يسميه المسلمون الاعتقاد لا محذور فيه فانهم لم يعتقدوا في الانبياء والصالحين الا بما جعلهم الله له اهلا. قوله: وكانوا يدعون الله ليلا ونهاراً ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم ليشفعوا له أو رجلا صالحا كاللات أو نبياً كعيسى . فيه ان دعاءهم الله ليلا ونهارا لم ينفعهم لانهم بدلوا دينه وكذبوا رسله وعبدوا غيره بما نهى الله عنه لا بطلب الشفاعة ممن له الشفاعة . وعبادتهم للملائكة لم تكن مجرد تشفعهم بهم بل فعلهم معهم ما هو من خصائص الربوبية واعتقادهم مماثلتهم لله وانهم بناته الى غير ذلك كما مر مفصلا وعبادتهم للات الذي هو رجل صالح لم تكن مجرد التشفع به الى الله بل السجود وانواع العبادة لحجر زعموا انه على صورته مع نهي الله لهم عن ذلك على لسان انبيائه الى غير ذلك مما مر . وعبادة النصارى لعيسى عليه السلام ليست مجرد التشفع به الى الله بل أثبتوا له جميع صفات الالهية كما مر وكيف يتوهم عاقل ان عبادتهم له مجرد التشفع به ان هذا لمخالفة للمحسوس وتكذيب للقرآن وتمويه وتضليل. قوله: وانه قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلها لله سيأتي الكلام على الاربعة المذكورة كل في فصله وما تقدم هنا حديث اجمالي وقد ظهر ان قوله: ان قصدهم الملائكة والانبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دماءهم وأموالهم كذب وافتراء على الله وعلى رسوله بل الذي أحل دماءهم واموالهم تبديلهم للدين وتكذيبهم له (ص) بعد ما رأوا معجزاته ودلائل نبوته وعبادتهم للاصنام بالوجوه التي ذكرناها من دون امر من الله بل عناداً وخلافا عليه لا مجرد تشفعهم وتوسلهم بالصالحين

ومن ذلك يعلم انهدام وفساد كل مابناه على هذا الاساس الفاسد من تفسير كلمة التوحيد التي دعا النبي (ص) المشركين الى الاقرار بها بأن المراد بالاله فيها ما يعم من قصد لأجل الشفاعة ونحوها وانه ليس المراد به الخالق الرازق المدبر فقط لانهم كانوا يعلمون ان ذلك لله وحده فان المبنى في الكل واحد وهو توهم ان الاستغاثة والتشفع الى الله بذوي

المكانة عنده يوجب اتخاذهم آلهة ويكون عبادة لهم وقد عرفت وستعرف مفصلا فساد هذا التوهم وسخافته وان التشفع بذوي المكانة وما يجري مجراه ليس عبادة لهم ولا يوجب اتخاذهم آلهة لهـم وان قياسهم على عباد الاصنام والكواكب وعيسى ومريم والملائكة جهل او عناد وان تفضيل جهال مشركي قريش وعبدة الاصنام على المسلمين اليوم من اعظم الجهالات والافتراءات وأقبحها وانه لا يظن ولا يحتمل احد من المسلمين ان الاسلام هو التلفظ بكلمة التوحيد من دون اعتقاد معناها ولا يظن حاذق منهم ولا غيره ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله وكلهم يعلمون ان من كذب الرسل وخالفهم وعمل عمل عبدة الاصنام او انكر شيئاً من ضروريات الدين كافر لكنهم لا يعتقدون ان من عظم الذي امر الله بتعظيمه واستشفع بمن جعله الله شافعاً وتوسل بمن جعل الله له الوسيلة كافر ومشرك مع انه لم يخرج عن امر الله وطاعته. فاي الفريقين احق بنسبة الجهالة اليه لو كانوا يعلمون ?! وكذلك ظهر فساد قوله وإنما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زمانا بلفظ السيد فان المسلمين الذين سماهم المشركين لا يعنون بلفظ السيد معنى ينـافي العبودية الخالصة وانما يعنون به ان له منزلة عند الله اوجبت امتيازه عن غيره وان يقبل الله شفاعته ويسمع دعاء من تشفع به اليه كرماً منه تعالى وفضلاً فهم لم يثبتوا له الا مـا أثبته الله . اما الوهابية فنفوا عنه ما جعله الله له ونسبوا الى المسلمين مـا هم منه براء فكانوا اشبه بالمشركين الذين خالفوا الله ورسله ونسبوا الى الرسل واتباعهم ما هم منه براء . أما اطلاق السيد على غير الله تعالى بل والرب فلا مانع منه اذا لم يقصد به معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى كما ستعرفه في الفصل الخاص به مفصلا وحاش لله ان يقصد به احد من المسلمين معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى .

ومما ذكرنا تعلم فساد المحكي في تاريخ نجد عن ابن عبد الوهاب . واذا كان المشركون لم يزعموا أن الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والارض او ذرة من الذرات كما قال فلا دليل يدلنا على انهم لم يزعموا استقلالهم بشيء من التدبير والتأثير وآية (ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) لا تنفي ذلك اذ لم يظهر منهم الاعتراف بذلك بل الظاهر والله اعلم انه من قبيل الاحتجاج عليهم واظهار بطلان معتقدهم انها تكشف الضر وتمسك الرحمة فلا يدل على انهم لا يعتقدون انها كذلك وبذلك يحسن موقع الاستفهام فيكون انكارياً لا تقريريـاً

وهم لم يقروا بجميع تلك الجمل مع انهم كانوا يعبدون صور الانبياء والصالحين لا انفسهم وكانوا يقولون عن الملائكة انها بنات الله ومن عبد المسيح يعتقد فيه ما يعتقد في الله كما مر ذلك كله واذا كانوا لا يعتقدون في الاوثان ما ورد في الآيات مما أقروا به فلا دليل على انهم لا يعتقدون غيره من صفات الربوبية كما مر مفصلا اما ما اطال به من قوله ان مجرد الاتيان بلفظ الشهادة الخ فهو تطويل بلا طائل فلسنا نكتفي بمجرد الاتيان بلفظ الشهادة كالكرامية ولكن أين العرش حتى تنقش وكون الايمان مجرد التصديق عند الجهمية لا يظهر لذكره فائدة غير التطويل ومثله الاستشهاد بآية المنافقين التي لا مساس لها بما نحن فيه والاطالة في تفسيرها . ومما بيناه من عدم وقوع العبادة المنهي عنها من احد من المسلمين لنبي ولا صالح ولا قبر ولا غيره تعرف انهدام ما بناه على ذلك من قوله : من شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له (ثبت العرش ثم انقش) وكذا الاستشهاد بباقي الايات .

ثم قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات [1] : اذا تحققت ان الذين قاتلهم رسول الله «ص» أصح عقولا واخف شركاً من هؤلاء فاعلم ان لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم ، ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الينا : وهي ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ان لا إله الا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد الشهادتين ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل اولئك ؟! (فالجواب) انه لا خلاف بين العلماء ان من صدق رسول الله «ص» في شيء وكذبه في شيء أو آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كافر كما قال الله تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً) ، ولما لم ينقد اناس للحج نزل فيهم : (ولله على الناس حج البيت الى قوله ومن كفر «الآية») فإذا كان من صدق الرسول في كل شيء وكذبه في شيء واحد كالبعث أو الصلاة أو الصيام فهو كافر حلال الدم والمال ، فكيف اذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل . ثم استشهد بان اصحاب

(١) ص ٦٥ – ٧٠

رسول الله «ص» قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون الشهادتين ويصلون ويؤذنون . (قال) فان قال انهم يقولون ان مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب اذا كان من رفع رجلا الى رتبة النبي كفر وحــل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان والصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبــار السماوات والأرض كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (قال) وبنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون الشهادتين ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما اظهروا مخالفة الشريعة في اشياء دون مــا نحن فيه اجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بايديهم من بلدان المسلمين (قال) واذا كان الأولون لم يكفروا إلا انهم (كــذا) جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعــد اسلامه وذكروا انواعاً كثيرة كل منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا اشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو على وجه المزح واللعب (قال) والذين نزل فيهم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم كفرهم الله تعالى بكلمة مع انهم في زمن الرسول «ص» يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون والذين نزل فيهم (قل ابا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) كانوا مع رسول الله «ص» في غزوة تبوك وقالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين اناساً يشهدون ان لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمــل جوابها فانه من انفع مــا في هذه الأوراق (واستدل أيضاً) بما حكاه الله تعالى عن بني اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم انهم قالوا لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة وقول ناس من الصحابة اجعله لنا ذات انواط [1] فحلف «ص» ان هذا نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الهاً . (ثم قال) وللمشركين شبهة اخرى يقولون انكر النبي «ص» على اسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال أقتلته بعد ما

---

(١) روى الترمذي عن ابي واقد الليثي خرجنا مع رسول الله « ص » الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله «ص» الله اكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة «الآية» لتتبعن سنن من كان قبلكم . ـ المؤلف ـ

قال لا إله إلا الله (وقال) امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله واحاديث اخرى في الكف عمن قال لا إله إلا الله (قال) ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل (واجاب) بان اليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن أبي طالب يقولون لا إله إلا الله وهؤلاء الجهلة يقولون من جحد شيئاً من اركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف اذا جحد التوحيد قال ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث (فاما) حديث أسامة فانه قتل رجلا ادعى الاسلام لظنه أنه ما ادعاه إلا خوفاً والرجل اذا اظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله تعالى في ذلك (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أي تثبتوا ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى وكذلك الأحاديث الاخر . والدليل على هذا ان رسول الله «ص» الذي قال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله هو الذي قال في الخوارج أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى ان الصحابة يحقرون انفسهم عندهم وتعلموا العلم من الصحابة فلم ينفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة «انتهى» .

وقال ابن عبد الوهاب أيضاً فيما حكاه عنه الألوسي في تاريخ نجد : الكفر نوعان ، مطلق ومقيد ، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول « ص » ، والمقيد أن يكفر ببعضه ، حتى ان بعض العلماء كفر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كتوريث الجد والأخت وان صلى وصام ، فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة . الى ان قال : فتشبيه عباد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال باسلامهم وإيمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون «انتهى» .

(والجواب) ان انكار شيء مما جاء به النبي «ص» بعد العلم بانه جاء به لكونه مما ورد في القرآن أو جاءت به السنة القطعية وصار من ضروريات الدين لا ريب في أنه تكذيب للنبي « ص » موجب للكفر واذا وقع من مسلم حكم بارتداده ولا يحتاج الى الاطالة واكثار الشواهد عليه من الآيات وغيرها وذكر العلماء باب المرتد وغير ذلك الذي اطال به بدون طائل . انما الكلام في ان الاستغاثة والتشفع والتوسل بالصالحين هل هي

موجبة لجحود التوحيد وللرفع في مرتبة جبار السماوات والارض كما زعم وقد تبين بما شرحناه واوضحناه في هذا المقام وغيره وفي الفصول المختصة بتلك الأمور انه ليس فيها شيء مما ينافي التوحيد ولا توجب رفع مخلوق الى رتبة جبار السماوات والارض ولا تخرج عن طلب الدعاء ممن يرجى من الله اجابة دعائه لنا لما له من المنزلة عنده باخلاصه في عبوديته . ولما قاس الوهابيون حال المسلمين المستغيثين بالصالحين على حال مشركي قريش فقالوا ان كليهما أقر بتوحيد الربوبية ولكنه تشفع واستغاث وتوسل بالمخلوقين فلم ينفعه اقراره بتوحيد الربوبية وان النبي «ص» لم يقاتل عبدة الاوثان إلا على استشفاعهم بغير الله رجلا صالحاً أو غيره فدل ذلك على ان الاستشفاع عبادة وعبادة غير الله شرك كما صرح به ابن عبد الوهاب في كلماته السابقة ، توجه عليهم حينئذ اعتراض بعض أهل الاحساء بان هذا قياس مع الفارق : فمشركو قريش لا يشهدون الشهادتين ويكذبون الرسل والقرآن وينكرون البعث ، وهذا هو الذي اوجب كفرهم وأحل قتالهم ، ونحن نقر بذلك كله ، فبطل القياس ، نعم لو كان الصادر من الاولين مجرد الاستغاثة والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً ، ولكن الصادر منهم غير ذلك مما يوجب الكفر والشرك ، ولا ينفع الجواب بان من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء كفر، الذي لا ينكره أحد . ومن ذلك تعلم ان قوله : سبحان الله ما اعجب هذا الجهل ، لا ينطبق الا عليه خاصة .

وان قوله : كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، ليس احد اولى به منه . ومع كون الشواهد التي استشهد بها وأطال بذكرها لا حاجة اليها بل هي تطويل بلا طائل اكثرها غير صحيح في نفسه كدعواه ان الفاطميين المصريين بني عبيد قد أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب ، فانه ادعاء باطل وافتراء على العلماء، ولو كان ذلك صحيحاً لتمسك به أعداؤهم خلفاء بني العباس وجعلوه من أعظم الحجج لهم فأخذوا فتاوى العلماء بذلك ، ولو وقع ذلك لشاع وذاع ولذكره أهل السير والتواريخ ونقلة الاخبار مع انه ليس له في كتبهم عين ولا أثر ، ولما كان بنو العباس يعدلون عنه الى كتابة محضر بعدم صحة نسبهم فقط ، شهد فيه جماعة من العلماء خوفاً على أنفسهم وامتنع من الشهادة الشريف الرضي ، وقصته في ذلك مع القادر العباسي مشهورة ذكرها المؤرخون .

ولا شيء أطرف من قوله : وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد

السلمين ، فانا لا نعلم احداً من المسلين غزاهم ، وهذه كتب التواريخ شاهدة بذلك وانما استنجد آخر خلفائهم الملقب بالعاضد بنور الدين ملك الشام لمـــا خاف على بلاده من الأفرنج ، فارسل اليه صلاح الدين الأيوبي ، فكان انقراض دولتهم على يده بدون حرب ولا قتال ولا غزو بل على عادة الملوك في تغلبهم على ملك غيرهم اذا انسوا منهم ضعفــا ، كما تغلب صلاح الدين على ملك مصر وخرج عن طاعة نور الدين مع انه هو الذي ارسـله وكان بمنزلة العامل عنده ، ثم تغلب صلاح الدين على الشام بعـــد موت نور الدين وطرد ولده من الملك . وخبر ذلك في التواريخ مشهور ، أفهذه ادلة محمد بن عبد الوهاب وهذا مبلغ علمه بالتاريخ ؟!

وقوله : غزاهم المسلمون طريف جداً فانه مناف لتكفير الوهابية المسلمين واشراكهم اياهم فان المسلمين في عصر الفاطميين المصريين مثلهم في عصر الوهابيين لا يزيدون عنهم بشيء فقد كانوا في ذلك العصر يبنون القباب على القبور ويعظمونها ويتشفعون بالصالحين ، فان كان هؤلاء مشركين فاولئك مشركون ، ولم يكن في عصر الفاطميين وهابية يغزون فكيف سماهم مسلمين . وهذا كقول صاحب المنار : أيها المسلمون. مع تصويبه اعتقاد الوهابية فيهم كما بيناه في غير هـــذا الموضع . ولكن هؤلاء عند حاجتهم للمسلمين يعترفون بإسلامهم واذا استغنوا عن ذلك كفروهم واشركوهم . نعم ان المسلمين اجمعوا على ضلالة الوهابيين وخروجهم من الجماعة وقتالهم وغـزاهم المسلمون بأمر خليفة الاسلام حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين كما فصلنـــاه في تاريخهم ، فان كان ذلك دليلا على الكفر الارتداد فهو دال على كفر الوهابية وخروجهم من الدين ، كما انك قد عرفت في البـاب الاول أقوال العلماء في حـق ابن تيمية قدوة الوهابية وباذر بذور مذهبهم واول من زقـا بالقول بالتجسيم وصنف فيه . فاجماع العلماء قائم على ضد قول ابن عبد الوهاب لا معه مع انه لا قيمة لاجماع العلماء عنده وان تظاهر بالتمسك به . امـا قوله : اذا كان الاولون لم يكفروا الا انهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل وغير ذلك ، فما معنى ذكر العلماء باب المرتد الخ : ففيه كما مر ان المعترض لم يقل ان الاولين لم يكفروا إلا انهم جمعوا بين هذه الاشياء بحيث لو نقص واحد منها لم يكفروا وانه ليس شيء سواها مكفراً بل لمـــا قاس الوهابيه حال المسلمين اليوم على حال مشركي قريش توجه عليهم الاعتراض بأن هـــذا قياس مع الفارق كما عرفت . نعم لو كان الصادر من الاولين مجرد الاستغاثة والتوسل والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً ولكن الصادر منهم غير ذلك ممـا يوجب التكفير فلم يبق في ذلك دلالة على ان الاستشفاع ونحوه موجب للكفر وحينئذ فاستشهاده

وذكر العلماء باب المرتد تطويل بلا طائل كما عرفت لعدم انكار أحد امـــكان حصول الارتداد مع الاقرار بالشهادتين انما الكلام في ان المتنازع فيه هو موجب للارتداد ام لا وهذا لا ينفع فيه ذكر العلماء باب المرتد. على ان جميع علماء المذاهب الذين ذكروا باب المرتد وبينوا ما يوجب الارتداد لم يذكروا من جملته الاستغاثة والاستشفاع بالصالحين فدل على اجماعهم على أنه ليس موجباً للارتداد وبطل بذلك زعم الوهابية . فما استشهد به شاهـد عليه لا له .قوله: مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه .أقول: الذي ذكره علماء المذاهب في باب المرتد ان من تكلم بكلمة الكفر كقوله الله ثالث ثلاثه استهزاء أو عناداً كفر [١] لا مطلق من قالها كما يقتضيه اطلاق كلامه قصداً لتهوين امر الارتداد. قوله: أو على وجه المزح واللعب ستعرف مما يأتي بعده شرح ذلك ورده وانه خيانة في النقل وتدليس .

ومن الغريب قوله بأن الذين نزل فيهم يحلفون بالله ما قالوا (الاية) كفرهم الله بكلمة مع انهم في زمن الرسول (ص) يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون فان هذه الآية مع كونها كغيرها من استشهاداته لا حـــاجة الى الاستشهاد بها كما عرفت نزلت في المنافقين. ففي اسباب النزول للواحدي قال الضحاك : خرج المنافقون مع رسول الله (ص) الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله (ص) واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله (ص) فقال (ص) يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية إكذابا لهم وقال قتادة: ذكر لنا ان رجلا من جهينة ورجلا من غفار اقتتلا فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأخبر النبي (ص) فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قـــال فنزلت الآية « انتهى » وفي الكشاف أقام رسول الله (ص) في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنـــا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال له عامر بن قيس الانصاري أجل والله ان محمداً لصادق

---

(١) راجع الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع وحاشيته ص٢٢٩ ج ٢ في الفقه الشافعي وحاشية الشرقاوي على شرح التحرير لزكريا الانصاري ص ٣٩٠ ج ٢ في الفقه الشافعي ايضاً (المؤلف)

وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله (ص) فاستحضره فحلف بالله ما قال فنزلت الاية «انتهى» وهي قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا. ولكونها نزلت في المنافقين قال صاحب الكشاف : «كفروا بعد اسلامهم »أظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام «انتهى» والذي هموا به فلم ينالوه : الفتك برسول الله (ص) عند مرجعه من تبوك توافق خمسة من المنافقين على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي ذا صعد العقبة فرآهم عمار قائد ناقة النبي (ص) او حذيفة سائقها ملثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا ذكره الواحدي عن الضحاك وذكره الزمخشري فهؤلاء هم الذين قال عنهم ابن عبد الوهاب انهم يجاهدون ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون وما ينفعهم ذلك وهم منافقون يسبون رسول الله (ص) ويطعنون في الدين ويقولون في حقه (ص) : سمن كلبك يأكلك ويحاولون قتله والقاءه عن راحلته الى الوادي فجعلهم كالمسلمين الذين يستشفعون الى الله تعالى ويستغيثون بالنبي (ص) الذي جعله شافعاً ومغيثا على السواء. هذا علم ابن عبد الوهاب وهذه حججه وادلته وكذلك قوله: ان آية ابا الله وآياته الخ نزلت فيمن قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح [1] تهويناً وتصغيراً وتخفيفاً لعملهم ، حتى يتسنى له تشبيه المسلمين بهم وهل ينفعهم ذلك وادعاؤهم المرح، والحال انهم من المنافقين الذين انزل الله تعالى فيهم « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان لله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) في الكشاف : بينا رسول الله «ص» يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولكن في شيء مما يخوض فيه الركب

(١) يتبين مما سيأتي في سبب نزول الاية انهم لم يعترفوا بتلك الكلمة ولا ادعوا قولها لا على سبيل المزاح كما يدعيه ابن عبد الوهاب ولا غيره بل انكروها بتاتاً وادعوا أنهم كانوا يمزحون بشيء غيرها . ثم انه هنا يقول ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح وفي صفحة ٧٢ من كشف الشبهات يقول . كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح فجزم بذلك فتناقض كلاماه وكلاهما للواقع فانظر الى تحريفه الاخبار ترويجاً لمقاصده . ـ المؤلف ـ

ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت الآية . وذكر نحوه الواحدي في أسباب النزول عن قتادة وانهم قالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب وذكر الواحدي ايضاً عن زيد بن اسلم ومحمد بن وهب ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء يعني النبي « ص » وأصحابه ارغب بطونا ولا اكذب السناً ولا أجبن عند اللقاء فأخبر النبي «ص» فاعتذر القائل بانا كنا نخوض ونلعب فنزلت الآية «انتهى» ابهؤلاء يقاس المسلمون المتشفعون الى الله تعالى بنبيه صاحب الشفاعة عنده. ثم يتبجح بقول: تأمل هذه الشبهة ثم تأمل جوابها فانه من انفع ما في هذه الاوراق . وهو كما عرفت لم يأت بجواب ولا شبه جواب وكذا استشهاده بحلف النبي (ص) ان قول بعض الصحابة له اجعل لنا ذات انواط نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة لا محل له ولا فائدة فيه ومن الذي يشك في أن اتخاذ شجرة تناط بها الأسلحة وتعبد كما تعبد الأصنام هو نظير عبادة بني اسرائيل للاصنام وطلب بعض الصحابة ذلك من النبي (ص) هو نظير طلب قوم موسى منه ولكن هذا لا يثبت ان الاستغاثة والاستشفاع بالنبي (ص) نظير عبادة الاصنام

وأما جوابه عن قصة اسامة وتنظيره باليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن ابي طالب والخوارج فهو مبني على الاساس الفاسد الذي أسسه من جعل الاستشفاع والتوسل بالصالحين عبادة لهم وشركاً فلا ينفع معها قول لا اله الا الله وحيث عرفت فساد هذا الأساس تعرف فساد ما بني عليه وتعرف ان من وصفهم باعداء الله وهو أحق بهذا الوصف منهم قد فهموا معنى الاحاديث وافنوا أعمارهم في فهمها ودراستها وانها تدل على أن من قال لا اله الا الله حرم دمه الا ان يثبت خروجه عن الاسلام بيقين ولا يجوز تكفيره واستحلال دمه بمجرد الظن والتخمين فاليهود انكروا نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع شرائع الاسلام (وبنو حنيفة) الذين قتلهم خالد اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من ضروريات الدين التي يكفر منكرها والذين اتبعوا مسيلمة ادعوا فيه النبوة وارتدوا عن الاسلام. وجعله المسلمين اشد كفراً منهم باعتبار أن اولئك ادعوا النبوة في مسيلمة والمسلمون رفعوا المخلوقين الى درجة الالهية بسبب استغاثتهم وتشفعهم بهم من السخافة بمكان لما عرفت ولما هو اوضح من الشمس في رائعة النهار من ان استغاثة المسلمين واستشفاعهم بذوي المكانة عنده تعالى وجميع ما يفعلونه ليس فيه شائبة

رفع المخلوق عن درجة العبودة الى درجة الالهية وقد أوضحنا ذلك مكرراً فلا نطيل باعادته . والذين حرقهم علي بن ابي طالب قالوا له أنت الله أما من توسل بنبي او صالح الى الله ودعاه واستغاث به ليدعوا الله له ويكون له شفيعاً فلم يكفر ولم يشرك ولم ينكر ضرورياً حتى يباح دمه الا عند الجاهل الذي لا يفهم معنى الاحاديث واما استشهاده بأخبار الخوارج وان الرسول (ص) امر بقتلهم لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة ففيه أن الذي ظهر منهم هو تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم واخافة السبيل واشهار الحرب على المسلمين لشبهة دخلت عليهم أعظم اسبابها الجمود، واشبه الناس بهم في هذا الزمان كما مر من يكفر المسلمين ويستحل دماءهم واموالهم ويغزو بلاد الاسلام ويشهر الحرب على المسلمين ويخيف السبل بشبهة انهم يستغيثون ويستشفعون بذوي المكانة عند الله وتوهم ان ذلك شرك بالله ، والحال أنه ليس فيه منذلك شائبة كما بيناه وأوضحناه فاي الفريقين أحق بان يشبه بالخوارج لو كانوا يعقلون .

(واما قوله) فيما حكي عنه في تاريخ نجد أن بعض العلماء كفر من انكر فرعاً مجمعا عليه فهو اعتراف منه على نفسه وعلى اتباعه بالكفر فانهم قد انكروا فروعاً فضلا عن الفرع الواحد مجمعاً عليها بين المسلمين كالاستشفاع بالنبي «ص» وتعظيم قبره والتبرك به وغير ذلك مما خالفوا فيه عامة المسلمين بعد اتفاقهم واجماعهم عليه اجيالاً عديدة فتوى وعملاً (قوله) : فتشبيه عباد القبور الخ قد علمت مما بيناه وشرحناه انه ليس في ذلك تشبيه بل هو الحق الذي لا شبهة فيه وان تشبيه الوهابيين بان الاستشفاع والتوسل بالنبي «ص» الذي جعله الله شافعا وجعل له الوسيلة كفر وشرك مجرد تعمية على العوام وتلبيس لتنفق ضلالتهم التي كفروا بها المسلمين ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون .

ومما ذكره ابن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات [١] انه ما بعث الله نبياً بهذا التوحيد الا جعل الله له أعداء كما قال (وجعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن) وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) فاذا عرفت ان الطريق الى الله لا بد له من اعداء قاعدين عليه اهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك ان تعلم من دين الله ما يصير

(١) ص ٥٩ — ٦١ طبع المنار بمصر .

لك سلاحاً تقاتل هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل لأقعدن لهم صراطك المستقيم لاتينهم من بين ايديهم (الآية) ولكن اذا اقبلت على الله فلا تخف (ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) والعامي من الموحدين يغلب الفاً من علماء هؤلاء المشركين فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان والسيف والسنان (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل الى يوم القيامة .

(ونقول) جعله علماء المسلمين كالشياطين الذين يصدون عن سبيل الله وقدحه في علومهم وكتبهم وحججهم لانهم لا يوافقونه على معتقده الفاسد كجملة من كلماته الشنيعة في حقهم السابقة والآتية خروج عن جادة الأدب وعما أمر الله تعالى به نبيه « ص » من المجادلة بالتي هي احسن والدعاء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولو كان له دليل واضح لاكتفى به ولم يحتج الى سوء القول في علماء المسلمين وحماة الدين وما أحقة بما وصمهم به واشد انطباقه عليه وعلى اتباعه .

قال : وانا اذكر لك اشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا (فنقول) جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل اما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة وهو قوله تعالى (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وقد صح عنه « ص » اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم .مثال ذلك اذا قال لك بعض المشركين (الا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وان الشفاعة حق والانبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي « ص » يستدل به على شيء من باطلها وانت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بان الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وكون كفر المشركين بتعلقهم على المخلوقين وتشفعهم بهم محكم وما ذكرت لي لا اعرف معناه ولكن اقطع ان (كلام ظ) الله لا يتناقض وان كلام النبي لا يخالف كلام الله وهذا جواب سديد ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله فلا تستهونه فانه كما قال تعالى ولا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .

(ونقول) : ما أحقه بهذه الاوصاف التي وصف بها المسلمين . واما ايصاؤه من يتبعه بان يجعل كلام مخالفه من المتشابه ومعتقده هو من المحكم ليدخل مخالفه تحت (واما الذين في قلوبهم زيغ « الآية ») فطريف جداً وما ندري ما الذي يجعل الا ان أولياء الله لا خوف عليهم وكون الشفاعة حقاً والانبياء لهم جاه عند الله من المتشابه. (فالمتشابه) كما ذكرناه في الامر الثاني من المقدمة الثانية ما لا يكون ظاهر المعنى لسبب من الاسباب وهذه الالفاظ معناها بين ظاهر فكيف جعلها من المتشابه . (قوله) أو ذكر كلاماً للنبي «ص» يستدل به على شيء من باطلها « أي الشفاعة » فجاوبه الخ. هذا خطأ منه في تعليم الاحتجاج والمجادلة فانه اذا كان الحديث مجملاً متشابهاً والوهابي لا يفهم معناه مع كونه من أهل العلم والفهم فكيف يستدل به العلماء وأهل المعرفة والفهم واذا فرض فالجواب عنه سهل مختصر وهو انه لا دلالة فيه لاجماله من جهة كذا ولا يحتاج الى هذه المقدمة الطويلة العريضة والتبجح الزائد بقوله فهو الامر العظيم والفائدة الكبيرة وقوله فهذا جواب سديد الخ. ولعله يكون ظاهر الدلالة والمخاطب لا يفهم معناه لكونه اعرابياً نشأ في البادية ولم يتعلم وان كان قلبه محشواً بالتوحيد فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يعلمه هذا الجواب . اما السر في هذه الوصية فهو انه لما منى أصحابه الموحدين ان الواحد منهم يغلب الالوف من المشركين وعلم انهم لا بد ان يغلبوا في كثير من مجادلاتهم أراد ان يعلمهم طريقاً يرفع به عن نفسه خلف الوعد والكذب فيما وعدهم ومناهم به ويتخلصون به عند ما يجابون بجواب فيعجزون عن رده وهو ان يقولوا لخصمهم : هذا الذي ذكرته متشابه وما نعتقده محكم والمتشابه لا يجوز التمسك به ولا يعارض المحكم. فهذه طريقة يمكن التخلص بها في كل مقام ومن كل ايراد، ولم يعلم ان المتشابه لا يكون متشابها بمجرد الدعوى بل له أسباب لا بد لمن يدعي التشابه من بيانها مثل كونه مشتركاً بين معنيين ولا قرينة على تعيين احدهما أو انه قامت قرينة على عدم ارادة المعنى الحقيقي ولم تعين المجازي ونحو ذلك. (ونظير هذه الوصية) ما حكي ان رجلا طلب للمحاكمة مع آخر فاسترشد صديقا له ما الذي ينبغي ان يفعله حتى لا يغلب فاوصاه باستعمال الانكار فلما حضر للمحاكمة ادعى عليه خصمه بمال فسأله القاضي عن اسمه فقال انا منكر فقال هل أخذت منه هذا المال قال نعم ولكن انا منكر فامره القاضي بدفع المال فقال انا منكر ولم يفهم المسكين ان الانكار بعد الاقرار لا يفيد . اما جعله كذ[illegible] يتعلق على الصالحين

وتشفعهم بهم من المحكم فقد عرفت وستعرف بما لا مزيد عليه انه من الوهي والوهن بمكان وانه لا احكام فيه بل هو رقم على الماء وان جوابه لا شيء فيه من السداد .

قال : (واما المفصل) فان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس . منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له وان محمداً « ص » لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم « ص » مقرون بما ذكرت وبان اوثانهم لا تدبر شيئا وانما ارادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه فان قال انها نزلت فيمن يعبد الاصنام فكيف تجعلون الصالحين اصناما فجاوبه بما تقدم فاذا اقر ان الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما ارادوا ممن قصدوا الا الشفاعة واراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره فاذكر له ان الكفار منهم من يدعو الصالحين والاصنام ومنهم من يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب) ويدعون عيسى وامه واذكر قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) فان قال: الكفار يريدون منهم وانا اشهد ان الله هو النافع الضار المدبر لا اريد الا منه والصالحون ليس لهم من الامر شيء ولكن ارجو شفاعتهم فالجواب ان هذا قول الكفار بعينه (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . هؤلاء شفعاؤنا عند الله) « قال » : وهذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم .

(ونقول) يظهر فساد ما أطال به بلا طائل مما قدمناه من ان الذين قاتلهم رسول الله « ص » لم يقاتلهم على مجرد التشفع بالصالحين اليه بل على عدم قبولهم أحكام الاسلام وتكذيبهم له مع ظهور المعجزات على يديه وارتكابهم الموبقات والعظائم وغير ذلك مما مر في صدر الكلام حتى من يعبد صور الصالحين من الاحجار المنحوتة اما قوله تعالى (قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فنزلت على ما ذكره المفسرون في قوم من العرب كانوا يعبدون الجن أو كانوا يعبدون الملائكة وقيل كانوا يعبدون عيسى وعزيراً واعترضه الطبري في تفسيره بما حاصله : ان

الاية دالة على وجودهم في عهد النبي « ص » وعزير وعيسى ليسا كذلك « انتهى » (وفي الكشاف) : « اولئك » مبتدا و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره و (أيهم) موصولة بدل من واو يبتغون يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله الذين هم أقرب منهم وازلف فكيف بغير الاقرب «انتهى» فالآية دالة على انهم اتخذوهم آلهة من دون الله وعبدوهم وليس فيها ما يدل على انه لم يصدر منهم في حقهم الا طلب شفاعتهم عند الله والتوسل بهم اليه وان اشتملت على لفظ الدعاء وان المدعوين يبتغون الى ربهم الوسيلة، لكن قوله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا دال على أنهم كانوا يعتقدون فيهم القدرة على كشف الضر وتحويله عنهم بانفسهم ولذلك عبدوهم واتخذوهم آلهة دون الله بدليل قوله تعالى : الذين زعمتم من دونه . ومع ذلك فقد كذبوا الرسل وعاندوهم . واما من يعبد عيسى وأمه فحالهم أوضح وأظهر . والعجب كيف جعل عبادة عيسى وامه وجعله الها خالقاً رازقاً مدبراً للكون متحداً مع الله تعالى كمن يتشفع بصالح الى الله ! ما هذا الا الجهل أو العناد . وكذلك جعله رجاء الشفاعة من الصالحين هو قول المشركين : ما نعبدهم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا، واضح الفساد بما عرفت من صراحة الآيتين في وقوع عبادة منهم غير الشفاعة جعلت علة لها مرة وعطفت عليها اخرى والعلة غير المعلول ومقتضى العطف التغاير كما سيأتي في فصل الشفاعة .

وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد [1] ما حاصله بعد حذف تكريرات كثيرة وتقديم وتأخير : التوحيد قسمان توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها أي ان الله وحده هو الرب الخالق الرازق للعالم وهذا لا ينكره المشركون وتوحيد العبادة أي افراد الله وحده بجميع انواع العبادات وعدم عبادة غيره معه وهذا الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ الشريك يشعر بالاقرار بالله تعالى . والرسل والانبياء من أولهم وهو نوح الى آخرهم وهو محمد بعثوا لتقرير توحيد الربوبية كقولهم (أفي الله شك . هل من خالق غير الله . أغير الله اتخذ ولياً . اروني ماذا خلق الذين من دونه . أروني ماذا خلقوا من الأرض) . استفهام تقرير لهم لأنهم به مقرون ولم ترد الايات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير . والدعاء الى توحيد العبادة واخلاصها والنهي عن شركها . قال الله تعالى (ولقد بعثنا في

---

(١) صفحة ٣ — ١٦

كل امة رسولا ان اعبدوا الله) فأفـاد ان جميع الأمم لم ترسل اليهم الرسل الا لطلب توحيد العبادة (ان لا تعبدوا الا الله . وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وكل رسول اول ما يقرع به اسماع قومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره . ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) ولم ترسل الرسل لطلب توحيد الربوبية لأن المشركين مقرون به بدليل قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله. ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم . قل من يرزقكم) الآيات المتقدمة في كلام ابن عبد الوهاب . وكل مشرك مقر بان الله خالقه وخالق السماوات والأرض ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والعبادة اعتقادية كالاعتقاد بالتوحيد ولفظية كالنطق بكلمته وبدنية كالصلاة ومالية كالزكاة .

والعبادة اقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل الا في الخضوع لله لأنه مول أعظم النعم فكان حقيقاً باقصى غاية الخضوع كما في الكشاف .

ورأس العبادة وأساسها التوحيد الذي تفيده كلمته والمراد اعتقاد معناها وهو إفراد الله بالعبادة والالهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه لا مجرد قولها وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان فقالوا (اجعل الالهة الهاً واحداً) وقالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده) أي لنفرده بالعبادة دون الاوثان فانكروا افراده بالعبادة وعبدوا معه غيره واتخذوا له انداداً قال تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون) أي وانتم تعلمون انه لا ند له وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج :

لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك

تملكه وما ملك

فالمشركون انما أشركوا في العبادة ولم يشركوا في توحيد الربوبية وكانت عبادتهم للأصنام هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون ويقربونهم الى الله زلفى ويشفعون لهم عنده فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ولم يعبدوهم بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم الا لاعتقادهم انها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه وقالوا وهم في النار : (تالله ان كنا لفي

ضلال مبين اذ نسويكم برب العـــالمين) مع انهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين رازقين وكان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ومنهم من يعبد احجاراً ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله محمداً «ص» يدعوهم الى افراد الله بالعبادة كما أفردوه بالربوبية وان لا يدعوا مع الله احداً قال تعالى : له دعوة الحق (الاية) وقال (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق (كـــذا) بالله ان يفردوه بالتوكل كما يجب افراده بالدعاء والاستغفار وهذه الحال التي أشرك بها السابقون بشرك العبادة هي بعينها حال المسلمين مع الأنبياء والصالحين وغيرهم فاعتقـــدوا فيهم انهم يضرون وينفعون ويقربون الى الله ويشفعون عنده فدعوهم ونادوهم في الشدائد والرخاء وهتفوا باسمائهم واستغاثوا واستعانوا وتوسلوا وتشفعوا وحلفوا بهم وطلبوا منهم مـا لا يطلب الا من الله من عافية المريض وقدوم الغائب ونيـل المطالب ونذروا لهم باموالهم واولادهم ونحروا على قبورهم وطافوا بها وتبركوا وتمسحوا بها فصار الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام لأنه قد حصـل منهم ما حصل من اولئك وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد فلا فرق بينهم .

وكمـــا أن السابقين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ولم ينفعهم ذلك لأنهم مشركون بالعبادة فلم ينفعهم اقرارهم بالله لأنه نافاه فعلهم كذلك المسلمون وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لم ينفعهم اقرارهم لأنه نافاه عملهم .

فالمشركون لم يتخذوا الأصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وامه والملائكة شركاء لله لأنهم اشركوهم في الخلق بل لأنهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه وانهم شفعاء عنـد الله قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعـالى عما يشركون) فجعل اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئا . فما يفعله المسلمون هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية وانما يفعلونه لمـــا يسمونه وثنا وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والاسماء لا تغير المعاني فمن شرب الخمر وسماها ماء ما شرب الا خمراً ولعل عقابه اشد للتدليس والكذب وقـد ثبت في الاحاديث انه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق « ص » فانه أتى

طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالاسماء المحبوبة عند السامعين ابليس فقال هل أدلك على شجرة الخلد فسمى الشجرة التي نهي آدم عن قربانها شجرة الخلد جذباً لطبعه اليها وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه لها كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما ادباً فيقولون أدب القتل أدب التهمة أدب المكاييل والموازين أو باسم النفاعة والسياقة وكذلك تسمية القبر مشهداً والرجل ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن لمعاملتهم لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت ويستلمونهم استلامهم لاركانه ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية كقولهم على الله وعليك ويهتفون باسمائهم عند الشدائد وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند عبد القادر الجيلي وأهل التهائم يقولون يا زيلعي يا ابن العجيل واهل مكة والطائف يا ابن العباس واهل مصر يا رفاعي يا بدوي والسادة البكرية واهل الجبال يا ابا طير واهل اليمن يا ابن علوان وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء وينادونه في الشدة والرخاء وهو عاكف على القبائح لا يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ولا يكتسب حلالا ويضم الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويجلب ابليس اليه جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرخ يصدقون بهتانه ويعظمون شأنه ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلا .

فافراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الا بان يكون الدعاء كله والنداء في الشدائد والرخاء والاستعانة واللجأ والنذر والنحر وجميع انواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كلها لله ومن فعل ذلك لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره ملكا أو نبياً او ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور الهاً لعابديه وصار بهذه العبادة أو أي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان اقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب اموالهم ومن اعتقد في شيء من ذلك انه ينفع أو يضر أو يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل اليه تعالى الا ما ورد في حديث فيه

مقال في حق نبينا «ص» [١] أو نحو ذلك فقد اشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان وصار حلال المال والدم كما حلت دماء المشركين واموالهم قال الله تعالى أنا اغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره بل سمى الله الرياء في الطاعات شركا مع ان فاعلها ما قصد بها إلا الله وانما أراد طلب المنزلة بها في قلوب الناس فلم تقبل وسماها شركا اخرج مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه . عنه « ص » يقول الله تعالى (أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا واشرك فيه معي غيري تركته وشركه) بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا بقوله تعالى (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) اخرج الامام احمد والترمذي من حديث سمرة عنه « ص » لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد طاف بها ابليس وقال لا يعيش لك ولد حتى تسميه بعبد الحارث فسمته فعاش وكان ابليس تسمى بالحارث .

ثم قال [٢] فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز ان يعتقد الا في الله وجعلوا لهم جزءاً من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عندها وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً اليهم وهذه هي انواع العبادات التي عرفناك ولا ادري هل فيهم من يسجد لهم لا استبعد ان فيهم من يفعل ذلك بل اخبرني من اثق به انه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيما له وعبادة . وقال [٣] فان قلت القبوريون يقولون نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً والالتجاء الى الأولياء ليس شركا قلت يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك وما يفعلونه عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم نحن لا نشرك بالله شيئاً لأن فعلهم اكذب قولهم . ثم قال : فان قلت هم جاهلون انهم مشركون بما يفعلونه قلت قد خرج الفقهاء في باب الردة ان

(١) المراد حديث سؤال الاعمى الاتي في الفصل الثالث في التوسل . ـ المؤلف ـ (٢) ص ١٣
(٣) ص ١١

من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً ومن نادى الله ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعا ثم نادى معه غيره فقد اشرك في العبادة .

ثم أورد سؤالا بانهم اذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلكه (ص) في المشركين واجاب بأنه ذهب الى هذا طائفة من أهل العلم وقال انه يجب دعاؤهم الى التوحيد ويجب على العلماء بيان ان ما يفعلونه شرك وانه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم فاذا ابانت العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب عليهم بعث دعاة الى اخلاص التوحيد فمن رجع حقن عليه ما له ودمه وذراريه ومن اصر فقد اباح الله منه ما اباح لرسوله (ص) من المشركين ثم قال فان قلت لا سواء لأن هؤلاء قد قالوا لا اله الا الله وقد قال النبي (ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال لأسامة قتلته بعد ما قال لا اله الا الله وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين قلت قد قال (ص) الا بحقها وحقها افراد الألوهية والعبودية لله والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فانها لا تنفع الا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الانبياء وبنو حنيفة كانوا يشهدون الشهادتين ويصلون لكنهم قالوا مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية ويناديه للمهات وهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب حرق اصحاب عبد الله بن سبا وكانوا يشهدون الشهادتين ولكن غلوا في علي واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون واجمعت الأمة على ان من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله فكيف بمن يجعل لله نداً وانكاره (ص) على اسامة قتله من قال لا اله الا الله لأن من قالها من الكفار حقن ماله ودمه حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله فان تبين لم تنفعه هذه الكلمة كما لم تنفع اليهود ولا الخوارج مع عبادتهم التي يحتقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل امر (ص) بقتلهم وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت اديم السماء كما ثبتت به الاحاديث فان قلت القبوريون ومن يعتقد في فسقه الناس وجهالهم من الاحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد الا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج . قلت : هذا جهل بمعنى العبادة فانها لا تنحصر فيما ذكرت

بل رأسها واساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعت مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافراً ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً فكيف بمن بلغ هذه الرتبه اعتقاداً وقولا وفعلا « انتهى »

والجواب : ان تقسيمه التوحيد الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة تطويل بدون طائل فانه لا شك في وجوب توحيد الباري تعالى في ذاته وصفاته وعبادته وجميع ما هو من لوازم الربوبية وصفات الكمال ونفي صفات النقص عنه ولا يحتاج الى كل هذا التطويل والتكرير الذي اعتادوه ولا الى الى اكثار الشواهد القرآنية عليه ولا الى الاشتشهاد بأياك نعبد وامثالها وانما الذي ينفع بيان ما هي العبادة التي لا تليق بغير الله واذا فعلت لغيره توجب الشرك والكفر هل هي مطلق التعظيم والخضوع والنداء والدعاء والاستعانة والاستغاثة والتشفع والتوسل والنذر والذبح والنحر وغير ذلك ليكون ما يفعله المسلمون داخلا فيها او عبادة خاصة وهم لم يأتوا على ان ما يفعله المسلمون داخل في ذلك ببينة ولا برهان بل البرهان على خلافه قائم لما بيناه مراراً عند الكلام على هذه الامور اجمالا وتفصيلا من أن مطلقها ليس ممنوعاً فضلا عن كونه كفراً وشركا وان تعظيم من هو عظيم عند الله والخضوع له والاستغاثة والتشفع والتوسل بمن جعله الله مغيثاً شافعاً وجعل له الوسيلة كلها عبادة لله وان النذر والذبح والنحر الذي يفعله المسلمون هو لله تعالى وعباده وطاعة له فجميع هذه الامور سواء سميت عبادة اولا لا تعدشركاً ولا كفراً لأن الممنوع منه الموجب للشرك هي عبادة خاصة وهي ما كان عن غير أمر الله او عناداً له او بقصد الاستحقاق الذاتي كاستحقاق الله أو نحو ذلك مع ان قوله ان جميع الرسل بعثوا لتقرير توحيد الربوبية والدعاء الى توحيد العبادة ولم يبعثوا للدعاء الى توحيد الربوبية جهل محض فان الأمم التي بعثت اليها الرسل منها من كان يعتقد في عيسى الالهية ويثبت له جميع صفاتها كما مر في رد كلام ابن عبد الوهاب فكيف يقول ان جميع من بعثت اليهم الرسل موحدون بتوحيد الربوبية ، ومنه يعلم فساد قوله ان من اتخذوا المسيح وامه لم يتخذوهم لأنهم أشركوهم في الخلق بل لأنهم يقربونهم الى الله زلفى ومنها من كان ينكر الله تعالى وينكر البعث وهم الذين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز : ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ، ففي تفسير الطبري يقول الله مخبراً عن هؤلاء

المشركين انهم قالوا وما يهلكنا فيفنينا الا مر الليالي والايام وطول العمر انكاراً منهم ان يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم . وفي مجمع البيان اي ما يميتنا إلا الايام والليالي اي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع . وفي تفسير الرازي ان الله حكى عنهم شبهتهم في انكار القيامة وفي انكار الاله القادر اما شبهتهم في انكار القيامة فهي قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى واما شبهتهم في انكار الاله الفاعل المختار فقولهم وما يهلكنا الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركه الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثير الطبائع وحركة الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة وفي تفسير النيشابوري ، انهم لم يقنعوا بانكار المعاد حتى ضموا اليه انكار المبدأ قائلين وما يهلكنا الا الدهر « انتهى » . ثم ان قوله تعالى اعبدوا الله ولا تعبدوا الا الله ليس صريحا في طلب توحيد العبادة فقط لجواز ان يعبر باللازم عن الملزوم فيكون قد طلب افراد الله بالعبادة وملزومه الذي هو افراده بالربوبية. ثم ان تقسيمه العبادة الى اعتقادية ولفظية وبدنية الذي اختصرناه . وقوله : ان العبادة أقصى غاية الخضوع وان مستحقها الله تعالى لايلائه أعظم النعم كما نقله عن الكشاف لا يظهر لذكره في هذا المقام فائدة بل هو تطويل بلا طائل كما هي عادتهم في التطويل بتكرير المعنى الواحد واعادته مراراً كثيرة كما وقع في كلامه من تكرير القول بان الانبياء بعثوا للدعاء الى توحيد العبادة لا توحيد الربوبية مراراً كثيرة وقد اختصرناه ووجه كون ذلك تطويلا بلا طائل انه لا ينكر أحد ان الحقيق بغاية الخضوع والتذلل هو الله تعالى ولكن الذي ينفع هو إثبات ان كل خضوع وتذلل لغير الله هو عبادة له موجبة للشرك والكفر وانى لهم بذلك بل هو بكلامه هذا رد على نفسه فانه جعل العبادة الخاصة بالله تعالى هي غاية الخضوع والتذلل فدل على ان مطلق الخضوع والتذلل ليس كذلك وتقسيم العبادة لا مساس له بما هو بصدده وكذا قوله ان رأس العبادة واساسها التوحيد وان المراد معنى كلمة الشهادة لا مجرد قولها تطويل بلا طائل اذ لا ينكر أحد ذلك ومن التطويل بلا طائل قوله وقد علم الكفار هذا المعنى الخ كما لا يخفى . أما رجز التلبية الذي استشهد به فهو عليه لا له فانهم بعدما جعلوا الاصنام شركاء لله يعبدونها بانواع العبادة التي نهى الله

عنها ولم يقع شيء منها من أحد من المسلمين كما ستعرف لا ينفعهم قول : هو لك تملكه وما ملك . قوله : وكانت عبادتهم للاصنام اعتقادهم انهم يضرون وينفعون الخ جعل تارة عبادة الاصنام هي اعتقاد انهم يضرون وينفعون ويشفعون المتفرع عنه النحر لهم والطواف بهم والنذر عليهم والذل والخضوع والسجود لهم وتارة جعل عبادتهم هي الخضوع والتقرب بالنحر والنذر المتسبب عن اعتقاد الشفاعة ولا يخفى تهافت ذلك وتناقضه وسواء كانت عبادة الاصنام هي الاعتقاد المذكور المتفرع عنه تلك الأفعال أو تلك الأفعال المتفرعة عن الاعتقاد المذكور أو هما معاً فقياس حال المسلمين بهم قياس فاسد وجهل محض كما علم مما مر في الرد على ابن عبد الوهاب . فالمشركون كذبوا الرسول «ص» وانكروا ما جاء به ومنهم من قال عيسى هو الله . والمسلمون أقروا بالله وبرسوله وبكل ما جاء به فكيف يقاس أحدهما بالآخر ويجعل مساوياً له هل هذا الا الضلال نعوذ بالله منه . والمشركون اعتقدوا في أحجار واشجار وجمادات لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تغيث ولا تشفع سواء كانت صور صالحين أو غيرهم فالشافع الصالح لا صورته أنها تضر وتنفع وتغيث وتشفع فتشفعوا واستغاثوا بها وعظموها ولم يجعل الله لها شيئاً من ذلك بل نهى عن التشفع والاستغاثة بها وتعظيمها . والمسلمون اعتقدوا ان الانبياء والصالحين ينفعون بدعائهم وشفاعتهم احياء وامواتا كما نصت عليه أحكام دينهم وادلته التي ستعرفها والتي اثبتت لهم الشفاعة والدعاء ويضرون بترك ذلك وبالبعد عن نيل بركتهم وهو اعتقاد صحيح مطابق لادلة الدين الاسلامي فطلبوا منهم ما جعله الله لهم من دعائه والشفاعة لديه . والمشركون عظموا ما لا يستحق التعظيم سواء كان صورة صالح متوهمة أو غيره فان الصورة لا تستحق تعظيما فانها ان كانت مجسمة فعملها حرام واتلافها واجب وان كانت غير مجسمة فعملها حرام أو مكروه واتلافها واجب أو مستحب وطافوا وتبركوا بما لم يجعله الله مباركا . والمسلمون عظموا من امر الله بتعظيمه حياً وميتاً وجعله معظما من الانبياء والصالحين وقبورهم وطافوا وتمسحوا وتبركوا بها لتشرفها باجسادهم الشريفة كما تشرف الجلد المعمول للمصحف فهل يسوي بين هؤلاء وهؤلاء الا جاهل مضل أو معاند . والمشركون عبدوا تلك الاحجار والأشجار بانواع العبادات التي نهاهم الله تعالى عنها فسجدوا لها وذبحوا ونحروا لها مهلين باسمائها على ذبائحهم دون اسم الله تعالى وطلوها بدمائها واعرضوا عن عبادة الله بالكلية وقالوا لا قدرة لنا على

عبادته فنحن نعبدها لتقربنا اليه واعتقدوا ان لها شرفاً ذاتياً واستحقاقاً للعبادة بالاستقلال واختياراً وتدبيراً وكانوا يقولون (اعل هبل) قاصدين أن تكون كلمة الأصنام ودين الجاهلية هي العليا وكلمة الله ودين الاسلام هي السفلى فاجابهم النبي « ص » بقوله : (الله أعلى واجل) فاعرضوا عن ذكر الله واكتفوا بذكرها وكذبوا الرسل الذين نهوهم عن عبادتها ولم يكتفوا بذلك بل بدلوا دين الله وغيروا احكامه ومنهم من عبد الملائكة وسماهم بنات الله . والمسلمون لم يعبدوا نبياً ولا صالحاً ولا قبره بل عبدوا الله وحده فلم يسجدوا لقبر ولا لولي ولم يذبحوا له ولم يذكروا اسمه على ذبيحتهم بل ذبحوا لله وحده وذكروا اسمه على المذبوح واهدوا ثواب الصدقة بالذبيحة اليه فهل يسوي بين عمل المسلمين هذا وعمل المشركين الا جاهل أو مكابر . وسيأتي لهذا مزيد توضيح في الباب الثالث ومر في رد كلام ابن عبد الوهاب في هذا الباب ما له علاقة بالمقام فراجع. ومن ذلك يظهر فساد استشهاده بآية اذ نسويكم برب العالمين، وان المسلمين بتشفعهم وتبركهم وتعظيمهم لمن جعله الله شافعاً مباركاً عظيما لم يسووه برب العالمين . قوله : ومنهم من كان يعبد الملائكة وبناديهم عند الشدائد . قد عرفت في رد كلام ابن عبد الوهاب ان عبادتهم للملائكة لم تكن مجرد التوسل والتشفع الذي يقع مثله من المسلمين فلا نطيل باعادته . قوله : وان لا يدعوا مع الله احداً ستعرف في فصل الدعاء ان المنهي عنه ليس هو ما يقع من المسلمين من طلب الشفاعة وان آية له دعوة الحق لا دلالة فيها على شيء مما يزعمونه . قوله : كما عرف من علم البيان ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر . كيف ذكر ما قاله علماء البيان هنا ونسي ما قالوه في باب المجاز العقلي من ان قول أنبت الربيع البقل اذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً من باب الاسناد الى الزمان واذا قاله الدهري كان حقيقة ولم يعمل به في طلب المسلمين من النبي أو الولي عافية المريض أو قدوم الغائب ونحو ذلك فيجعله مجازاً عقلياً من باب الاسناد الى السبب وقرينته ظهور حال المسلم كما جعل اهل البيان انبت الربيع البقل مجازاً عقلياً وقرينته صدوره من مسلم بل كفر به المسلمين واستحل اموالهم ودماءهم .

قوله : فاعتقدوا انهم يضرون وينفعون تقدم الكلام على مثله آنفاً فراجع. قوله: ويقربون الى الله ويشفعون عنده . نعم يقربون الى الله بدعائهم لنا ويشفعون لنا عنده ودعاء المؤمن لأخيه فضلاً عن النبي والشفاعة لا ينكرهما الوهابية كما ستعرف أما الأحجار والأشجار فليست لها هذه الصفة فبطل القياس . قوله : فدعوهم الى قوله وتمسحوا بها سيأتي الكلام

عليها مفصلا في الفصول الآتية ان شاء الله وباقي كلامه يفهم رده مما مر . قوله : فجعل اتخاذهم للشفعاء شركا سيأتي الكلام عليه مفصلا في فصل الشفاعة وان هذه الدعوى محض افتراء على الله تعالى وان اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة كنبينا « ص » هو عين إطاعة الله تعالى وان جعله شركا من أعظم الموبقات واقبح الافتراءات عليه تعالى وكذا بقية كلامه الذي من هذا القبيل . قوله : والاسماء لا تغير المعاني . نعم لا تغيرها فتسمية الوهابية الانبياء والاولياء وقبورهم ومشاهدهم اوثانا لا تجعلها أوثانا وتسميتهم طاعة الله وما امر به من تعظيم اوليائه والتشفع بهم شركا لا تجعله شركا وتسمية انفسهم الموحدين لا تجعلهم كذلك بعد ما نسبوا الى الله التجسيم ولوازم الحدوث . وقياسه تسمية القبر مشهداً والرجل ولياً بمن يسمي الخمر نبيذاً والشجرة المنهي عنها شجرة الخلد والحشيشة لقمة الراحة والظلم أدبا قياس فاسد وجهل محض فالمسلمون سموا محل القبر مشهداً بكرم صاحبه على الله ومكانته عنده وشرفه لديه باخلاصه له في العبودية وتشرفه بجسده تشرف الاديم والورق والمداد بكلام الله تعالى وسموا من اخلص لله في العبودية والطاعة ولياً كما سماه الله تعالى بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا « الآية » . الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغير ذلك . نعم قد يطلق اسم الولي على من لا يستحق ذلك لكونه معتوهاً أو مشعوذاً أو مع كونه جاهلاً أو فاسقاً ولكن هذا لا يوجب أن يكون اطلاقه على أهله خطأ وإثماً . وكون بعض الناس قد يعتقد في فسقة الاحياء وجهالهم لا يوجب فساد اعتقادهم في شفاعة الانبياء والاولياء وطلب دعائهم . اما استدلاله على كون ما يسمى مشهداً أو ولياً هو وثن وصنم بانهم يعاملونها معاملة المشركين للاصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت ويستلمونهم استلامهم لاركانه فيظهر فساده مما ستعرف في الفصول الآتية فان طوافهم بقبورهم واستلامهم لها تبركا بها وبمن فيها لمكانتهم عند الله وشرفهم عنده باخلاصهم له في العبودية وبذلهم انفسهم في طاعته هو طاعة لله الذي جعلهم مباركين وميزهم عن عباده كما ميز البيت واركانه وشرفها بالطواف والاستلام وهي أحجار وجماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ومن ذلك تعرف انه لم يعامل احد الانبياء والاولياء وقبورهم معاملة الاصنام بل عاملوهم بما امر الله ان يعاملوهم به وان هتافهم بهم لطلب الدعاء والشفاعة الذي لا محذور فيه . اما قولهم على

الله وعليك فلا يراد به الا على الله قضاء حاجتي وعليك الشفاعة عنده ودعاؤه في قضائها وهذا مقصد صحيح لا مغمز فيه ولا محذور ولا يريدون مساواته بالله تعــالى في القدرة والطلب منه فهو نظير قوله تعالى : (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فكيف نسب الله الايتاء اليه والى رسوله على السواء في ظاهر اللفظ وامر المسلمين أن يقولوا ذلك ولم يكن ذلك شركا وكان قوله عــلى الله وعليك شركا وكفراً وهو مثله ونظيره ولو فرض جهل مقصدهم لوجب الحمل على مــا ذكرنا لوجوب حمل أفعال المسلمين واقوالهم على الصحيح مهما امكن كما مر في المقدمات وكذا هتافهم باسمائهم عند الشدائد لا يراد به الا ذلك كما تكرر بيانه واتفاق اهل جميع بلاد الاسلام على المناداة بذلك واستمرار سيرتهم عليه أقوى دليل على اجماع المسلمين على ذلك واخذ الخلف له عن السلف واجماع المسلمين وسيرتهم حجة كما مر في المقدمات . اما قوله : ان افراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الخ فهو على اطلاقه بالنسبة الى الدعاء والنداء والاستعانة والخضوع والتذلل وامثال ذلك فاسد لما عرفت وستعرف من ان مطلق هذه الامور لا يكون عبادة منهياً عنها أو موجبا للشرك وان الممنوع منه ما كان خلافا عــلى الله ومعاندة لامره وتعبداً بما لم يأذن به وان ما يفعله المسلمون خارج عن ذلك كله واما النذر والنحر فيأتي كل منهما في فصله . قوله : من اعتقــد في شيء من ذلك انه ينفع أو يضر ، مر الكلام في مثله ويشمل كلامه هذا من سأل رجلاً ان يدعو له واعتقد انه ينفعه بدعائه ومن اعتقد في شخص انه يضره بدعائه عليه أو نحو ذلك ومن اعتقــد في شخص حي انه ينفعه ببره أو يضره بشيء من مضار الدنيا فيلزم كفر الجميع . قوله : أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع الخ سيأتي الكلام عليه في فصل الشفاعة .

اما الحديث الذي قال ان فيه مقالا فهو حديث سؤال الاعمى الآتي في فصل التوسل حيث امره النبي (ص) ان يتوسل به الى الله وستعرف انتفاء كل مقال عنه واذا كان التوسل به (ص) في حياته ومماته شركا وكفرا كما يقتضيه قوله حي او ميت فيلزم القطع بكذب هذا الحديث لا ان يكون فيه مقال .أما استشهاده بالحديث القدسي: انا اغنى الشركاء الخ فغريب لأنه وارد في الرياء كما صرح به بعد ذلك وانه تعالى لا يقبل عمل المرائي وتسمية الرياء شركا في الاخبار من باب المجاز والمبالغة كتسمية بعض الذنوب كفراً كما بينــاه في الامر الخامس من المقدمة الثانية والا فلم يقل احد بأن المرائي صــار كافراً مشركا حلال

المال والدم حتى يتوب ولا نظن ان الوهابيين يلتزمون بذلك وان كان لا يستبعد شيء من جمودهم وتعسفهم وتعنتهم وقد صرح بعضهم في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية [١] بأن الرياء لا يخرج عن الملة وانه شرك اصغر ومن ذلك ظهر ان استشهاده اخيراً بتسمية الرياء شركا لا محل له ، أما استشهاده بتسمية حواء ولدها بعبد الحارث بأمر من ابليس الذي تسمى الحارث وتسمية الله له شركا فعجيب فان ابليس ما اراد بأمرها ان تسميه بعبد الحارث اي عبد الشيطان الا ان يكون عبداً له كما هو عبد الله فاذا اطاعته حواء في ذلك.فقد جعلت له شريكا فيما آتاها فهل يقاس بذلك المتشفع الى الله بمن جعل الله له الشفاعة والمعظم لمن جعله الله عظيما والمتبرك بمن جعله مباركا الى غير ذلك ، قوله : والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم . لا كلام لنا فيمن يعتقد في جهال الاحياء والأموات وضلالهم فنحن لا نعتقد فيهم ونخطىء من يعتقد فيهم وانما كلامنا في الأنبياء والأولياء والصلحاء ، قوله : فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز ان يعتقد الا في الله الى قوله : ونحروا تقرباً اليهم . قد عرفت اننا لم نعتقد فيهم الا ما جعلهم الله له أهلا . وستعرف انه لم يجعل احد لهم جزءاً من المال وانما ينذر الصدقة واهداء الثواب اليهم الذي ثبت جوازه في الشرع وان زيارة قبور الانبياء والصلحاء والقصد اليها مما يتقرب به اليه تعالى وان الطواف حول قبورهم التي بوركت بهم كما بورك جلد الشاة والورق بالمصحف والخضوع عندها احتراما لأهلها لا محذور فيه وهو اطاعة لله تعالى وان الهتاف بأهلها عند الشدائد لطلب دعائهم وشفاعتهم لا مانع منه وان النحر هو تقرب الى الله لا اليهم وانما يهدى ثواب الصدقة بالمنحور لهم وانه ليس في شيء من ذلك شائبة العبادة لغيره تعالى. (أما السجود على العتبة) الذي حكاه عمن يثق به فالذي نظنه ان هذا المخبر رأى من يقبل العتبة فظنه سجوداً وتقبيل العتبة كتقبيل الضريح تعظيما له وتبركا به لا مانع منه ولا محذور فيه ، وان اباه جمود الوهابية وتعنتهم وستعرف ذلك في فصل التبرك بقبور الصالحين باللمس والتقبيل وغير ذلك وان صح ما نقل من السجود على عتبة مشهد الولي ولا نظنه صحيحا فيجب حمله على السجود لله تعالى شكراً له على التوفيق لزيارة النبي او الولي التي ثبت انها طاعة كما ستعرف اذ لا يظن ولا

---

(١) ص ٢٥

ولا يحتمل بمسلم السجود لغير الله وهو يعلم انه غير جائز فما دام له محمل صحيح لا يجوز حمله على الفاسد ولا يجوز الحكم بكفر فاعله كما مر في المقدمات، نعم الأرجح تركه لأنه موهم للسجود لغير الله ، قوله: هذا جهل منهم بمعنى الشرك. قد ظهر بما عرفت وستعرف انه احق بنسبة الجهل اليه . قوله : فان تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك . بل تعظيم من عظم الله من الانبياء والأولياء والصلحاء من أعظم الطاعات لله تعالى ونسبة فاعلها الى الشرك وعدم تعظيمهم بل اهانتهم بهدم قبورهم وجعلها معرضا لكل هوان من أعظم الموبقات التي ان لم تكن كفراً لمخالفتها اجماع المسلمين بل ضرورة الدين لا تنقص عن الكفر والشرك وقد عرفت مما ذكرناه ان ما يفعله المسلمون بعيد عما فعله المشركون اكثر من بعد السماء عن الارض وان افعالهم تصدق اقوالهم ولا تكذبها ، قوله : خرج الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها . قد مضى في رد كلام ابن عبد الوهاب ان الذي ذكره الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر استهزاء او عناداً او اعتقاداً كفر لا مطلق من قالها ، قوله : وهــذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد بل ما عرفت دال على انه ومن تبعه لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا الشرك ويرمون المسلمين بما هم منه براء . وافحش من هذا كله قوله : فصاروا حينئذ كفاراً كفراً اصلياً، افتراء تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان يكون المسلمون المقرون لربهم بالوحدانية ولنبيه بالرسالة والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والقائمون بجميع فروض الاسلام كفاراً كفرا اصلياً موجباً لحل دمائهم واموالهم واعراضهم،لماذا؟! لانهم يسألون الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ويستغيثون بمن جعله الله مغيثاً ليدعو اللهلهم في نجاح مطالبهم وهم لا يعتقدون الا انــه نبي شرفه الله بالرسالة ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً الا بأمر الله تعالى ، قوله : فمن نادى الله الى قوله: فان الدعاء من العبادة الخ ، ستعرف تفصيل الجواب عنه بما لا مزيد عليه في فصل الدعاء والاستغاثة وان طلب الشفاعة والاستغاثة بمن جعله الله شافعا ومغيثا لا يدخل في ذلك وقد بان من ذلك انهدام ما بناه على هذا الوهم الفاسد من الاسئلة والاجوبة الفاسدة بقوله : اذا كانوا مشركين وجب جهادهم الخ. والسؤال الذي بعده المتضمن لقصة أسامة وجوابه المتضمن تشبيه المسلمين بطلبهم الشفاعة من النبي «ص» واستغاثتهم به ليدعو الله

لهم باليهود المنكرين بعض الانبياء المتمسكين بشريعة منسوخة وببني حنيفة القائلين ان مسيلمة نبي او الذين اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من الضروريات وباصحاب عبدالله بن سبا القائلين لامير المؤمنين علي بن ابي طالب انت الله[1] وبمنكري البعث وبالخوارج الذين هم اشبه الناس بالوهابية كما عرفت في المقدمات والذين أنكروا حب علي بن ابي طالب وهو من ضروريات الاسلام واستحلوا دماء المسلمين وكفروهم كما انكر الوهابيون حرمة قبر رسول الله «ص» ووجوب تعظيمه وهي من ضروريات الدين وجعلوه وثنا وصنما واستحلوا دماء المسلمين وكفروهم ، قوله : هذا جهل بمعنى العبادة فانها لا تنحصر فيما ذكرت بل رأسها واساسها الاعتقاد الخ كأنه يريد انهم يعتقدون فيهم انهم يقدرون على ما يطلب منهم فيصنعون ما يتفرع عن الاعتقاد من الدعاء والنداء الخ ، فنقول : هذا جهل منه واضح فالمتشفعون والمتوسلون من المسلمين بالانبياء والاولياء والصالحين لا يعتقدون فيهم انهم يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا وان الامر كله لله وانما يعتقدون فيهم ماجعلهم الله له اهلا من الشفاعة والوسيلة واجابة الدعاء وانه ميزهم على غيرهم من الخلق وقربهم منه بطاعتهم له فمعتقد ذلك فيهم مصيب لا مخطىء فلذلك يدعونهم ليشفعوا لهم عند من جعل لهم الشفاعة ويتوسلون بهم الى من جعل لهم الوسيلة ويستغيثون ويستعينون بهم ليسألوا الله في قضاء حوائجهم ويحلفون بهم لان لهم قدراً وشأناً عند الله تعالى بإطاعتهم وستعرف في فصل الحلف انه لا محذور فيه وينذرون النذور ويهدون ثوابها اليهم الى غير ذلك فهذا الاعتقاد لا مساس له بالعبادة حتى يجعل اسها ورأسها والمتفرع عنه لا ضرر فيه ولا محذور ، قوله : وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافراً ، فمع انا لم نر ذلك في كلام العلماء ولو فرض فلا دليل عليه وانما يكون آثماً . فيه ان قياسه بما يفعله المسلمون قياس فاسد لما عرفت من ان ما يصدر من المسلمين لا محذور فيه والعجب من هؤلاء تارة يجعلون ما ينسبونه الى العلماء حجة وتارة يكفرون جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم ولا يعبأون بما استمرت عليه سيرتهم جيلا بعد جيل ، قوله : ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً ، أقول : قد عرفت انهم يكفرونه بذلك اذا قالها استهزاء او عناداً او اعتقاداً لا مطلقاً كما يقتضيه كلامه . قوله : فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولا وفعلا . قد عرفت انه لم يعتقد الا ما هو الواقع ولم يقل ولم يفعل الا ما هو الصواب .

---

(١) ان صح ذلك ، فقد ثبت ان عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لا وجود لها الا في الخيال ، راجع كتاب عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكري . « الناشر »

وقال ابن تيمية في رسالة الواسطة [١] في جواب مسألة عن رجلين تناظرا فقال احدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك : ان اراد انه لا بد من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق ، الى ان قال : وان أراد انه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار ، الى ان قال : فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمن ، الى ان قال : ومن أثبت مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وخلقه كالحجاب بين الملك ورعيته يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه فالله انما يهدي ويرزق بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله تأدبا او لان سؤالهم أنفع لقربهم فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل « انتهى »

والجواب : ان ما ذكره من القول بأنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار او ان المشايخ وسائط كالحجاب بين الملك ورعيته والله لا يهدي ولا يرزق الا بتوسطهم غير موجود لأحد من المسلمين فسواء كان جعل ابن تيمية له كفرا وشركا صوابا او خطأ لا يضر احداً وذكره له تطويل بلا طائل فلا نطيل برده وان كانت دعواه الاجماع على التكفير بالأول غير ثابتة ولا مستند لها ومن الذي عنون هذه المسألة الفرضية وتكلم على حكمها من المسلمين حتى يدعى اجماعهم على ذلك على ان مجرد سؤال غفران الذنب وتفريج الكرب ونحو ذلك لا يعد غلطاً وخطأ وفضلا عن ان يكون شركا وكفراً لأنه محمول على الصحة من باب المجاز في الإسناد بارادة الاسناد الى السبب كما فصلناه في المقدمات وفي تضاعيف ما مر كما ان حكمه بكفر وشرك من اثبت المشائخ واسطة على النحو المذكور واستحلال دمه ان لم يتب . لو فرض وجود من يعتقد ذلك لا دليل عليه وهو تهجم على الدماء وتقول على الله لأن الظاهر مراده انهم وسائط وشفعاء الى الله في ذلك لا انهم يفعلونه من انفسهم كما صرح به في قوله : ومن اثبت مشايخ العلم الى قوله : فالخلق

(١) ص ٦٦ - ٧٠ طبع المنار بمصر .

يسألونهم وهم يسألون الله تأدبا . ودعوى انها كعبادة الاصنام والاعتقاد فيها يدفعها ما مر ويأتي مفصلا من ان عبادة الاصنام واشراك عابديها ليس من هذا القبيل ، نعم اعتقاد ذلك غلط وخطأ اما ان معتقده كافر مشرك فلم يقم عليه دليل ان لم يقم على عدمه .

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٨ ان الوهابي ارسل كتابا الى شيخ الركب المغربي ومعه اوراق تتضمن دعوته وعقيدته وفيها بعد المقدمة ما نصه : ان الرسول (ص) اخبرنا بأن امته تأخذ مآخذ القرون قبلها شبراً بشبروذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه (ص) لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن. واخبر في الحديث الاخر ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي. اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الاشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الارب الارض والسماوات وكذلك التقرب اليهم بالنذر وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الا لله وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى اغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا كما قال تعالى (فاعبدوا الله مخلصين له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)فاخبر سبحانه انه لا يرضى من الدين الاما كان خالصالوجهه واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده واخبر انه لا يهدي من هو كاذب كفار . وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله: سبحانه وتعالى عما يشركون) فاخبر انه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم وذلك ان الشفاعة كلها لله (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم .يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا) وهو لا يرضى الا التوحيد [١] (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) فالشفاعة

---

(١) ولا موحد الا الوهابيين فلا شفاعة الا لهم . — المؤلف —

حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله كما قال (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً . ولا تدع من دون الله ما لا ينفك ولا يضرك) فاذا كان الرسول (ص) وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع الا باذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر للهساجدا فيحمده بمحامد يعلمه اياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ثم يحد له حدا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الانبياء والأولياء وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من العلماء المسلمين بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم واما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها واتخاذها اعيادا وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي اخبر بها النبي (ص) امته وحذر منها كما في الحديث : لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وهو « ص » حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك فنهى ان يجصص القبر وان يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيه ايضاً انه بعث علي بن ابي طالب وامره ان لا يدع قبراً مشرفا الا سواه ولا تمثالا الا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول «ص» فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله «ص» واجماع السلف الصالح من الامة ممتثلين لقوله تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. الى ان قال : ونعتقد أيضاً ان امة محمد المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وانه لا تزال طائفة من امته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك «انتهى» .

والجواب عما تضمنه هذا الكتاب مما روي عنه «ص» من اتباع هذه الأمة سنن الأمم قبلها كاليهود والنصارى : انه لا يبعد ان يكون النبي «ص» أشار به الى الوهابية فاولئك اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد ورد في الحديث انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما احلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم ، وهؤلاء قلدوا محمد بن عبد الوهاب في كل ما يقوله فحرم عليهم حلالاً كالتشفع والتوسل بذوي المكانه عند الله ونحو

ذلك وحلل لهم حراماً وهو سفك دمــاء المسلمين واستباحة أموالهم واعراضهم فاتبعوه بدون تحقيق ولا تمحيص للأدلة حتى كأن كلامه وحي منزل وهو ممن يجوز عليه الخطـأ وادلته التي يستدل بها كلها ضعيفة واهية كما بيناه في هذا الكتاب وهم يأخذونها بالقبول ولا يقبلون عليها رداً ولا في مقابلها دليلا ولا يحيدون عنها قيد انملة ولا يزيدون عليها ولا ينقصون منها كلمة واحدة ويتوارثها آخرهم عن أولهم بلفظ واحد ومعنى واحد ويسمون انفسهم بالسلفيين أي انهم اتباع السلف واذا اورد لهم شيء من اقوال السلف يخـالف معتقدهم لا يتحاشون من نسبة قائله الى الشرك والكفر ويقولون مقتدانا الكتاب والسنة فهم في خطأ على الحالين فان اقوال السلف ليست وحياً منزلا ولا اصحابها معصومون من الخطأ حتى نقلدهم على كل حال واذا جاز تقليدهم فما بالنا نقلدهم تارة ونكفرهم اخرى وستعرف في الفصول الآتية مخالفة السلف للوهابيين في الشفـاعة والتوسل وزيارة القبور والبناء عليها وغير ذلك مما تجده في تضاعيف هذا الكتاب . وأما مــا تضمنه الكتاب المذكور من الحديث القائل ان الفرقة الناجية هي من كان على مثل مـا كان عليه الرسول «ص» واصحابه فهو من البديهيات والضروريات التي لا تحتاج الى الاستدلال بالأحاديث واطالة الكلام اذ لا شك في ان متبع النبي «ص» ناج ومخالفه هالك والا لم يكن نبيا وقد قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وما كان عليه النبي «ص» هو دين الاسلام واصحابه اقتدوا به واتبعوه عليه فالميزان في الحقيقة هو ما كان عليه النبي «ص» فقط لان اتباع اصحاب النبي «ص» المتبعين له اتبـاع له « ص » وان خالفوه لم يجز اتباعهم وأي مسلم يشك في وجوب اتبـاع النبي « ص » دون غيره . اللهم انا لا نتبع الا طريقة رسولك وسنته ونبرأ اليك ممن خالفها ولو ظهر لنا ان الاستغاثة والتشفع والتوسل بذوي المكانة عندك وتعظيم قبور الانبياء والصالحين تخالف سنة نبيك « ص » لكنا أول من تبرأ منها . وهذا ليس محلا للكلام ولا محطا للانظار وانما محل الكلام معرفة ما كان عليه النبي «ص» واتبعه عليه اصحابه فقد وقع الاختلاف الكثير فيه بين المجتهدين وعلماء المسلمين فما اثبته هذا نفاه ذلك (وكل يدعي وصلا بليلى) وكل يقول ان قوله هو ما كان عليه الرسول «ص» واصحابه ، لا يوجد من يقول اني لا اتبع ما كان عليه الرسول «ص» واصحابه بل الصحابة انفسهم اختلفوا في مسائل عديدة ليس هذا محل تفصيلها وستعرف ان الاستغاثة بذوي المكانة طلباً لدعائهم والاستشفاع بهم اليه والبناء عـلى القبور والصلاة

عندها سيرة المسلمين خلفا عن سلف وسيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وقد اعترف صاحب الكتاب بحجية اجماع السلف الصالح وان الامة لا تجتمع على ضلالة وتقييده الامة بالمتبعين للسنة لا يظهر له معنى ولا فائدة اذ لا يوجد مسلم تظهر له سنة رسول الله «ص» ويقول لا اتبعها وانما أراد بذلك ان يحفظ لنفسه خط الرجعة فيحصر اتباع السنة بالوهابيين فقط حينما يحتج عليه احد باجماع الأمة وانى له ذلك فان ثبت قول الرسول «ص» لا تجتمع امتي على ضلالة كان ذلك دالا على ان ما اتفقوا عليه هو من سنته وعلى طبق شريعته فهذا القيد الذي قيد به فضول فاسد. ومر في المقدمات ان سيرة المسلمين واجماعهم كاشف عن ان ذلك مما كان عليه النبي «ص» . قوله : وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين واجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ستعرف في الفصول الآتية عدم صحة هذه الدعوى وان الذي اجمع عليه السلف الصالح وعلماء المسلمين خلاف ما عليه الوهابية . أما باقي الكتاب فيفهم رده مما مر في كلام ابن عبد الوهاب والصنعاني فان كلماتهم كلها تدور على محور واحد .

وعن تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي انه حكى عن عبد اللطيف حفيد ابن عبد الوهاب انه قال : ذكر طرف من معتقد المغالين في القبور والصالحين . ونذكر لك طرفا من معتقد هؤلاء ليعلم الواقف عليه أي الفريقين احق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلا مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق . من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعاؤهم مع الله في المهات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الا الله والعكوف حول اجداثهم وتقبيل اعتابهم والتمسح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار وسؤالهم تزويج الارامل والايامى واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية واعطاء تلك المراتب السامية . وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والانابة اليه بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والانابة الى الله

تعالى في كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في اصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر والتنديد فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج وخطابه محض عناء ولجاج. ومن وقف على كتب المتصوفة ومناقب مشايخهم وقف على ساحل بحر من ضلالهم وفي حاشية البيجوري على السنوسية نقلا عن الدردير عن الشعراني ان الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي فقف هنا وانظر الى ما آل اليه افكهم فاين هذا من قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني « الآية » ادعوا ربكم تضرعا وخفية . فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب . ام من يجيب المضطر اذا دعاه . وقال ربكم ادعوني استجب لكم) واي حجة في هذا الذي قاله الشعراني لو كانوا يعلمون ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة شمس الدين الحنفي انه قال في مرض موته من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب أن اقضيها له فانما بيني وبينه ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل وباب تصرف المشايخ والأولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الاسلام من أهل البسيطة وخرقه قد هلك في بحاره اكثر من سكن الغبراء واظلته المحيطة حتى نسي القصد الأول من التشفع والوساطة فلا يعرج عليه عندهم الا من نسي عهود الحمى فعاد الأمر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى الى هذه الغاية بل ذكر الله عز وجل انهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الالهية . ومن عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله ان امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق الا حبك « انتهى » . وروى ان بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه

بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين وكثير من علماء مصر يقول لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد احمد البدوي وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ومن المعروف عندهم شراء الولدان من الولي بشيء معين يبقى رسما جاريا يؤدي كل عام وان كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه ولا يمانع هذا الا مكابر في الحسيات وان فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر وهذا أشد واشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) « الآية » . وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح وسوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الاولياء وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو أشد تحريما مما ذبح وذكر عليه اسم غير الله فان الشرك في العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة . ومن ذلك ترك الأشجار والكلأ والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله . ومنها الحج الى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه اذا فرغ من الزيارة وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد . ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمهامه التي لا ينجو سالكها ولا يكاد ومن نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له المام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين ومن شاهد ما يقع منهم عند مشهد علي والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهم عند رافضتهم والشيخ عبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم رضي الله عنهم عند سنتهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وانواع الموبقات علم أنهم من أجهل الخلق واضلهم وانهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى الاسلام والله المسؤول ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويمحو هذه الضلالات حتى يعبد وحده فتسلم الوجوه له وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها « انتهى » .

ونحن نبين لك بأجلى بيان ان ما نسبه الى المسلمين والى زوار قبور الأئمة والصالحين بعضه زور وبهتان وبعضه لا يستلزم الشرك ولا العصيان ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن وبتسميته بالمسلم الموحد المطيع لله ولرسوله والمتبع سنة نبيه (ص) ان كان الواقف ممن سلم من العصبية والعناد وتقليد الآباء والاجداد ولئلا يلتبس الامر بتسميتهم لضلالهم ومحالهم توحيداً ولتعظيم من امر الله بتعظيمه شركا وكفراً ولمخالفة السنة واجماع المسلمين وطريقة السلف اتباعاً للسنة وللسلف مع ما في ذلك من الهلاك المتناهي واستباحة الدماء والاموال التي حرمها الله تعالى عند من يعقل الحقائق . زعم ان المسلمين يحبون مع الله محبة تأله . نعم انهم يحبون في الله ولله وبامر الله وتلك لا تخرج عن محبة الله اما انهم يحبون مع الله فان اراد المعية في الوجود فلا محذور فيه وان اراد المساواة لمحبة الله كما في قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فالمسلمون مبرؤن من ذلك وان محبة المشركين للاصنام واطاعتهم لهم المخبر عنها في الآية كما عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين الذين لا يستحقون محبة ولا اطاعة أو لرؤسائهم الذين كانوا يطيعونهم كما عن السدي من محبة المسلمين للانبياء والاولياء والصلحاء التي هي محبة لله تعالى لأمره بها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم (ص) بقوله تعالى (قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا . فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم) وقرن حب رسوله (ص) بحبه في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وعن انس ان رسول الله (ص) قال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين) اخرجه البخاري ومسلم ولابن ماجة في سننه عن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله (ص) : ما بال اقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني) وقال رسول الله (ص) في علي (ع) يوم خيبر (لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) اخرجه الشيخان وقال له (يا علي حبك ايمان وبغضك نفاق) الى غير ذلك ولا يتم الحب لله تعالى الا بحب هؤلاء لان حبهم من حبه تعالى لانه عن أمره ولان المؤمن انما يحبهم لانهم عباد الله المطيعون لامره المتفانون في طاعته المجاهدون باموالهم وانفسهم في سبيله ولاعلاء

كلمته واحياء دينه فكلما كمل ايمان المؤمن وإسلامه كملت محبتهم في قلبه وهيهات ان يكمل إسلام المسلم وايمانه بدون كمال محبتهم فمن جعل كمال محبتهم من اسباب الشرك كهذا الرجل واهل نحلته فهو بعيد عن الاسلام والايمان مستحق لسخط الرحمن بنص قوله (ص) لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من ولده ووالده فحبهم مع الله لله ولقرابتهم من رسول الله (ص) من متممات الاسلام والايمان فاي الفريقين أحق بالامن أمن يجعل كمال حبهم من اسباب الشرك أم من يعتقده من متممات الايمان كما جعله الله ورسوله. ومنه يعلم ان قوله : محبة تأله افك وافتراء وان ما يحكى عن كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب من قوله : ان من حقق محبة مشركي زماننا لآلهتهم التي يسمونها بالاولياء يعلم يقيناً انهم يحبونها اكثر من محبتهم لله ويتصدقون لوجوهها مما لا يقدرون ان يتصدقوا بعشره في وجه الله — ايضاً كذب وافتراء فليس احد من المسلمين الذين سماهم مشركين يحب احداً من الناس نبياً أو ولياً الا في حبه تعالى لكونه محبوبا له مقربا عنده بطاعته له تعالى فحبه حب لله غير خارج عنه فضلا عن ان يكون اكثر من حبه تعالى ولا يتصدق واحد لوجوههم وانما يتصدق عنهم لوجهه تعالى فيهدي الثواب اليهم. قوله : وخضوع ورجاء اما الخضوع فحاصل ولا محذور فيه واما الرجاء فيرجون منهم الدعاء والشفاعة ومنه تعالى إجابة دعائهم وقبول شفاعتهم وهذا لا محذور فيه ايضا وهو عين اطاعته تعالى وعبادته كما مر مراراً. قوله : ودعائهم مع الله في المهمات والملمات الخ قد عرفت انهم لا يدعونهم لكشف المهمات ودفع الملمات ليكشفوها بانفسهم وانما هو طلب الدعاء والشفاعة. قوله : والعكوف حول اجداثهم، سمى زيارة قبورهم وتلاوة القرآن والصلاة والدعاء وطلب الحوائج من الله تعالى عندها والتبرك بها ونحو ذلك عكوفا تشبيهاً بالعكوف على الاصنام كما سماه غيره من اصحاب نحلته على ما مر وقد عرفت وستعرف ان ذلك كله مطلوب مرغوب فيه شرعاً لا مانع منه ولا محذور فيه سواء سماه عكوفا او لا. وقد روى البخاري في صحيحه لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته على قبره قبة ولبثت هناك سنة كاملة. قوله: وتقبيل اعتابهم والتمسح بآثارهم، ستعرف في فصل التبرك بالقبور ان تقبيل الاعتاب والقبور والتمسح بها وبآثار الصالحين تبركا وتعظيما جائز وراجح لا مانع منه ولا محذور فيه طلباً للغوث بالشفاعة والدعاء واستجابة الدعا

منه تعالى ببركة المكان والمكين . قوله : واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة ، وهذا لا مانع منه فالثلاثة حاصلة منا لله تعالى بلا ريب واظهارها عند قبر النبي أو الولي لشرفه وحاصلة منا للنبي او الولي لطلب دعائه وشفاعته . قوله : واستنزال الغيث والامطار ، لا مانع من ذلك ببركتهم ودعائهم وشفاعتهم وهو نظير ما يأتي من ان اهل المدينة قحطوا فقالت عائشة انظروا قبر النبي (ص) فاجعلوا منه كوة الى السماء فمطروا . قوله : وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار ، ولا مانع منه بتسببهم بالدعاء والشفاعة وسيأتي في فصل الدعاء والاستغاثة استغاثة من اضل شيئاً او اراد عوناً في أرض ليس فيها انيس بقول يا عباد الله اعينوني أو اغيثوني ففيه طلب السلامة من شدائد البراري والبحار من غير الله تعالى. قوله: وسؤالهم تزويج الارامل والايامى الى قوله: المطالب العالية، لا مانع من ذلك بطلب دعائهم وشفاعتهم ولو كان ظاهر اللفظ اسناد الافعال اليهم حملا لفعل المسلم وقوله على الصحة من باب المجاز في الاسناد كما مر في المقدمات . قوله : وتأهيلهم لمغفرة الذنوب الخ هذا كذب وافتراء منه على المسلمين فكلهم يعلم انه لا يغفر الذنوب ولا ينجي من الهاوية ولا يعطي المراتب السامية في الجنان الا الله قد قرأوا ذلك في كتاب ربهم وعرفه عامتهم وخاصتهم وهيهات ان يؤهل احد منهم احداً من المخلوقين نبياً فمن دونه لمغفرة الذنوب وانما يرجون بتوسلهم بالاولياء والصالحين وتشفعهم بهم وطلب دعائهم واستغفارهم وزيارة قبورهم ومحبة الرسول (ص) واهل بيته ان يغفر الله لهم وينجيهم من الهاوية ويعطيهم المراتب السامية وقد وعد الله تعالى على لسان نبيه (ص) المتمسك بهم النجاة بقوله (ص) مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى . مثل اهل بيتي كمثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله كان آمنا. ولكن يأبى قصد ترويج الباطل لهؤلاء الا الكذب والافتراء وقذف المسلمين بما هم منه براء . قوله : وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والانابة اليه بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج

للاستسقاء والانابة الى الله تعالى في كشف انشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع ذكي القلب ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في اصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد اهل المقابر فذاك فاسد الفطرة وخطابه محض عناء . هذا ايضا افتراء منه على المسلمين فكلهم يعلم ان القادر المختار على كل شيء هو الله تعالى وحده وان النبي فمن دونه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضراً الا باذن الله وانه لا ينفع الا قصده تعالى والانابة اليه وهذا راسخ في نفوسهم خاطر دائما ببالهم مطابق لافعالهم واقوالهم وليس للولي ولا لمشهد الشيخ في نفوسهم شيء غير ما جعله الله له من البركة والشفاعة واستجابة الدعاء فيقصدون مشهده وينادونه طلبا لذلك الذي لا يخرج عن قصد الله تعالى والانابة اليه كما لم يخرج سؤال الدعاء من المؤمن عن ذلك . واما قوله : حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستسقاء فهو كسابقه في انه كذب وافتراء فكلهم يخرجون الى الاستسقاء عند احتباس قطر السماء ويدعون الله مع ذلك في المشاهد المباركة كما يدعونه في المساجد وفي كل مكان هو مظنة اجابة الدعاء ولم نر ولم نسمع عنهم غير ذلك ، نعم يوجد في الناس من يدعي الولاية لمن ليس اهلا لها ولكن لا يقاس به من اثبت الولاية لاهلها ودخل البيوت من ابوابها فيعمم الكلام لجميع المسلمين. ولكن الوهابية لما الفت طباعهم شبهات ابن عبد الوهاب وفسدت بها فطرهم وعز عنها امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من احترام من جعل الله له الحرمة والتشفع والتوسل والتبرك بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة والبركة حتى جعلوا قبور الانبياء والاولياء اصناما واوثانا ومن عظمها وتبرك بها كافراً مشركا فهل سمعت من جاهلية العرب أو من احد من أهل الملل والنحل مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب، والكلام مع المسلم الذكي القلب المتبع طريقة المسلمين المنصف العارف بمنزلة الانبياء والاولياء عند الله تعالى ورفيع درجتهم أما ميت القلب بليد الذهن جامد القريحة الذي

نبذ ما عليه المسلمون كافة وخالف اجماعهم وطريقتهم وجهل منزلة الانبياء والاولياء وقصر بهم عن المرتبة التي جعلها الله لهم وتمحل وعاند ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد لشخص واحد يجوز عليه الخطأ والتعلق على ما يقوله والاتباع لشبهة سنها وضلالة ابتدعها حتى كأنها وحي منزل فذلك ميت القلب بليد الذهن فاسد الفطرة وخطابه محض عناء . أما المتصوفة : فاذا فرض نقلهم بعض المناقب المكذوبة من مشايخهم فهل يوجب ذلك بطلان مناقب الانبياء والاولياء على العموم ومع ذلك فالظاهر انهم لا يعتقدون في مشايخهم الاستقلال في التصرف ولا يزيدون عن اعتقاد انهم عباد مكرمون ومع الشك يجب حملهم على ذلك لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مع الامكان . وما نقله عن حاشية البيجوري لا يوجب اعتقاده كفراً ولا شركا لانه ممكن فيجب قبوله اذا دل عليه النقل وهب ان ناقله كاذب فلا يكون كافراً بل عاصياً . اما امكانه : فلتواتر النقل بانه تعالى يستعمل الملائكة في نظام عالم التكوين بلا حاجة منه اليهم . فلا مانع من ان يوكل الله تعالى ملكا لقضاء حوائج الخلق ولا يكون معتقده كافراً اذا كان مخطئاً فضلا عن المصيب ولا ينافي ذلك الآيات التي ذكرها فمجيب الدعوة وقاضي الحاجة حقيقة هو الله تعالى كما انه تعالى تارة قال (الله يتوفى الأنفس حين موتها . والله خلقكم ثم يتوفاكم) وتارة قال : قل يتوفاكم ملك الموت . الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم . الذين تتوفاهم الملائكة طيبين . توفته رسلنا . اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة . فكيف اذا توفتهم الملائكة . حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم . فكما لا تناقض بين هذه الايات لا تناقض بين ما ذكره بعد صحة النقل المذكور. ومنه يعلم انه أولى بنسبة نبذ كتاب الله وراء ظهره اليه. وما ذكره الشعراني في ترجمة الحنفي لا يوجب اسقاط حرمة الانبياء والاولياء وشفاعتهم واستغفارهم ودعائهم ووسيلتهم رأساً واذا تجاوز الشعراني في بعض شطحه لا يتعدى ذلك الى غيره. واذا اعتقد بعض الناس في المشايخ والاولياء الذين بعضهم من الدجالين والمحتالين أو المجانين ما لا ينبغي اعتقاده فليس لنا ان نأخذ بذنبهم غيرهم ممن اعتقد في الانبياء والاولياء والصلحاء

الحقيقيين. اما قوله : ولم يبلغ شرك الجاهلية الى هذه الغاية فقد مر نظيره في كلام الصنعاني ومر الكلام عليه . وأما حكاية المرأة التي كف بصرها : فلا يقاس عليها غيرها مع أنه يمكن إن يلتمس لكلامها وجه صحيح ان صحت الحكاية وهو ان الله تعالى قد اقتضت مشيئته كف بصرها فلم يبق الا ان تتوسل بهذا الولي وبجبه الى الله ليرد عليها بصرها . اما ما حكاه عن بعض المغاربة فغير بعيد انه من الاكاذيب نظير ما مر حكايته من ان رجلا صلى الى ضريح ابن عباس وترك القبلة عامداً فانا لم نر ولم ينقل لنا وقوع شيء من هذا في شيء من البلدان والازمان ولو صح لم يقس عليه غيره وهو خاص بفاعله كقول من قال لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد البدوي مع ان من يقول هذا لا يصح ان يسمى عالما فهل اذا غلطت امرأة كف بصرها أو بعض المغاربة أو بعض علماء مصر نغلط كافة الأمة ونكفرهم . قوله : وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد ، مر الكلام عليه في هذا الباب عند الرد على الصنعاني . قوله : لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ، المدار على العبادة الحقيقية لا الصورية والاعمال بالنيات أما شراء الولد بشيء معين والمرأة بشيء من مهرها فلم نسمع بذلك ولم نره ولو فرض صحته فيختص بفاعله مع ان له وجهاً صحيحاً وهو قصد التصدق عن الولد أو المرأة بمال واهداء ثواب الصدقة الى الولي فيجب الحمل على الصحة ما امكن ولا يوجب ذلك شركا ولا كفراً ولا يقاس بفعل جاهلية العرب الذين جعلوا لشركائهم نصيباً كما حكى الله تعالى عنهم كما مر الكلام على نظير ذلك في كلام الصنعاني فراجع . وأما السوائب فلم نرها ولم نسمع بها في شيء من بلاد الاسلام . واما سوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الاولياء وذبحها فستعرف في فصل الذبح انه يقصد ذبحها لله وتقربا اليه لا للشيخ وانما يهدى له ثواب الصدقة بها فجعله ذلك وان ذكر اسم الله عليه اشد تحريماً مما ذكر عليه اسم غير الله جهل محض وتعليله بان الشرك في العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة لا يكاد يظهر له معنى . اما ما ادعاه من ترك الشجر والعشب اذا كان بقرب المشهد فمع صحته لا مانع منه فترك الشجر لاستظلال الزائرين والمارة اكراما لصاحب المشهد وترك العشب لنزهتهم ورعي دوابهم . قوله : ومنها الحج الى المشاهد في اوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله . اخذ هذا الكلام من ابن تيمية الذي قال في كتابه

منهاج السنة : الرافضة يعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون اليها كما يحج الى البيت ومنهم من يجعل الحج اليها اعظم بل يسبون من لا يستغني بالحج اليها عن الحج الذي فرضه الله وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الاوثان على عبادة الرحمن وقد صنف شيخهم المفيد كتابا سماه مناسك المشاهد جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة والبيت الحرام الذي جعله الله قياما للناس. ونقول : قد ثبت بما سنذكره في فصل الزيارة استحباب زيارة قبور الانبياء والاولياء والصلحاء وشد الرحال اليها رغما عن تشددات ابن تيمية واتباعه الوهابية فسواء سموا زيارتها حجا قصداً للتشنيع أو لم يسموها وسواء سمى ابن تيمية الصلاة لله ودعاءه عندها عكوفا اولا ، لا يضرنا شيئاً وكون الزيارة في اوقات مخصوصة لا قبح فيه لأن تلك الأوقات مما ثبت فضلها وشرفها والله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل حتى الأزمنه كما مر في المقدمات فيتضاعف اجر الزيارة بفضل الزمان فقصدهم الى التشنيع بذلك بأنه كالحج الذي هو في اوقات مخصوصة لا شناعة فيه الا عليهم كقوله مضاهاة لبيت الله وكقول ابن تيمية انهم يحجون اليها كما يحجون الى البيت فهم يزورنها اقتداء بنبيهم (ص) الذي سن الزيارة وفعلها واتبعه المسلمون عليها وسن شد الرحال اليها خلافاً للوهابية كما ستعرف في فصل الزيارة فهم مقتدون بسنة نبيهم (ص) التي خالفها هو وشنع على من اقتدى بها فهم لم يبنوا كعبة يضاهون بها بيت الله لم يأذن الله ببنائها ولا بزيارتها بل ذهبوا لزيارة قبرر أنبيائهم واوليائهم حسبما امرهم ربهم فسواء ضاهى ذلك بيت الله او لم يضاهه لا ضرر فيه وهل هذه المشاهد المشرفة بشرف من فيها ليست بيوت الله ؟ ! بل هي بيوت الله والكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله وكلما كان عن أمر الله فهو لله ، وستعرف في فصل البناء على القبور رجحان بناء المشاهد . والشيعة توجب الحج على كل من استطاع اليه سبيلا ولا تجعل شيئاً مغنياً عنه لا زيارة مشهد ولا غيرها ، وتسب من لا يعتقد ذلك ، ومن نسب اليها غير ذلك فقد أفك وافترى. هذه كتبها الفقهيه التي تعد بمئات الألوف وطبع منها الملايين شاهدة بذلك وناصة عليه حتى انهم يوجبون القضاء عمن مات مستطيعا ولم يحج وحجاجها في كل عام من بلاد المشاهد وغيرها تنبو عن الحصر فان كان الحج اليها أعظم او مغنيا عن الحج المفروض كما

افتراه ابن تيمية فلماذا يتحملون كل هذه المشاق لأجل الحج . قوله : فيطوفون حول الضريح ، نعم يطوفون تبركا به ولا ينكر بركته الا من أعمى الله بصيرته . قوله : ويستغيثون ، ستعرف في فصل الاستغاثة انه لا محذور في ذلك . قوله: ويهدون لصاحب القبر ويذبحون . كلا بل يذبحون لله ويتصدقون على الفقراء ويهدون الثواب لصاحب القبر قوله : وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه . ابى شيطان هؤلاء الا ان يزين لهم ترويج ضلالتهم ولو بالكذب والافتراء فبعد ان سمى زيارة الانبياء والاولياء حجاً وانها في اوقات مخصوصة كالحج وانهم يطوفون ويهدون كالحجاج اراد ان يتمم حجهم بالفرية التي نقلها من ان بعض المشايخ يأمر الزائر بحلق رأسه ، ما رأينا هذا ولا سمعنا به ان هذا الا اختلاق وكان ينبغي له ان يتمم احكام الحج من الاحرام ورمي الجمار والسعي وغير ذلك . اما قوله : وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد فمأخوذ من كلام ابن تيمية الذي سمعته على عادتهم في تقليد الخلف للسلف في كل ما يقول وهي فرية كفرية حلق الرأس ، وابن تيمية كان بالشام والمفيد بالعراق وبينهما نحو من ثلاثمئة سنة فأين رأى كتابه الموهوم المسمى حج المشاهد واين رآه حفيد ابن عبد الوهاب المنحاز في بادية نجد نعم يوجد بعض الكتب التي فيها آداب الزيارة وفيها الأدعية التي يدعى بها الله تعالى في المشاهد اما كتاب حج المشاهد فهو من عنديات ابن تيمية وحفيد ابن عبد الوهاب والله تعالى يجزي كلا بعمله . قوله : ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين . اقول : هذا التعريف لم نسمع له بتعريف هو ثالث الفريتين ان يوم عرفة من الايام الشريفة كيوم الجمعة وغيره من الايام وقد ورد استحباب صومه والاكثار من دعاء الله تعالى فيه والخضوع وطلب الحاجات منه تعالى في اي موضع كان الانسان واذا كان ذلك في مكان شريف كالمسجد او المشهد المشرف بمن فيه كان اولى وأفضل ، فهذا الذي عابه على المسلمين ونسبهم فيه الى الشرك والكفر . قوله : والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر الخ . وهذا ايضاً مبني على اساسهم الفاسد الذي اسسوه من المنع من زيارة قبور الأئمة والاولياء وتعظيمهم وتعظيم قبورهم وبناء المشاهد والقباب لهم وعمل الضرائح وجعل الخدمة والسدنة والصلاة عند قبورهم ودعاء الله تعالى عندها والتوسل باصحابها اليه تعالى في قضاء حوائج الدنيا والاخرة وما يجري هذا المجرى ولما كان تعظيم المسلمين لقبور أئمة أهل البيت في

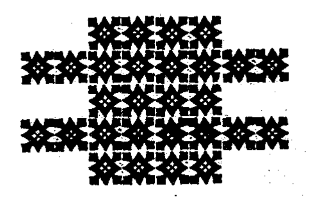
العراق وهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب بنجف الكوفة وولده الحسين السبط الشهيد بكربلا والامام موسى الكاظم وحفيده الامام محمد الجواد في بغداد وابنه الامام علي بن محمد الهادي وابنه الامام الحسن العسكري في سامراء عليهم السلام والمواظبة على زيارتهم والصلاة ودعاء الله تعالى في مشاهدهم بالغاً الغاية لما لهم عند الله تعالى من المكانة ولما لهم من الفضل العظيم في حماية الدين ونشر علوم سيد المرسلين . وكذلك قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني والامام ابي حنيفة ومعروف الكرخي في بغداد والحسن البصري والزبير أحد الصحابة العشرة في البصرة ، عظم على هذا النجدي ذلك فقال ان في العراق من ذلك الحظ الاكبر والمهامة التي لا ينجو سالكها ولا يكاد . وأنى يكون المتمسك بولاية أهل البيت الطاهر وزائر قبورهم والمتعبد ربه بانواع العبادة عندها غير ناج وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى وباب حطة الذي من دخله كان آمناً بنص جدهم (ص) ، وتكون النجاة محصورة في اهل نجد مطلع قرن الشيطان ومحل الزلازل والفتن والذين جعلوا دأبهم وديدنهم غزو بلاد الاسلام ، ومن اعمالهم ذبح المجاورين لقبر ابن بنت رسول الله (ص) في كربلاء وهدم ضريحه وهتك حرمته وربط الخيل والدواب في صحنه ودق القهوة وإشعال النار في مشهده وفوق رأسه كما مر في تاريخهم .

أما قوله : إن من نحو العراق عرف الكفر وظهر الشرك والفساد فيكذبه أن العراق ما زال ولم يزل مهبط الدين ومنبع الايمان والاسلام وحب أهل البيت وموالاتهم ولم يظهر الكفر والفساد إلا من بلاد نجد بلاد مسيلمة وبلاد الوهابية المجسمة الذين ما فتئوا يعيثون في الارض فساداً يسفكون الدماء وينهبون الاموال ويحتقرون المسلمين ويرمونهم بالكفر والشرك ويحتقرون الانبياء والمرسلين وعظماء الدين يهدمون قبورهم ويجعلونها معرضاً لدوس الاقدام وترويث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات ويهينون من يزورها او يحترمها او يتبرك بها او يصلي لربه عندها فأي فساد اعظم من هذا . وهم يقولون إن من العراق ظهر الفساد ومن نجدهم ظهر الصلاح وقد عرف صحة ما قلناه كل من له ادنى إلمام بتاريخ الوهابية وقدوتهم ابن تيمية ومبدأ حوادثهم في الدين . أما ما يقع من شيعة أهل البيت الطاهر الذين نبزهم بالرافضة عند مشاهد الائمة الطاهرين بالعراق الذين حرم من حلاوة مودتهم ومحبتهم والفوز بولايتهم فلا يعدو عبادة الله تعالى وتوحيده والخضوع

لعظمته فالقاصدون لتلك المشاهد الشريفة منهم الزائر لقبورهم المعدد لمناقبهم ومآثرهم في خدمة الدين والاسلام ومنهم المصلي لربه الراكع الساجد الخاشع ومنهم الداعي لله تعالى القائم في خدمته الباكي من خشيته المتضرع اليه المتوسل والمتشفع اليه بمن اعطاهم الشفاعة وجعل لهم الوسيلة ومنهم الخاطب الواعظ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الى غير ذلك من انواع العبادات والطاعات لله تعالى ، ولا يعبدون احدا منهم بشيء مما حظره الله تعالى ، ولكن الوهابيين لما اقتضى جمودهم وغباوتهم وعنادهم ان تعظيم القبور واهلها والصلاة لله ودعاءه عندها والتشفع والتوسل بأهلها عبادة لغير الله موجبة للشرك والكفر عدوا فعل المسلمين بالعراق عند المشاهد كفرا وشركا وحيث قد بينا مرارا بما لا مزيد عليه خروج ذلك عن العبادة لغير الله الموجبة للشرك والكفر بل هو عين الطاعة لله تعالى ظهر ان عد ذلك شركا من اعظم الموبقات وان من عده كذلك من اجهل الخلق واضلهم بمخالفته لما اجمع عليه المسلمون خلفا عن سلف وان تخالف اجماع المسلمين وسيرتهم ومثبت الوجه واليدين والعينين لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات على الحقيقة من دون تأويل اولى بغاية الكفر والشرك التي ما وصل اليها قبله احد ممن ينتسب الى الاسلام واي شرك او كفر او عبادة لغير الله تعالى تحصل في مشاهد الأئمة بالعراق ؟ واول كلام يقال عند فتح ابواب مشاهدهم هو لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين الخ . ولا تشتمل الزيارات والادعية التي تقرأ في تلك البقاع الطيبة الا على توحيد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه وما يشتمل منها على التوسل والتشفع وطلب الحوائج والعطايا والمواهب من صاحب القبر لا يخرج عن سؤال الدعاء والشفاعة الذي بينا في فصله جوازه ورجحانه واذا فرغ الزائر من الزيارة يصلي لله تعالى ركعتين مستحبتين يهدي ثوابها للمزور ويقول بعدهما كما هو مأثور عن أئمة اهل البيت الطاهر (اللهم اني صليت وركعت وسجدت لك وحدك لا شريك لك لأن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لك لأنك انت الله الذي لا إله الا انت أللهم وهاتان الركعتان هدية مني الى سيدي ومولاي (ويسمي المزور) أللهم فتقبلها مني باحسن قبولك وأجرني على ذلك بأفضل أملي ورجائي فيك وفي وليك يا ارحم الراحمين) .

ورجاؤه فيه تعالى الثواب والمغفرة وفي وليه الدعاء والشفاعة .

والله المسئول ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويمحو هذه الضلالات التي جاء بها هؤلاء ويرد عاديتهم عن المسلمين ويردهم الى سبيل الرشد ويريح المسلمين من تشدداتهم وتعنتاتهم حتى تبقى السهلة السمحاء كما كانت وينزه الباري تعالى عن نسبة ما لا يليق بجلاله وتبقى البيضاء كما كانت ليلهـــا كنهارها .



الباب الثالث

في تفصيل الامور التي كفر بها الوهابية المسلمين ورد كل واحد منها بخصوصه

حيث ظهر لك ان منشأ شبه الوهابيين في حكمهم بشرك جميع المسلمين وكفرهم واستحلال دمائهم واموالهم هو زعمهم انهم يعبدون القبور بتعظيمهم لها بالتقبيل والطواف والتمسح وبناء القباب والاسراج وغير ذلك من انواع التعظيم وانهم يعبدون الاموات بدعائهم لهم وطلبهم منهم قضاء حوائجهم وانهم ينذرون وينحرون لهم كما كان اهل الجاهلية يفعلون مثل ذلك مع اصنامهم فكان ذلك عبادة لغير الله وشركا به وقد عرفت فساد ذلك بوجه العموم في الباب السابق فلنتكلم على كل واحد من هذه الأمور التي هي منشأ شبهتهم بخصوصه مضافا الى ما مر في الباب السابق لأن اكثرها يختص بما لا يشاركه فيه غيره وذلك في ضمن فصول .

الفصل الاول في الشفاعة

اعلم ان طلب الشفاعة من الانبياء والصالحين والملائكة الذين أخبر الله تعالى ان لهم الشفاعة مما منعه الوهابيون وجعلوه كفراً وشركا صرح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في رسالة أربع القواعد التي قال ان الخلاص من الشرك يتم بها بقوله : الثانية انهم يقولون ما دعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة . وفي رسالة كشف الشبهات . بقوله : لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم القرب الى الله وشفاعتهم عنده . وقوله : ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم الى الله ليشفعوا له او رجلا صالحاً كاللات او نبياً كعيسى . وقوله : ان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دماءهم ، وفيما حكاه الألوسي عنه حيث جعل طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب وفي كلامه الأخير في كشف الشبهات الذي علم به الاحتجاج على المسلمين بقوله : ان الذين قاتلهم (ص) مقرون بما ذكرت وبأن اوثانهم لا تدبر شيئاً وانما ارادوا الجاه والشفاعة وانهم ما ارادوا

ممن قصدوا الا الشفاعة وان طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا . هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى غير ذلك ، والصنعاني في كلامه السابق حيث جعل من جملة عبادة المشركين الاصنام اعتقادهم انها تشفع عنده وجعل من جملة عبادة الأنبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم . وقوله : فجعل اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده احد الا بإذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها ومن اعتقد في حي او ميت انه يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به فقد اشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل كما اعتقد المشركون في الاوثان وصار حلال المال والدم وجعل من جملة الشرك الاعتقاد في شيء انه يشفع في حوائج الدنيا بمجرد التشفع ، والوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي بقولهم : فاخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم الى قولهم : فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله وجعلهم سؤال الانبياء والاولياء الشفاعة بعد موتهم شركا وعبادة للأوثان . وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية [1] ونثبت الشفاعة لنبينا محمد (ص) يوم القيامة ولسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال حسبما ورد ونسألها من المالك لها والاذن فيها بان نقول أللهم شفع نبينا محمداً (ص) فينا يوم القيامة او اللهم شفع فينا عبادك الصالحين او ملائكتك او نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم فلا يقال يا رسول الله او يا ولي الله أسألك الشفاعة او غيرها مما لا يقدر عليه الا الله تعالى فاذا طلبت ذلك في ايام البرزخ كان من اقسام الشرك اذ لم يرد بذلك نص من كتاب او سنة ولا أثر من السلف الصالح بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله (ص) . وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية ان الشفاعة وان كانت حقاً في الآخره فلها انواع مذكورة في محلها ووجب على كل مسلم الايمان بشفاعته (ص) بل وغيره من الشفعاء فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى فانها لاهل الموقف عامة وليس منها ما يقصدون فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً كما في البخاري من حديث ابي هريرة (رض) لكل نبي دعوة مستجابة

(١) ص ٤٢

واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً الى ان قال : واذا كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه ان يشفع فيه نبيه هو المطلوب قال : فالمتعين على كل مسلم صرف همته الى ربه بالاقبال اليه والاتكال عليه والقيام بحق العبودية له فإذا مات موحداً استشفع الله فيه نبيه بخلاف من اهمل ذلك وتركه وارتكب ضده من الاقبال الى غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده الا من عند الله والالتجاء الى ذلك الغير مقبلا على شفاعته متوكلا عليها طالبا لها من النبي «ص» أو غيره فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد . الى ان قال : ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل احد بغير اذن الاله وحده فلا يشفع عنده احد الا باذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما . الى ان قال : ولهذا قال عز من قائل (قل لله الشفاعة جميعا . وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعلقها بالاذن من الله والرضا عن المشفوع له وقال تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع . وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب « انتهى » .

وقال محمد بن عبد الوهاب ايضاً في رسالة اربع القواعد [١] : الشفاعة شفاعتان منفية ومثبتة فالمنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) والمثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الاذن كما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) « انتهى » وفصل في مقام آخر ما اجمله هنا فقال في رسالة كشف الشبهات [٢] عند تعليمه اتباعه الاحتجاج على غيرهم في تتمة كلامه السابق ، فان قال (أي بعض المشركين من المسلمين الذين لا يقولون بمقالة الوهابية) اتنكر شفاعة رسول الله «ص» وتبرأ منها فقل لا بل هو الشافع والمشفع وارجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله (قل لله الشفاعة جميعا) ولا يشفع لاحد الا من بعد ان يأذن الله فيه (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهو لا يرضى الا التوحيد

(١) ص ٢٥ (٢) ص ٦٢ طبع المنار بمصر . ـ المؤلف ـ

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا بعد اذنه ولا يشفع النبي «ص» ولا غيره في احد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الا لاهل التوحيد [١] فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه واقول اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه في وامثال هذا فان قال النبي «ص» اعطي الشفاعة وانا اطلبه مما اعطاه الله « كذا » فالجواب ان الله اعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا وقال « فلا تدعوا مع الله احداً » وايضاً الشفاعة أعطيها غير النبي «ص» فصح ان الملائكة والاولياء يشفعون فان قلت الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وان قلت لا بطل قولك هذا .

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور [٢] في تتمة كلامه المتقدم في الباب الثاني : وان قال أنا اسأله لكونه أقرب الى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور لأني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من افعال الذين يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم والمشركين الذين اخبر الله عنهم انهم قالوا : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا . ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته اما رغبة واما رهبة واما حياء واما مودة واما غير ذلك والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه فالامر كله له . الى ان قال : وقد امرنا ان نصلي على النبي «ص» في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا « انتهى » .

« ونقول » الشفاعة من الشفيع عبارة عن طلبه من المشفوع اليه امراً للمشفوع له فشفاعة النبي «ص» أو غيره عبارة عن دعائه الله تعالى لأجل الغير وطلبه منه غفران الذنب وقضاء الحوائج فالشفاعة نوع من الدعاء والرجاء . وحكى النيسابوري في تفسير قوله تعالى « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له

(١) ولا موحد الا الوهابيون فلا شفاعة الا لهم (٢) ص ١٥٦

كفل منها عن مقاتل انه قال : الشفاعة الى الله انما هي الدعوة لمسلم لما روي عن النبي (ص) من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (انتهى) وحينئذ فطلب الشفاعة من الغير كطلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أي مؤمن كان واعترف بذلك الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في طلبه من الحي بل هو من ضروريات دين الاسلام وحينئذ فيجوز طلب الشفاعة الى الله تعالى من كل مؤمن فضلا عن الانبياء والصالحين وفضلا عن سيد المرسلين . ولو قيل ان الشفيع لا بد ان يكون له قدر وجاه عند المشفوع اليه . فنقول : ان الله تعالى جعل حرمة لكل مؤمن يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه فلم يبق فرق، على انه قد ورد ثبوت الشفاعة لآحاد المؤمنين وللملائكة وانها ليست من خواص الانبياء وثبتت شفاعة الملائكة بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله (الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وقهم السيئات) « الآية » قال الرازي في تفسيره : هذه تدل على حصر الشفاعة من الملائكة للمذنبين كما وقعت الشفاعة من النبي «ص» وغيره من الانبياء وامره الله تعالى بها فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وحكى عن نوح انه قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات « انتهى » وفيه تصريح بان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء وطلب المغفرة كما قلناه .

فظهر ان الشفاعة والدعاء من واد واحد وكذا طلبها من الغير وليس حتما على الله قبول الشفاعة ولا اجابة الدعاء وانما ذلك من الطافه ومنه ورأفته بعباده فجعل لهم وسائل كثيرة الى نيل رضاه وعفوه وخيره وبره وهذا منها ولا شفاعة الا باذنه ورضاه كما قال تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وغير ذلك .

وظهر ان طلب الشفاعة من النبي «ص» بل ومن آحاد المؤمنين في دار الدنيا أحياء وامواتا ليشفعوا في الدنيا في امور الدنيا والاخرة او يوم القيامة جائز لا محذور فيه لأنها من قبيل الدعاء فيرجع طلبها الى التماسه وذلك جائز من الاحياء بالاتفاق أما طلب

الدعاء من الاموات فمنعه ابن تيمية والوهابية والحق جوازه كما يأتي في الفصل الثالث .

والأخبار الواردة في ثبوت الشفاعة للنبي «ص» يوم القيامة وانه الشفيع المشفع ولغيره مستفيضة أو متواترة رواها البخاري ومسلم وغيرهم . مثل من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . من سمع الاذان ودعا بكذا حلت له شفاعتي يوم القيامة . أعطيت خمسا وعد منهـا الشفاعة . انا اول شافع واول مشفع . أتاني آت من ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة . يدخل بشفاعتي رجال من امتي اكثر من بني تميم . ان الله يقول فرغ الشافعون من الشفاعة شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين . يجلس المؤمنون يوم القيـــامة فيقولون لو استشفعنا فيأتون آدم فيعتذر بخطيئته ثم ابراهيم «ع» فيعتـــذر بثلاث كذبات كذبهن ثم موسى «ع» فيعتذر بقتل النفس ثم عيسى «ع» فيقول لست هناك فيقول الله سبحانه بعد ان اسجد له اشفع تشفع (الخبر) ومن ادلة شفاعته لنا بعد موته «ص» حديث وفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم . الى قوله : وما رأيت من شر استغفرت لكم ، لما عرفت من ان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء لنا والاستغفار واذا كان «ص» يستغفر لنا بعد موته جاز لنا ان نطلب منه الاستغفار الذي هو الشفاعة بعينها .

وشفاعة النبي «ص» يوم القيامة لا ينكرها الوهابية فلا حاجة الى اكثار الأدلة عليها وانما منعوا من جواز طلبها منه « ص » في الدنيا وان كانت ثابتة له وقد اعطـــاه الله الشفاعة وهو الشفيع المشفع وجعلوه شركا وكفراً .

ومرجع شبهتهم في ذلك على ما يستفاد من مجموع كلماتهم التي سمعتهـــا الى ان طلب الشفاعة من النبي «ص» عبادة له وكل عبادة لغير الله شرك (أما الثاني) فلوجوب توحيد الله في العبادة كما يجب توحيده في الخالقية والرازقية (وأما الاول) فلأن شرك الكفار الذين بعث اليهم رسول الله « ص » كان بطلبهم الشفاعة من الاصنام بدليـــل قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا . ويعبدون من دون الله مـــا لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا) ولانهم لا ينكرون توحيد الخالقية والرازقية لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعتهم عنده ولا يفرق النبي « ص » بين من كان يدعو الملائكة ليشفعوا له او رجلا صالحاً كاللات او نبياً كعيسى او يدعو غيرهم فقاتل الكل فهذا دليل على ان التشفع بالنبي

او الصالح شرك كالتشفع بغيره . ويدل ايضاً على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله قوله تعالى (لله الشفاعة جميعا . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) واذا كانت الشفاعة كلها لله لم يجز طلبها من غيره وقوله تعالى (فلا تدعوا مع الله احداً) وطلب الشفاعة من النبي «ص» دعاء له فيكون منهيا عنه مع كون الدعاء عبادة بنص الكتاب والسنة بل مخها كما يأتي واذا كان طلب الشفاعة دعاء والدعاء عبادة كان شركا فالجمع بين ثبوت الشفاعة له «ص» وعدم جواز طلبها منه ان يقول المستشفع به «ص» اللهم شفعه في او لا تحرمني شفاعته او ارزقني شفاعته او نحو ذلك وهذا معنى قولهم فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله . ويفهم مما مر عن الرسالة الاولى من الهدية السنية الاحتجاج لذلك بان طلب الشفاعة من غير الله في الدنيا مناف لكونه لا يشفع عنده احد الا باذنه والا لمن ارتضى .

والجواب عن شبهتهم هذه انها شبهة سخيفة فطلب الشفاعة ليس عبادة للمطلوب منه وشرك اهل الجاهلية الذي احل دماءهم واموالهم لم يكن سببه اتخاذهم الشفعاء كما زعموا وليس في الآيتين المستشهد بهما ان الموجب لشركهم هو تشفعهم ولا ان عبادتهم لهم هي تشفعهم بهم بل الآيتان صريحتان في ان عبادتهم لهم كانت غير التشفع فانه جعل في الاية الاولى العبادة علة التقريب الذي هو الشفاعة والعلة غير المعلول ببديهة العقول وعطف في الاية الثانية قول هؤلاء شفعاؤنا على قوله ويعبدون والعطف يقتضي تغاير المعطوف والمعطوف عليه كما قرر في علم العربية مع ان عبادتهم لهم بغير التشفع من السجود والاهلال باسمائها وغير ذلك مشاهدة معلومة كما ذكرناه مراراً وقد ذكرنا مرارا ان قوله تعالى والذين اتخذوا من دون الله اولياء «الاية» ويعبدون من دون الله «الاية» صريح في ان عبادتهم لها كانت مع الاعراض عن الله والمخالفة لأمره . وقوله : ما لا يضرهم ولا ينفعهم اشارة الى انهم عبدوا احجاراً واشجاراً هي من الجمادات وطلبوا منها النصر والشفاعة ولم يجعل الله لها ذلك ولو كانت على صور قوم صالحين ، فلا يقاس بها من جعله الله شافعاً وقادراً على الشفاعة ولا من تشفع به بمن تشفع بها ويجب على قياس قولهم بمنع يا رسول الله اشفع لي بل يقول اللهم شفعه في او ارزقني شفاعته ان يمنعوا يا فلان ادع لي بل يقول اللهم اجب دعاءه في او ارزقني دعاءه لي مع اعترافهم بجوازه ومنعه ، ويشبه الأكل من القفا اي ايصال اللقمة الى الفم من وراء الرقبة . اما جعل طلب الشفاعة منافيا لكونه لا يشف

عنده احد الا باذنه فستعرف فساده عند رد هذا الكلام وقد ظهر من ذلك فساد قول ابن عبد الوهاب : ان طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا ، لما عرفت من صراحة الايتين في مغايرة العبادة لطلب الشفاعة . وبطلان ما يفهم من قوله انهم يقولون ما دعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة . وقوله : لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم القرب الى الله وشفاعتهم عنده الدال على ان سبب الشرك طلب الشفاعة لما عرفت من صراحة القرآن ودلالة الوجدان على خلافه وبطلان قوله ومنهم من يدعو الملائكة ليشفعوا له أو صالحاً كاللات أو نبياً كعيسى . وقوله : ومنهم من يدعو الصالحين والاولياء لما عرفت في الباب الثاني من ان دعاء الملائكة لم يكن بطلب شفاعتهم بل عبادتهم بغير ذلك وقول انهم بنات الله ودعاء اللات لم يكن بالتشفع به لانه رجل صالح بل بعبادة حجر على صورته الموهومة بالسجود وغيره والتشفع بذلك الحجر الذي لم يجعل الله له شفاعة ولو كان على صورة صالح مزعومة ، ودعاء عيسى «ع» لم يكن مجرد التشفع به بل اعتقاد انه هو الله الخالق الرازق باحد الوجوه التي سبق بيانها وأي جهل اعظم من جعل الاشراك بعيسى مجرد التشفع به وهل يمكن صدوره من عاقل فضلا عن عالم . وقوله : ان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم هو الذي أحل دماءهم واموالهم قد عرفت انه كذب وافتراء وان الذي احل ذلك تكذيبهم للرسل وانكارهم للشرائع وعبادتهم للاوثان بغير مجرد التشفع وكذلك جعله طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب وان الذين قاتلهم «ص» انما أرادوا الجاه والشفاعة .

ومما يدل على ان عبادتهم كانت غير طلب الشفاعة ما حكاه الوهابية أنفسهم في الرسالة الثالثة من الهدية السنية [1] عن الامام البكري عند قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض « الاية » من قوله : فان قلت اذا اقروا بذلك فكيف عبدوا الاصنام قلت كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا اليه زلفى وفرقة قالت الملائكة ذو منزلة عند الله فاتخذنا اصناما على هيئتها لتقربنا اليه زلفى وفرقة قالت جعلنا

(١) ص ٥٨

الاصنام قبلة لنا في العبادة كما ان الكعبة قبلة في عبادته وفرقة اعتقدت ان لكل ملك (كذا) شيطانا موكلا بامر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بامر الله والا اصابه الشيطان بنكبة بامر الله « انتهى » (والعجب) ان المستشهد بهذا الكلام من الوهابية قال بعد نقله : فانظر الى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بان المشركين ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عنده «انتهى» ولم يدر ان عبادة غير الله لا يحتاج التكفير بها الى الاستشهاد بكلام احد سواء كانت بقصد التقرب الى الله وطلب شفاعتهم أو بدون ذلك ولكن الذي ينفع اثبات ان طلب الشفاعة عبادة او ان ما يفعله المسلمون هو عين ما كان يفعله عبدة الاصنام والكلام الذي استشهد به صريح بخلافه فليس في المسلمين من يعتقد بواحدة مما كانت تعتقده تلك الفرق، هذا في رد زعمهم ان طلب الشفاعة عبادة واما استدلال ابن عبد الوهاب على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله بآية لله الشفاعة جميعاً وآية فلا تدعوا مع الله أحداً فاستدلال فاسد ، اما آية لله الشفاعة جميعاً فليس معناها ان الله وحده هو الذي يشفع وغيره لا يشفع لانه تعالى لا يشفع عند احد وثبت ان الانبياء والصالحين والملائكة يشفعون عنده وليس معناها انه لا يجوز طلب الشفاعة ممن جعله الله شافعا بل معناها والله العالم ان الله مالك امرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ولا يشفع الا لمن ارتضاه الله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وصدر الاية هكذا (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا « الاية ») فهو في مقام الرد على الذين اتخذوا الاصنام والاحجار شفعاء الى الله تعالى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله مع انهم لا يملكون شيئاً فكيف يملكون الشفاعة ولا عقل لهم حتى يشفعوا وفي الكشاف (من دون الله) من دون اذنه (قل لله الشفاعة جميعاً) اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا وها هنا الشرطان مفقودان جميعاً « انتهى » . وحكى الطبري عن مجاهد (لله الشفاعة جميعاً) أي لا يشفع احد الا باذنه «انتهى» .

فحمل ابن عبد الوهاب واتباعه له على ان معناه طلب الشفاعة من الله وحده وعدم طلبها من المخلوق وان كان له ان يشفع حمل مستهجن مستقبح لا يساعد عليه اللفظ ولا

فهم أهل العرف ولم يذكره احد من المفسرين ولا تقتضيه الحكمة ولا يخرج عن التمحل والتحكم والعبث فكأن الله تعالى يقول اطلبوا من الناس كل ما يقدرون عليه واطلبوا منهم الدعاء لكم الذي لا تخرج الشفاعة عنه بل هي نفسه ولكن لا يجوز لكم ومحظور ومحجور عليكم ان تطلبوا من النبي «ص» ان يشفع لكم في الدنيا او في الاخرة ويدعو الله لكم وان كانت له الشفاعة وقد أعطاه الله اياها وهو الشفيع المشفع واذا طلبتموها منه فقد كفرتم واشركتم فانظر ايها المنصف هل يحسن ان يصدر ذلك من عاقل وهل يصدر الا من سفيه جاهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

واما آية فلا تدعوا مع الله فستعرف في فصل الدعاء انها اجنبية عن المقام مع انه لو صح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الشفاعة من العبد لصح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الدعاء منه لان كلا منهما دعاء لغير الله يشمله قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله احدا) فاي فارق بين قول يا فلان اشفع لي ويا فلان ادع لي ، وطلب الدعاء من الغير لا ينكره الوهابية ولا قدوتهم ابن تيمية اذا كان من الحي كما ستعرف مع شمول الاية له . وجاء في احاديث كثيرة صلوا علي فان صلاتكم تبلغني ، وسيأتي حديث صلوا علي ثم اسألوا الله لي الوسيلة فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . والصلاة منا الدعاء ومنه تعالى الرحمة ورفع الدرجة فقد طلب منا «ص» ان ندعو له برفع الدرجة واعطاء الوسيلة وهو كطلبنا منه الشفاعة بان يدعو الله ان يغفر ذنوبنا ويدخلنا جنته فكيف صار طلبه منا توحيداً وطلبنا منه شركا ونحن احوج الى شفاعته ودعائه منه الى دعائنا فاي فارق بينهما لولا الجمود وقلة الانصاف .

أما جعل الصنعاني من جملة عبادة المشركين الأصنام اعتقادهم انها تشفع عند الله ومن جملة عبادة الانبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم ففاسد لأن اعتقاد المشركين في الاصنام انها تشفع وطلبهم منها الشفاعة خطأ وغلط اذ لم يجعل الله لها شفاعة سواء كانت على صورة صالح او غيره فان الشافع هو الصالح لا الحجر الذي على صورته كما عرفت بخلاف الاعتقاد بان الانبياء والصالحين يشفعون فاذه صحيح مطابق للواقع ليس فيه خطأ ولا غلط فضلا عن كونه عبادة وشركا وكذلك التشفع بهم ، على ان الاعتقاد في حجر او شجر انه يشفع وطلب الشفاعة منه لم يعلم كونه عبادة له انما هو خطأ وغلط ، والمشركون لم يعلم ان هذا سبب في شركهم لأنه لم يصدر منهم وحده بل صدر معه ما هو كاف في

الشرك والكفر من انكار الرسل والشرائع والعبادة للاصنام بغير ماذكر كما بيناه غير مرة وتعليل الصنعاني وغيره كون اتخاذ الشفعاء شركا بأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فاسد فان قوله الا باذنه مثبت للشفاعة فكيف يكون اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة واذن لهم فيها شركا . وقوله : فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها ، رد عليه فاتخاذ الشفيع الذي ذمهم الله عليه هو اتخاذ حجر او شجر او صورة شفيعاً مع ان الله لم يجعل لها شفاعة ولا هي اهلها اما الانبياء الذين اثبت الله لهم الشفاعة التي هي نوع من الدعاء كما عرفت وجعلهم اهلا لها كما تواترت به الاخبار ودل عليه قوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه. ما من شفيع الا من بعد اذنه . يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له . لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال البيضاوي : عهداً من الايمان والعمل الصالح او اذنا فيها «انتهى»(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون) في تفسير البيضاوي: الا من شهد بالحق بالتوحيد ، والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام « انتهى » فهذه الآيات مثبتة للشفاعة جزما مع اذن الله ورضاه ولسنا نطلب منهم ان يشفعوا لنا قهراً وحتما على الله ومثبتة لشفاعة من اتخذ عند الرحمن عهدا ومن شهد بالحق فلاذم على طلب الشفاعة منهم ولا شرك فيه .

وظهر من ذلك بطلان قول الصنعاني ان الاعتقاد في حي او ميت انه يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل اليه تعالى شرك كالاعتقاد في الاوثان ، وقوله بمجرد التشفع لا يظهر له معنى ولا للتقييد به فائدة فانه ان اراد منه انه يشفع بغير اذن الله ويجبر الله على قبول شفاعته فهذا لا يعتقده مسلم ولا يقول به احد فما فائدة هذا التقييد وكيف رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين واموالهم واعراضهم . نعم لا يبعد ان يكون عبدة الاصنام يعتقدون مثل ذلك في اصنامهم واوثانهم كما بيناه في غير هذا الموضع وان اراد انه يشفع بمجرد التشفع ويشفعه الله لان الله اذن له اذنا عاما في الشفاعة عندما يتشفع به احد ووعده قبول شفاعته لكل من يتشفع به فهذا ايضاً لا يعتقده احد من المسلمين وان كان ممكناً وجائزاً ان دل عليه النقل وانما يقولون ان الله

تعالى جعل النبي (ص) شافعاً ومشفعا كما دلت عليه صحاح أخبارهم لكن لا بلا قيد ولا شرط فقد يتشفع به احد ويشفع له وقد لا يشفع له لانه ليس اهلا للشفاعة او لان الله لم يأذن له ان يشفع فيه وقد يأذن له في الشفاعة وقد لا يأذن والامر كله لله تعالى. نعم كلهم يطلبون منه الشفاعة التي هي نوع من الدعاء رجاء ان يشفع فيشفعه الله وليس ذلك حتمياً قطعيا فجعل ذلك كالاعتقاد في الاوثان التي ثبت بصريح العقل ونص الشرع عدم قدرتها على الشفاعة والدعاء وعدم جواز طلبها منها خطأ واضح فما فائدة هذا التقييد؟ أبمثل هذا تستحل دماء المسلمين واموالهم واعراضهم سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

ومما ذكرنا يعلم ان قولهم في الكتاب الى شيخ الركب المغربي بعد ذكر آية ويعبدون من دون الله « الآية » . فاخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم ، تقول على الله وافتراء عليه فالله تعالى في هذه الاية أثبت لهم شيئين عبادتهم الاصنام وقولهم هؤلاء شفعاؤنا واخبر انهم أشركوا ولم يخبر ان عبادتهم هي طلب الشفاعة ولا ان طلبهم هو الشرك بل أخبر بان عبادتهم الاصنام غير قولهم ذلك لاقتضاء العطف المغايرة كما مر وقد ابطلوا في كتابهم المذكور احتجاجهم بآية ان الشفاعة لله جميعاً بذكرهم معها الايات الاخر تفسيراً لها وهي من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا. فبينت ان معنى كون الشفاعة كلها لله انها لا تكون الا بإذنه وليس لاحد ان يشفع قهراً عنه وبدون رضاه ويلجئه الى قولها حياء او خوفاً او غير ذلك كما يقع بين المخلوقين لا ان معناها عدم جواز طلب الشفاعة ممن له الشفاعة. اماذكرهم في جملة الايات المستدل بها على ابطال طلب الشفاعة من غير الله آية فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم فغريب لان هذه الاية لا ربط لها بطلب الشفاعة وانما تدل على عدم قبول عذر او توبة بعد الموت من الظالمين. ولكن هؤلاء يظنون ان تكثيرهم لسرد الايات يدل على انهم شديدو التمسك بالقرآن. أما قولهم وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد بعد ذكر آية فيومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا، فنعم هو والله لا يرضى الا التوحيد ولا تكون الشفاعة الا لاهل التوحيد كما انه لا يرضى بنسبة الشرك الى اهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ولا ينفع الناسبين تسمية انفسهم بالموحدين . أما قولهم : فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله فاذا كانت حقاً فما المانع من طلبها أفيجعل الله طلب الحق باطلا وشركا ، تعالى

الله عن ذلك فطلب الحق لا يكون الا حقا وطلب الباطل لا يكون الا باطلا والتقييد بقولهم في دار الدنيا دال على جواز طلبها في الاخرة كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالانبياء واعتذار كل منهم ثم تشفعهم بمحمد (ص) الاتي نقله ، واذا كان طلبها شركا لم يجز في الدنيا ولا في الاخرة وهل منع الناس من الشرك في الدنيا وابيح لهم الشرك في الاخرة ! قولهم : فاذا كان رسول (ص) وهو سيد الشفعاء لا يشفع الا باذن الله فكيف بغيره لا يظهر له معنى بل تطويل بلا طائل ولا علاقة له بالمقصود فمن الذي ينكر ان الرسول (ص) لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً الا بأمر الله ولا يشفع الا بأذن الله فضلا عن غيره فهذا ليس محل نزاع بيننا وبينهم انما النزاع في ان طلب الشفاعة من الرسول (ص) الذي جعل الله له الشفاعة من بعد اذنه وتفضله وهدايته وتعليمه له كيفية الشفاعة وتحديده له حداً ، هل يكون طلبنا الشفاعه منه التي جعلها الله له واذن له فيها شركا وكفراً ومعصية اولا ? فهل اذا انتفت الشفاعة الا بأذن الله يكون طلبها شركا وكفرا وما وجه الملازمة ومن الذي يقول انه (ص) يشفع قهراً على الله ولكن كل ما يذكره سلفهم لا بد ان يذكره خلفهم ولو لغير فائدة فانظر رعاك الله بعين البصيرة والانصاف الى هذه الاستدلالات الواهية التي بها استحلوا دماء المسلمين واموالهم واعراضهم هل يسوغ التمسك بها والتهجم على الدماء والاموال والاعراض بمثلها . قولهم : وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من العلماء المسلمين واجمع عليه السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم فيا ليت شعري من هو الذي قال وافتى من علماء المسلمين بان طلب الشفاعة من رسول الله «ص» كفر وشرك ومتى اجمع على ذلك علماء المسلمين وفي اي عصر من الاعصار وقع ذلك وفي اي كتاب وجدوه منقولا وهل احد عنون هذه المسائل قبل الوهابيين وابن تيمية حتى يدعى فيها الاجماع او عدم الخلاف ومن هو الذي افتى بها من الاصحاب او التابعين ومن الذي افتى بها من الائمة الاربعة واين موضعها من كتب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة غير الوهابية ليدلونا على مكانها ان كانوا صادقين . وكيف خالف اتباع الأئمة الاربعة أئمتهم فيها واتبعهم الوهابية خاصة .

والدعاى ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها أدعياء

فدعواهم هذه افتراء منهم على علماء المسلمين وعلى الاصحاب والتابعين وعلى الأئمة الاربعة واتباعهم بل الاجماع حاصل من الانبياء والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على

خلاف ما يقوله الوهابية فقد تشفع وتوسل رسول الله «ص» بمن قبله من الانبياء وتشفع الاصحاب بالنبي «ص» وبفتح كوة بين قبره وبين السماء وتشفع عمر بالعباس كما سيأتي ذلك كله في الفصل الثالث في التوسل ويأتي في هذا الفصل انه «ص» أقر الاعرابي على قوله انا نستشفع بك على الله وفي الفصل الثاني انهم طلبوا من النبي «ص» بعد موته ان يستسقي لهم فسقوا .

ومما تقدم تعلم فساد كلام صاحب الرسالة الثانية من الهدية السنية حيث أثبت الشفاعة للنبي «ص» يوم القيامة ولسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال ومنع من طلبها منهم وقال انها تطلب من الله فقد بان لك انه لا مانع من طلبها منهم بعد ان ثبتت لهم الشفاعة وان منع طلبها منهم جهل وغباوة أو عناد ومكابرة اما تعليله كون طلب ذلك في البرزخ شركا بأنه لم يرد به نص من كتاب او سنة أو أثر من السلف الصالح فغريب لان عدم ورود النص والاثر من السلف لا يستلزم كونه شركا بشيء من وجوه الاستلزام بل لا يستلزم تحريمه فضلا عن كونه شركا لما عرفت في المقدمات من اصالة الاباحة فيما نص فيه.

قوله: بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف انه شرك اكبر، قاتل عليه رسول الله «ص»، افتراء على الكتاب والسنة لما عرفت مفصلا من ورودها كلها بخلاف ما قالوه وانه «ص» لم يقاتل أحداً على الاستشفاع بمن له الشفاعة وكذا كلام صاحب الرسالة الاولى منها يظهر فساده مما مر فانه اعترف بان الشفاعة حق في الاخرة وانه يجب على كل مسلم الايمان بها وبشفاعة سائر الشفعاء فمنع طلبها بعد الاعتراف بها تمحل وعناد وما لفقه للمنع من طلبها لا يخرج عن العناد كقوله ان لها انواعاً مذكورة في محلها وانها ثابتة بالوصف وهو من مات لا يشرك بالله شيئاً لا بالشخص عدى الشفاعة العظمى فانها لأهل الموقف عامة وتفريعه على ثبوتها بالوصف لزوم طلبها من الله بان يشفع فيه نبيه فان ذلك كله تمحل في تمحل فما هي تلك الانواع التي يدعيها والحال ان الشفاعة مرجوة لكل مذنب لم يشرك بالله كما دل عليه حديث ابي هريرة الذي ذكره تصديقاً لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقد جاء عنه «ص» شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وثبوتها بالوصف لا بالشخص لا يظهر له معنى محصل وكأنه يريد به ان من ثبتت له معلوم بالوصف وهو عدم الشرك لا بالشخص وهو زيد أو عمرو مثلا لجواز ان لا يموت على التوحيد فكيف يطلب الشفاعة ولا يخفى

ما في ذلك من التمحل والتعسف فاذا كانت الشفاعة ثابتة بصفة عدم الشرك حال الموت فكل موحد يرجو ثبوتها له فما المانع من ان يطلبها وما وجه الملازمة بين ثبوتها بالوصف وعدم جواز طلبها من غير الله فان كان وجهه عدم العلم بثبوت الوصف فذلك لا يقتضي المنع من طلبها رجاء لثبوته ولا يقتضي كون طلبها شركا وكفراً ولا يلزم على من طلب شيئاً ان يكون عالما بحصوله وبتحقق شروطه وهل هذا الا مكابرة وتضييق فيما وسع الله فيه . وقوله إنها ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدى الشفاعة العظمى فانها لاهل الموقف عامه، أيضاً لا يظهر له معنى محصل فان أراد ان هناك شفاعتين عظمى لأهل الموقف عامة مشركهم وموحدهم وغيرها لخصوص الموحدين نافى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى فاذا كان الله لا يغفر للمشرك ولا يرتضيه فما معنى هذه الشفاعة وما فائدتها. قوله: وليس منها ما يقصدون، اذا كانت لاهل الموقف عامة فما وجه خروج ما يقصدون عنها واذا كانت لمن مات غير مشرك فالمتشفع يرجو ان يكون كذلك.
قوله : فالمتعين على كل مسلم صرف همته الى ربه، الى قوله: طالبا لها من النبي أو غيره. هذا تمويه وتضليل فالمتشفع بمن جعله الله شافعاً لم يصرف همته الا الى ربه ولم يقبل الا اليه ولم يتكل الا عليه ولم يفعل شيئاً ينافي القيام بحق العبودية له بل ذلك من تمام القيام بحقها لأنه عن أمر الله الذي جعله شافعاً فنحن لم نطلب منه الا ما جعله الله له وما جعله له الا ليطلب منه كما كان طلب الدعاء من الغير كذلك مع عدم الفرق بينهما فنسبة المسلمين الى انهم بطلبهم الشفاعة من النبي «ص» أهملوا ذلك والتجأوا الى غير الله مقبلين على شفاعته متوكلين عليها افتراء عليهم وكيف يتصور عاقل ان طلب الشفاعة الى الله في غفران الذنب ونيل الخير منه تعالى ممن جعل الله له الشفاعة هو اعراض عن الله والتجاء الى غيره وتوكل على غيره وكيف لم يكن طلب الدعاء من الغير كذلك وطلب الشفاعة لا يخرج عن طلب الدعاء والكل من الله والى الله وفي الله . قوله : فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم قد عرفت بما كررناه مراراً انه لا مساس لذلك بفعل المشركين ولا باعتقادهم فانهم كذبوا الرسل وعبدوا الاصنام واعرضوا عن عبادة الله واعتقدوا الشفاعة فيمن لم يجعل الله له شفاعة وعظموا من لا يستحق التعظم من تمثال وشجر ونحوه. قوله: ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد ، لا يجوز دخول لا النافية على الماضي الا

مكررة او مسبوقة بنفي ، واعتقاد ان النبي «ص» شافع مشفع وصاحب الوسيلة عند الله وانه يستغفر للمذنبين من امته بعد وفاته كما أخبر عن نفسه [1] وانه مجاب الدعوة وان دعاءه لنا أرجى في الاجابة من دعائنا لانفسنا هو عين الحق والصواب. فجعله سبباً لكل فتنة نشأت في الوجود ضلال وخذلان نعوذ بالله منه . نعم ان اعتقاد الوهابيين ان ذلك كفر وشرك واستحلالهم به الدماء والاموال كان سبباً لكل فتنة في الوجود بغزوهم بلاد الاسلام واراقتهم الدماء ونهبهم الاموال وتفريق كلمة المسلمين وكسر شوكتهم وزيادتهم ضعفا الى ضعفهم فانا لله وانا اليه راجعون . قوله : ولهذا حسم مادة الشفاعة عن كل أحد بغير اذن الاله ، لا يتوهم عاقل ولا جاهل ان الشفاعة تكون بغير اذن الله وقهرا عليه فالتعبير بقوله حسم مادة الشفاعة بغير اذنه لا مناسبة له ولا محل فحسم المادة يكون بنفي كل شفاعة والله تعالى بآية من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قد أثبت الشفاعة باذنه ونفاها بغير اذنه فلم يحسم مادتها وما وجه الربط بين هذه العلة والمعلول فاذا كان الله تعالى قد نفى الشفاعة بغير اذنه او حسم مادتها بغير اذنه كما يقول هذا الوهابي فهل يلزم ان يكون طالب الشفاعة من النبي «ص» الذي جعل الله له الشفاعة واذن له فيها كافراً ومشركا . وهل طالب الشفاعة من النبي «ص» يقول له اشفع لي قهراً على الله رضي ام ابى اذن أم لم يأذن ، بالدبوس كدين الوهابية . كلا فانظر رعاك الله الى هذه التعليلات والى هذه النتائج والمقدمات التي استحلوا بها الدماء والاموال واعجب ثم اعجب.
قوله : ولهذا قال لله الشفاعة جميعاً قد عرفت ان المراد بها انه تعالى مالك أمرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه فلا تزيد عن الاية الاولى. أما قوله تعالى: وما نرى معكم شفعاءكم الخ ، فالمراد بشفعائهم الاصنام والاحجار التي كانوا يزعمون انها شركاء فيهم ولها نوع اختيار معه تعالى وتصرف في الكون وهي جماد لا الانبياء والمرسلين الذين لا يعتقد مسلم فيهم شيئاً من ذلك سوى ما جعله الله لهم من الشفاعة عنده والمنزلة لديه فانهم حاضرون مع اممهم يشفعون لها ولم يتقطع ما بينهم وبينها ولا ضلت عنهم لا سيما نبينا محمد «ص» الذي هو وسيلة الخلق يوم القيامة دون الانبياء قوله : وطلبها من غير الله في هذه الدار

---

(١) بقوله ووفاتي خير لكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت لكم كما مر في المقدمات ، - المؤلف -

زعم بعدم تعلقها بالاذن الخ لا ندري ولا المنجم يدري لماذا كان طلبها في هذه الدار زعما بعدم تعلقها باذن الله ولماذا كان تعلقها باذن الله منافياً لطلبها وباي وجه يدل قولنا يا رسول الله اشفع لي على ارادة اشفع لي رغماً عن الله وقهراً عليه وبدون اذنه وهل اذا طلبنا منه الشفاعة يمتنع ويستحيل ولا يمكن أن يستأذن ويشفع فيكون طلب الشفاعة منافياً لتعلقها بالاذن ونفي الولي والشفيع في الايتين يراد به النفي المقيد الذي هو من دون الله وفي قباله وبغير أمره واذنه لا مطلق الشفيع الثابت بالاستثناء في قوله تعالى الا باذنه وبالضرورة من دين الاسلام ولا مطلق الولي الثابت بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا « الآية » وغير ذلك . قوله : والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . كلام لا يرتبط بالمقصود ولا يثمر غير التطويل بلا طائل سمعه ولم يعرف موضعه فسواء كانت الايتان واردتين في مورد خاص أو لا لا تدلان على منع طلب الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة كما عرفت .

أما قول ابن عبد الوهاب ان الشفاعة شفاعتان منفية ومثبتة وجعله المنفية ما تطلب من غير الله واستشهاده على ذلك بآية لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والمثبتة ما تطلب من الله فهو تخرص على الغيب وتفسير للقرآن بالرأي والهوى وبغير الوجه الذي يجب أن يفسر به فان قوله تعالى ولا شفاعة، عام أو مطلق يجب تخصيصه أو تقييده بالايات الاخر مثل (ولا يشفعون الا لمن ارتضى . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) لوجوب حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد كما بيناه في المقدمات فيحمل قوله ولا شفاعة على الشفاعة لغير من يرتضى كالمنكر له تعالى أو المشرك به أو من يشفع بغير اذنه أو نحو ذلك أما حمل قوله تعالى ولا شفاعة على نفي الشفاعة المطلوبة من غير الله فلا دليل عليه ولا يساعده العرف مع أنه تعالى امر بالانفاق من قبل ان يأتي يوم لا شفاعة فيه والمراد به يوم القيامة فهو تعالى نفى الشفاعة في يوم القيامة ولم ينف الشفاعة المطلوبة في الدنيا ولا يمكن ان يراد بهذا اللفظ نفي الشفاعة في الدنيا .

وقد ظهر مما مر ويأتي في فصل الدعاء فساد قول ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج: إن الله اعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا أي ان تطلبها منه وقال فلا تدعوا مع الله احداً ، لما ستعرف من ان الدعاء المنهي عنه في الآية لا يشمل طلب الشفاعة كما لا يشمل طلب الدعاء التي هي نوع منه ولا يمكن ان يكون شاملا لذلك اذ يكون محصله ان الله تعالى أباح لك

ان تطلب من كل احد ما اعطاه الله اياه الا الشفاعة فحجر عليك طلبها من النبي «ص» وان اعطيها تحكما من غير فارق الا توهم كون طلبها عبادة وهو توهم سخيف كما عرفت وهذا لا يليق ان يصدر من سفيه فضلا عن رب العزة جل وعلا . وظهر أيضاً ان قوله في تعليمه الاحتجاج : الشفاعة اعطيها غير النبي «ص» فصح ان الملائكة والاولياء يشفعون فان قلت : الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه — كلام فارغ لا يرجع الى محصل بل هو افتراء على الله تعالى وعلى كتابه فمتى ذكر الله تعالى في كتابه ان طلب الشفاعة من الصالحين عبادة وفي اي سورة أم في اي آية ورد هذا ام اي مفسر ذكر ذلك؟! غاية ما عند ابن عبد الوهاب ان اللات اسم رجل صالح وان المشركين كان لهم صنم على صورته وانهم قالوا ما نعبد الاصنام الا ليقربونا الى الله وان الله قال عنهم ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا وقد اتضح لك ان ذلك أبعد مما يرومه ابن عبد الوهاب من السماء عن الأرض لصراحة الايات كما مر في عبادتهم الاصنام وانها غير طلب الشفاعة وانهم طلبوا الشفاعة من الصنم الذي هو حجر لا من الصالح الذي ذلك الحجر على صورته وكون بعض الاصنام المعبودة كانت على صورة موهومة لرجل صالح لا يوجب ان يكون الصادر منهم مجرد التشفع برجل صالح ولا يرتبط به ولا يستلزمه بشيء من وجوه الاستلزام فجعله طلب الشفاعة من الصالحين رجوعا الى عبادتهم التي زعم انه تعالى ذكرها في كتابه قريب من الهذيان فالملائكة والاولياء وان ثبتت لهم الشفاعة كما سبق الا ان من سألهم الشفاعة والاستغفار له لا يكون عابداً لهم ولا يزيد على من يسأل اخاه الاستغفار له . والذين اشركوا من العرب بعبادتهم الملائكة لم يشركوا بطلبهم منهم الشفاعة بل اتخذوهم أربابا وقالوا انهم بنات الله كما مر .

ثم ان ابن عبد الوهاب صرح فيما يأتي في فصل الدعاء والاستغاثة بان طلب المقدور من غير الله تعالى ليس شركا ولا محرماً وانما الموجب للشرك ان يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه الا الله وحينئذ فمنعه من طلب الشفاعة من النبي « ص » مع اعترافه بان له الشفاعة وانه يقدر عليها ولو بعد الاستئذان من الله تعالى وانه الشفيع المشفع تناقض ظاهر كما سيأتي بيانه وما الذي فرق بين الشفاعة وغيرها حتى منع الله تعالى من طلب الشفاعة من غيره وان كان قادراً عليها وجوز طلب الدعاء من المؤمن الذي هو مثلها وغير ذلك مما

يقدر عليه هل هو الا نسبة التحكم الى الله تعالى والعبث تعالى الله عن ذلك .

اما كلام ابن تيمية في رسالة زيارة القبور الذي فتح به هـــذا الباب للوهابية بقوله : وان قال انا اسأله لكونه اقرب الى الله مني ليشفع لي وجعله التشفـع والتوسل الى الله كما يتوسل الى السلطان بخواصه من افعال الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم شفعاء والمشركين وعبدة الاصنام الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا واستشهاده على ذلك بآيات الشفاعة وزعمه انه تعالى بين الفرق بينه وبين خلقه ففساده أوضح من ان يبين بعد مـــا اثبت الله الشفاعة رأفة بالمذنبين من عباده ليتسببوا الى نيل رضاه وعفوه وجعلها لمن يكرم عليه من انبيائه واوليائه كما يستشفـع ويتوسل الى السلطان بخواصه ومن يكرم عليه لكن السلطان يقضي حاجته رغبة أو رهبة أو حياء أو غير ذلك والله تعالى يقضي حاجته كرماً ورحمة ورأفة ولا ينافي ذلك كونه لا يشفـع عنده أحـــد الا باذنه وان الأمر كله له والذين اخبر الله عنهم انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لم يكن ذلك لأجل طلبهم منهم الشفاعة بل انهم احلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم كما جاء في بعض الاخبار فهو نظير قوله تعالى اتخذ الهه هواه والذين عبدوا الاصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا تشفعوا باحجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفـع فذمهم الله تعالى بقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء وبين وجه ذمهم بقوله أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون فجعـــل التشفع بانبياء الله واوليائه الذين يعقلون ويملكون امر الشفاعة حيث انه تعالى جعل لهم الشفاعة وملكهم أمرها واذن لهم فيها كالتشفع بالاصنام التي لا تعقل ولا تملك شفاعة جهل محض.

وما بينه ابن تيمية في تفسير (لله الشفاعة جميعاً . ما لكم من دونه من ولي ولا شفيـع . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) من الفرق بين الشفاعة عند الله وعند خلقه يبطـــل استدلالهم بآية لله الشفاعة جميعا على عدم جواز طلبها من غير الله لأنه ذكر في وجه الفرق ان عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه فيقضي حاجته رغبة أو رهبة أو حياء أو مودة أو غير ذلك والله تعالى لا يشفع عنده احد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه والامر كله له فهـــذا معنى ان الشفاعة كلها لله لا انه لا يجوز طلبها من غيره .

هذا مع دلالة جملة من الأخبار على جواز طلب الشفاعة من النبي «ص» وغيره في دار

الدنيا لأمور الدنيا والاخرة فعن صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس عن النبي «ص» ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً [١] إلا شفعهم الله فيه . وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبي «ص» ما من ميت يموت يصلي عليه امة من النـــاس يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه وهذان الخبران يدلان على جواز الشفاعة في الدنيا من آحاد المؤمنين وانها لا تختص بالاخرة ولا بالانبياء فهـل اذا اوصى رجل جماعة من اخوانه اربعين أو مائة ان يقوموا على جنازته ويشفعوا فيه أو يصلوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركاً وآثماً مخطئاً عند محمد بن عبـــد الوهاب واتباعه لأنه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا كما يكون طالبها من النبي «ص» كذلك ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

وعن الترمذي عن أنس سألت النبي «ص» ان يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قلت فاين اطلبك قال اولا على الصراط قلت فان لم القك قال عند الميزان قلت فان لم القك قال عند الحوض فاني لا اخطي هذه المواضع . فهذا انس قد طلب الشفاعة من النبي «ص» في دار الدنيا ولم يطلبها من الله كما يريد ابن عبد الوهاب واقره النبي « ص » على ذلك افهـل كان انس بذلك آثماً ومشركاً والنبي «ص» اقره على معصيته وشركه وابن عبد الوهاب وحده موحداً ام ان النبي «ص» لم يسمع بقوله تعالى : لله الشفاعة جميعاً . ولا تدعوا مع الله احدا . ولذلك لم ينه أنساً عن طلب الشفاعة منه أو سمعه النبي «ص» ولم يفهم معناه وفهمه محمد بن عبد الوهاب واتباعه لأنهم اعلم بكتاب الله تعـــالى من رسول الله «ص» واصحابه .

وقد طلب سواد بن قارب وهو من الصحابة الشفاعة من النبي «ص» بقوله كما سيأتي في الفصل الثالث في التوسل :

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولم ينكر عليه رسول الله «ص» ولم ينهه ولم يقل له لم طلبت الشفاعة مني ودعوت غير

---

(١) بناء على اشراك جميع المسلمين يلزم ان يكون الاربعون من اعراب نجد حتى تقبل شفاعتهم .
– المؤلف –

الله فاشركت مع ان الشفاعة كلها لله ولا يجوز ان يدعى أحد مع الله فادع الله واطلب الشفاعة منه وقل يا الله شفعه في كما يقوله ابن عبد الوهاب .

وفي السيرة الحلبية [١] عن ابن اسحق في كتاب المبدأ ان تبعاً الحميري آمن بالنبي «ص» وكتب كتاباً فوصل الى النبي « ص » بعد مبعثه وفيه وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني وان النبي «ص» قال مرحباً بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات « انتهى » ولو كان هذا شركا وكفرا لوجب ان ينكره لا ان يرحب بصاحبه ثلاثا ويسميه الأخ الصالح ولو انكره لنقل عنه .

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور [٢] ما لفظه : في الحديث ان اعرابيا قال للنبي «ص» جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فسبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك . قال فاقره على قوله انا نستشفع بك على الله وانكر عليه نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع اليه والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به « انتهى » فاقرار النبي «ص» له على قوله انا نستشفع بك على الله دليل على جواز طلب الشفاعة من النبي «ص» في دار الدنيا وانه ليس فيها شائبة منع .

واتضح فساد قول الوهابيين ان الشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله فقد اقر النبي «ص» على طلبها منه في دار الدنيا لأمور الدنيا ولغيرها ومع هذا كله يعاند الوهابيون ويصرون ويتمحلون ويخالفون صريح السنة ليستحلوا دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ويزعمون انهم بها يتمسكون فانا لله وانا اليه راجعون . لا يقال : الذي انكره الوهابية طلب الشفاعة من النبي « ص » في دار الدنيا بعد موته وهذه الروايات كلها في طلب الشفاعة من الاحياء فلا يتم الاستدلال . لأنا نقول الدليل الذي استدلوا به على عدم جواز طلب الشفاعة في دار الدنيا وانها شرك ان تم لا يفرق بين طلبها من الحي وطلبها من الميت وهو قوله تعالى لله الشفاعة جميعاً فلا تدعوا مع الله احداً . مع انها قد وردت اخبار في طلب الشفاعة منه «ص» بعد موته . وهي ما سيأتي من ان ابن حنيف علم رجلا ان

(١) ص ٨٨ ج ٢ (٢) ص ١٥٥

يقول في دعائه في خلافة عثمان يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان تقضي حاجتي ويذكر حاجته وانه فعل ذلك فقضيت حاجته . وما رواه المفيد في المجالس عن ابن عباس ان امير المؤمنين «ع» لما فرغ من غسل النبي «ص» كشف الازار عن وجهه ثم قال بأبي أنت وامي طبت حياً وطبت ميتاً . الى ان قال : بأبي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك ثم أكب عليه فقبل وجهه . وفي خلاصة الكلام : صح انه لما توفي «ص» أقبل ابو بكر رضي الله عنه فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله وقال بابي أنت وامي طبت حيا وميتاً اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك « انتهى » وهذا استشفاع به «ص» في دار الدنيا بعد موته . كل هذا والوهابية واتباعهم يزعمون انهم سلفيون متمسكون باقوال السلف وباقوال الصحابة . وفي خلاصة الكلام : عن شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له «انتهى» وسيأتي في فصل التوسل من جملة الدعاء الذي ذكره العلماء في باب آداب الزيارة خطابا له «ص» جئناك لقضاء حقك الى قوله والاستشفاع بك فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك فاستغفر لنا واشفع لنا الخ ويأتي هناك أن كثيراً من علماء المذاهب الأربعة ذكروا في كتب المناسك عند ذكر الزيارة استحباب التشفع به (ص) .

الفصل الثاني

في دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به وطلب الحوائج منه

وهذا مما صرح الوهابية وقدوتهم ابن تيمية بأنه موجب للشرك والكفر ففي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية[1] ان قول ادركني أو اغثني او اشفني او انصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى اذا طلب في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك وادعى ورود الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله (ص) وصرح بذلك ابن تيمية في كلامه المتقدم في الباب الثاني المنقول عن رسالة الواسطة وصرح به في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور في عدة مواضع وهي جواب لمن سأله عمن يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به او بفرسه او بعيره يطلب ازالة ذلك ويقول يا سيدي انا في جيرتك انا في حسبك فلان ظلمني فلان قصد اذيتي ويقول ان المقبور يكون

(١) ص ٤٠

واسطة بينه وبين الله تعالى . وفيمن يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع وفيمن يجيء الى شيخه ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بهما وجهه وامثال ذلك وفيمن يقصده بحاجته ويقول يا فلان ببركتك اويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ وفيمن يعمل السماع ويجيء الى القبر فيكشف ويحط رجهه بين يدي شيخه على الأرض ساجداً وفيمن قال ان ثم قطباً غوثاً جامعا في الوجود .

ومما جاء في الجواب قوله [١] : من يأتي الى قبر نبي او صالح ويسأله حاجته ويستنجده مثل ان يسأله ان يزيل مرضه او يقضي دينه او نحو ذلك مما لا يقدرعليه الا الله عز وجل فهذا شرك صحيح (صريح ظ) يجب ان يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ثم ذكر [٢] عن وثيمة وغيره ان وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً اسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الاوثان ولهذا قال النبي (ص) : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) الى ان قال [٣] : وهذا ما يظهر الفرق بين سؤال النبي (ص) والرجل الصالح في حياته وسؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك أنه في حياته لا يعبده احد في حضوره الى ان قال [٤] : ولم يكن احد من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك العكوف قال ومن أعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت وغائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب يا سيدي فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره او جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ومعلوم ان خير الخلق واكرمهم على الله نبينا محمد (ص) واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته . وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة القبور [٥] : وقول كثير من الضلال : هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد من الله لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك — من أقوال المشركين فان الله تعالى يقول (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان)

(١) صفحة ١٥٦ (٢) صفحة ١٦١ (٣) صفحة ٢٦٢ (٤) صفحة ١٦٢ طبع المنار بمصر (٥) صفحة ١٥٧ .

الى ان قال : وامر الله العباد ان يقولوا (اياك نعبد واياك نستعين) واخبر عن المشركين انهم قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ثم يقال لهذا المشرك أنت اذا دعوت غير الله فان كنت تظن انه أعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك أو ارحم بك فهذا جهل وضلال وكفر وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلم عدلت عن سؤال غيره ، الى ان قال: وان كنت تعلم انه اقرب الى الله منك واعلى درجة فهذا حق لكن كلمة حق اريد بها باطل فانه اذا كان اقرب منك واعلى درجة فانما معناه ان يثيبه الله ويعطيه اكثر مما يعطيك ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك اعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله فانك ان كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته كما تقول للحي ادع لي وكما كان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء فهذا مشروع في الحي دون الميت الى آخر ما يأتي في هذا الفصل .

وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة زيارة القبور [١] ما حاصله : مطلوب العبد ان كان مما لا يقدر عليه الا الله فسائله من المخلوق مشرك من جنس عباد الملائكة والتماثيل ومن اتخذ المسيح وامه الـهين مثل ان يقول لمخلوق حي او ميت اغفر ذنبي او انصرني على عدوي او اشف مريضي او عافني او عاف اهلي او دابتي او يطلب منه وفاء دينه من غير جهة معينة او غير ذلك وان كان مما يقدر عليه العبد فيجوز طلبه منه في حال دون حال فان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهياً عنها قال الله تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) واوصى النبي (ص) ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واوصى طائفة من اصحابه ان لا يسألوا الناس شيئاً فكان سوط احدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد ناولني اياه وقال فهذه المنهي عنها والجائزة طلب دعاء المؤمن لاخيه الخ .

وصرح محمد بن عبد الوهاب في كلامه السابق في الباب الثاني بأن دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله موجب للارتداد عن الدين والدخول في عداد المشركين وعبدة

---

(١) صفحة ١٥٣ – ١٥٥ طبع المنار بمصر .

الاصنام واستحلال المال والدم الا مع التوبة بقوله : ان النبي «ص» قاتل المشركين لتكون جملة اشياء كلها لله وعد منها الدعاء والاستغاثة وغير ذلك من كلماتها السابقة .

وقال في رسالة كشف الشبهات [١] عند تعليمه الاحتجاج على المسلمين المشركين بزعمه فان قال (أي الخصم من المسلمين الذي هو مشرك بزعمه) : انا لا اعبد الا الله والالتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة فبين لي هذا الذي فرض عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فبينها له بقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اذا عملت بهذا هل هو عبادة فلا بد ان يقول نعم والدعاء مخ العبادة فقل اذا دعوت الله ليلا ونهاراً خوفاً وطمعا ودعوت في تلك الحاجة نبياً او غيره هل اشركت في عبادة الله فلا بد ان يقول نعم فقل له وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك والا فهم مقرون انهم عبيد الله تحت قهره وان الله هو الذي يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة ثم قال فان قال انا لا اشرك بالله حاشا وكلا والالتجاء الى الصالحين ليس بشرك فقل اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك اعظم من الزنا وان الله لا يغفره فما هو فانه لا يدري فقل كيف تبرىء نفسك من الشرك ولا تعرفه فان قال الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبدها فقل ما معنى عبادتها أتظن انهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر امر من دعاها فهذا يكذبه القرآن يعني قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض الآية) او هو قصد خشبة او حجر او بنية او غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا ببركته وهذا هو فعلكم عند الاحجار والبنايا التي على القبور وغيرها وايضاً قولك الشرك عبادة الاصنام هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا فهذا يرده ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين .

وقال في الرسالة المذكورة أيضاً [٢] : ولهم شبهة اخرى وهي ما ذكر النبي (ص)

---

(١) صفحة ٦٢ — ٦٤ طبع المنار بمصر

(٢) صفحة ٧٠ طبع المنار بمصر

ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا الى رسول الله (ص) فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركا ، قال: والجواب ان نقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما يستغيث الانسان باصحابه في الحرب وغيره في اشياء يقدر عليها المخلوق ونحن انكرنا استغاثة العباد عند قبور الاولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها الا الله فاستغاثتهم بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والاخرة ان تأتي عند رجل صالح تقول له ادع الله لي كما كان اصحاب رسول الله (ص) يسألونه في حياته واما بعد مماته فحاش وكلا انهم سألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه .

ثم قال [1] ولهم شبهة اخرى وهي قصة ابراهيم لما القي في النار اعترض له جبرائيل في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على ابراهيم. واجاب بان جبرائيل عرض عليه أن ينفعه بامر يقدر عليه فانه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو اذن له أن يأخذ نار ابراهيم ويلقيها في المشرق أو المغرب أو يضيع ابراهيم عنهم في مكان بعيد أو يرفعه الى السماء لفعل وهذا كرجل غني يعرض على رجل محتاج ان يقرضه أو يهبه فيأبى ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لاحد فاين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون « انتهى » .

وصرح الصنعاني في كلامه السابق في الباب الثاني بان من فعل ذلك أي الدعاء والنداء والاستعانة والالتجاء لمخلوق فقد اشرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور الهاً لعابديه سواء كان ملكا أو نبياً أو ولياً او شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً وصار بهذه العبادة أو أي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده ولم يخرجه اقراره وعبادته عن الشرك وعن وجوب سفك دمه وسبي ذراريه ونهب امواله كما لم يخرج المشركين . وذكر الصنعاني في تطهير الاعتقاد سؤال استغاثة الناس بآدم عليه الناس يوم القيامة بما يقرب مما تقدم عن ابن عبد الوهاب الا انه قال فان قلت الاستغاثة قد ثبتت في

---

(١) ص ٧١

الاحاديث فانه قد صح ان العباد يستغيثون بآدم الخ وقال بدل ليست شركا ليست بمنكر وقال قلت هذا تلبيس فان الاستغاثة بالمخلوقين الاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد. الى ان قال : وانما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم باوليائهم وطلبهم منهم اموراً لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المريض وغيرها . الى ان قال : نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء انما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف وهذا لا شك في جوازه اعني طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض وامرنا سبحانه ان ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم يعني قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) .

قال : وقد قالت ام سليم رضي الله عنها يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه «ص» وهو حي وهذا امر متفق على جوازه والكلام في طلب القبوريين من الأموات او من الاحياء الذين لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً ان يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم وينفسوا على حبلاهم ويسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها الا الله تعالى هؤلاء الذين قال الله فيهم والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وصرح بذلك الوهابية في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني.

ثم ان حاصل استدلال الوهابيين على عدم جواز دعاء غير الله تعالى بنحو الاستغاثة والاستعانة وطلب الحوائج على احد الوجوه المبينة في صدر الجواب وانه كفر وشرك اكبر كدعاء الاصنام على ما يفهم من كلماتهم المار ذكرها وكما في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية [1] انه تعالى قال (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء . والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير . والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء « الآية » . قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا

---

(١) ص ٨٦

تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه . ولا تدع من دون الله مـــا لا ينفعك ولا يضرك «الاية» . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم «الاية» . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له «الاية») .

وقال الصنعاني في تنزيه الاعتقاد وقد سمى الله الدعاء عبادة بقوله (ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية) وفي الهدية السنية [٢] عنه «ص» الدعـــاء مخ العبادة رواه الترمذي وفي زواية الدعاء هو العبادة ثم قرأ «ص» وقال ربكم ادعـوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي « الاية » رواه احمد وابو داود والترمذي «انتهى». ومن هتف باسم نبي او صالح عند الشدائد كقول يا رسول الله يا ابن عباس بدون ان يتبعه بشيء او قال اشفع لي الى الله في حاجتي او أستشفع بك الى الله في حــاجتي او نحو ذلك او قال اقض ديني او اشف مريضي أو نحو ذلك فقد دعا ذلــك النبي والصالح والدعاء عبادة بل مخها كما عرفت فيكون قد عبد غير الله وصار مشركا اذ لا يتم التوحيد الا بتوحيده تعالى في الالهية باعتقاد ان لا خالق ولا رازق غيره وفي العبادة بعدم عبادة غيره ولو ببعض العبادات وعباد الاصنام انما اشركوا بعدم توحيــــد الله في العبادة كما مر مفصلا .

والجواب : ان الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى يكون على وجوه ثلاثة ، الاول : ان يهتف باسمه مجرداً مثل ان يقول يا محمد يا علي يا عبد القادر يا أولياء الله يا اهل البيت ونحو ذلك . الثاني : ان يقول يا فلان كن شفيعي الى الله في قضاء حاجتي او ادع الله ان يقضيها أو ما شابه ذلك . الثالث : ان يقول اقض ديني او اشف مريضي او انصرني على عدوي وغير ذلك . وليس في شيء من هذه الوجوه الثلاثة مانع ولا محذور فضلا عـــما يوجب الاشراك والتكفير لان المقصود منها طلب الشفاعة وسؤال الدعاء سواء صرح بذلك كما في الوجه الثاني او لا كما في الوجهين الباقيين للعلم بحال المسلم الموحد المعتقد ان من عـــدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً فبسبب ذلك نعلم انه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء ولو فرض اننا جهلنا قصده لوجب حمله على ذلك سواء صدر من عارف او عامي لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مهما امكن حتى يعـــلم الفساد

(١) ص ٨٦

وعدم جواز تكفير المقر بالشهادتين الا بما يوجب كفره على اليقين وعدم جواز التهجم على الدماء والاموال والاعراض بغير اليقين كما مر في المقدمات فيكون ذلك هو المحذوف المطلوب من المدعو في الوجه الاول ويكون اسناد الفعل الى المدعو مجازاً في الاسناد في الوجه الثالث من باب الاسناد الى السبب لكونه بدعائه وشفاعته سبباً في ذلك كما في بنى الامير المدينة وشفى الطبيب المريض فان ذلك صحيح في لغة العرب كثير فيها وفي القرآن الكريم وهو المسمى عند علماء البيان بالمجاز العقلي وهو اسناد الفعل الى غير ما هو له من سبب او غيره ، والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم فان كون المتكلم به مسلما يعتقد ويقر بأن من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً الا باقدار الله تعالى يكفي قرينة على ذلك ولهذا ذكر علماء البيان ان مثل انبت الربيع البقل اذا صدر من الدهري كان حقيقة واذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً كما تقدم تفصيله في المقدمات واي فارق بين انبت الربيع البقل وبين ما نحن فيه فليكن هذا الاسناد كإسناد الرزق وما يجري مجراه الى غير الله تعالى في قوله تعالى (فارزقوهم منها. ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله . وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله) والاغناء لا يقدر عليه الا الله فكيف نسبه الى الرسول «ص» وجعله شريكا لله في ذلك وهل هو الا كالرزق الذي لا يقدر عليه الا الله تعالى وهم قد جعلوا قول ارزقني : شركا وكفراً وقد نسب الله تعالى الى عيسى عليه السلام الخلق وإبراء الأكمة والأبرص واحياء الموتى باذن الله بقوله حكاية عنه (انيَ اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الأكمه والأبرص باذن الله) فكيف جاز نسبة ذلك اليه ولم يكن كفراً ولا شركا ولم يجز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك الى النبي او الولي باذن الله فان كان المانع انه لا يقدر عليه الا الله فالكل كذلك وان كان عدم القدرة بعد الموت فهي حاصلة بما دل على حياة الانبياء بل وغيرهم في عالم البرزخ .

والى ما ذكرنا اشار عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى [1] بقوله : وقد يكون التوسل به (ص) بطلب ذلك الامر منه بمعنى انه «ص» قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته الى ربه فيعود الى طلب دعائه وان اختلفت العبارة

(١) صفحة ٤٢١ ج ٢ طبع عام ١٣٢٦ بمصر .

ومنه قول القائل له اسألك مرافقتك في الجنة «الحديث» ولا يقصد به الا كونه «ص» سبباً وشافعا «انتهى» وفي قول القائل اسألك مرافقتك في الجنة في الحديث المشار اليه رد لما توهموه من كفر من قال اشف مريضي وانصرني على عدوي ونحوه حتى ادعى ابن تيمية اجماع المسلمين على ذلك كما مر في الباب الثاني فمرافقته في الجنة لا يقدر عليها غير الله نظير غفران الذنب وشفاء المريض بل لو فرض انه ليس ظاهر حال القائل ما ذكرنا وتساوى الاحتمالان او ضعف الاحتمال الصحيح لم يجز الحكم بالكفر والشرك لوجوب الحمل على الصحة ولو مع الاحتمال الضعيف وعدم جواز التكفير الا مع اليقين ، نعم لو قصد في الوجه الاول والثالث ان المستغاث به هو الفاعل لذلك اختياراً واستقلالا بدون واسطته تعالى واقداره فالمسلمون منه براء ولكنه لا يوجد بين المسلمين احد يقصد ذلك نعم ربما يوجد من لا يخطر بباله شيء تفصيلا فيجب حمله ايضاً على الوجه الصحيح من طلب الدعاء والشفاعة دون غيره لانه وان لم يقصد ذلك ولم يلتفت اليه تفصيلا الا انه مقصود له اجمالا ولهذا لو سئل انك هل تعتقد انه قادر على ذلك بلا واسطته تعالى لقال كلا لا اعتقد ذلك وتبرأ ممن يعتقده ولو قيل له هل مرادك طلب الدعاء والشفاعة لقال نعم .

وحيث ظهر ان مرجع ذلك الى طلب الشفاعة وسؤال الدعاء ، فنقول : أما الشفاعة فمضى الكلام فيها في الفصل السابق وانها لا تخرج عن سؤال الدعاء ، واما سؤال الدعاء فلا مانع منه عقلا ولا شرعا من حي ولا ميت اما من الحي فاعترف الوهابيون (والمنة لله) بجوازه ولم يجعلوه شركا ولا كفراً ولا بدعة صرح بذلك ابن عبد الوهاب الصنعاني وقبلهما ابن تيمية . قال ابن تيميه في رسالة زيارة القبور [1] ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل يدعو له اخوه بظهر الغيب دعوة الا وكل الله بها ملكا كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك ولك مثل ذلك) ومن المشروع في الدعاء اجابة غائب لغائب [2] ولهذا أمر «ص» بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ففي الحديث اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي فان من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو أن أكون ذلك العبد فمن

(١) صفحة ١٥٥

(٢) كأن صوابه ومن المشروع في اجابة الدعاء دعاء غائب لغائب — المؤلف —

سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . ويشرع طلب الدعاء ممن هو فوقه ودونه فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر الى العمرة وقال لا تنسنا من دعائك يا أخي وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر اويس القرني وقال لعمر ان استطعت ان يستغفر لك فافعل وفي الصحيحين كان بين ابي بكر وعمر «رض» شيء فقال ابو بكر لعمر استغفر لي لكن في الحديث ان ابا بكر ذكر انه حنق على عمر وثبت في الصحيحين ان الناس لما أجدبوا سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقي لهم فدعا الله لهم فسقوا « انتهى » ثم ذكر حديث الاعرابي الذي قال للنبي «ص» ادع لنا ولم ينكر عليه وقد مر في فصل الشفاعة .

والجواب عن احتجاجهم على عدم جواز دعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة به بآية فلا تدعوا مع الله احداً وما ذكر معها — ان الدعاء في اللغة مطلق النداء قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) ويطلق الدعاء على سؤال الله تعالى والرغبة اليه وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه باعتقاد انه مالك أمر الدنيا والآخرة وبعبارة اخرى باعتقاد الوهيته واستحقاقه العبادة والتعبد والخضوع له بذلك اطاعة لأمره واطلاق الدعاء على ذلك اما لانه احد افراد المعنى اللغوي او لصيرورته حقيقة عرفية في ذلك او مجازاً مشهوراً وقد ورد في الشرع الحث على دعاء الله تعالى وطلب حوائج الدنيا والاخرة منه وسمي عبادة قال الله تعالى (ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وقال زين العابدين علي ابن الحسين «ع» في دعائه بعد ذكر الاية (فسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً وتوعدت عليه دخول جهنم داخرين) حتى ورد ان الدعاء مخ العبادة أو هو العبادة كما ذكروه في احتجاجهم وبمضمونه عدة روايات . وانما كان كذلك لما فيه من اظهار نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى والافتقار اليه وان الامور كلها بيده ولهذا امر بالدعاء وحث عليه مع انه اعلم بحوائجنا منا وارأف بنا من كل احد ولكنه اراد ان نظهر له غاية الخضوع والعبودية وننزل به حوائجنا جليلها وحقيرها حتى ورد انه اوحى الى موسى « ع » يا موسى اسألني حتى علف دابتك وقوت يومك او ما هذا معناه .

ولا شك ان مطلق الدعاء والمناداة وطلب الحاجة من غير الله لا يكون عبادة ولا ممنوعاً منه فمن دعا رجلا ليأتي اليه او ليعينه او ينصره او ليناوله شيئاً او يقضي له حاجة

لم يكن عابداً له ولا آثماً . فقوله تعالى (فلا تدعوا مع الله احـــدا) لا يراد به مطلق الدعاء قطعا بل دعاء خاصا وهو الدعاء المساوي لدعـاء الله تعالى باعتقاد ان المدعو قادر مختار مساو لله في ذلك كما كان غير المسلمين يفعلون ذلك في معابـــدهم او دعاء من نهى الله عن دعائه من الاصنام والاوثان التي هي احجار واشجار لا تعقـل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تسأل ولا تشفع كما كان يفعله المشركون في الكعبة او دعـــاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون ان لهم تأثيراً في الكون مع الله بانفسهم او يشفعون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم او نحو ذلك مما لم يجعله الله لهم وكذلك قوله «ص» الدعاء مخ العبادة او هو العبادة لا يراد به مطلق الدعاء بل دعاء خاص كما اريد بالاية الكريمة بل لا يبعد ان يراد بالدعاء فيه خصوص دعاء الله تعالى اي ان دعاء الله تعالى مخ عبادة الله تعالى وذلك لاشتماله على نهاية الذل والخضوع والعبادة اقصى نهـاية الخضوع والذل لانها مأخوذة من قولهم طريق معبد اي مذلل فتكون الالف واللام فيه نائبة عن الاضـافة فهي عهـدية لا جنسية . وآيات (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . ان الذين تدعون من دون الله عبـاد امثالكم) دالة على انهم كانوا يعتقدون انهم قادرون على نصرهم بانفسهم لا بدعائهم وشفاعتهم والا لم تكن الايتان رداً عليهم ولكان لهم ان يقولوا انهم وان لم يقدروا على نصرنا بانفسهم فهم قادرون عليه بالتسبب بدعاء الله لنا الذي وعد اجابة الدعاء ونحن لم نطلب منهم غير ذلك وانهم وان كانوا عباداً أمثالنا فهم قادرون على ان يشفعوا لنا عند الله الذي جعـل لهم الشفاعة باذنه فيستأذنونه ويشفعون هذا ان كانوا من الانبياء أو الصلحاء .

اذا عرفت ذلك ظهر لك ان من دعا نبياً واستغاث به فذلك لا يدخل في الدعاء المنهي عنه في الاية لأن هذا الدعاء والاستغاثة لا يخرج عن طلبه منه ان يدعو الله له أو يشفع له عنده الذي هو في معنى الدعاء فمن طلب ذلك مع اعتقاد ان الامر فيه لله ان شاء اجاب دعاءه وقبل شفاعته وان شاء رد لا يدخل في النهي قطعاً بعد ما عرفت ان المنهي عنـه ليس مطلق الدعاء بل دعاء مخصوص مع ان طلب الدعاء والشفاعة ممن جعل الله له ذلك لا يخرج عن دعاء الله تعالى وعبادته وتعظيم شأنه والتوسل اليه بأنواع الوسائل وفي ذلك مبالغة في التضرع اليه والطلب منه الذي علم انه يحبه ويرضاه وانه مخ العبادة له. والم

في الآية ظاهرة في المساواة ، ومن يدعو النبي «ص» ليدعو الله له ويشفع اليه في حاجته لم يدعه مع اللهولم يساوه به بل في الحقيقة دعا اللهالذي امر بطلب الدعاء من الغير وجعل له الشفاعة وليس المراد بالمعية مجرد المشاركة في الوجود والا لحرم دعاءغير الله في المساجد او مطلقامع الله بان يقول يا الله اغفر ليويا فلان اسقني ماء وحينئذ فقول يا محمد ادع لي الله او أشفع لي عنده الذي هو في معنى ادعه لا يزيد عنقوله يا فلاناسقني ماء. وبعبارة أخرى :معنى مع الله ان يكون دعاؤه في عرض دعاء الله لا فيطوله . والأصنام لو فرض ان دعاءها ليس كذلك فالله نهى عن دعائها بكل حال لأنها جماد ولأن دعاءها خلاف على الله وتكذيب للرسل . ودعاء باقي المعبودات كعيسى والملائكة والجن هو مثل دعاء الله قطعاً فعيسى (ع) اتخذ شريكا في الربوبية والملائكة والجن اعتقد ان لهم قدرة وتأثيراً مع الله كما مر .

أما قوله تعالى (له دعوة الحق) «الآية» فمعناه والله العالم ان المدعو بحق هو الله تعالى وما يدعون من دونه من حجر او شجر أو نبي يعتقدون الهيته كعيسى فيدعونه ليرزقهم ويدخلهم الجنة ويفعل معهم فعل الرب مع عبيده او ملك او جني يعتقدون ان له تأثيراً مع الله أو شفاعة اضطرارية او غير مردودة او نحو ذلك لا يستجيبون لهم أما الأحجار والاشجار فلأنها جماد لا تقدر على شيء سواء كانت على صورة صالح او لا لان الدعاء والشفاعة للصالحين لا لصورهم واما من يدعى فيه الالهية أو التأثير مع الله من ملك أو جني فلأنه ليس ألهاً او لا تأثير له ولا يبعد ان يكون المراد الاصنام خاصة وان تكون واردة في مشركي قريش ولذلك شبه حالهم بباسط كفيه الى الماء يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واين ذلك من طلب الدعاء من الصالحين الذين امر الله بطلب الدعاء منهم ودلت الآيات والاخبار على حياتهم بعد الموت وقدرتهم على ذلك وسؤال الشفاعة منهم التي جعلها الله لهم واخبر انهم قادرون عليها وبذلك ظهر جلياً ان قياس دعاء الصالحين على دعاء الاصنام والاوثان وعيسى ومريم وغير ذلك قياس باطل وتوهم فاسد .

اذا عرفت هذا فلنعد الى الجواب عن كلماتهم السابقة كل منها على حدة . امـا قول ابن تيمية بشرك من يسأل النبي او الصالح ازالة مرضه او قضاء دينه او نحو ذلك ولزوم قتله ان لم يتب ففاسد لما عرفت من عدم جواز التهجم عـلى تكفير المسلم واستحلال دمه بغير اليقين ووجوب حمل قوله وفعله على الصحيح مهما امكن ولا يقين هنا لوجود المحمل الصحيح وهو ارادة الاسناد الى السبب بالدعاء والشفاعة وان مثـل ذلك وارد في كلام العرب والقرآن الكريم . واما روايته ان وداً وسواعا الخ اسماء قوم صالحين فلمـا ماتوا عكفوا على قبورهم الى ان اتخذوا تماثيلهم اصناما فهو حجة عليه لا له فان موجب تكفيرهم اتخاذ تماثيلهم اصناماً لا التبرك بقبورهم . قوله : وكان العكوف على القبور والتمسح بهـا وتقبيلها والدعاء عندها هو اصل الشرك وعبادة الأوثان . يأبى الخذلان الذي اصاب ابن تيمية الا ان يسمي المداومة على زيارة قبور الانبياء والصلحـاء بالعكوف تنظيراً له بالعكوف على الاصنام وستعرف في فصـل الزيارة ان استحبـاب زيارة قبر النبي « ص » وقبور سائر الانبياء والصلحاء ودعائه تعالى عندها من ضروريات دين الاسلام واذا ثبت استحباب ذلك ثبت استحباب الاكثار منه فانه لا سرف في الخير كما لا خير في السرف فسواء سماه ابن تيمية عكوفا او غيره لا يضر الا نفسه اما جعله ذلك اصل الشرك وعبادة الأوثان . فان اراد به انه سبب تام في ذلك ففساده ظاهر لما نشاهده من تعظيم المسلمين قبور الانبياء والصالحين وتبركهم بها اجيالا عديدة ومع ذلك لم يتخذوا صورهم وتماثيلهم اصناماً .

وان كان يقول ان هذا التعظيم والتبرك عبادة للقبور كما تقول الوهابية فقـد رجع عن قوله انه اصل الشرك وعبادة الاوثان وسببه (وان اراد) انه قـد يؤدي الى عبادة الأوثان والشرك كما ادى في قوم نوح الذين اتخذوا صور الصالحين اوثانا بعد مـا عظموا قبورهم وتبركوا بها فهذا لا يوجب تحريمه كما انه اذا ادى ظهور المعجزة او الكرامة على يد نبي او صالح الى اتخاذه الهـاً لا يكون اظهارهما محرماً بعـد وجود الادلة من العقـل والنقل على عدم الـ ّهيته القاطعة للعذر (وان اراد) بكونه اصل الشرك انه نفسه شرك وعبادة للاوثان كما تقوله الوهابية فقد علم فساده بما اقمناه من البراهين عـلى انه ليس كذلك وبوجود الفرق الواضح بينه وبين عبادة الاصنام . اما قوله : ولهذا قال «ص» اللهم

لا تجعل قبري وثنا يعبد فتخرص على الغيب فمن الذي اخبره ان علة قوله «ص» ذلك : الخوف من ان يصل تعظيم قبره والتبرك به وتقبيله الى اتخاذه وثنا يعبد بل هو دعاء بان يعصم امته من اتخاذ قبره وثنا يعبد بما كانت تعبد به الجاهلية اوثانها لا بمجرد تعظيم المسلمين له وتبركهم به الذي قد بينا مراراً انه ليس عبادة له . اما تفرقته بين سؤال النبي والصالح في حياته وسؤاله بعد موته او في مغيبه بانه في حياته لا يعبده احد في حضوره فمما يضحك الثكلى (اولاً) ان السبائية ـ كما يزعمون ـ قد عبدت امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» في حضوره حتى حرقهم بالنار فزاد ذلك اعتقادهم بالهيته لما سمعوه منه لا يعذب بالنار الا رب النار المحمول على الكراهة في غير المقام الذي يناسبه شدة العقاب او غيره من المحامل (ثانياً) احتمال ان يترتب على فعل المباح او الراجح امر محرم، لا يوجب تحريمه والا لحرم جميع ما في الكون من فعل . قوله : ولم يكن احد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ، ما اهون الدعاوى المنفية وتتابع ادوات النفي على ابن تيمية اذا حاول ما طبع عليه من انتقاص قدر الانبياء والصلحاء كأنما الله تعالى اوجده في جميع العصور واطلعه على كل كائنات الدهور وانا نسأله هل كان مالك ابن أنس إمام دار الهجرة والذي قيل فيه لا يفتى ومالك في المدينة وحجة الله على خلقه بشهادة الامام الشافعي [1] من سلف هذه الامة ومن التابعين او تابعي التابعين حين قال لابي جعفر المنصور وقد سأله قائلا يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول الله (ص) فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم «ع» الى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به « الحديث » وهل أنكر احد ذلك على مالك من علماء المدينة وهي ملأى بالتابعين وتابعي التابعين أو من علماء سائر الاقطار وهل تحتاج فضيلة المكان المدفون فيه جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد الكائنات واشرف ولد آدم الى رواية خاصة ونص مخصوص واذا ثبتت فضيلته ثبتت فضيلة الصلاة فيه أفيلزم مع ذلك ان ينزل ملك على ابن تيمية يخبره بفضيلة الصلاة في المكان الفاضل. ولكن تكفير المسلمين واستحلال أموالهم ودمائهم تكفي فيه الظنون والاوهام وسرد الدعاوى المنفية بلا دليل وسيأتي في فصل التوسل ان جميع أصحاب المناسك من علماء الاسلام ذكروا استحباب

---

(١) كما في خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٣ طبع مصر .

المجيء الى قبر رسول الله (ص) والدعاء : اللهم انك قلت في كتابك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الخ . وتقدم مجيء رجل الى قبره (ص) وسؤاله ان يستسقي لامته فسقوا ، قوله : ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم ، هذه الدعوى يكذبها مضافاً الى ما تسالم عليه المسلمون خلفاً عن سلف من الاستغاثة بالانبياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم كما يظهر مما ذكرناه في تضاعيف هذا الكتاب ما ذكره عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وفاء الوفا حيث قال في كلامه الآتي في الفصل الثالث ان الاستغاثة بالنبي (ص) من فعل الانبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين وما ذكره في خاتمة الباب الثامن [٢] من استغاثة جماعة من السلف به «ص» بعد وفاته حيث قال: خاتمة في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبي «ص» أو طلب منه شيئا عند قبره فأعطي مطلوبه ونال مرغوبه مما ذكره الامام محمد بن موسى بن النعمان في كتابه مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام فمن ذلك ما قال: اتفق لجماعة من علماء سلف هذه الامة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين . قال محمد بن المنكدر أودع رجل أبي ثمانين ديناراً وخرج للجهاد وقال له ان احتجت انفقها واصاب الناس جهد من الغلاء فانفقها فقدم الرجل وطلبها فقال له عد الي غداً وبات في المسجد يلوذ بقبر النبي «ص» مرة وبمنبره مرة حتى كاد ان يصبح ، يستغيث بقبر النبي « ص » — الى آخر القصة وقال : الامام ابو بكر ابن المقري كنت انا والطبراني وابو الشيخ في حرم رسول الله «ص» وأثر فينا الجوع فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي «ص» وقلت يا رسول الله الجوع ، الى ان قال : فدق الباب علوي معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير وقال اشكوتم الى رسول الله «ص» فاني رأيته في المنام فامرني ان احمل بشيء اليكم ثم ذكر السمهودي بعد نحو من نصف ورقة ان هذه الواقعة رواها ابن الجوزي في كتابه الوفاء باسناده الى ابي بكر المقري قال وقال ابن الجلاد دخلت المدينة وبي فاقة فتقدمت الى القبر وقلت ضيفك فغفوت فرأيت النبي (ص) فاعطاني رغيفا فأكلت نصفه — الى آخر القصة .

---

(١) ص ٤٢٥ ج ٢

وقال ابو الخير الاقطع وذكر نحوه ، وقال ابو عبد الله محمد بن ابي زرعة الصوفي ،سافرت مع ابي ومع ابي عبد الله بن خفيف الى مكة فأصابتنا فاقة شديدةفدخلنا المدينة فاتى ابي الحظيرة وقال يا رسول الله انا ضيفك الليلة ، الى ان قال : فقال رأيت رسول الله (ص) فوضع في يدي دراهم — الى آخر القصة . وقال احمد بن محمد الصوفي ، تهت في البادية ثلاثة اشهر فانسلخ جلدي فدخلت المدينة وجئت الى النبي (ص) فسلمت ثم نمت فرأيته (ص) في النوم فقال لي جئت قلت نعم وانا جائع وانا في ضيافتك قال افتح كفيك فملأهما دراهم فانتبهت الخ .. ثم نقل السمهودي ما يزيد على عشر وقائع من هذا القبيل ومنها واقعتان نقلهما عن نفسه يطول الكلام بذكرها فليطلبها من أرادها . ويستفاد من ذلك ايضاً ان الاستغاثة بالنبي (ص) عليها سيرة المسلمين خلفاً عن سلف بدون تناكر بينهم فيكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما عرفت في المقدمات مع انه لا يحتاج جواز الاستغاثة الى ورود الدليل بل المانع عليه اقامة الدليل ، قوله : ومن أعظم الشرك الخ . قد عرفت انه لا شرك فيه بوجوب حمله على الوجه الصحيح فضلا عن كونه من أعظم الشرك ، قوله : وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم . بل هذا حال الوهابية في اتباعهم رؤساءهم على غير بصيرة ولا هدى فأشبهوا الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الذين ورد فيهم انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما حرموا عليهم حلالا واحلوا لهم حراما فاتبعوهم ومما مر تعلم فساد قوله ان خير الخلق الى قوله ولا بعد مماته .

قوله : وقول كثير من الضلال هذا أقرب الى الله مني وانا بعيد لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة من اقوال المشركين الخ .

أما قول هذا اقرب الى الله مني فصحيح ليس فيه شيء من الضلال فان درجات الناس متفاوتة في القرب منه تعالى بالطاعة الذي هو بمعنى القرب المعنوي تشبيها بقرب المكان واما قول لا يمكنني ان أدعوه الا بهذه الواسطة فلا يقوله ولا يعتقده احد من المسلمين فضلا عن ان ينسب الى كثير من الضلال ولم نسمع الى الان من احد ولا عنه انه يقول ذلك بل يدعون الله مرة بلا واسطة ومرة بواسطة نعم قد يقولون ان هذا أقرب الى الله مني فدعاؤه ارجى للاجابة من دعائي وهذا لا بأس به ولا مانع منه فقد ثبت ان

دعاء الغير أرجى للاجابة ولو لم يكن اقرب وروي ان الله تعالى أوحى الى موسى (ع) « ادعني على لسان لم تعصني به » كما كانت الصلاة على النبي «ص» التي أمرنا الله تعالى بها في الدعاء من اسباب اجابته كما صرح به ابن تيمية في كلامه السابق والله تعالى قادر على اجابة الدعاء بدون الصلاة على النبي «ص» فكيف امر بها لتكون سبباً في اجابة الدعاء ولم يكن ذلك منافياً لقربه من الداعي وكان التشفع اليه بذوي المكانة الذين جعل الله لهم الشفاعة منافياً لذلك . وخلاصة القول ان الله تعالى امر عباده بدعائه ووعدهم الاجابة قصداً لتذللهم وتعبدهم له من دون حاجة منه الى دعائهم مع قدرته على ان يعطيهم بدون دعاء مع رأفته بهم لكنه اراد ان يتعبدوا له بأنواع التعبد والتذلل ويتوسلوا اليه وجعل لهم من لطفه بهم ورحمته اسبابا لنيل فضله ونعمه مثل الصلاة على النبي «ص» في دعائهم والتشفع اليه بذوي المكانة عنده ومن ذلك اعطاؤه الشفاعة لذوي الشفاعة مع عدم حاجة منه الى شيء من ذلك ولو فرض ان احداً قال لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة لكان مخطئاً وغالطا ولم يكن مشركا وكافراً كما يزعمه ابن تيمية واتباعه الوهابية، اما استدلاله بآية واذا سألك عبادي عني «الآية» على امكان دعاء الله بلا واسطة فمن فضول الكلام فانه لا ينكر احد امكان ذلك وانه تعالى قريب ممن دعاه ولكن لا ينافي ذلك كون بعضهم أقرب من بعض ولا كون دعاء الغير ارجى للاجابة ، اما استشهاده بآية اياك نعبد وآية انما نعبدهم ليقربونا فلا محل له فلا احد يعبد غير الله ولا يستعين بغيره وانما هو سؤال الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن عبادته تعالى والاستغاثة به لانه عن امره ، قوله : ان كنت تظن انه اعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك او ارحم بك فهذا جهل وضلالة وكفر ليس في المسلمين من يعتقد هذا فذكره فضول وتطويل بدون طائل ، قوله : وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره . لم يعدل احد عن سؤاله تعالى الى سؤال غيره وانما هو طلب الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن سؤاله تعالى لأنه عن امره كما مر ، ونقول له : النبي «ص» يعلم ان الله تعالى اعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر فلم عدل عن سؤاله الى سؤال عمر وقال له حين ودعه الى العمرة لا تنسنا من دعائك يا اخي حسبما رويت واذا كان «ص» يعلم ذلك فلماذا طلب منا ان نصلي عليه ونسأل الله تعالى له الوسيلة ولماذا لم يطلبها هو من الله ولماذا امر عمر ان يسأل أويساً القرني ان يستغفر له ولماذا قال ابو بكر لعمر استغفر لي ولماذا لم يطلب ابو بكر

المغفرة منه تعالى بغير واسطة عمر والله تعالى أعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر ولماذا سأل الناس النبي «ص» أن يستسقي لهم لما اجدبوا ولم يستسقوا بأنفسهم والله تعالى أعلم بحالهم واقدر على عطاء سؤالهم وارحم بهم من النبي «ص» وقد روى ذلك كله ابن تيمية فيما مر قريباً واعترف به وهو هنا يقول فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره وان كان يزعم ان المسلمين يسألون غيره تعالى لأنه القادر المختار الفاعل لما يشاء فهذا افتراء على المسلمين لما عرفت من ان ذلك لا يخرج عن طلب الدعاء وسؤال الشفاعة . ويكاد الانسان يقضي عجباً من تمحلات هؤلاء وتهافت كلامهم ، قوله : وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك فانما معناه انه يثيبه أكثر مما يثيبك لا انك اذا دعوته يقضي الله حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله . نعم ان دعاء الغير للعبد ارجى في الاجابة من دعائه نفسه كما مر فلهذا ينبغي له الجمع بينهما ومنه يعلم انها كلمة حق لم يرد بها الا الحق ، قوله : فانك اذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله والا فالله أولى بالرحمة والقبول ، مما يضحك الثكلى فانك قد عرفت ان المطلوب من النبي او الصالح الدعاء والشفاعة التي لا تخرج عن الدعاء وهو قد سلم ان طلب الدعاء من الغير مشروع فيقال له اذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالذي تسأله الدعاء لك لا يعين على ما يكرهه الله والا فالله اولى بالقبول والرحمة فلماذا تسأل الغير ان يدعو لك أو لم يعلم ابن تيمية ان مستحق العقاب قد يرحمه الله تعالى بالدعاء من الغير الذي هو أرجى في الاجابة ومستحق رد الدعاء قد يجيب الله دعاء غيره فيه ويقال له ايضاً اذا كان العبد مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فلماذا أمر الله تعالى بالدعاء على وجه العموم والله تعالى لا يأمر بما يكرهه ولا يعين عليه ولم لم يرحم بدون دعاء وشفاعة ولم أمر في الدعاء بالصلاة على النبي (ص) وجعلها سبباً لقبوله ولم جعل الشفاعة واذن فيها وكون الله أولى بالرحمة والقبول لا ينافي التوسل اليه بدعاء الغير بل هذا من اتم اسباب رحمته ورأفته ، قوله : وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته . قد عرفت ان هذا هو الحاصل من المسلمين الذي امر به الشرع ودل عليه النقل لا غيره .

ومما ذكر تعلم فساد تفصيله في رسالة زيارة القبور بين طلب ما لا يقدر عليه الا

الله وما يقدر عليه غيره فاذا كان المطلوب هو الدعاء والشفاعة لم يكن المطلوب غير مقدور وكلما طلب فيه غير المقدور يجب حمله على طلب الدعاء والشفاعة حملا لفعل المسلم على الصحة فالتفصيل المذكور ساقط من اصله .

وأما قوله : ان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهياً عنها فـان أراد بالنهي نهي الكراهة والتنزيه لا نهي المنع والتحريم فله وجه بمعنى انه لا ينبغي مسألة الناس والاستعانة بهم مع امكان الاستغناء عنهم . وسمع بعض أئمة اهـل البيت عليهم السلام من يقول اللهم لا تحوجني الى خلقك فنهاه وقال ما معناه انه لا بد من احتياج الخلق بعضهم لبعض ولكن قل اللهم لا تحوجني الى لئام خلقك . وان اراد غير ذلك فهو مردود عليه ولكن ذلك كله خارج عما نحن فيه فان كلامنا في الاستغاثة بالمخلوق ليكون شافعاً الى الله ووسيلة اليه ولا شك ان ذلك راجح لا كراهة فيه اذا كان المستغاث اهلا لذلك فان ذلك لا يخرج عن عبادة الله ودعـائه والاستغاثة به بل هو المستغاث حقيقة والله تعالى يحب دعاءه والتوسل اليه بكرام خلقه لأن ذلك من انواع العبادة له والتذلل له والا فالله تعالى قادر على ان يعطينا بدون دعائنا وتوسلنا وتضرعنا ويعفو عنا بغير شفاعـة شفيع فلماذا امرنا بالدعاء وقبل شفاعة الشفعاء واذن لهم فيها .

واما ما ذكره ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج من قوله انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة الى قوله فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فجوابه ان علماء المسلمين اعرف بربهم وبعبادته وانواعها منه ونسبته لهم الى الجهل بالعبادة وانواعها جهـل وسوء أدب وتخرص على الغيب واذا كان لا يعرف العبادة ولا انواعها فكيف جزم بأنه لا بد ان يقول ان الدعاء عبادة وانه مخ العبادة ، قوله : اذا دعوت الله ودعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل اشركت في عبادة الله الخ . قد علم بما بيناه انه ليس كل دعاء عبادة وان من يدعو غير الله في حاجة من نبي أو صالح حي أو ميت ليدعو الله له في قضاء حاجته ويشفع له عنده ليس بعابد لذلك النبي او الصالح وليس مشركا في عبادة ربه احـداً ولا خارجا عن دعاء الله وعبادته فلا نطيل بأعادته ، قوله : وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء قد عرفت أيضاً ان عبادتهم لهم كانت بالسجود والذبح والاهلال بأسمائهم على الذبائح والالتجاء الى الاحجار والاشجار للجاه والشفاعة التي نهى الله عن الالتجاء اليها على لسان انبيائه ولم يجعل فيها صفة تصحح الالتجاء اليها ولا جاه لها عنده

سواء قصد طلب شفاعتها او التجيء اليها لأنها فاعلة بنفسها ولأنها جمادات لا قدرة لها على شيء اصلا ولا تسمع ولا تعقل ، او بعبادة ملك او جني واعتقاد ان له تأثيراً مع الله وقدرة بنفسه لم يجعلها الله له .

قوله : اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك الخ. فما هو فأنه لا يدري. قوله : لا يدري حكم على غائب وتخرص على الغيب وما الذي اعلمه انه لا يدري وهل الله اشركه في علم الغيب بل الشرك الذي حرمه الله تعالى معلوم معروف عند جميع المسلمين لا يجهله عوامهم فضلا عن علمائهم فنسبتهم الى انهم لا يعرفون معنى الشرك افتراء باطل وإساءة ادب مع علماء الأمة الذين قال رسول الله (ص) فيهم علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل او افضل من انبياء بني اسرائيل ومع الأمة عموماً التي قال الله تعالى عنها انها خير امة اخرجت للناس فجعلهم يجهلون معنى الشرك ويعرفه اعراب نجد فقط ، وقد عرفت ان الشرك والكفر يتحقق بأحد الأمور المتقدمة في الامر الرابع عشر من المقدمة الثانية وما في حكمها وتحقق الشرك بذلك اوضح من ان يبين او يجهله مسلم .

ويمكن ان نقلب هذا الاستدلال على ابن عبد الوهاب واتباعه ، فنقول : لاحدهم انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة وحرم عليك الشرك فبين لنا هذا الذي فرض عليك وحرم عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فان قال اخلاص العبادة هو ان لا يدعو غير الله ولا يستغيث الا بالله ولا ينحر ولا يذبح الا لله والشرك دعاء غير الله والتشفع والاستغاثة به فقل له هل مطلق دعاء غير الله وندائه عبادة فان قال نعم فقل له اذاً لا يسلم احد من الشرك وإن قال بل هو دعاء مخصوص فقل بينه لي فان قال هو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فقل فلماذا كفرتم المسلمين في طلب الشفاعة من النبي (ص) وهو قادر عليها وهو الشفيع المشفع فانه لا يهتدي الى جوابه . وقل له هل كل تعظيم عبادة موجبة للشرك فان قال نعم فقل اذاً تعظيم الابوين وتعظيم النبي (ص) في حياته شرك وكفر وان قال هو تعظيم مخصوص فقل له بينه لي فانه لا يعرفه فقل له انه تعظيم غير الله بما نهى عنه الله وكان مساوياً لتعظيم الله وهذا لا يفعله مسلم . وقل له هل كل ذبح ونذر لغير الله او هو ذبح ونذر مخصوص فلا بد ان يقول انه نذر وذبح مخصوص فقل له فما هو فأن قال هو نذركم وذبحكم للاولياء فقل اذا نذرنا ان نذبح شاة

ونتصدق بها على الفقراء فهل هذا النذر والذبح لله أو لغير الله فلا بد ان يقول انه لله فقل له وكذلك النذر والذبح الذي تزعمون انه للولي هو نذر وذبح لله ليتصدق به على الفقراء ويهدى ثوابه للنبي أو الولي .

قوله : أتظن انهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق الخ فيه انهم وان لم يعتقدوا انها تخلق وترزق الا انهم عبدوها وعظموها بما نهاهم الله عنه واعتقدوا ان لها شرفاً ذاتياً واختياراً وتدبيراً كما أوضحناه مراراً فلا نطيل باعادته وليس هذا هو فعل المسلمين عند الاحجار والبنايا التي على القبور وغيرها كما زعم وتوهم على ماسبق مفصلا فأين الاستغاثة بذوي المكانة عند الله ودعاؤهم من عبادة الاصنام واين فعل المسلمين من فعل عباد الاصنام ، فالمسلمون بتعظيمهم من امر الله بتعظيمه وتبركهم بمن أثبت الله له البركة واستغاثتهم وتشفعهم بمن جعله مغيثاً وشافعاً وطلبهم دعاءه واستغفاره لهم لم يعبدوا غير الله تعالى ولم يعظموا غير الله ولم يستغيثوا الا بالله ولم يدعوا غير الله لأن كل ما كان عن امر الله تعالى فهو اطاعة له ولو تعلق بالمخلوقين واشتمل على تعظيمهم كما كان سجود الملائكه لآدم ويعقوب وأولاده ليوسف وتعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الاسود وتقبيله واستلام الاركان وتعظيم حجر اسماعيل ومقام ابراهيم والصلاة عنده وتعظيم الحرم والمساجد وهي جمادات كلها عبادة لله تعالى وتعظيما له . قوله : هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا أي عبادة الاصنام وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا فهذا يرده ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين . وقد عرفت ان الكفر من تعلق على الملائكة لم يكن لمجرد التشفع بهم وطلب دعائهم وان كفر من تعلق على عيسى لانه جعله الهاً مستحقاً لجميع صفات الألوهية لا مجرد الاستغاثة به بطلب دعائه وشفاعته فراجع فتعبيره بالتعلق المجمل وعدم بيانه المراد منه جهل او تضليل فأين هذا ممن استغاث بنبي او ولي فطلب دعاءه وشفاعته.

واما من تعلق على الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التي ورد أنها اسماء قوم صالحين فقد اقام لهم تماثيل من احجار يعبدها ويسجد لها ويذبح الذبائح ويهل بها لها ويذكر اسماءها عليها ويطليها بدمائها ويتقرب بها الى تلك الاحجار ويستغيث بها ويعتقد ان لها تأثيراً وقدرة الى غير ذلك ولم يكن منه مجرد الاستغاثة والتشفع الى الله باصحابها

الذين هم قوم صالحون ولهم مكانة عند الله بل تشفع واستغاث باحجار على صورهم الموهومة لم يجعل الله لها حرمة ولا شفاعة ولم يقتصر على ذلك بل زاد عليه انواعاً من العبادة كما مر مراراً واين هذا من الاستغاثة والتوسل بالنبي أو الولي .

قوله : في جواب استغاثة الناس بالانبياء يوم القيامة الدالة على انها ليست شركا : سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها الخ . ونقول : سبحان من طبع على قلبه فجعله لا يلتفت الى التناقض والتهافت في كلامه فانه كما عرفت في الفصل الثاني يمنع من طلب الشفاعة من النبي « ص » ويجعله شركا ويوجب طلبها من الله تعالى بقوله اللهم شفعه في او ارزقني شفاعته مع تسليمه بانه «ص» قادر عليها وان له الشفاعة وانه الشفيع المشفع وهنا يقول لا ننكر الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه فاي جهل وتناقض وتهافت أعظم من هذا وهو مع ذلك يقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه مع انك عرفت مراراً ان الاستغاثة الحاصلة بالمخلوق ليست الا فيما يقدر عليه وهو الدعاء والشفاعة وان عبر بقوله ارزقني واشف مريضي وغير ذلك كما مر آنفاً (لا يقال) انما منع من طلب الشفاعة من النبي «ص» تمسكاً بقوله تعالى ان الشفاعة لله جميعاً . فلا تدعوا مع الله أحداً فيكون عدم جواز طلبها منه وان كان قادراً عليها لنص شرعي تعبدي وهو الآيتان الشريفتان (لأنا نقول) معنى الاية الأولى كما عرفت في الفصل الاول ليس عدم جواز طلب الشفاعة منه «ص» بل انه تعالى مالك امرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه والا لمن ارتضى ولا يلجئه أحد الى قبول شفاعته كما يقع من المخلوقين والمنهي عنه في الآية الثانية دعاء مخصوص لا مطلق الدعاء كما عرفته في هذا الفصل . وأول كلامه بالنسبة الى الاستغاثة وغيرها مطلق شامل للمقدور وغيره مع انه في مقام البيان ولكن لما اعترض عليه بالاستغاثة بالانبياء يوم القيامة التي لم يجد لها جوابا قيد حينئذ الاستغاثة الممنوعة بغير المقدور والا فما باله لم يقيدها من اول الأمر ويسلم من الاعتراض مع كونه في مقام البيان . ومنه يظهر بطلان جواب الصنعاني السابق الراجع الى التفصيل بين الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه وغيرها لما عرفت من ان الاستغاثة الحاصلة لا تخرج عن المقدور . قوله : واما بعد مماته فحاش وكلا انهم سألوا ذلك فيه انه يناقض قوله الاول : ونحن انكرنا استغاثة العباد عند قبور الانبياء والاولياء او في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها الا الله فانه يدل على ان الموجب للانكار كونها لا يقدر عليها الا الله وحينئذ

فلا فرق بين طلبها من الحي أو الميت فلو طلب من الحي ما لا يقدر عليه الا الله لكان شركا عنده وقوله واما بعد مماته فحاش وكلا الخ يدل على عدم جواز طلب شيء من الميت مطلقاً ولو كان مما يقدر عليه غير الله كالدعاء والشفاعة وهو تناقض ظاهر فتارة جعل المناط عدم قدرة غير الله وتارة الحياة والموت والغيبة والحضور . كما ان تقييد الصنعاني بالاحياء مشعر بعدم جواز الاستغاثة بالأموات حتى في المقدور . وكيف كان فقد عرفت ان التفصيل بين ما يقدر عليه غير الله وما لا يقدر عليه الا الله لا يرجع الى محصل بعد ما كان المراد سؤال الدعاء وطلب الشفاعة المقدورين فكما ان استغاثة الناس بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح اهل الجنة من كرب الموقف واستغاثة المسلمين بهم في الدنيا يريدون منهم ان يدعوا لله ويشفعوا عنده حتى يقضي حوائجهم وهذا امر مقدور لهم بعد مماتهم ومن ذلك يعلم فساد تفرقته بين استغاثة ابراهيم بجبرائيل عليهما السلام لو فعلها واستغاثتنا بالنبي « ص » بان الاولى استغاثة في امر مقدور بخلاف الثانية لأن الثانية هي أيضا في امر مقدور وهي طلب الدعاء والشفاعة وليس فيها عبادة وشرك لو كان يفقه . كما ان التفصيل بين الاستغاثة بالاحياء والاستغاثة بالاموات ولو في المقدور لغير الله تحكم محض لم يأت الصنعاني عليه بدليل ولم يزد ابن عبد الوهاب في دليله على قوله فحاش وكلا انهم سألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فضلا عن دعائه نفسه وهي دعوى مجردة عن الدليل لم يأت عليها بشاهد ولا اثر مروي بل عرفت انها دعوى كاذبة وان الأمر بالعكس فانهم أنكروا على من لم يدع الله عند قبره ولم يستقبله في دعائه ويتوسل به كما وقع لمالك أمام دار الهجرة مع المنصور العباسي وان سيرة السلف والخلف دعاء الله تعالى عند قبره الشريف والتبرك به فمن هم السلف الذين يزعم ابن تيمية وابن عبد الوهاب انهم انكروا على من دعا الله تعالى عند قبر النبي «ص» وهل مالك إمام المذهب وإمام دار الهجرة الذي قيل فيه لا يفتى ومالك في المدينة والذي قال فيه الامام الشافعي حجة الله على خلقه لا يعد منهم فظهر بذلك ان ما قاله افتراء على السلف وانه لا فرق بين طلب الدعاء منه «ص» في حياته وبعد وفاته وان التفرقة بينها محض جمود أو عناد وان ما هو شرك لا يمكن ان يكون توحيداً وبالعكس .

ومما يدل على جواز الاستغاثة بغير الله من النقل ما في خلاصة الكلام انه رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله «ص» اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عباداً يجيبونه . وفي حديث آخر رواه الطبراني انه «ص» قال اذا اضل احدكم شيئاً او اراد عونا وهو بارض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله اعينوني وفي رواية اغيثوني فان لله عباداً لا ترونهم وقال ان الفقهاء ذكروا ذلك في آداب السفر « انتهى » وهو موجود في كتب اصحابنا ايضا واورده بعض الوهابية في الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ببعض التغيير [1] . قال : ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله قوله «ص» واورد الحديث الاول لكنه قال احبسوها بدل احبسوا . قال : وفي رواية اذا اعيت فليناد يا عباد الله اعينوا . ثم اجاب باجوبة طويلة جلها لا يرجع الى محصل ولا يليق ان يسطر ولا يرتبط بالمقصود فلذلك اعرضنا عن نقله . ومما ذكره : القدح في السند برواية الطبراني له في الكبير بسند منقطع عن عقبة وان النووي عزاه لابن السني وفي إسناده معروف بن حسان قال ابن عدي منكر الحديث مع ان اخذ الفقهاء له بالقبول وذكرهم مضمونه في آداب السفر وايراد أئمة الحديث له في كتبهم كالطبراني والنووي مغن عن تصحيح سنده لو سلم ما قاله وكيف خفي على الفقهاء والمحدثين ان مضمونه شرك أو حرام وظهر ذلك لأعراب نجد . وأجاب صاحب المنار في الحاشية بان المتبادر ان النداء لمن عساه يوجد من الناس في الفلاة ولم يره وهو معتاد «انتهى» ولما كان الحديث المذكور في رسالة الوهابية اشارة الى ما رواه الطبراني والنووي كما نص عليه صاحب الرسالة عند قدحه في السند كان تأويل صاحب المنار هذا مصادماً لصريح الحديث فان قوله : فان لله عباداً لا ترونهم صريح او كالصريح في انهم ليسوا ممن يرى لدلالة المضارع على الاستمرار ودلالة التأكيد بان على تحقق وجودهم وكذا قوله فان لله عباداً يجيبونه دال على ان وجودهم واجابتهم محقق او غالب لا محتمل احتمالا بعيداً او مقطوع بعدمه كما هو حال الفلاة والارض التي ليس فيها انيس ولو اراد ذلك لقال فليناد لعله يوجد احد يجيبه او نحو ذلك .

وفي خلاصة الكلام : صح عن بلال بن الحارث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه «انتهى» وظاهر الحال

---

(١) ص ٣٠

انه استغاثة به «ص» لا ندبة . قال : وصح ايضاً ان اصحاب النبي «ص» لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه «انتهى» وهو اظهر من السابق في الإستغاثة لأنه وقع في حياته «ص» . قال : وفي الشفا للقاضي عياض ان عبد الله بن عمر خذلت رجله مرة فقيل له اذكر احب الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله « انتهى » وهو من نوع الاستغاثة . اما ما يروى من ان ابا بكر قال قوموا نستغث برسول الله من هذا المنافق فقال «ص» انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله فهو على تقدير صحة سنده محمول على ان المستغاث به الحقيقي هو الله تعالى لأنه القادر المختار الفاعل لما يشاء فقال ذلك تواضعاً لله تعالى فهو نظير (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله «ص» ما انا حملتكم ولكن الله حملكم . فلا يعارض ما دل على جواز الاستغاثة ووقوعها كما مر مع انه خارج عن محل النزاع فان الذي يعارض فيه الوهابيون كما صرحوا به الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله واستغاثتهم برسول الله «ص» من ذلك المنافق كانت في امر مقدور قطعاً وهو دفع مفسدة نفاقه بضربه او قتله او غير ذلك .

الفصل الثالث

في التوسل الى الله تعالى بالانبياء والصلحاء

وهذا يكون على وجوه (احدها) ان يقول اتوسل به الى الله أو اتوجه به اليه او أتشفع او اقدمه بين يدي حاجتي او نحو ذلك (ثانيها) ان يقول اسألك بفلان او بحق فلان أو بحقه عليك او بجاهه عندك او ببركته او بحرمته عندك او نحو ذلك (ثالثها) ان يقول اقسمت عليك او اقسم عليك بفلان او نحو ذلك وكلها تؤول الى شيء واحد وهو جعله وسيلة وواسطة بينك وبين الله تعالى لما له من المنزلة عنده والكرامة لديه . والوجهان الاخيران يدخلان في الاقسام على الله بمخلوق الذي يأتي في الفصل الرابع وذكرناهما هنا لعدم خروجها عن التوسل وكونها من انواعه . والتوسل بانواعه مما منعه الوهابية وجعلوه شركا لأنه نوع من التشفع الممنوع عندهم والموجب للشرك ولجريان ادلتهم فيه . وقد صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب في المحكي عنه في كتاب التوحيد حيث قال بعد ذكر آية (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب) بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان ان هذا الشرك الاكبر (انتهى) وصرح به ايضاً الصنعاني في تطهير الاعتقاد حيث قال في جملة كلامه المتقدم في الباب الثاني بان من توسل

بمخلوق فقد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان وعد من جملة العبادة الموجبة للشرك والكفر التوسل بالمخلوق . وقد صرح ابن تيمية في كلامه المتقدم في الفصل الاول في الشفاعة بان من توسل بعظيم عند الله كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من افعال الكفار والمشركين . وقال في مقام آخر من رسالة زيارة القبور [1] : واما قول بجاه فلان عندك او ببركة فلان او بحرمة فلان عندك افعل بي كذا فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ولم يبلغني عن احد من العلماء في ذلك ما أحكيه الا ما رأيت في فتاوى الفقيه ابي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز فعل ذلك الا للنبي (ص) ان صح الحديث في النبي (ص) ثم قال قد روى النسائي والترمذي وغيرهما انه (ص) علم بعض اصحابه ان يدعو فيقول (اللهم اني اسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي ليقضيها لي اللهم فشفعه في) فان هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل به (ص) في حياته وبعد مماته قالوا وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق وانما هو دعاء واستغاثة به تعالى لكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن ماجة عن النبي (ص) في دعاء الخارج للصلاة (اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا) الى آخر ما يأتي في الفصل الرابع قالوا فسأله بحق السائلين عليه وبحق ممشاه الى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً بقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين . كان على ربك وعداً مسؤولا) قال: وفي الصحيح عن معاذ بن جبل عن النبي (ص) حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وجاء في غير حديث كان حقا على الله كذا وكذا كقوله في حديث شارب الخمر فان عاد في الثالثة او الرابعة كان حقاً على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه بل في حياته بحضوره كما في صحيح البخاري ان عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وقد بين عمر انهم كانوا يتوسلون به في حياته

---

(١) ص ١٦٤

فيسقون وذلك التوسل به انهم كانوا يسألونه ان يدعو الله لهم فيـدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه . الى ان قال : فهذا كان توسلهم به ولما مات توسلوا بالعباس وما كانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبة ولا عنـد قبره ولا قبر غيره . الى ان قال : ولم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعـد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا الانتصار ولا غير ذلك من الأدعية والدعاء مخ العبادة ومبناها على الاتباع لا الابتداع «انتهى» .

ونقول : التوسل ثابت بنص القرآن العظيم قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وهي بعمومها شاملة لكل توسل اليه تعالى بما يكرم عليه . وقـد دلت الأخبار الكثيرة على ثبوت الوسيلة للانبياء والأوصياء والصالحين وقد مر قول النبي «ص» اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عبـاد الله وارجو ان اكون ذلك العبد ويأتي في فصل الحلف بغير الله قوله «ص» عن الخوارج يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة . والمراد بالوسيلة الدرجة والمكانة عنده تعالى ولذلك يتوسل ويتشفع به اليه . والتوسل بذوي المكانة عند الله تعالى احيـاء وامواتا من سنن المرسلين وسيرة الصالحين باي وجه كان من الوجوه الثلاثة السابقة [١] بل هو ثابت في الشرائع السابقة . فعن القسطلاني في شرح صحيح البخاري عن كعب الاحبـار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا باهـل بيت نبيهم «انتهى» وليس فيه شائبة شيء من العبادة الموجبة للشرك او المنهي عنها فان التوسل لو كان عبادة وكل عبادة لغير الله شرك لأن صرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعهـا كما هو محور كلام الوهابية لم يتفاوت الحال بين التوسل بالحي والميت وقـد ثبت جواز التوسل بالحي كما اعترف به ابن تيمية في كلامه السابق وصرحت به الاحاديث السابقة التي اوردها وفيها امره بالتوسل به «ص» الى الله تعالى وبسؤاله بحق السائلين عليه وبحق ممشى المصـلي الى الصلاة وصرحت بالحق على الله وبالتوسل بالنبي «ص» وبالعباس وجاء ذلك في الاخبار الآتية ايضاً وفيهـا

(١) ولا يخرج عنها مـا ذكره ابن تيمية في كلامه الانف الذكر من ان توسلهم به «ص» في حياته انهم يسألونه الدعاء لهم فيدعو ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه فانه اذا جاز التوسل بعمله من الشفاعة والدعاء جاز التوسل به نفسه «ص» وان كان تفسيره للتوسل بذلك قصداً لتوهين امره غير صحيح بل معناه ما ذكرناه في مآل الوجوه الثلاثة السابقة . — المؤلف —

قول عمر في العباس هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه واذا ثبت ان التوسل بالحي ليس عبادة ولا شركا فالتوسل بالميت كذلك لعدم تعقل الفرق فان جواز التوسل به الى الله ان كان لمكانته عند الله فهي لم تذهب بالموت وان كان التوسل به لأجل ان يدعو الله فهو ممكن في حق الميت ولو فرض عدم امكانه لم يوجب الشرك بل يكون مثل طلب المشي من المقعد بزعم انه صحيح كما بيناهما مراراً فالتفرقة بين التوسل بالاحياء والأموات تحكم محض وجمود بحت وقد فهم الصحابة الذين هم اعلم بالسنة من ابن تيمية واتباعه عدم الفرق وأمر مالك امام المذهب ابا جعفر المنصور ان يتوسل بالنبي «ص» ويستشفع به بعد موته وقال هو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم كل هذا والوهابية يراوغون ويتمحلون ويكفرون المسلمين بما لم يجعله الله مكفراً فاذا قيل لهم هذا قد ثبت في الشرع قالوا ثبت في حق الأحياء الحاضرين دون الأموات والغائبين كأن الله جوز عبادة الأحياء الحاضرين والاشراك بهم ولم يمنع الا من عبادة الأموات والغائبين . ويمنع ابن تيمية من التوسل بالنبي «ص» بعد موته ويعده بدعة ويقول ثبت في الحياة والحضور دون الغيبة وبعد الموت .
ونقول لهم : هل زالت حرمة رسول الله «ص» بعد موته وبطلت مكانته عند الله ولم يعد مقرباً لديه اذاً فلماذا يعلن باسمه في المآذن في اليوم والليلة خمس مرات وعلى رؤوس المنابر وفي الصلوات كلها مفروضها ومسنونها مقرونا باسمه تعالى في الكل ولماذا يصلى عليه كلما ذكر ولماذا ولماذا ؟!. واذا كان التوسل به بعد موته وفي غيبته ايام حياته شركا فكيف صار في حياته وحضوره عبادة وتوحيداً فما يكون شركا لا يكون توحيداً وبالعكس .
فان قلتم الفارق ورود النص بالأمر به في الحياة وعدم وروده في غيره . قلنا النص لا يوجب التفريق في الشيء الواحد بين فرديه بحسب الزمان فيجعل أحدهما شركا في زمان وتوحيداً في آخر واذا كان التوسل شركا قبل الأمر لم يجز الامر به ولا يمكن ان يغيره لان الحكم لا يغير الموضوع واذا لم يكن شركا قبل الأمر فهو كذلك في الحياة والحضور والغيبة وبعد الموت وأين قياسكم الذي تتمسكون به في أحكام الدين وكيف ضاق عن هذا الحكم فتورعتم عن الاستدلال به فيه لتستحلوا دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم مع ان العلة في التوسل هنا ظاهرة وهي الجاه والمكانة عند الله فتعم كل ذي جاه ومكانة عنده باطاعته له تعالى ويخرج عن القياس المستنبط العلة ويلحق بمنصوصها بل العلة في ذلك

قطعية وهي المكانة الحاصلة بالقرب والطاعة لما هو المعلوم ضرورة ونصاً من انه ليس بين الله وبين أحد هوادة وان اكرم العباد عنده أتقاهم وليس احد خيراً من احد الا بالتقوى فتوقف ابن تيمية في ذلك معتلا بانه لم ينقل توسلهم به بعد موته ولا في مغيبه وتورعه عنه خوفا من الابتداع جمود في غير محله وكذا ما نقله عن ابن عبد السلام من عدم تجويز ذلك الا للنبي «ص» معلقا على صحة الخبر فيه وينبغي لهؤلاء ان يقتصروا على التوسل به في حياته وحضوره في المدينة دون مكة وفي يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا وساعة كذا وفصل كذا دون الباقي أبمثل هذه الأدلة الواهية الواهنة تستحل دماء المسلمين واموالهم وأعراضهم ويحكم بكفرهم وشركهم وان دارهم دار حرب .

ومما يكذب ما زعمه ابن تيمية من انه لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته ولا استحبوا ذلك ما نقل عن أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها من التوسل به « ص » في مماته ورجحان ذلك واستحبابه قال السمهودي في وفاء الوفا [1] وغيره في غيره : قال عياض في الشفا بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله «ص» فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوماً فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (الآية)ومدح قوماً فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله (الآية) وذم قوماً فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات «الآية» وان حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها ابو جعفر فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله «ص» فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم (الاية) «انتهى» وفي خلاصة الكلام ذكره اي الحديث القاضي عياض في الشفا وساقه باسناد صحيح وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفا والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره كثير من ارباب المناسك في آداب زيارة النبي «ص» قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا

(١) ج ٢ ص ٤٢٢

مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب قال: ومراده بذلك الرد على من نسب الى مالك كراهية استقبال القبر (انتهى) قال السمهودي و فانظر هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبي «ص» واستقباله عند الدعاء وحسن الادب التام معه (انتهى) فهذا قول مالك امام المذهب مخاطباً به المنصور الخليفه العباسي حتى استكان لكلامه مع انه خليفة الوقت وسلطانه مبيناً به ان حرمة رسول الله «ص» ميتا كحرمته حيا مخاطباً له بخطاب التوبيخ بقوله لم تصرف وجهك عنه ، ناصاً على حسن التوسل به ورجحانه وانه الوسيلة للخلق ووسيلة أبيهم آدم آمراً له باستقبال قبره والتشفع به ضامناً له عليه الشفاعة ناصا على ان آية ولو انهم اذ ظلموا (الآية) عامة للحياة والممات . كل هذا وابن تيمية يقول انه لم يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته ولا استحبوا ذلك ويتورع ويخاف من الابتداع بزعمه ويقول الدعاء مخ العبادة ومبناها على الاتباع لا الابتداع ولا يتورع عن نسبة لوازم التجسيم اليه تعالى وعن تكفير المسلمين ونسبتهم الى الشرك ، ثم حكى السمهودي عن ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي في المستوعب في آداب زيارة النبي «ص» انه يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ويقول في دعائه : اللهم انك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك «الآية» واني قد اتيت نبيك مستغفراً فاسألك ان توجب لي المغفرة كما اوجبت لمن اتاه في حياته اللهم اني اتوجه اليك بنبيك «ص» وذكر دعاء طويلا ، ثم قال : وقال ابو منصور الكرماني من الحنفية ان كان احد اوصاك بتبليغ التسليم تقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يستشفع بك الى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع ، وقال السمهودي في وفاء الوفا [1] ما لفظه : وفي كلام اصحابنا ، يعني الشافعية ان الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل ، انتهى محل الحاجة ، وفي خلاصة الكلام [2] والدرر السنية ، كلاهما لأحمد بن زيني دحلان : قال العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان في مناقب الامام ابي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين الامام الشافعي ايام هو ببغداد كان

(١) ج ٢ ص ٤٢٥ (٢) ص ٢٥٢

يتوسل بالامام ابي حنيفة «رض» يجيء الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته قال وقد ثبت ان الامام احمد توسل بالامام الشافعي (رض) حتى تعجب ابنه عبد الله ابن الامام احمد فقال له ابوه ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعي ان اهل المغرب يتوسلون الى الله بالامام مالك لم ينكر عليهم (انتهى) وفي الصواعق المحرقة ، لابن حجر ان الامام الشافعي (رض) توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل النبي ذريعتي … وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم اعطى غداً … بيدي اليمين صحيفتي

(انتهى) فهذا الامام مالك إمام المالكية والسامري الحنبلي والكرماني الحنفي وعلماء الشافعية قائلون بحسن التوسل والتشفع به «ص» بعد موته والامام الشافعي توسل باهل البيت بعد موتهم وتوسل بالامام ابي حنيفة بعد موته وأقر اهل المغرب على توسلهم بالامام مالك بعد موته وأحمد توسل بالشافعي بعد موته فضلا عن النبي «ص» وكل هؤلاء من أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها. وابن تيمية يقول انه لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته . وفي خلاصة الكلام : المرجح عند الحنابلة جواز التوسل بالنبي «ص» بعد موته لصحة الأحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عندهم موافقاً لما عليه أهل المذاهب الثلاثة . قال : وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عنه احد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر . قال : وقد بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الاربعة في استحباب التوسل في كتابه شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام فراجعه . قال : وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف «ص» وقال : اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعني من المؤمنين (الخبر) . قال : ثم قال في المواهب عن الحسن البصري وقف حاتم الاصم على قبره « ص » فقال : يا رب انا زرنا قبر نبيك « ص »

فلا تردنا خائبين «الخبر» .

وقال ابن ابي فديك وهو من اتباع التابعين ومن الأئمة الثقات المشهورين ومن المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما : سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي «ص» فقال هذه الآية (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة. قال : وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن ابي فديك رواه عنه البيهقي . قال : ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه يستحب ان يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويستشفع به «ص» الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة: ولو انهم اذ ظلموا انفسهم « الآية » ويقولون (نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما اثقل ظهورنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا) . قال : وفي الجوهر المنظم ايضاً ان اعرابياً وقف على القبر الشريف وقال : (اللهم ان هذا حبيبك وانا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وأنت يا رب اكرم من ان تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا ارحم الراحمين) فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال . قال : وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي «ص» انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به «ص» قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي أيضاً عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعي رضي الله عنه قال العتبي كنت جالساً عند قبر رسول الله «ص» فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول . وفي رواية : يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه : ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد

جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي . وفي رواية : واني جئتك مستغفراً ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وانشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي « ص » في المنام فقال يا عتبي إلحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده « انتهى » وذكر حكاية الاعرابي هذه السمهودي في وفاء الوفا وسيأتي نقلها في فصل الزيارة وحكى السمهودي [1] عن السبكي ان الآية دالة على الحث بالمجيء اليه «ص» والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذه رتبة لا تنقطع بموته وقد حصل استغفاره لجميع المؤمنين لقوله تعالى استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ولرحمته وقوله واستغفر لهم معطوف على جاؤك فلا يقتضي كون استغفاره بعد استغفارهم مع انا لا نسلم انه لا يستغفر بعد الموت لما سبق من حياته ومن استغفاره لأمته بعد الموت عند عرض اعمالهم عليه ويعلم من كمال رحمته انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه «انتهى» ثم قال في خلاصة الكلام : قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم روى بعض الحفاظ عن ابي سعيد السمعاني انه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه «ص» بثلاثة ايام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم «الآية» وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي الى ربي « الخبر » قال وجاء ذلك عن علي ايضا من طريق اخرى « انتهى » وفي وفاء الوفا [2] قال الحافظ ابو عبدالله محمد بن موسى بن النعمان في مصباح الظلام ان الحافظ أبا سعيد السمعاني ذكر فيما روينا عن علي بن ابي طالب قال قدم علينا اعرابي وذكر مثله ثم قال في خلاصة الكلام ويؤيد ذلك ما صح عنه «ص» حياتي خير لكم تحدثون واحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم (انتهى) .

---

(١) ج ٣ ص ٤١١ (٢) ج ٢ ص ٤١٢

فهذه اقوال علماء المذاهب الاربعة وسيرة المسلمين خلفا عن سلف متفقة على التبرك بقبر النبي «ص» والتوسل والاستشفاع به «ص» سيما عند قبره ودعاء الله عنده واخبارهم وروایاتهم طافحة بذلك . وابن تيمية يقول لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بعد موته ولا استحبوا ذلك . أما أئمة اهل البيت الطاهر النبوي فادعيتهم المأثورة عنهم التي تبلغ حد التواتر طافحة بالتوسل بجدهم «ص» وبآله وبحقه وحقهم والاقسام عليه تعالى بهم وهم اعرف بسنة جدهم وباحكام ربهم من ابن تيمية وابن عبد الوهاب واتباعهم من اعراب نجد فهم باب مدينة علم المصطفى وورثة علمه والذين امرنا بان نتعلم منهم ولا نعلمهم لأنهم أعلم منا . فمنه قول امير المؤمنين علي «ع» في الصحيفة العلوية التي جمعها الشيخ عبد الله السماهيجي من ادعيته «ع» في الدعاء الذي علمه أويسا (وبحق السائلين لك والراغبين اليك والمتعوذين بك والمتضرعين اليك وبحق كل عبد متعبد لك في بر او بحر او سهل او جبل) وفي دعائه «ع» عند لقاء العدو وبمحمد رسول الله «ص» اتوجه (وبعد الثامنة من صلاة الليل) اللهم اني اسألك بحرمة من عاذبك منك ولجأ الى عزك واستظل بفيئك واعتصم بحبلك ولم يثق الا بك (وبعد الزوال) واتقرب اليك بمحمد عبدك ورسولك واتقرب اليك بملائكتك المقربين وانبيائك المرسلين (وفي اليوم السادس عشر) واتوجه اليك اللهم لا اله الا انت بنبيك محمد النبي (وفي اليوم الثالث والعشرين) اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وآله الطيبين الاخيار يا محمد اني اتوجه بك الى الله ربك وربي في قضاء حاجتي . وفي دعاء الحسين بن علي «ع» يوم عرفة المستفيض نقله عنه . اللهم انا نتوجه اليك في هذه العشية التي شرفتها وعظمتها بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك . وقول علي بن الحسين زين العابدين «ع» في الصحيفة الكاملة التي كفى دليلا على صحة نسبتها بلاغة الفاظها فضلا عن صحة اسانيدها وعظيم شهرتها في دعائه «ع» اذا دخل شهر رمضان : اللهم اني اسألك بحق هذا الشهر وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه الى وقت فنائه من ملك قربته أو نبي ارسلته او عبد صالح اختصصته (وفي يوم عرفة) بحق من انتجبت من خلقك وبمن اصطفيته لنفسك بحق من اخترت من بريتك ومن اجتبيت لشأنك بحق من وصلت طاعته بطاعتك ومن جعلت معصيته كمعصيتك بحق من قرنت موالاته بموالاتك ومن نطت معاداته بمعاداتك . وفي دعائه عند زيارة جده أمير المؤمنين «ع» : اللهم فاستجب دعائي واقبل ثنائي واجمع بيني وبين أوليائي بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن

والحسين والأئمة المعصومين من ذرية الحسين . (وفي الدعــاء الثلاثين) من ادعية الصحيفة الخامسة له «ع» اللهم فان وسيلتي اليك محمد وآله وبعدهم التوحيد (وفي الدعاء الاربعين) واتوجه اليك واتوسل اليك واستشفع اليك بنبيك نبي الرحمة محمــد «ص» وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عبديك وامينيك الخ الى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه اذ قلما يوجد دعاء من الأدعية المأثورة عن أئمة اهــل البيت «ع» على كثرتها لا يوجد فيه شيء من هذا القبيل وكفى به حجة دامغة لمن انكر ذلك .

ومن انواع التوسل به «ص» في حياته وبعد موته تقديم الصلاة عليه قبل الدعاء الذي ورد انه من اسباب اجابة الدعاء كما اعترف به ابن تيمية فيما نقلناه عنه في فصل الاستغاثة وجرت عليه سيرة المسلمين واصبح من ضروريات الدين فانه لا معنى له الا التوسل بــه «ص» وبالصلاة عليه الى الله في اجابة الدعاء .

ومن انواع التوسل به «ص» استقبال قبره الشريف وقت الدعاء فانه في الحقيقة توسل به «ص» وبقبره الشريف وقد جرت عليه سنة المسلمين خلفاً عن سلف وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وافتى باستحبابه الامام مالك امــــام دار الهجرة في قوله للمنصور لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى بــل استقبله واستشفع به كما مر . وفي خلاصة الكلام : ذكر علماء المناسك ان استقبـــال قبره الشريف «ص» وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال ابن الهمام ان استقبال القبر الشريف افضل من استقبال القبلة واما ما نقل عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ان استقبال القبلة افضل فمردود بما رواه الامام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعــل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام ابي حنيفة ايضـــاً ورد قول الكرماني انه يستقبل القبلة وقال ليس بشيء قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبـــال القبر ايضاً بانا متفقون على انه «ص» حي في قبره يعلم زائره وهو «ص» لو كان حياً لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ثم نقل قول مالك للمنصور المشار اليه آنفاً . ثم قال : قال العلامة الزرقــاني في شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبراً للقبلة ثم نقل عن مذهب الامام ابي حنيفة والشافعي « ره » والجمهور مثل ذلك . قال : واما مذهب الامام

احمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب « انتهى محل الحاجة من خلاصة الكلام » ومر ما نقله السمهودي عن ابي عبد الله السامري الحنبلي وعن كثير من علماء المذاهب الاربعة في كتب المناسك ان الزائر يستقبل القبر ويستدبر القبلة وقال السمهودي ايضاً في وفاء الوفا [١] قال عياض قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي «ص» ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة . قال : وفي رواية نقلها عياض عن المبسوط انه قال لا أرى ان يقف عند القبر يدعو لكن يسلم ويمضي قال السمهودي قلت وهي مخالفة ايضاً لما تقدم في مناظرة المنصور لمالك وكذا لما نقله ابن المواز انه قيل لمالك فالذي يلتزم اترى له ان يتعلق باستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف ويدعو قيل له وكذلك عند قبر النبي «ص» قال نعم . ثم قال : نقل ابن يونس المالكي عن ابن حبيب انه قال ثم اقصد القبر من وجاه القبلة فادن منه وسلم على رسول الله «ص» واثن عليه وعليك السكينة والوقار فانه « ص » يسمع ويعلم وقوفك بين يديه الخ . قال : وقال النووي في رؤوس المسائل عن الحافظ ابي موسى الاصبهاني انه روى عن مالك انه قال اذا أراد الرجل ان يأتي قبر النبي «ص» فيستدبر القبلة ويستقبل النبي «ص» ويصلي عليه ويدعو . قال : وقال ابراهيم الحربي في مناسكه تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر . قال : وروى ابو القاسم طلحة بن محمد في مسند ابي حنيفة بسنده عن ابي حنيفة قال جاء ايوب السختياني فدنا من قبر النبي «ص» فاستدبر القبلة واقبل بوجهه الى القبر وبكى بكاء غير متباك . قال : وقال المجد اللغوي روي عن الامام الجليل ابي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك قال سمعت ابا حنيفة يقول قدم ايوب السختياني وانا بالمدينة فقلت لانظرن ما يصنع فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله «ص» وبكى غير متباك فقام مقام رجل فقيه . ثم قال : قلت فهذا يخالف ما ذكره ابو الليث السمرقندي في الفتاوى عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن ابي حنيفة من ان المسلم عليه «ص» يستقبل القبلة وقال السروجي الحنفي يقف عندنا مستقبل القبلة قال الكرماني الحنفي يقف عند رأسه بين المنبر والقبر مستقبل القبلة . قال : وعن أصحاب الشافعي وغيره يقف وظهره الى القبلة ووجهه الى الحظيرة وهو قول ابن حنبل . قال :

---

(١) ص ٤٢٣ ج ٢

وقال محقق الحنفية الكمال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى ابو حنيفة في مسنده عن ابن عمر قال من السنة ان تأتي قبر رسول الله «ص» من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر وتسلم وقال ابن جماعة في منسكه الكبير ومذهب الحنفية الى ان قال ثم يدور الى ان يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة فيسلم وشذ الكرماني فقال يقف للسلام مستدبر القبر مستقبل القبلة وتبعه بعضهم وليس بشيء ثم حكى السمهودي عن السبكي انه قال : وقول اكثر العلماء هو الاحسن فان الميت يعامل معاملة الحي والحي يسلم عليه مستقبلا فكذلك الميت وهذا لا ينبغي ان يتردد فيه ثم حكى عن المطري انه لما ادخل بيت رسول الله «ص» وحجرات أزواجه في المسجد وقف الناس مما يلي وجه النبي «ص» واستدبروا القبلة للسلام عليه قال السمهودي وذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف قبل ادخال البيت في المسجد ثم قال فاستدبار القبلة في هذه الحالة مستحب كما في خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة كما قاله ابن عساكر في التحفة . الى ان قال : وفي كلام اصحابنا (يعني الشافعية) ان الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل ثم يقف مستقبل القبلة والقبر عن يساره والمنبر عن يمينه فيدعو ايضاً (انتهى وفاء الوفا) .

وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية اختلفوا في التوسل اليه تعالى بشيء من مخلوقاته هل هو مكروه او حرام والأشهر الحرمة « انتهى » (وفي الرسالة الثانية) منها واما التوسل وهو ان يقول القائل اللهم اني اتوسل اليك بجاه نبيك محمد «ص» او بحق نبيك او بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من اقسام البدعة المذمومة ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي «ص» عند الاذان (انتهى) فذاك حكى تحريمه وهذا جعله بدعة ولم يجعله شركا (والحمد لله) كما مر عن الصنعاني وقد عرفت مما تقدم ورود النصوص الصريحة بذلك واتفاق المسلمين عليه فتوى وعملا حتى بلغ الى حد الضرورة فجعله من البدعة جمود بارد وتشدد في غير محله كرفع الصوت بالصلاة على النبي (ص) عند الاذان فان الصلاة عليه (ص) اذا كانت سنة لم يكن رفع الصوت بها بدعة وكان فاعلها مخيراً بين رفع الصوت وخفضه والاخفات بها لاطلاق الدليل ويلزم على قياس قوله ان نبحث عن مقدار الصوت بها الذي كان في عصر السلف فلا نزيد عليه ولا ننقص لئلا نقع في البدعة ومع الجهل نتركها بالكلية لعدم العلم بما ليس بدعة

الفصل الرابع

في الاقسام على الله بمخلوق او بحق مخلوق ونحوه

مثل اقسمت عليك او اقسم عليك بفلان او بحق فلان او سألتك او اسألك بفلان وهذا داخل في التوسل المذكور في الفصل السابق وانما اعدنا ذكره في فصل خاص لكونه نوعا مخصوصا من التوسل وللوهابية كلام فيه بعنوانه الخاص وادلة خاصة به وهو مما منعه الوهابية وحرموه على عادتهم في التشدد والتضييق على عباد الله فيما وسع الله فيه عليهم وعدم رضاهم بتعظيم من عظمه الله ما وجدوا لذلك حيلة ولا ندري هل يجعلونه كفرا وشركا لايستبعد منهم ذلك بعد ان جعلوا سؤال الشفاعة من النبي (ص) شركا مع تسليمهم بان الله اعطاه الشفاعة وانه الشفيع المشفع كما مر بيانه في محله وقد جعل الصنعاني التوسل كفرا وشركا كما مر وهذا منه ومر في اواخر الفصل السابق ان بعض الوهابية جعل التوسل بدعة وبعضهم قال ان الاشهر تحريمه وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود ان الاقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء[١] قال وهل هو نهي تنزيه او تحريم قولان اصحهما انه كراهة تحريم واختاره العز بن عبد السلام في فتاويه ثم نقل عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان تقول بمعاقد العز من عرشك او بحق خلقك وعن ابي يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا اكره هذا واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك ثم حكي عن القدوري ان المسألة بحق المخلوق لا تجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق . قال : صاحب الرسالة واما قوله وبحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ومع صحته فمعناه باعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والاجابة (انتهى) . وقال : صاحب المنار في الحاشية : المتبادر من معنى هذه الجملة انها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين ان يستجيب دعاءهم بمثل قوله (ادعوني استجب لكم) .

ونقول : الاقسام على الله تعالى بكريم عليه من نبي او ولي او عبد صالح او عمل صالح او غير ذلك نوع من التوسل الذي تقدم الكلام فيه في الفصل الثالث وبينا جوازه ورجحانه

---

(١) يا عجباً لهؤلاء تارة يستدلون باتفاق العلماء واجماعهم وتارة بقول الصنعاني احد مؤسسي مذهبهم ان وقوعه محال كما مر في المقدمات . — المؤلف —

وانه ليس ببدعة وانه محبوب لله تعالى وانه تعالى يحب ان يتوسل اليه عبده بانواع الوسائل وكلها لا تخرج عن دعائه وعبادته ومن اجل ذلك جعل الله الشفاعة التي لا ينكرها الوهابية وقبلها واذن فيها والا فأي حاجة له الى الشفيع وهو اعلم بحال عبده وارأف به واخشى عليه من كل احد فجعل الشفاعة كرامة للشفيع ورحمة بالمشفوع به ولانها نوع من عبادته ودعائه والتضرع اليه فهو يحب ذلك كله سواء كان من العبد نفسه او على لسان غيره ولذلك قبل الدعاء بلسان الغير بل جعله ارجى للاجابة . وقول صاحب الرسالة ان الاقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء جزاف من القول ولم يأت بما يثبته سوى ما نقله عن ابي حنيفة وابي يوسف وابن عبد السلام والقدوري كأن علماء الاسلام في جميع الاعصار والامصار انحصرت في هؤلاء الاربعة واين فتوى الشافعي ومالك واحمد ابن حنبل لم لم ينقلها ان كانوا موافقين واين فتوى باقي العلماء الذين لا يحصي عددهم الا الله هل اطلع على فتاواهم فوجدهم موافقين او لا فكيف تجرأ على دعوى اتفاقهم وكيف يدعي الاتفاق بفتوى اربعة احدهم القدوري وابن عبد السلام وسلفه محمد بن اسماعيل الصنعاني ينكر تحقق الاجماع بعد عصر الصحابة كما مر في المقدمات . واذا كنت تريد ان تعرف مبلغ هؤلاء من العلم والتثبت والتورع في النقل وغيره فخذ لك نموذجا من هذا واذ عرفت ان الاقسام على الله بمخلوق لايخرج عن التوسل به الى الله تعالى فكان يلزم على الوهابية ان يجعلوه شركا كما جعلوا التوسل لكنهم يلقون الفتاوى جزافا ويفرقون بين المتفقات ويوافقون بين المتفرقات . والحق انه لا كراهية ولا تحريم في ذلك بل هو راجح مستحب لانه نوع من دعاء الله تعالى وعبادته الثابت رجحانه بعموم ادلة الدعاء ولم يثبت شيء يخرجه عن العموم بل وردت النصوص فيه بالخصوص . مثل ما مر في الفصل الثالث منها رواه الحاكم وصحح اسناده والطبراني من قول آدم عليه السلام يارب اسألك بحق محمد لما غفرت لي وما رواه الحاكم في الكبير والاوسط من قول رسول الله (ص) اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي . وما سيأتي قريبا من قول اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا وقد ورد في ادعية ائمة اهل البيت عليهم السلام اسالك بمعاقد العز من عرشك بكثرة وهو ينفي احتمال الكراهية كما انه ورد في ادعيتهم عليهم السلام الاقسام على الله بالمخلوق وقد مر في الفصل الثالث وهم احق

بالاتباع واعلم بسنة جدهم (ص) من ابن عبد الوهاب وامثاله . اما استدلال القدوري على تحريمة بانه لا حق للمخلوق على الخالق فباطل . اولا لان الاقسام على الله بالمخلوق لا يلزم ان يقال فيه اسألك بحق فلان عليك بل يكفي بحق فلان او بفلان فان الحق في اللغة الامـر الثابت الواجب من حق يحق حقا اذا ثبت فتارة يـكون ثابتا للانسان في نفسه من فضل وعلم وشرف وعبادة وزهادة وغير ذلك وتارة يثبت له على غـيره . ثانياً دعواه انه لا حق للمخلوق على الخالق ان اريد ان له عليه حقا حتميا الزاميا شاء او ابى وتسلطا كحق الدائن على المديون فمسلم ، لكن هذا لا يقول به احد وان اريد ان له عليه حقا جعله الله على نفسه واكرم به عبده فاي مانع منه واي دليل يقتضي نفيه بل الدليل على ثبوته موجود قـال الله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين كان عـلى ربك وعدا مسؤولا) افنترك قول الله تعالى في كتابه ونتبع قول القدوري والطناجري . وفي الجامع الصغير للسيوطي [١] من رواية الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن معاذ حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله . وفي النهاية الأثيرية الحق ضد الباطل ومنه الحديث (اتدري ما حق العباد على الله) اي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الانجاز ثابت بوعده الحق (انتهى) ومر في الفصل الثالث ما ذكره ابن تيمية من حديث كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وقوله جاء في غير حديث كان حقا على الله كذا وكذا وما نقله في الصحيح حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وما حكاه من رواية ابن ماجة في دعاء الخارج للصلاة اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا الخ وفي خلاصة الكلام [٢] انه رواه ابن ماجة باسناد صحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك واسالك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقـاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسالك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانـه لا يغفر الذنوب الا انت ، اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك . قال : وذكره الجلال السيوطي في

(١) ص ٢٣٠ ج ٢ طبع مصر (٢) ص ٤٢٠

الجامع الكبير وكثير من الأئمة في كتبهم بل قال بعضهم ما من احد من السلف الا وكان يدعو به . قال : ورواه ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله (ص) وفيه اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي ، مع بعض التفاوت (قال) ورواه الحافظ ابو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث ابي سعيد بلفظ رواية ابن السني «انتهى» فاذا كان الله تعالى ورسوله قد صرحا بالحق على الله تعالى فهل نتركه ونتبع قول القدوري والمغرفي ايها الوهابيون . ومع كل هذا التصريح من الله تعالى ورسوله فهم يتمحلون في رد الاحاديث بالقدح في اسنادها او مفادها لانه يعظم عليهم ان يعظموا احداً ممن عظم الله فيردون ما دل على ذلك بكل وسيلة ترويجاً لشبهتهم وتمسكا بها (اما) قدح صاحب الرسالة في حديث بحق السائلين عليك بأن فيه عطية العوفي وفيه ضعف فمردود. حكى الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (١) عن ابن سعد انه قال وكان ثقة انشاء الله وله احاديث صالحة وحكى فيه عن الدوري عن ابن معين انه صالح « انتهى » . وفي خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال للحافظ احمد بن عبد الله الانصاري (٢) : عطية ابن سعد بن جنادة العوفي ابو الحسن الكوفي عن ابي هريرة وابي سعيد وابن عباس وعنه ابناه عمر والحسن واسماعيل ابن ابي خالد ومسعر وخلق ، ضعفه الثوري وهشيم وابن عدي ، وحسن له الترمذي احاديث «انتهى» وحكى في الحاشية عن التهذيب :قال ابو حاتم وابن سعد ومع ضعفه يكتب حديثه «انتهى» وفي تهذيب التهذيب عن ابن عدي وابي حاتم انه مع ضعفه يكتب حديثه «انتهى» فدل ذلك على ان احاديثه مقبولة ليس فيها مناكير والذين ضعفوه لم يضعفوه الا لكونه من شيعة علي عليه السلام فرموه بما رموه به « ففي تهذيب التهذيب » عن ابن عدي انه كان يعد مع شيعة اهل الكوفة «وفيه ايضاً» قال ابو بكر : البزار كان يعده في التشيع روى عنه جلة الناس ، وقال الساجي ليس بحجة وكان يقدم علياً على الكل «انتهى» فدل على ان سبب القدح تقديمه علياً على الكل وكفى به قدحاً عندهم . وفيه عن ابن سعد بسنده عن عطية قال لما ولدت اتى ابي علياً ففرض لي في مائة وقال ابن سعد خرج عطية مع ابن الاشعث فكتب الحجاج الى محمد بن القاسم ان يعرضه على سب علي فان لم يفعل فاضربه اربعمائة سوط واحلق لحيته فاستدعاه فأبى ان يسب فأمضى حكم الحجاج فيه

(١) راجع ج ٧ صفحة ٢٢٤ — ٢٢٦ طبع الهند. (٢) راجع صفحة ٢٢٦ طبع مصر

«انتهى» أفهذا الذي هذه حاله وصفته في التصلب في الدين وصبره على البلاء خوفاً من الله تعالى يصدق في حقه قول ابن حبان كما حكاه عنه في تهذيب التهذيب انه سمع من ابي سعيد احاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي فاذا حدث الكلبي عن رسول الله (ص) يحفظه وكناه ابا سعيد ويروي عنه فاذا قيل له من حدثك بهذا يقول حدثني ابو سعيد فيتوهمون انه الخدري وانما اراد الكلبي «انتهى» ولعل الكلبي كان يكنى بأبي سعيد او هو كناه به كما يدل عليه مافي تهذيب التهذيب عن الكلبي انه قال قال لي عطية كنيتك بأبي سعيد فأنا اقول حدثنا ابو سعيد . وما عليه اذا كنى الكلبي بأبي سعيد واخبره بذلك فاذا توهموا انه الخدري فما ذنبه ولو كان مراده التدليس لم يخبر الكلبي بذلك هذا ان صح النقل لكن الغالب على الظن انه افتراء فمن يتحمل ضرب اربعمائة سوط وحلق لحيته ولا يسب عليا هل يتعمد ابدال الكلبي بأبي سعيد ليتوهموا انه الخدري ان هذا مالا يكون وما الذي يدعوه الى ذلك « وابن حبان » هذا هو الذي قال في حق الامام علي بن موسى الرضا امام اهل البيت في عصره الذي حين روى لعلماء نيسابور حديث سلسلة الذهب المشهور كتب عنه ذلك الحديث من اهل المحابر والدوي ما ينوف عن عشرين الفاً وكان المستملي ابو زرعة ومحمد بن اسلم الطوسي والناس ما بين صارخ وباك ومتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته . فقال ابن حبان في حقه كما في كتاب الانساب للسمعاني المطبوع ببلاد المانيا : يروي عن ابيه العجائب كان يهم ويخطىء (انتهى) وتعقبه بعض العلماء في الحاشية بقوله : انظر الى هذه الجرأة العظيمة من هذا المغرور وكيف يوهم ويخطىء ابن رسول الله ووارث علمه احد علماء العترة النبوية وامامهم المجمع على غزارة علمه وشرفه وليت شعري كيف ظهر لهذا الناصبي الذي افنى عمره في علم الرسوم لاجل الدنيا حتى نال بها قضاء بلخ وغيرها وهم علي بن موسى الرضا وخطاؤه وبينهما نحو مائة وخمسين عاما لولا بغض القربى النبوية التي امر الله بحبها ومودتها وامر رسوله عليه السلام بالتمسك بها قاتلهم الله اني يؤفكون «انتهى» ومما يدل على وثاقة عطية رواية جلة الناس عنه كما اعترف بها البزار وكثرة من روى عنهم ورووا عنه من الصحابة وغيرهم « ففي تهذيب التهذيب : روى عن ابي سعيد وابي هريرة وابن عباس وابن عمرو وزيد بن ارقم وعكرمة وعدي ابن ثابت وعبد الرحمن بن جندب وقيل ابن جناب . روى عنه ابناه الحسن وعمر والاعمش

والحجاج بن ارطاة وعمرو بن قيس الملائي ومحمد بن جحادة ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى ومطرف بن طريف واسماعيل بن ابي خالد وسالم بن ابي حفصة وفراس بن يحيى وابو الجحاف وزكر بن ابي زائدة وادريس الأودي وعمران البارقي وزياد بن خيثمة الجعفي وآخرون «انتهى» وقد أورد حديثه أئمة الحديث في صحاحهم كالبخاري في الادب المفرد وابو داود والترمذي وابن ماجة القزويني كما يدل عليه وضع صاحب مختصر تذهيب الكمال على اسمه رمز (بخ دت ق) الذي هو رمز الى هؤلاء اما قول صاحب الرسالة ومع صحته فمعناه باعمالهم الخ فلا يظهر له معنى محصل ومع ذلك ففيه اعتراف بثبوت الحق لهم على الله بمعنى الثواب والاجابة وجواز القسم به وقول صاحب المنار في الحاشية ان المتبادر من هذه الجملة انها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين ان يستجيب دعاءهم الخ لا ينفي الحق على الله تعالى بل يؤيده وهو ما جعله على نفسه بوعده الصادق من اجابة دعاء من دعاه .

الفصل الخامس في الحلف بغير الله تعالى

وهذا منعه الوهابية وبعضهم جعله شركا على الاطلاق وبعضهم شركا اصغر فمن صرح به بانه شرك على الاطلاق الصنعاني في تطهير الاعتقاد فانه بعدما ذكر ان القبوريين سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة وعد اعمالهم الموجبة لذلك قال [١] ويقسمون باسمائهم بل اذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولي من اوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عبادة الأصنام (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت) وسمع رسول الله (ص) رجلا يحلف باللات فامره ان يقول لا إله إلا الله — وهذا يدل على انه ارتد بالحلف بالصنم فامره ان يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك « انتهى » . ثم قال [٢] بعدما ذكر ان رأس العبادة واساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعته تفرع عن الاعتقاد وعد من جملته الحلف وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية

(١) صفحة ١٤ (٢) صفحة ١٥ (٣) صفحة ٢٥

الشرك شركان اكبر وله انواع ومنه الذي تقدم (يعني طلب الشفاعة من المخلوق والتوسل وغيره) واصغر كالرياء والسمعة ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله «ص» من حلف بغير الله فقد اشرك اخرجه الامام احمد وابو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان وقال «ص» ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله او ليصمت اخرجه الشيخان قال والشرك الاصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه «انتهى» .

ونقول قد وقع القسم بغير الله تعالى من الله تعالى ومن النبي « ص » ومن الصحابة والتابعين وجميع المسلمين خلفاً عن سلف . اما من الله تعالى فانه قد اقسم في كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته كما أقسم بذاته وبعزه وجلاله مثل قوله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر . والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا . والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا . والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا . والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا . والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالملقيات ذكرا . والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين . والضحى والليل اذا سجى . والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها . والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع . والسماء ذات الحبك . والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود . والسماء والطارق . والنجم اذا هوى . والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر . ن والقلم وما يسطرون . والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور . لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة . لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد . فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم . فلا اقسم بالخنس الجواري الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . لا أقسم بيوم الدين . فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق . لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) — لا يقال صدوره من الله تعالى لا يستلزم جواز

صدوره منا فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . لأنا نقول : انا نريد ان صدوره منه تعالى يدل على انه لا قبح فيه لانه تعالى منزه عن فعل القبيح فلا يكون صدوره منا قبيحاً ونعم القدوة الله تعالى واذا كان الله تعالى قد جعل لنفسه شريكا واشرك بالشرك الاصغر (تعالى عن ذلك) فما على من اقتدى به في ذلك بأس . وقول القسطلاني في ارشاد الساري [١]: لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ليعجب به المخلوقين ويعرفهم قدرته لعظيم شأنها عندهم ولدلالتها على خالقها واما المخلوق فلا يقسم الا بالخالق قال :

ويقبح من سواك الشيء عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

(انتهى) كلام قشري لما عرفت من ان ما يقبح من العبد لكونه شركا اصغر وتشبيهاً للخلق في العظمة به تعالى لا يمكن ان يحسن منه تعالى اذ صدوره منه تعالى لا يخرجه عن تلك الصفة ان كانت والشعر الذي اورده لا يرتبط بما نحن فيه كما لا يخفى ، واما من النبي (ص) فعلا وتقريراً فمما رواه مسلم في صحيحة [٢] انه جاء رجل الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اي الصدقة اعظم اجراً فقال اماوابيك لتنبأنه ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء (الحديث) وروى مسلم ايضاً في كتاب الايمان [٣] انه جاء رجل الى رسول الله «ص» من اهل نجد يسأل عن الاسلام فقال رسول الله «ص» خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحدة يقول: هل علي غيرها وهو «ص» يقول لا الا ان تطوع فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص منه فقال رسول الله «ص» افلح وابيه ان صدق او دخل الجنة وابيه ان صدق (وحكى) القسطلاني في ارشاد الساري [٤] عن ابن عبد البران هذه اللفظة منكرة غير محفوظة تردها الآثار الصحاح « انتهى » (اقول) بل يعضدها حديث اما وابيك لتنبانه قال وقيل انها مصحفة من قول والله .قال القسطلاني وهو محتمل ولكن مثل هذا لا يثبت بالاحتمال لاسيما وقد ثبت من لفظ ابي بكر الصديق في قصة السارق الذي سرق حلي ابنته فقال وابيك ماليلك بليل سارق اخرجه في الموطأ وغيره (انتهى) «قال القسطلاني» واحسن الاجوبة ماقاله البيهقي وارتضاه النووي وغيره ان هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير ان

(١) صفحة ٣٥٨ ج ٩ (٢) صفحة ٤١٩ ج ٤ (٣) صفحة ٢٢٤ — ٢٢٧ ج ل بهامش ارشاد الساري (٤) صفحة ٣٥٧ ج ٩

يقصدوا به القسم او ان التقدير افلح ورب ابيه (انتهى) « وفيه » ان العرب تقصد به القسم والا كان اتيانه عبثاً وهذراً والحذف لا دليل عليه وقال ابو طالب عم النبي (ص)

كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل

سمع ذلك رسول الله (ص) ولم ينكره « واما الحلف بغير الله من الصحابة والتابعين وجميع المسلمين » فقد سمعت قول ابي بكر وابيك ووقع الحلف من الكل بلفظ لعمري او لعمر ابيك ونحو ذلك في الشعر والنثر بكثرة لايمكن معها ضبطه وهو قسم باتفاق اهل اللغة وحلف بالعمر بفتح العين وهو الحياة او الدين كما فسره اهل اللغة بل جعله النحويون نصا في القسم قال ابن مالك في ألفيته :

وبعد لولا غالبا حذف الخبر حتم وفي نص يمين ذا استقر

وقال ابنه في الشرح الثاني خبر المبتدأ الصريح في القسم نحو لعمرك لافعلن (انتهى) وكذا ذكر ابن هشام في كتبه وغيرهم من النحويين « ففي كتاب علي الى معاوية » لعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمن (وفي كتاب آخر له اليه) فلعمري لو كنت الباغي لكان لك ان تخوفني « وفي كتاب معوية اليه » فان كنت اباحسن انما تحارب عن الامارة والخلافة فلعمري لو صحت لكنت قريبا من ان تعذر في حرب المسلمين وللحسين بن علي (ع) :

لعمرك انني لاحب داراً تحل بها سكينة والرباب

وقال ولده على بن الحسين (ع) من كلام يخاطب به اهل الكوفة ولعمري ماهي منكم بنكر (ع) اخوه علي بن الحسين الاكبر يوم كربلا :

انا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي

ولما سمع عبد الله بن عمر العنسي وكان من عباد اهل زمانه رواية عمرو بن العاص عن النبي «ص» ان عماراً تقتله الفئة الباغية خرج ليلا فاصبح في عسكر علي وحدث الناس بقول عمرو وقال من جملة ابيات :

والراقصات بركب عامدين له ان الذي جاء من عمرو لمأثور

مافي مقال رسول الله في رجل شك ولا في مقال الرسل تحيير

رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين مسنداً عن رجاله « ومما » يدل على جواز الحلف

بغير الله من العظماء ما رواه احمد بن حنبل في مسنده عن عائشة قال لها مسروق سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله (ص) يعني في حق الخوارج قالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة . فان قوله سألتك بصاحب هذا القبر بمنزلة قوله اقسمت عليك به ولا فرق بين ان يقول القائل اقسم بفلان واقسم عليك بفلان (وقوله) واقربهم عند الله وسيلة من ادلة جواز التوسل كما مر .

اما حديث من حلف بغير الله فقد اشرك فهو في مسند احمد عن ابن عمر كان يحلف : وابي فنهاه النبي (ص) قال من حلف بشيء دون الله فقد اشرك وقال الاخر وهو شرك «انتهى» [١] اما المنقول عن الترمذي وصححه الحاكم فهو ان ابن عمر سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال لاتحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله «ص» يقول من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك « وهو » محمول اما على الكراهة الشديدة واطلاق الشرك عليه من باب المبالغة بيانا لشدة الكراهة فقد ورد اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحل له كما بيناه في مقام آخر ويؤيده قوله في الرواية كان يحلف وابي الدال على ان ذلك كان عادة له مستمرة فهو شبه الاعراض عن الله تعالى ويؤيده مافي الروايات الاخر كما يأتي كانت قريش تحلف بآبائها وقول عمر وابي وابي « قال القسطلاني » في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري [٢] بعد نقل رواية الترمذي والتعبير بذلك يعني الكفر والشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ وهل النهي للتحريم او للتنزيه ؟ المشهور عند المالكية الكراهة وعند الحنابلة التحريم وجمهور الشافعية انه للتنزيه وقال امام الحرمين : المذهب القطع بالكراهة وقال غيره بالتفصيل فان اعتقد فيه من التعظيم مايعتقده في الله حرم وكفر بذلك الاعتقاد وان حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر (انتهى) .واما على الحلف بالاصنام كما يشير اليه الحديث الانف الذكر في كلام الصنعاني فيمن حلف باللات مما

(١) كذا وجدنا هذه العبارة في المسودة ولم تحضرنا نسخة مسند احمد عند تبييضها فلتراجع ـ المؤلف ـ
(٢) ص ٣٥٨ ج ٩

يدل على ان ذلك كان يقع منهم بعد اسلامهم لقرب عهدهم بالشرك لكن ذلك لا يتأتى على رواية احمد لأن فيها انه كان يحلف وابي او على الحلف بغير الله باعتقاد مساواته لله تعالى او على الحلف بالبراءة ونحوها كأن يقول ان فعل كذا فهو يهودي او بريء من الاسلام او من الله او من رسوله فانه اما محرم فقط او موجب للكفر ان قصد الرضا بذلك اذا فعله ولكنه لا يتأتى على رواية احمد كما عرفت اوعلى الحلف في مقام القضاء والمرافعة لاثبات حق او نفيه الذي لا يجوز بغير الله تعالى وجعله شركا لتأكيد التحريم او غير ذلك من المحامل فان جواز الحلف بغير الله تعالى في غير ذلك قطعي بل من ضروريات الاسلام يعرف جوازه الخواص والعوام والنساء والصبيان ولو كان حراما لاشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار لكثرة الابتلاء به ولم يخف على الناس كلها ويظهر للوهابية وحدهم وستعرف اتفاق الأئمة الاربعة على الجواز . اما حديث النهي عن الحلف بالأباء فرواه احمد في مسنده ايضا كما رواه الشيخان وصدره ان النبي (ص) سمع عمر وهو يقول وابي وفي الرواية وابي وابي مكرراً فقال ان الله ينهاكم الخ وفي رواية لمسلم الاقتصار على من كان حالفاً فلا يحلف الا بالله . قال : وكانت قريش تحلف بآبائها فقال لا تحلفوا بآبائكم وهو كالذي سبق محمول اما على الكراهة او على عدم الانعقاد فيكون ارشادياً كما في النهي عن بيع الغرر، اي بيع المجهول اي انه لا يترتب عليه آثار اليمين من وجوب الوفاء ولزوم الكفارة بمخالفته وغير ذلك او على الحلف في مقام المرافعة او غير ذلك . قال النووي : في شرح صحيح مسلم [1] في شرح ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فيه النهي عن الحلف بغير اسمائه تعالى وصفاته وهو عند اصحابنا . يعني الشافعية مكروه وليس بحرام (انتهى) . وصرح الخطيب الشربيني الشافعي في الاقناع بان اليمين بالمخلوق مكروه ومثله عن شرح المنهاج وافتى أحمد بن حنبل الذي ينسب الوهابية انفسهم اليه ويقولون انهم على مذهبه بجواز الحلف بالنبي (ص) وانه ينعقد لأنه احد ركني الشهادة فهذا امامهم ومقلدهم واحد ائمة مذاهب الاسلام الاربعة يفتي بجواز الحلف بالمخلوق وانعقاده وهم يجعلونه شركا او شركا اصغر . قال الشعراني في ميزانه : ومن ذلك قول احمد انه لو حلف بالنبي (ص) انعقد يمينه فان حلف لزمته الكفارة (انتهى) بل الأئمة الأربعة قائلون بجواز الحلف بالنبي

(١) ص ١١٩ ج ٧ بهامش ارشاد الساري .

(ص) بل وغيره من المخلوقات لكنه مكروه انما الخلاف في انعقاد الحلف بالنبي (ص) ولزوم الكفارة بالحنث . والحاصل ان الحلف بالله تعالى له احكام خاصة لا تترتب على غيره كفصل الخصومات به وترتب الاثم والكفارة على مخالفته . ومذهب أئمة اهل البيت عليهم السلام جواز الحلف بغير الله تعالى عدا البراءة فيحرم الحلف بها ولكنه لا ينعقد بغير الله تعالى ولا تسقط به الدعوى . اما قول الصنعاني انه اذا حلف من عليه حق باسم الله لم يقبل منه واذا حلف باسم ولي قبلوه وصدقوه. فجوابه انه انما يصدر ذلك من عوام الناس وجهالهم ، واهل المعرفة براء منه فهل تستحل دماء المسلمين واموالهم لأمر يصدر من بعض جهالهم مع كونه ايضاً لا يوجب شركا ولا كفرا وان كان خطأ . واما استشهاده بحديث من حلف باللات فأمره (ص) ان يقول لا اله الا الله فعجيب فانه ما حلف باللات الا على عادته التي كانت له قبل الاسلام من جعلها آلهة وعبادتها من دون الله وهي حجر لا تضر ولا تنفع وليس لها شرف يصحح الحلف بها فأمره بقول لا اله الا الله ردعا له عن ذلك الحلف فقياسه الحلف بعظيم عند الله على ذلك بمكان من الغرابة سواء كان ذلك موجبا للكفر اولا . اما قوله : رأس العبادة واساسها الاعتقاد الخ فقد مر الكلام عليه في لباب الثاني .

الفصل السادس

في التعبير عن غيره تعالى بالسيد والمولى ونحو ذلك بصيغة الخطاب وغيره

وهذا ايضا مما جعله الوهابية موجباً للشرك ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية [1] بعدما ذكر تحريم عمارة القبور قال ويضاف الى عمارتها دعاء اصحابها ، الى ان قال: وخطابهم يا سيدي يا مولاي افعل كذا وكذا، وبهذا عبدت اللات والعزى الى آخر ما قال وتقدم في الباب الثاني قول محمد بن عبد الوهاب وانما يعنون . اي المشركون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد وفي خلاصة الكلام ان محمد بن عبد الوهاب يزعم ان من قال لأحد مولانا او سيدنا فهو كافر .

ونقول : اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى ونداؤه به صحيح لا محذور فيه فانه لا يراد به الملكية الحقيقية المساوية لملكيته تعالى ولا يقصد احد من المسلمين ذلك ولو فرض

(١) ص ٢٨

انا جهلنا قصدهم لوجب حمل كلامهم على الصحيح وقد ورد اطلاق السيد على غيره تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى في يحيى بن زكريا (وسيداً وحصوراً. والفيا سيدها لدى الباب) وفي كلام النبي (ص) بما يبلغ حد التواتر . روى البخاري في الادب المفرد من حديث جابر عنه (ص) من سيدكم يابني سلمة قالوا الجد بن قيس . وعن ابي هريرة عنه (ص) انا سيد ولد آدم يوم القيامة . وفي رواية انا سيد ولد آدم ولا فخر . وعن عائشة عنه (ص) انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. وعن ابي سعيد الخدري عنه (ص) الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة . وعن الترمذي عن فاطمة اخبرني النبي (ص) اني سيدة نساء العالمين . وعن ابي نعيم الحافظ في حلية الأولياء عنه (ص) ادعوا لي سيد العرب علياً . وعن الحلية ايضاً انه (ص) قال لعلي مرحباً بسيد المؤمنين . وعن عائشة انه (ص) سارّ الزهراء فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين . وعنه (ص) سادات النساء اربعة : خديجة وفاطمة ومريم وآسية . وفي الفائق للزمخشري [١] قال (ص) لأصحابه ارأيتم لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا كيف يصنع به فقال سعد بن عبادة والله لأضربنه بالسيف ولا انتظر ان آتي باربعة شهداء فقال رسول الله «ص» انظروا الى سيدنا هذا ما يقول وروي الى سيدكم (وفي النهاية) في الحديث قالوا يا رسول الله من السيد فقال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام قالوا فما في امتك من سيد قال بلى من آتاه الله مالا ورزق سماحة فادى شكره وقلت شكايته في الناس . قال : وفيه انه «ص» قال للحسن بن علي ان ابني هذا سيد . وفيه انه قال للانصار قوموا الى سيدكم يعني سعد بن معاذ «انتهى» واشار بذلك الى ما رواه احمد بن حنبل [٢] بسنده عن ابي سعيد الخدري نزل أهل قريضة على حكم سعد بن معاذ فارسل اليه رسول الله «ص» فاتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال « ص » قوموا الى سيدكم او خيركم (الحديث) ورواه البخاري [٣] نحوه (وكذلك في كلام الصحابة) فعن البخاري عن جابر ان عمر كان يقول ان ابا بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا . وعن ابي بكر انه قال اتقولون هذا شيخ قريش وسيدهم (وعن علي) انا سيد البطحاء . وفي الفائق

---

(١) صفحة ٣٠٨ طبع الهند (٢) صفحة ٢٢ ج ٣ (٣) صفحة ١٤٦ ج ٩ ارشاد الساري.

للزمخشري قالت ام الدرداء حدثني سيدي ابو الدرداء . وفي النهاية في حديث عائشة كان سيدي رسول الله «ص» الخ .

هذا وفي بعض الاخبار ما يوهم عدم جواز اطلاق السيد على غير الله . اورد السيوطي في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس عن علي : السيد الله واورد العزيزي في شرح الجامع الصغير عن مسند ابي داود انه جاء وفد بني عامر الى النبي «ص» فقالوا انت سيدنا فقال السيد الله (الحديث) . والجمع بينه وبين ما مر باختلاف القصد في معنى السيد او بانه قال ذلك تواضعا اي السيد الحقيقي هو الله . وفي النهاية : أي هو الذي تحق له السيادة كأنه كره ان يحمد في وجهه واحب التواضع «انتهى» . وكذا ما ورد من النهي عن قول السيد: عبدي وامتي، روى البخاري في حديث[1] ولا يقل احدكم عبدي، امتي. وفي رواية لمسلم لا يقولن احدكم عبدي فان كلكم عبيد الله . وفي رواية لابي داود والنسائي فانكم المملوكون والرب الله مع قوله تعالى (والصالحين من عبادكم وامائكم . عبدا مملوكا . اذكرني عند ربك) فهذه المناهي للتنزيه قصداً للتواضع (وحاش لله) ان يقصد المسلمون من اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى معنى ينافي اخلاص العبادة كيف وهم يعلمون ان ما عداه لا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً الا بامره تعالى وارادته واقداره . فقول ابن عبد الوهاب وانما يعنون بلفظ الاله ما يعني المشركون بلفظ السيد افتراء على المسلمين فلا يريد المسلمون الذين سماهم المشركين بلفظ السيد غير ما اريد في الاستعمالات الواردة في كلامه تعالى وفي كلام النبي «ص» والصحابة التي مر نقلها من الرئيس والافضل ونحو ذلك . أما ما يريده المشركون بلفظ الاله فقد عرفت بما بيناه مراراً انه يخالف ذلك فراجع .

الفصل السابع في النحر والذبح

وهذا مما كفر به الوهابية المسلمين ونسبوهم الى الشرك فزعموا انهم يذبحون وينحرون للاموات والقبور ويقربون لها القرابين وان ذلك كالذبح والنحر للاصنام الذي كانت تفعله اهل الجاهلية الموجب للشرك . صرح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في

---

(١) ص ٣١٢ ج ٤ ارشاد الساري .

الباب الثاني المنقول عن رسالته كشف الشبهات حيث قال ان النبي «ص» قاتل المشركين لتكون جملة اشياء لله تعالى وعد منها الذبح وقال في الرسالة المذكورة [1] في اثناء كلام له علم به اصحابه كيف يحتجون على غيرهم : فقل هل الصلاة والنحر لله عبادة اذ يقول (فصل لربك وانحر) فلا بد ان يقول نعم فقل اذا نحرت لمخلوق نبي او جني او غيرهما هل اشركت في هذه العبادة غير الله فلا بد ان يقول نعم فقل المشركون هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغيرها فلا بد ان يقول نعم فقل وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء والا فهم مقرون انهم عبيد الله تحت قهره . وصرح بذلك الصنعاني في عدة مواضع من كلامه المتقدم في الباب الثاني . كقوله : ان افراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الا ان تكون اشياء لله وعد منها النحر . وقوله : ان تعظيمهم الاولياء ونحرهم لهم النحائر شرك والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) اي لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف . وقوله : ان النحر على القبر بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنا وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً الخ . وقوله : ونحرهم النحائر لهم شرك . وقال الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد ايضا فان قال انما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه هل اردت بذلك تعظيمه ان قال نعم فقل له هذا النحر لغير الله بل اشركت مع الله تعالى غيره وان لم ترد تعظيمه فهل اردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه انت تعلم يقينا انك ما اردت ذلك اصلا ولا اردت الا الاول ولا خرجت من بيتك الا قصده . الى ان قال : فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب « انتهى » وصرح بذلك الوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث عدوا من جملة اسباب الشرك التقرب الى الموتى بذبح القربان .

ونقول: النحر والذبح « قد يضاف لله تعالى » فيقال ذبح لله ونحر لله ومعناه انه نحر لوجهه تعالى امتثالا لامره وتقربا اليه كما في الاضحية بمنى وغيرها والفداء في الاحرام والعقيقة وغير ذلك وهذا يدخل في عبادته تعالى او نحر باسمه تعالى فذكر اسمه على المنحور وهذا لا ربط له بالعبادة انما هو شرط في حلية الذبيحة مع التفطن لقوله تعالى ولا

---

(١) صفحة ٦٢ طبع المنار بمصر .

تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه « وقد يضاف الى المخلوق » فيقال ذبحت الدجاجة للمريض ونحرت البعير او ذبحت الشاة للاضياف او ذبحت كذا لفلان تريـــد الذي امرك بالذبح وهذا لا محذور فيه . وقد يضاف الى المخلوق بقصد التقرب اليه كما يتقرب الى الله طلبـــاً للخير منه مع كونه حجراً وجماداً لا يضر ولا ينفع ولا يعقـل ولا يسمع سواء كان تمثالا لنبي أو صالح او غير ذلك ومع نهي الله تعالى عن ذلك ويذكر اسمه على المنحور والمذبوح ويعرض عن اسم الله تعالى فيجعل نظيراً لله تعـالى وندا له ويطلى بدم المنحور او المذبوح قصد التقرب اليه مع كون ذلك عبثا ولغواً نهى عنه الله تعالى كما كان يفعل المشركون مع اصنامهم وهذا قبيح منكر بل شرك وكفر سواء سمي عبادة او لا. وهذا ما توهم الوهابية ان المسلمين يفعلون مثله للانبياء والاوصياء والصلحاء فينحرون ويذبحون لهم عند مشاهدهم او غيرها ويقربون لهم القرابين كما كان عبـــدة الاصنام والاوثان يفعلون ذلك باصنامهم واوثانهم وهو توهم فاسد فان ما يفعله المسلمون لا يخرج عن الذبح والنحر لله تعـــالى لأنه يقصد اني اذبح هذا في سبيل الله لاتصدق بلحمه وجلده على الفقراء او مطلق عبـاد الله واهدي ثواب ذلك لرب المشهد. والذبح الذي يقصد به هذا يكون راجحـــاً وطاعة لله تعالى وعبادة له سواء اهدي ثواب ذلك لنبي او ولي او اب او ام او اي شخص من سائر الناس ونظيره من يقصد اني اطحن هذه الحنطة لاعجنها واخبزها واتصدق بخبزهـــا على الفقراء واهدي ثواب ذلك لأبوي فأفعاله هذه كلها طاعة وعبادة لله تعـالى لا لأبويـه ولا يقصد احد من المسلمين بالذبح لنبي او غيره ما كانت تقصده عبدة الاوثان من التقرب اليها بالذبح لها ولا يفعل ما كانت تفعله من ذكر اسمها على الذبيحة والاهلال بها لغير الله وطليها بدمها مع نهي الله تعالى لهم عـن ذلك ولو ذكـر احد مـن المسلمين اسم نبي او غيره على الذبيحة لكان ذلك عندهم منكراً وحرمت الذبيحة . فليس الذبح لهم بل عنهم بمعنى انه عمل يهدى ثوابه اليهم كسائر اعمال الخير او لهم باعتبار ثوابه ولذلك لا ينافيه قولهم ذبحت لفلان او اريد ان اذبح لفلان او عندي ذبيحة لفلان ، لو فرض وقوعه فالمقصود في الكل كونها له باعتبار الثواب وهذا كما يقال ذبحت للضيف او للمريض او لفلان الامـر بالذبح او نحـو ذلك بل لو قصد بالذبح امتثال امر الآمر به من المخلوقين وطلب رضاه واتى به على وجهه من شرائط الذبح الشرعية لم يكن بذلك آثماً ولا عابداً للآمر ولا مشركا مع انه لو وقع مثل ذلك امتثالا لأمره تعالى كما في الأضحية ونحوها لكان عبادة له تعالى كما مر. وكل من

يأمرهم السلطان ابن سعود بالذبح او النحر من خدمه وعبيده واتباعه حالهم كذلك مع انهم هم الموحدون الوحيدون .

والحاصل ان المسلمين لا يقصدون من الذبح للنبي او الولي غير اهداء الثواب اما العارفون منهم فحالهم واضح في انهم لا يقصدون غير ذلك واما الجهال فانما يقصدون ما يقصد عرفاؤهم ولو اجمالا حتى لو فرض وقوع اضافة الذبح الى النبي او الولي كما مر فليس المقصود الا كون ثوابها له لا يشك في ذلك الا معاند. ولو سألنا عارفا او عاميا ايا كان: هل مرادك الذبح لصاحب المشهد تقربا اليه كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم او مرادك اهداء الثواب له ؟ لقال معاذ الله ان اقصد غير اهداء الثواب ولو فرضنا اننا شككنا في قصده او خفي علينا وجه فعله لما جاز لنا ان نحمله الا على الوجه الصحيح لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة حتى يعلم الفساد ولم يجزلنا ان ننسبه الى الشرك ونستبيح دمه وماله وعرضه بمجرد ظننا ان قصده الذبح لها كالذبح للأصنام لما عرفت في المقدمات من وجوب الحمل على الصحة مهما امكن [١] . اما اهداء ثواب الخيرات والعبادات الى الاموات فأمر راجح مشروع لم يمنع منه كتاب ولا سنة بل وردت به السنة في صحاح الاخبار وقامت عليه سيرة المسلمين وعملهم في كل عصر وزمان من عهد النبي (ص) والصحابة الى اليوم وهذا منه ولا اظن الوهابية يخالفون فيه ومن اولى بالهدايا من انبياء الله واوليائه روى مسلم في صحيحه في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت اليه بعدة اسانيد عن عائشة ان رجلا اتى النبي « ص » فقال يا رسول الله ان امي افتلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم . قال : النووي في الشرح: نفسها نائب فاعل او مفعول به اي ماتت فجأة . ثم قال وفي هذا الحديث ان الصدقة عن الميت

(١) قال الشيخ محمد عبده الشهير في كتابه الاسلام والنصرانية ص ٥٥ ان من اصول الاحكام في الدين الاسلامي البعد عن التكفير وان مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد احكام دينهم انه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر «انتهى» فما رأي الاستاذ صاحب المنار في الجمع بين هذا الكلام الصادر ممن يسميه الاستاذ « الامام حكيم الاسلام » وبين اقوال اسياده الوهابية الذين ينشر لهم كتب دعوتهم التي يكفرون بها المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم بقولهم يا رسول الله اشفع لي اقض حاجتي مع انه لو احتمل الكفر من وجه واحد فهو يحتمل الايمان من مائة وجه كما تعلمه من تضاعيف هذا الكتاب . — المؤلف —

تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك باجماع العلماء (انتهى) . وروى احمد بن حنبل في مسنده عن عائشة ان رجلا قال للنبي « ص » ان امي افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت لتصدقت فهل لها اجر ان اتصدق عنها قال نعم . وروى احمد بن حنبل ايضاً عن ابن عباس ان بكراً اخا بني ساعدة توفيت امه وهو غائب عنها فقال يا رسول الله ان امي توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت بشيء عنها قال نعم فقال اشهدك ان حائط المخرف صدقة عليها . وعن احمد وابي داود والترمذي ان النبي « ص » ذبح بيده وقال اللهم هذا عني وعن من لم يضح من امتي . وعن سيف وابي داود ان علياً كان يضحي عن النبي « ص » بكبش وكان يقول اوصاني ان اضحي عنه دائماً . وعن علي ان النبي « ص » اوصاني ان اضحي عنه . وعن بريدة ان امرأة سألت النبي « ص » هل تصوم عن امها بعد موتها وهل تحج عنها قال نعم . وعن ابن عباس انه قال تفي البنت نذر امها . وروي ان العاص بن وائل اوصى بالعتق فسأل ابنه النبي « ص » عن العتق له فأمر به . وعن عائشة ان النبي « ص » قال عند الذبح : اللهم تقبل من محمد وآل محمد وامته وهذا امر لا يشك احد من المسلمين في جوازه وعليه جرت سيرتهم خلفا عن سلف وقد سمعت دعوى النووي اجماع العلماء عليه فهذا حال الذبح والنحر عن الأنبياء والأولياء الذي اعظم الوهابية امره واستحلوا لاجله الدماء والاموال والاعراض لايخرج عن مندوبات الشرع ومستحباته ومن ذلك يظهر فساد قول الصنعاني : ان كان النحر لله فلاي شيء قربت ما تنحره من باب المشهد الخ فان اختيار الذبح فيجوار المشهد.(اولا) لطلب زيادة الثواب لتشرف البقعة بمن فيها ان كان نبيا او وليا فيزداد ثواب العمل بذلك لما ورد من ان الاعمال يتضاعف اجرها لشرف الزمان المكان وانكار شرف المكان بشرف المكين انكار للضروري (ثانيا) لما كان المراد اهداء الثواب اليه ناسب كون هذا العمل الذي هو عبادة وصدقة لله في المكان الذي فيه قبره لأن الهدية يؤتى بها عادة للمهدى اليه نظير قراءة القرآن عند قبره واهداء ثواب القراءة اليه وليس في ذلك منافاة للدين ولا محذور لان ذلك ان لم يكن راجحا فلا اقل من كونه مباحا (ثالثاً) ان مريد الذبح يأتي غالبا للزيارة التي هي راجحة ومشروعة سواء بعدت المسافة او قربت كما ستعرف في فصل الزيارة فيحضر ما يريد ذبحه واهداء ثوابه الى المزور معه وليس في واحد من هذه الوجوه الثلاثة محذور ولا مانع ولا منافاة للحنيفية السهلة السمحاء التي تشدد فيها الوهابيون تشدد الخوارج. وظهر

ايضا فساد قوله ان اردت بذلك تعظيمه فهـذا النحر لغير الله بل اشركت مع الله تعالى غيره وان لم ترد فهل اردت توسيخ باب المشد الخ فان مراده لايخرج عن الوجوه الثلاثة المذكورة مع انه لو اراد بذلك اظهار تعظيمه باهداء الثواب اليه وانه اهـل لذلك الذي لا يظهر الا بالذبح عند مشهده لم يكن فيه محذور ولا منه مانع أليس هو اهـلا للتعظيم ومحلا لاهداء الثواب الا ان يكون كل تعظيم لمخلوق شركا وكفرا كما تقتضيه حجج الوهابية فيعمهم الشرك اترى لو ان السلطان ابن سعود او احد عظماء اعراب نجد زاره امير مـن الامراء فأتى بالابل والغنم ونحر وذبح لضيافة زائره واكرامه واظهار تعظيمه وذكر اسم الله على الذبيحة يكون كافرا ومشركا لانه ذبح لغير الله وقصد بالذبح تعظيم المذبوح له ؟! كلا حتى لو كان هذا الامير الزائر ظالما لم يكن في الذبح له قصدا لتعظيمه كفر ولا شرك مع انه ليس اهلا للتعظيم فكيف بمن هو اهل لكل تعظيم حيا وميتا كالانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين. فقوله هذا شرك بلا ريب افك وافتراء بلا ريب. وظهر ايضا فساده ما موّه به ابن عبد الوهاب من قوله هـل الصلاة والنحر لله عبادة اذ يقول فصل لربك وانحر الخ الذي حاصله ان النحر لله عبادة لله فالنحر للمخلوق عبادة للمخلوق فاذا نحرت لمخلوق فقد اشركت في هذه العبادة غير الله كما اشرك الذين كانوا يذبحون للاوثان فان النحر والذبح الذي يفعله المسلمون نحر وذبح لله بالوجه الذي بيناه وتوهم انه مثل نحر عبدة الاصنـام فاسد كما عرفته بما لا مزيد عليه والنحر لله معنـاه كونه لوجه الله وامتثالا لامره فيما يكون مأموراً به وباسمه في مطلق النحر . قـال في الكشاف : وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان «انتهى» وما يفعله المسلمون جامع للأمرين فيذكر عليه اسم الله وينحر للصدقة واهداء الثواب بخلاف ما ينحر للاوثان الذي يذكر اسمها عليه ويقصد به التقرب اليها لا الى الله . مع ان النحر في الآية ليس متعيناً لارادة نحر الانعام (ففي الكشاف) انه نحر البدن وقيل هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيـل صلاة العيد والتضحية وقيل جنس الصلاة ، والنحر وضع اليمين على الشمال « انتهى » (وفي مجمع البيان) بعدما ذكر انها صلاة العيد ونحر الهدي والاضحية عن عطاء وعكرمة وقتادة او صلاة الفجر بجمع ونحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد نقل عن الفراء ان معناه صل لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك ، تقول العرب : منازلنا تتناحر اي هذا ينحر هذا اي يستقبله وانشد :

ابا حكم هل انت عم مجالد وسيد اهل الابطح المتناحر

اي ينحر بعضه بعضا قال واما ما رووه عن علي «ع» ان معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة قد رووا عنه ان معناه ارفع يديك الى النحر في الصلاة اي حال التكبير ثم اورد الروايات الدالة على ذلك.

الفصل الثامن في النذر لغير الله

وهذا مما صرح ابن تيمة قدوة الوهابية بعدم جوازه فانه سئل في ضمن السؤال المتقدم في الفصل الثاني عمن ينذر للمساجد والزوايا والمشائخ حيهم وميتهم بالدراهم والابل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك يقول ان سلم ولدي فللشيخ عليّ كذا وكذا وامثال ذلك. فأجاب بانه قال علماؤنا لايجوز ان ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء لا من درهم ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك كله نذرمعصية وقد ثبت في الصحيح عنه (ص) من نذران يطيع الله فليطعه ومن نذران يعصي الله فلا يعصه واختلف العلماء هل على الناذر كفارة يمين على قولين (انتهى) . وصرح الوهابية بأنه موجب للشرك صرحوا به في كتابهم الى شيخ ركب الحاج المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث جعلوا من جملة اسباب الشرك التقرب الى الموتى بالنذور باعتبار انه نوع من العبادة وصرف شيء من العبادة لغير الله كصرف جميعها . وصرح به الصنعاني في تطهير الاعتقاد في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله بعد ما عد اشياء منها النذر : ومن فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له الها الخ . وقوله بعد ما ذكر ان اعتقاد النفع والضر في المخلوق او الشفاعة شرك فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت او حي الى قوله فهذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الاصنام والنذور بالمال على الميت هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية . وقال في الرسالة المذكورة [1] فان قلت هذه النذور والنحائر ما حكمها واجاب بان الاموال عزيزة على اهلها والناذر ما اخرج من ماله الا معتقداً لجلب نفع اكثر منه او دفع ضرر ولو عرف بطلان ما اراده ما اخرج درهماً فالواجب تعريفه بانه اضاعة لماله ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضرراً وقد قال «ص» ان النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل ويجب رده اليه ويحرم قبضه ولانه تقرير للناذر على

(١) ص ١٦

شركه الى آخر ما ذكره من هذا القبيل . وقال في موضع آخر من تلك الرسالة [1] انه يجب على العلماء بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم وانه عين ما كان يفعله المشركون لاصنامهم .

والجواب عن هذا كالجواب عن سابقه من النحر والذبح بأن من ينذر لنبي او ولي او رجل صالح دراهم اوخلافها لايقصد الا نذر الصدقة واهداء ثوابها الى النبي اوالولي اوالصالح ولا يقصد التقرب اليه بالنذر بل التقرب الى الله تعالى وكيف يقصد التقرب اليه وهو يعلم انه ميت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور لا بأكله ان كان طعاما ولا بصرفه ان كان نقوداً ولا بلبسه ان كان ثياباً ولابشيء من الانتفاع مهما كان المنذور مع وجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مهما امكن وعدم جواز التهجم على الدماء والاموال والأعراض بمجرد الظنون والاوهام كما مر في المقدمات فلا يزيد هذا النذر على من نذر لأبيه او امه او حلف او عاهد ان يتصدق عنهما كما روي عنه (ص) انه قال للبنت التي نذرت لأبيها عملاً (ف) بنذرك فان كان النذر للاباء والامهات كفرا كان هذا كفرا والا فلا. واختيار بعض الامكنة للنذر طلبا لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة كما يختار بعض الازمنة لبعض العبادات لا بأس به بل لا بأس بتخصيص بعض الامكنة كما يستفاد مما روي عن ثابت بن الضحاك عن النبي « ص » ان رجلا سأله انه نذر ان يذبح ببوانة فقال هل كان فيها وثن يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من اعيادهم فقال لا فقال ف بنذرك. وفي القاموس بوانه كثمامة هضبة وراء ينبع . وفي النهاية الأثيرية في حديث النذران رجلا نذر ان ينحر ابلا ببوانة هي بضم الباء وقيل بفتحها هضبة من وراء ينبع (انتهى) وكأن سؤاله « ص » عن انه هل كان فيها وثن يعبد او عيد من اعياد الجاهلية خشية ان يكون النذر جاريا على عادة اهل الجاهلية لقرب العهد بهم وان كان السائل مسلما فقد قالوا له « ص » اجعل لنا ذات انواط وهم مسلمون وقال اصحاب موسى له حين مروا على قوم يعكفون على الأصنام اجعل لنا الها كما لهم آلهم او انه اذا كان فيها وثن يعبد او عيد من اعيادهم يكون النذر مرجوحا فلا ينعقد لأن شرطه الرجحان او تساوي الطرفين والله اعلم. وقد ظهر بذلك بطلان ماقاله ابن تيمية ناقلا له عن علمائهم من عدم جواز النذر

(١) ص ١٢

للقبر ولا للمجاورين وعده نذر معصية حتى فرط بعضهم فيما نقله عنه فأوجب على الناذر كفارة يمين . اما النذر للقبر فلا يفعله احد بل ولا لصاحب القبر وانما النذر لله والصدقة به عن صاحب القبر بمعنى اهداء ثوابه اليه ولو فرض صدور مايوهم خلاف ذلك فهو محمول عليه حملا لفعل المسلم على الصحة كما مر واما النذر للمجاورين فان المجاورة عند القبر لا مانع منها شرعاً لو لم تكن راجحة طلبا لشرف البقعة التي تشرفت بصاحب القبر وانكار شرف القبر مصادمة للضرورة ويكفي في رده دفن الصاحبين عند النبي « ص » حتى عد ذلك منقبة عظيمة لهما ومنع بني امية وبعض امهات المؤمنين من دفن الحسن عند جده قائلين ايدفن عثمان في اقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده واصرار بني هاشم على ذلك حتى كاد يؤدي الى اراقة الدماء كما سنبينه في غير هذا الموضع. والمجاورون عند القبر عباد الله يجوز التصدق عليهم كالتصدق على غيرهم ان لم يكن اولى ولم يخرجوا بمجاورتهم عن استحقاق الصدقة وليست المجاورة عند القبر عبادة له حتى تكون محرمة لما بيناه مرارا من انه ليس كل تعظيم واحترام عبادة وقياس ابن تيمية ذلك فيما مر من كلامه في الفصل الثاني على ماذكروه من ان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا اسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فأتخذوا تماثيلهم اصناما قياس فاسد فان اولئك صوروا صورهم في المساجد .وكانوا يصلون اليها ثم اتخذوها اوثانا وعبدوها فسبب عبادتهم لها تصويرهم تلك الصور وصلاتهم اليها لا احترام قبورهم وليس في المسلمين من يفعل مثل فعلهم ومجرد احتمال ان يؤدي الشيء الى محرم لايوجب تحريمه والا لم يبق في الدنيا حلال .

كما ظهر بذلك بطلان ما هول به اليماني في امر النذر فجعل اخذه حراما وتقريرا للمشرك على شركه وقد عرفت بما ذكرنا صحة النذر وانه لايزيدعن نذر الصدقة عن الميت الثابت جوازه ورجحانه وانه لا يحرم اخذه وانه ليس فيه شيء من الشرك حتى يكون اخذه تقريرا للشرك وان النفع حاصل به وهو الثواب منه تعالى والضرر يندفع به كما يندفع بالصدقة اذ هو لا يخرج عنها ، اما الحديث الذي استشهد به فمع فرض سلامة سنده وان قال صاحب المنار في الحاشية انه متفق عليه من حديث ابن عمر يجب طرحه لمخالفته العقل والنقل فمن نذر ان يتصدق بمال او ينفقه في سبيل الله او نحو ذلك فقد اتى

له نذره بخير الدنيا والاخرة ودفع عنه الله به ضرر الدنيا والاخرة فلا يمكن ان يحكم «ص» بأنه لا يأتي بخير .

الفصل التاسع
في بناء القبور والبناء عليها وتجصيصها وعقد القباب فوقها وعمل الصندوق والخلعة لها

وهذا مما حرمه الوهابية وأوجبوا هدم القبور والقباب التي عليها والبناء الذي حولها بل جعلوا ذلك شركا وكفرا . وصرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد بان المشهد بمنزلة الوثن والصنم في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله : ان ما كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنا وصنما هو الذي يفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا وذلك لايخرجه عن اسم الوثن والصنم الخ . وصرح بذلك الوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك بقولهم : ان ما حدث من تعظيم قبور الانبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الامور التي اخبر عنها النبي « ص » بقوله لا تقوم الساعة حتى يلحق الحي من امتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من امتي الاوثان . وزعم الوهابيون ان البناء على القبور بدعة حدثت بعد عصر التابعين . وقال قاضي قضاتهم عبد الله بن سليمان بن بليهد في مقالته التي نشرتها جريدة ام القرى في عدد جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ لم نسمع في خير القرون ان هذه البدعة حدثت فيها بل بعد القرون الخمسة (انتهى) . واتبع الوهابية في ذلك قدوتهم وباذر بذور مذهبهم احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية الذي عنه اخذ وبه اقتدى . قال : ابن القيم على ما حكي عنه في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد [(١)] ما حاصله : انه يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ولا يجوز ابقاؤها بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها بمنزلة اللات والعزى او اعظم شركا عندها وبها ويجب على الامام صرف الاموال التي تصير الى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين كما اخذ النبي « ص » اموال اللات وكذا يجب عليه هدم هذه المشاهد وله ان يقطعها للمقاتلة او يبيعها ويستعين بأثمانها

(١) ص ٦٦١

على مصالح المسلمين وكذا حكم اوقافها فان الوقف عليها باطل وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين (انتهى) .

ولذلك هدم الوهابين ما استطاعوا هدمه من مشهد الحسين (ع) وقبره الشريف ايام استيلائهم على كربلا وهدموا قبة ائمة البقيع من اهل البيت الطاهر عند استيلائهم على المدينة المنورة في المرة الاولى وفي هذه المرة وهدموا قبورهم الشريفة وسووها بالارض وشوهوا محاسنها وتركوها معرضا لوطء الاقدام ودوس الكلاب والدواب وكذلك قبر سيد الشهداء حمزة بأحد وقبته والمسجد الذي عنده وقبور سائر الصحابة والتابعين وغيرهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجميع الحجاز كما فصلناه في المقدمة الاولى في تاريخ الوهابية لكنهم في المرة الثانية لما عزموا على هدمها ارادوا ان يظهروا مبرراً وعذرا لعملهم في هدم قباب ائمة المسلمين وقبورهم وانكار فضلها وفضل اهلها واهانة من اوجب الله تعظيمه واحترامه حيا وميا باهانة قبره من نبي او ولي اوصديق او شهيد عملا بشبهتهم الواهية من ان تعظيمها عبادة لها وانها صارت كالأصنام تعبد من دون الله تعالى وانه تعالى نهى عن البناء على القبور فأرسلوا قاضي قضاتهم المسمى الشيخ عبد الله بن بليهد الى المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ وبعد دخوله المدينة وجه الى علمائها هذا السؤال :

السؤال الموجه الى علماء المدينة في هدم القبور

ما قول علماء المدينة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز ام لا واذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها ام لا واذا كان البناء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليها فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم ام لا وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وايقاد السرج عليها هل هو جائز ام لا وما يفعل عند حجرة النبي «ص» من التوجه اليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها وكذلك ما يفعل في المسجد من الترحيم والتذكير بين الاذان والاقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع ام لا افتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلة المستند اليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين .

وهذا هو نص الجواب المنسوب لعلماء المدينة

اما البناء على القبور فهو ممنوع اجماعا لصحة الاحاديث الواردة في منعه ولهذا افتى

كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين على ذلك بحديث علي انه قال لابي الهياج ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله «ص» ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته رواه مسلم واما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها وايقاد السرج عليها فممنوع لحديث ابن عباس لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه اهل السنن [1] واما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب اليها بالذبائح والنذور ودعاء اهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعا لا يجوز فعله اصلا واما التوجه الى حجرة النبي «ص» عند الدعاء فالاولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب ولان افضل الجهات جهة القبلة واما الطواف والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً واما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الاوقات المذكورة فهو محدث هذا ما وصل اليه علمنا «انتهى» .

ولسنا نعتقد ولا نظن ان جميع علماء المدينة المنورة موافقون على هذا الجواب وما فيه من الحجج الواهية كما ستعرف وانما هو من الوهابية واليهم والفاظه الفاظهم متوافقة مع عبارات رسائلهم التي نقلنا جملة منها وجل علماء المدينة ساكتون خائفون من نسبة الاشراك اليهم الذي به تستحل دماؤهم واموالهم واعراضهم فان وافق موافق منهم فخوفا من السوط والبندق .

ونحن نتكلم على بطلان هذه الفتوى ودليلها . فنقول : يرجع استدلالهم على ذلك الى امور « الاول » الاجماع المشار اليه بقولهم : البناء على القبور ممنوع اجماعا « والجواب » بطلان دعوى الاجماع بل هو جائز اجماعا لاستمرار عمل المسلمين عليه من جميع المذاهب في كل عصر وزمان عالمهم وجاهلهم مفضولهم وفاضلهم اميرهم ومأمورهم رجالهم ونسائهم سنيهم وشيعيهم قبل ظهور الوهابية توافقوا عليه في جميع الاجيال والاعصار والامصار والنواحي والاقطار بدون منع ولا انكار والسيرة اجماع عملي يشملها ما دل على حجية الاجماع لكشفها كشفاً قطعياً لا يعتريه شك عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع ومتبوع المسلمين كما مر في المقدمات فلا يتطرق اليها بعض الشبهات الموردة على الاجماع وليس في الاسلام امر حصلت فيه السيرة حصولها في هذا الامر واتفق عليه جميع المسلمين

(١) هذه العبارة في رسائل الوهابية وهذا مما يدل على ان الجواب من الوهابية واليهم - المؤلف -

من كل فرقة ولا يضر بهذه السيرة ما قد يوجد في بعض الكتب مما ينقله الوهابيون من القول بالمنع استناداً الى بعض الروايات الشاذة التي لا عامل بها او لا دلالة فيها او لم تثبت صحتها غفلة منهم عن هذه السيرة المستمرة التي سبقتهم ولحقتهم فاقوالهم مردودة بها كما يرد القول المسبوق بالاجماع والملحوق به ولعلنا نشير اليها فيما سيأتي ان شاء الله تعالى وقد اعترف بهذه السيرة الصنعاني في رسالته تطهير الاعتقاد [1] حيث اورد على نفسه سؤالا بأن هذا امر عم البلاد وطبق الارض شرقاً وغربا بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام الا وفيها قبور ومشاهد بل مساجد المسلمين غالبها لاتخلو عن قبر او مشهد. ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ماذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا. واجاب بأنك ان اردت الانصاف وتركت متابعة الاسلاف وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل فاعلم ان هذه الامور صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الاباء بلا دليل ولا يسمعون من احد عليهم من نكير بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس او الولاية او المعرفة او الامارة والحكومة معظما لما يعظمونه مكرما ما يكرمونه ولا يخفى ان سكوت العالم او العالم على وقوع منكر ليس دليلا على جوازه . قال : ولنضرب لك مثلا المكوس المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قد ملأت الارض حتى في اشرف البقاع ام القرى تقبض المكوس من القاصدين لاداء فريضة الاسلام وسكانها من العلماء والحكام ساكتون . قال وهذا حرم الله افضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء احدث فيه بعض ملوك الشراكسة هذه المقامات الاربعة التي فرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة بدعة قرت بها عين ابليس وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين وقد سكت الناس عليها ووفد علماء الافاق والابدال والاقطاب اليها افهذا السكوت دليل على جوازها هذا لا يقوله من له المام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين . الى ان قال ما حاصله : لو فرض انهم علموا بالمنكر وسكتوا لما دل سكوتهم على جوازه لان مراتب الانكار ثلاثة اذا تعذرت واحدة وجبت الاخرى . الانكار باليد

(١) ص ١٧ — ١٩ طبع المنار بمصر .

ثم باللسان ثم بالقلب فاذا مر عالم بمن ياخذ المكوس لم يستطع الانـــكار باليد ولا باللسان فيجب على من رآه ساكتاً ان يعتقد انه انكر بقلبه فان حسن الظن بالمسلمين اهل الدين والتأويل لهم ما امكن واجب فالداخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لمقامات المذاهب الاربعة معذورون عن الانكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين والقبوريين فهذه الامور اسبها من بيده السيف ودماء العباد واموالهم واعراضهم تحت لسانه وقلمه فكيف يقوى احد على دفعه (انتهى) . وفيه اعتراف بوقوع السيرة على اكمل وجوهها واتمها بحيث لم يقع في الاسلام سيرة مثلها بما اختصرناه من عباراته فضلا عما اطال به من باقي عباراتـه المسجعة كعادته وعادة اصحابه الوهابية وقد اعترف في جوابه بوقوع ذلك من جميـــع طبقات الناس من العوام والعلماء والفضلاء والقضاة والمفتين والمدرسين والاولياء والعارفين والامراء والحكام بدون نكير ولم يخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات فأي سيرة اقوى من هذه واشمل . اما جوابه بأن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه الاجيال ففيه ان اتفاق الامة جيلا بعد جيل دليل قطعي لا دليل اقوى منه حتى يعارضه . وقـوله : ان سكوت العالم او العالم على منكر ليس دليلا على جوازه فيه ان ذلك اذا علم انه منكر والبناء على القبور محل النزاع فانتم تدعونه منكراً ونحن نقول انه معروف ونستدل بسيرة المسلمين الكاشفة بوجه القطع عن اخذه من صاحب الشرع فاذا سكت العلماء والعالم عـن امر مع قدرتهم على الانكار علمنا انه ليس منكرا . اما المثل الذي ضربه مـن اخـــذ المكوس حتى في مكة المكرمة وسكوت العلماء. ففيه انه قياس مع الفارق . (اولا) ان الآخذين للمكوس هم الحكام وذوو الشوكة وحدهم والبانون للقبور وللقباب عليها والمعظمون لها المتبركون بها هم جميع طبقات الناس فبطل القياس . (ثانيا) ان المكـــوس امور دولية تعارض فيها الحكام الذين تخاف سطوتهم لمنافاة تركها لمصلحتهم واخلاله بامـــور دولتهم بخلاف بناء القبور وتعظيمها فانها امور دينية صرفة مرجعها العلماء واهل الدين فسكوت العلماء عن الاول لا يدل على الرضا بخلاف الثاني . (ثالثا) ان العلماء و جميـــع المتدينين غير ساكتين عن الاجهار بتحريم المكوس وذم قابضها وتفسيقه والتجنب عنها وعدها من السحت يجيبون بذلك كل من يسألهم ويثبتونه في كتبهم ويتحدثون بـــه في مجتمعاتهم وها هو يصرح بتحريمه في رسالته هذه ويندد بفاعليه ويذمهم اشد الذم مـع

وجوده في زمانهم وعدم قدرته على منعه وها هي رسالته تطبع وتنشر في الافــاق ولا يخاف طابعها وناشرها من الحكام الاخذين المكوس افيقال بعد هذا انهم ساكتون نعم هم ممسكون عن المنع لعدم قدرتهم ، كما امسك الاخوان الوهابيون المجددون ما انمحى من آثار الاسلام والرافعون البدع والمحرمات بالسيف والسنان ، عن منع حكومتهم من اخذ المكوس المحرمة عندهم في جدة وغيرها حتى عن التتن والتنباك المحرم تدخينه عندهم والمعاقب مدخنه واخذت في العام الماضي من كل قاصد لحج بيت الله الحرام ليرة عثمانية ذهبا وفي هذا العام ازيد من ذلك عدا عما شاركت به اصحاب الجمال والسيارات والبيوت والباعة وغير ذلك . والاخوان ساكتون لعدم قدرتهم على المنع لكنهم يصرحون بالتحريم وان كانوا قادرين فقد تركوا اعظم واجب في الدين . اما تمثيله بالمقامات الاربعة ففساده اظهر من مسألة المكوس فان المكوس مما قام على تحريمها اجماع المسلمين بل ضرورة الدين وانكرها جميع العلماء واهل الدين ان لم يكن باليد فباللسان مع انها امور دولية يخاف منكرها كما عرفت وليس كذلك المقامات الاربعة فلم يسمع عن احد انكارها قبل الوهابية مع كونها دينية صرفة ولم يقم دليل على كونها بدعة محرمة كما قام على تحريم المكوس فان جعل مقامات اربعة لأئمة اربعة يقلدهم اربعة اخماس المسلمين ويرون اقوالهم وفتاواهم حجة وجلهم الا من شذ يمنع الاجتهاد بعدهم ليس فيه شيء من البدعة فهو كاصطلاح اهل بلد على ان يصلي بهم اربعة اشخاص احدهم يوم كذا او في مكان كذا اوصلاة كذا والاخر في خلاف ذلك مع كون الكل صالحين للامامة وجعلهم لكل واحد محرابا اومسجدا فانه ليس منكرا ولا بدعة ولا ادخالا في الدين ما ليس منه لدخوله في عمــوم جواز الصلاة في اي مسجد كان واي محل كان وعموم جواز الصلاة خلف اي امام كان بعد اعتقادهم وتصريحهم بأن ذلك ليس بأمر واجب وان لكل ذي مذهب ان يصلي خلف من شاء منهم وكل ما دخل في عموم او اطلاق خرج عن البدعة وليس كل ما لم يكن في زمن النبي « ص » من الهيئات وبعض الكيفيات ولا كل ما لم يرد به بخصوص نص بدعة بعد دخوله في عمومــات ادلة الشرع واطلاقاتها كما مر في المقدمات . وجعل المحاريب للائمه الاربعة لايزيد على جعل المذاهب اربعة وكتب المذاهب اربعة والمنتمين اليها اربعــة والمفتين من اهــل المذاهب اربعة فان كان ذلك بدعة فليكن هذا بدعة لان كلا من ذلك لم يكن على عهد رسول الله

« ص » وان كان جعل اربعة مقامات لاهل المذاهب كل امام منهم يصلي في واحد منها بدعة فما رسمه الوهابية بعد استيلائهم على الحجاز في المرة الاولى وهذه المرة بأن يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء من شاء ـ بدعة لان ذلك لم يكن على عهد رسول الله « ص » وان كان المانع منه تكرار صلاة الجماعة في المسجد فأي مانع من تكرارها ولم ترد فيه آية ولا رواية مع ان تكرار الخير خير وان كانت حجتهم في منع التكرار انه لم يكن على عهد النبي « ص » والخلفاء فمع وجوده « ص » من الذي يأتم بغيره ومع وجود خليفة المسلمين لا ينبغي الائتمام بغيره فلا يقاس بذلك هذا الزمان . فظهر بطلان قوله ان الداخلين الى الحرم كالمارين على المكاسين والقبوريين لوضوح الفرق بين المكس وغيره كما ذكرناه مع ان قياسه البناء على القبور بالمقامات الاربعة ايضا باطل لان البناء على القبور اتفق على فعله قبل الوهابية جميع طوائف المسلمين بدون استثناء واما المقامات الاربعة فاختص بفعلها جل طوائف المسلمين لا كلها . قوله : فان حسن الظن بالمسلمين اهل الدين والتأويل لهم ما امكن واجب . اذا كان يعترف بوجوب حسن الظن بالمسلمين والتأويل لهم مهما امكن فما باله يسيء الظن بهم في استشفاعهم او استغاثتهم بالانبياء والصالحين وغيرها ويكفرهم ويشركهم بذلك ويجعل شركهم شركا اصليا ويستحل بذلك دماءهم واموالهم واعراضهم مع ان التأويل لهم ممكن هين واضح حتى في مثل ارزقني وعاف مريضي بارادة طلب الشفاعة وسؤال الدعاء كما فصلناه فيما مضى . (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

ثم انهم في هذه الفتوى المنسوبة لعلماء المدينة عللوا الاجماع بصحة الاحاديث وهو تعليل عليل لان صحة الحديث في نظرهم ودلالته عندهم وخلوه من المعارض لا توجب ذلك في نظر غيرهم فكيف يدعي الاجماع لدعوى صحة الحديث مع انك ستعرف عدم صحته وعدم دلالته فان ارادوا ان الاجماع واقع وعلة وقوعه صحة الاحاديث فالعلماء اجمعوا لما رأوا صحة الاحاديث فهو تخرص وتهجم على الغيب بغير دليل وكيف يدعى اجماع العلماء وقد توالت الاحقاب والاجيال على بناء القبور من جميع المسلمين على تفاوت طبقاتهم ونحلهم و مذاهبهم بدون منكر ومعارض الا من شذ ممن سبقته السيرة ولحقته كما عرفت آنفا فلو كان ذلك مجمعا عليه لما وقعت السيرة التي هي اقوى من الاجماع

على خلافه . قولهم: ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه . اذا كان مجمعا على تحريمه فلماذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه ولم لم يفتوا كلهم بوجوب هدمه ما هذا التناقض والتهافت في هذه الفتوى الواهية (الثاني) من ادلتهم حديث ابي الهياج المتكرر ذكره في كلمات الوهابية والمتقدم ذكره في الفتوى المنسوبة لعلماء المدينة. والجواب عنه : القدح فيه سندا ومتنا . اما سنده ففيه وكيع وهو مع كثرة ما مدحوه به قال في حقه احمد ابن حنبل انه اخطأ في خمسمائة حديث حكاه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب [١] عن عبد الله بن احمد عن ابيه وقال في آخر ترجمته [٢] قال محمد بن نصر المروزي كان يحدث بآخره من حفظه فيغير الفاظ الحديث كأنه كان يحدث بالمعنى ولم يكن من اهل اللسان (انتهى) . وفي سنده سفيان الثوري وهو مع كثرة ما مدحوه به ايضا نقل في حقه ابن حجر في تهذيب التهذيب [٣] عن ابن المبارك قال حدث سفيان بحديث فجئته وهو يدلسه فلما رآني استحيى وقال نرويه عنك وذكر في ترجمة يحيى القطان [٤] قال ابو بكر سمعت يحيى يقول جهد الثوري ان يدلس علي رجلا ضعيفا فما امكنه قال مرة حدثنا ابو سهل عن الشعبي فقلت له ابو سهل محمد بن سالم فقال يا يحيى ما رايت مثلك لا يذهب عليك شيء . وفي سنده حبيب بن ابي ثابت وهو مع توثيقهم له قال ابن حجر في تهذيب التهذيب [٥] قال ابن حبان كان مدلسا وقال العقيلي غمزه ابن عون وقال القطان له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة . الى ان قال : وقال ابن خزيمة في صحيحه كان مدلسا وقال ابن جعفر النحاس كان يقول اذا حدثني رجل عنك بحديث ثم حدثت به عنك كنت صادقا [٦] قال ونقل العقيلي عن القطان قال حديثه عن عطاء ليس بمحفوظ قال العقيلي وله عن عطاء احاديث لا يتابع عليها . وفي سنده ابو وائل وهو الاسدي شقيق بن سلمى الكوفي بدليل رواية حبيب بن ابي ثابت عنه فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب انه ممن يروي عنه وليس هو القاص عبد الله بن بحير . وكان ابن وائل

---

(١) الجزء ١١ صفحة ١٢٥ (٢) ج ١١ صفحة ١٣٠ (٣) ج ٤ صفحة ١١٥ (٤) ج ١١ صفحة ٢١٨ طبع الهند (٥) ج ٣ صفحة ١٧٩ (٦) هذا هو التدليس وهو ان يروي عن رجل لم يلقه وبينه وبينه واسطة فلا يذكر الواسطة — المؤلف —

هذا منحرفا عن علي (ع) مبغضا له وقد قال رسول الله « ص » لعلي (ع) لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة [١] ومنهم . اي المنحرفين عن علي (ع) ابو وائل شقيق بن سلمى كان عثمانيا يقع في علي (ع) ويقال انه كان يرى رأي الخوارج ولم يختلف في انه خرج معهم وانه عاد الى علي (ع) منيبا مقلعا روى خلف بن خليفة قال ابو وائل خرجنا اربعة الاف فخرج الينا علي فما زال يكلمنا حتى رجع منا الفان وروى صاحب كتاب الغارات عن عثمان بن ابي شيبة عن الفضل ابن دكين عن سفيان الثوري قال سمعت ابا وائل يقول شهدت صفين وبئس الصفين كانت قال وروى ابوبكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود قال كان ابو وائل عثمانيا (انتهى) ويؤيد انحرافه عن علي (ع) ما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب [٢] انه قال عاصم ابن بهدلة قيل لابي وائل ايهما احب اليك علي او عثمان قال كان علي احب الي ثم صار عثمان (انتهى) . هذا شأن سند الحديث .

واما متنه ففيه (اولا) انه شاذ انفرد به ابو الهياج بل قال السيوطي في شرح سنن النسائي [٣] انه ليس لابي الهياج في الكتب الا هذا الحديث الواحد (انتهى) . (ثانيا) انه لا دلالة فيه على شيء مما زعموه من عدم جواز البناء على القبور بل هو وارد في الامر بالتسطيح والنهي عن التسنيم فان المشرف وان كان معناه العالي الا ان التسنيم نوع من العلو او معنى من معانيه . ففي القاموس الشرف محركة العلو ومن البعير سنامه (انتهى) فالمشرف يشمل باطلاقه او بوضعه العالي بالتسنيم وبغيره الا ان قوله الاسويته قرينة على ارادة التسنيم من الاشراف لان التسوية التعديل. ففي المصباح المنير : استوى المكان اعتدل وسويته عدلته . وفي القاموس سواه جعله سويا (انتهى) فقوله الا سويته يعين ان المراد من الاشراف ما يقابل التسوية وليس هو الا التسنيم فان مطلق العلو لا يقابل التسوية لجواز أن يكون عاليا مستويا فلا يناسب مقابلة العالي بالمستوي بل اللازم ان يقول الا جعلته لاطئا او نحو ذلك وارادة الهدم من التسوية غير صحيحه ولا يساعد عليها عرف ولا لغة لان التسوية ليس معناه الهدم ولا تستعمل فيه الا بأن يقال سويته بالارض او نحو ذلك مع ان التسوية

(١) ج ١ صفحة ٣٧٠ طبع مصر (٢) ج ٤ صفحة ٣٦٢ (٣) صفحة ٢٨٦ ج ل

بالارض ليست من السنة بالاتفاق للاتفاق على استحباب رفع القبر عن الارض في الجملة وعلى كل حال فلا دلالة فيه على عدم جوازالبناء على القبور ولا ربط له بذلك فيجعل علو القبر نحو شبر ويجعل عليه حجرة او قبة . والحاصل انه سواء جعلنا معنى قوله ولا قبرا مشرفا الا سويته ولا قبرا مسنما الا سطحته وازلت سنامه كما هو الظاهر . او ولا قبرا عاليا الا وطيته ، لا ربط لذلك بالبناء على القبور . وما ذكرناه في معنى الحديث هو الذي فهمه منه العلماء وائمة الحديث . وروى مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز [1] بسنده عن ثمامة قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها ثم روى حديث ابي الهياج ومن الواضح ان قوله فأمر فضالة بقبره فسوي اي سطح ولم يجعله مسنما وكذا قوله سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها اي تسطيحها وليس المراد انه امر به فهدم لانه لم يكن مبنياً ولا المراد انه امر به فسوي مع الارض لان ذلك خلاف السنة للاتفاق على استحباب تعليتها عن الارض في الجملة كما عرفت فتعين ان يراد به التسطيح فكذا خبر ابي الهياج الذي عقب به مسلم وساقه مع هذا الحديث في مساق واحد وذلك دليل على انه حمل قوله ولا قبرا مشرفا الا سويته على معنى ولا قبرا مسنما الا سطحته . وقال النووي : في الشرح قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الاخرى ولا قبرا مشرفا الا سويته فيه ان السنة ان القبر لا يرفع عن الارض رفعاً كثيراً ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه (انتهى) فحمل التسوية على التسطيح وعدم رفع القبر كثيراً كما ترى . ومن العجيب ان بعض الوهابيين في رسالته المسماة بالفواكه العذاب احدى رسائل الهدية السنية الحاوية لمناظرة مؤلفها النجدي مع علماء الحرم الشريف بزعمه في عهد الشريف غالب سنة ١٢١١ استدل على عدم جواز البناء على القبور بحديثي فضالة وابي الهياج المذكورين مع انهما كما عرفت وارد ان في التسطيح ولا مساس لهما بعدم جواز البناء حتى لو سلمنا ان حديث ابي الهياج يدل على عدم الرفع كثيرا كما فهمه النووي في كلامه السابق فلا دلالة له على عدم جواز البناء على القبور فلو جعل علو القبر نحو شبر وبني عليه حجرة

---

(١) ج ٤ صفحة ٣١٢ بهامش ارشاد الساري

لم يكن ذلك منافيا للحديث المذكور كما عرفت ولكن هؤلاء يسردون الاحاديث ويجعلونها دالة على مرادهم بالسيف ومن ابى كفر واشرك « معزا ولو طارت » وقال القسطلاني : في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري (١) : روى ابو داود باسناد صحيح ان القاسم ابن محمد بن ابي بكر قال دخلت على عائشة فقلت لها اكشفي لي عن قبر النبي « ص » وصاحبيه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء اي لا مرتفعة ولا لاصقة بالارض كما بينه في آخر الحديث (انتهى) . ثم قال القسطلاني : ولا يؤثر في افضلية التسطيح كونه صار شعار الروافض لان السنة لا تترك بموافقة اهل البدع فيها ولا يخالف ذلك قول علي رضي الله عنه امرني رسول الله « ص » ان لا ادع قبرا مشرفا الا سويته لانه لم يرد تسويته بالارض وانما اراد تسطيحه جمعا بين الاخبار نقله في المجموع عن الاصحاب (انتهى). وقال الترمذي: باب ما جاء في تسوية القبور ولم يقل في هدم القبور ثم اورد حديث ابي الهياج وظاهر انه لم يحمل التسوية فيه الا على التسطيح لان ذلك هو معناها لغة وعرفا ولا ربط له بعدم جواز البناء عليها مع ان الوهابيين في الرسالة الآنفه الذكر (٢) او ردوا هذا الذي ذكره الترمذي دليلا على عدم جواز البناء .

(الثالث) من ادلتهم ما اشار اليه ابن بليهد في سؤاله الموجه لعلماء المدينة من قوله واذا كان البناء في مسبلة كالبقيع الخ . وفيه ان تسبيلها اي وقفها في سبيل الله مقبرة للمسلمين دعوى بلا دليل اذ لم ينقل ناقل ان احداً وقفها لذلك فهي باقية على الاباحة الاصلية ولو فرض وقفها مقبرة فليس على وجه التقييد بعدم جواز الانتفاع بها الا بقدر الدفن وعدم جواز البناء زيادة على ذلك حتى على قبر عظيم عند الله يصون البناء قبره عما لا يليق وينتفع به الزائرون لقبره ويستظلون به من الحر والقر عند زيارته وقراءة القرآن والصلاة والدعاء لله تعالى عند قبره الثابت رجحانه كما ستعرف ذلك كلا في محله ولا اقل من الشك في كيفية الوقف لو فرض محالا حصوله فيحمل بناء المسلمين فيه على الصحيح لوجوب حمل افعالهم واقوالهم على الصحة مهما امكن وكذا لو فرض محالا أننا علمنا انها كانت مملوكة فلا مناص لنا عن حمل البناء فيها على الوجه الصحيح الذي هو

(١) ج٢ صفحة ٤٦٨ (٢) صفحة ٨٤

ممكن لا يعارضه شيء وحينئذ فيكون هدمها ظلما محرما وتصرفا في مال الغير بغير رضاه وقد وقفها البانون وجعلوها مسبلة لانتفاع المسلمين الزائرين واستظلالهم بها وعمل البر فيها من الدعاء والصلاة وغيرها فهدمها ظلم للبانين والمسلمين ومنع لهم عن حقهم فما اوردوه دليل لهم هو دليل عليهم على ان كتب التواريخ والآثار دالة على ان ارض البقيع كانت مباحة او مملوكة لا مسبلة . ففي وفاء الوفا للسمهودي [١] روى ابن زبالة عن قدامة ابن موسى ان اول من دفن رسول « ص » بالبقيع عثمان بن مظعون . قال : وروى ابو غسان عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه لما توفي ابراهيم ابن رسول الله « ص » امر ان يدفن عند عثمان بن مظعون فرغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها . قال : وروى ابن ابي شبة عن قدامة بن موسى كان البقيع غرقداً [٢] فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه « انتهى » فهذا نص على ان البقيع كان مواتا مملوءاً بشجر الغرقد فاتخذه المسلمون مدافن لموتاهم ورغبوا فيه حين دفن النبي « ص » ولده ابراهيم فيه فاما ان تكون كل قبيلة ملكت قسما منه بالحيازة أو بقي على اصل الاباحة فاين التسبيل والوقف فيه ايضا [٣] قال ابن شبة فيما نقله عن ابي غسان قال عبد العزيز دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت اسد ابن هاشم في اول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل « انتهى » فدل على ان قبر العباس وقبور أئمة اهل البيت كانت في دار عقيل فاين التسبيل والوقف واي شيء سوغ التخريب والهدم وما قيمة هذه الفتوى المزيفة المبنية على هذا السؤال . وفيه ايضاً [٤] روى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير انه رأى قبر ابراهيم عند الزوراء قال عبد العزيز بن محمد وهي الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي « انتهى » وذلك يدل على ان هذه الدار كانت مملوكة . وفيه ايضاً [٥] عن ابن شبة عن عبد العزيز ان سعد بن معاذ دفنه رسول الله «ص» في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الاسود وهو المقداد بن عمرو وانما تبناه الاسود ابن عبد يغوث الزهري وهي الدار التي يقال لها دار ابن افلح في اقصى البقيع عليها جنبذة « انتهى » . وفي القاموس : الجنبذة وقد تفتح الباء او هو لحن كالقبة « انتهى » وهذا

---

(١) ج ٢ صفحة ٨٤ (٢) شجر مخصوص ولذلك قيل بقيع الغرقد — المؤلف — (٣) صفحة ٩٦ ج ٢ (٤) صفحة ٨٥ ج ٢ (٥) صفحة ١٠٠ ج ٢

صريح في انها كانت داراً مملوكة وكان عليها قبة وسيأتي في فصل الكتابة على القبور ان عقيلا لما حفر في داره بئراً وجد حجراً مكتوبا فيه هـذا قبر ام حبيبة بنت صخر ابن حرب وفي رواية اخرى انه وجده في دار علي بن ابي طالب فدل على ان محل قبرها كان مملوكا وكل هذه الاخبار مع دلالتها على الملك تدل على جواز البناء حول القبور والدفن في محل البناء وان سيرة المسلمين على ذلك .

(الرابع) من ادلتهم الاحاديث الناهية عن البناء عـلى القبور . روى مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» ان يجصص القبر وان يبنى عليه [١] . وروى الترمذي عن عبـد الرحمن ابن الاسود عن محمد بن ربيعة عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطأ . وروى ابو داود من حديث جابر ان رسول الله « ص » نهى ان يجصص القبر او يكتب عليه او يزاد عليه . وروى ايضا عن احمد بن حنبل عن عبد الرزاق عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر عن النبي «ص» نهى ان يقعد على القبر وان يجصص وان يبنى عليها . وروى ابن ماجة عن زهير ابن مروان عن عبـد الرزاق عن ايوب عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله « ص » عن تجصيص القبور . وروى ايضا عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبـد الله الرقاشي عن وهب عن عبد الرحمن بن زيد عن القاسم بن مخيمرة عن ابي سعيد ان النبي « ص » نهى ان يبنى على القبور . وروى النسائي عن هرون بن اسحق عن حفص عن ابن جريح عن سليمان ابن موسى وابي الزبير عن جابر نهى رسول الله « ص » ان يبنى على القبر او يزاد عليه او يجصص زاد سليمان بن موسى او يكتب عليه . وروى ايضا عن يوسف بن سعيـد عن حجـاج عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جـابر نهى رسول الله « ص » عن تقصيص القبور [٢] او يبنى عليها او يجلس عليها احد . ويحكى عن عمر انه رأى قبة عـلى قبر ميت فقال نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله او دعوه يظله عمله .

---

(١) زاد بعض الوهابية في رسالة الفواكه العذاب (وان يكتب عليه) راجع صفحة ٨٣ من الهـدية السنية طبع المنار بمصر وليست هذه الزيادة في الرواية راجع صحيح مسلم بهامش ارشاد الساري جزء ٤ ص ٣١٤ (٢) تقصيصها تشييدها بالقصة وهي الجص – المؤلف –

والجواب « اولا » انها ضعيفة السند . فحفص بن غياث وان وثقوه لكنهم قدحوا في حفظه وقالوا انه مدلس . ففي تهذيب التهذيب لابن حجر قال يعقوب ثقة ثبت اذا حدث من كتابة ويتقى بعض حفظه . وقال ابو زرعة ساء حفظه بعدما استقضي وقال داود ابن رشيد : حفص كثير الغلط وقال ابن عمار كان لا يحفظ حسنا وذكر الاثرم عن احمد ابن حنبل ان حفصا كان يدلس وقال ابن سعد كان ثقة مأمونا كثير الحديث يدلس وقال ابو عبيد الاجري عن ابي داود كان حفص بآخره دخله نسيان « انتهى » وكيف يكون ثقة مأمونا من يدلس . وابن جريج وان مدحوه فقد قدحوا في روايته وحفظه وقالوا انه مدلس قال ابن حجر في تهذيب التهذيب في حقه ، قال ابو بكر بن خلاد عن يحيى ابن سعيد كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الامانة وان لم يحدثك بها ابن جريج من كتابه لم ينتفع به وقال الاثرم عن احمد اذا قال ابن جريج قال فلان وقال فلان واخبرت جاء بمناكير واذا قال اخبرني وسمعت فحسبك به وقال المخراقي عن مالك كان ابن جريج حاطب ليل وقال عثمان الدارمي عن اسماعيل بن داود عن ابن معين ليس بشيءفي الزهري وقال جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد كان ابن جريج صدوقا فاذا قال حدثني فهو سماع واذا قال اخبرني فهو قراءة واذا قال قال فهو شبه الريح وقال الدارقطني تجنب تدليس ابن جريج فانه قبيح التدليس لا يدلس الا فيما سمعه من مجروح [1] مثل ابراهيم ابن يحيى وموسى بن عبيدة وغيرهما وقال ابن حبان كان يدلس « انتهى » . وابو الزبير قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : قال عبد الله بن احمد قال ابي كان ايوب يقول حدثنا ابو الزبير وابو الزبير ابو الزبير قلت لابي يضعفه قال نعم وقال نعيم بن حماد سمعت ابن عيينة يقول حدثنا ابو الزبير وهو ابو الزبير اي كأنه يضعفه وقال هشام بن عمار عن سويد ابن عبد العزيز قال لي شعبة تأخذ عن ابي الزبير وهو لا يحسن ان يصلي وقال نعيم بن حماد سمعت هشيما يقول سمعت من ابي الزبير فاخذ شعبة كتابي فمزقه وقال محمود بن غيلان عن ابي داود قال شعبة ما كان احد احب الي ان القاه بمكة من ابي الزبير حتى لقيته ثم سكت وروى احمد بن سعيد الرباطي عن ابي داود الطيالسي قال : قال شعبة لم يكن في الدنيا احب الي من رجل يقدم فاسأله عن ابي الزبير فقدمت مكة فسمعت منه فبينا انا

(١) فيترك ذكر المجروح فيخيل لآخذ الحديث انه صحيح وهو ضعيف — المؤلف —

جالس عنده اذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافترى عليه فقلت له يا ابا الزبير تفتري على رجل مسلم قال انه اغضبني قلت ومن يغضبك تفتري عليه، لا رويت عنك شيئاً وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء قلت لشعبة مالك تركت حديث ابي الزبير قال رأيته يزن ويسترجح في الميزان وقال يوسف بن عبد الاعلى سمعت الشافعي يقول ابو الزبير يحتاج الى دعامة وقال ابن ابي حاتم سألت ابي عن ابي الزبير فقال يكتب حديثه ولا يحتج به قال وسألت ابا زرعة عن ابي الزبير فقال روى عنه الناس قلت يحتج بحديثه قال انما يحتج بحديث الثقات وقال ابن عيينة كان ابو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير اذا لم نجد عمرو بن دينار ذهبنا اليه. وعبد الرحمن بن الاسود ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ولم يوثقه، ومحمد بن ربيعة، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: قال الساجي فيه لين وتبعه الأزدي ونقل عن عثمان بن ابي شيبة قال جاءنا محمد بن ربيعة فطلب الينا ان نكتب عنه فقلنا نحن لا ندخل في حديثنا الكذابين «انتهى». وعبد الرزاق في حديث ابي داود المراد به الصنعاني بقرينة روايته عن ابن جريح وهو مع مبالغتهم في مدحه وتوثيقه رموه بالتشيع والكذب حكاه في تهذيب التهذيب. وحديث ابن ماجة الاول رواته قبل ابي الزبير مجاهيل وابو الزبير قد علمت حاله. والثاني في سنده وهب وهو مجهول. وعبد الرحمن بن زيد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: قال ابو طالب عن احمد ضعيف وقال ابو حاتم عن احمد انه ضجع [١] في عبد الرحمن وقال الميموني عن احمد انه ضعف امر عبد الرحمن قليلا وقال روى حديثاً منكراً وقال الدوري عن ابن معين ليس حديثه بشيء وقال البخاري وابو حاتم ضعفه علي ابن المديني جداً وقال ابو داود اولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال ايضاً انا لا احدث عن عبد الرحمن وقال النسائي ضعيف وقال ابن عبد الحكيم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثا منقطعاً فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح وقال خالد بن خداش قال لي الداوردي ومعن وعامة اهل المدينة لا ترد عبد الرحمن انه كان لا يدري ما يقول وقال ابو زرعة ضعيف وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار فاستحق الترك وقال ابن سعد كان ضعيفاً جداً وقال ابن خزيمة

(١) في الصحاح التضجيع في الامر التقصير فيه ـ المؤلف ـ

ليس هو ممن يحتج اهل العلم بحديثه لسوء حفظه وقال الساجى عن الربيع عن الشافعي قيل لعبد الرحمن بن زيد حدثك ابوك عن جدك ان رسول الله (ص) قال ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين قال نعم قال الساجي وهو منكر الحديث وقال لصحاوي حديثه عند اهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف وقال الجوزجاني اولاد زيد ضعفاء وقال الحاكم وابو نعيم روي عن ابيه أحاديث موضوعة وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه «انتهى» (وحديثا) النسائي مع مشاركتهما في ضعف السند الذي فصلناه لباقي الاحاديث المشتركة معها في رجال السند في سند الثاني منها حجاج وهو حجاج بن محمد الأعور بقرينة روايته عن ابن جريح ففي تهذيب التهذيب انه يروي عنه وهو وان وثقه بعضهم لكن ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب انه خلط في آخر عمره وذكر ما يدل على انه حدث في حال اختلاطه قال وذكره ابو العرب القيرواني في الضعفاء بسبب الاختلاط .

(ثانياً) انها مضطربة المتن مع اشتراك روايات مسلم والنسائي والترمذي في ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر ورواية ابي داود معها في جابر القاضي بانها رواية واحدة (ووجه الاضطراب) ان في بعضها الاقتصار على التجصيص وفي بعضها زيادة البناء عليه وفي آخر التجصيص والكتابة والوطء وفي ثالث التجصيص والكتابة والزيادة عليه وفي آخر البناء عليه بدل الكتابة وفي بعضها البناء والزيادة والتجصيص والكتابة وفي بعضها القعود والتجصيص والبناء وفي بعضها الاقتصار على الكتابة كما يأتي في الفصل العاشر وفي بعضها التقصيص والبناء والجلوس ثم انه تارة عبر بالجلوس عليها وتارة بالقعود وتارة بأن توطأ والقعود عليها لا يخلو من اجمال (قال السندي) في حاشية سنن النسائي قيل اراد القعود لقضاء الحاجة او للاحداد والحزن بأن يلازمه ولا يرجع عنه أو اراد احترام الميت وتهويل الأمر في القعود عليه تهاونا بالميت والموت اقوال (وروي) انه رأى متكئاً على قبر فقال لا تؤذ صاحب القبر قال الطيبي هو نهي عن الجلوس عليه لما فيه من الاستخفاف بحق اخيه وحمله مالك على الحدث لما روي ان علياً كان يقعد عليه «انتهى» (وكذلك الزيادة عليه لا تخلو من اجمال لعدم ظهور المراد بالزيادة قال السندي في حاشية سنن النسائي (أو يزاد عليه) بأن يزاد على التراب الذي خرج منه او بأن يزاد طولا وعرضا عن قدر جسد الميت ألميت «انتهى» (والعجب) ان صاحب رسالة الفواكه العذاب

قال : ونهى « ص » ان يزاد عليهـا غير ترابها وانتم تزيدون التابوت والجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص « انتهى » ولم يعلم ان النهي عن زيادة التراب لا يدل على النهي عن وضع التابوت والجوخ وعمل القبة عند من يفهم معاني الالفاظ سيما عند من يبالغ في الاقتصار على مدلول الالفاظ كالوهابية في بعض حالاتهم مع ان النهي عن زيادة التراب هو للكراهة كما ستعرف ولا يعلم سره ولا حكمته ولا يشمل ذلك وضع التـابوت والجوخ وبناء القبة لا لغة ولا عرفا فان الزيادة على الشيء تكون من جنسه وسنخه فلو قال المولى لعبده لا تزد على هذا السمن او الزيت او اللبن فلا يفهم منه انك لا تضع فوقـه صندوقا او ماعونا او ثوبا او لا تبن فوقـه بيتا او لا تنصب خيمة لان ذلك لا يعد زيادة عليه لغة ولا عرفا فعمل الصندوق ووضع الجوخ وعقد القبة كلهـا من احترام القبر الذي ثبت ان له حرمة وشرفاً بمن حل فيه فهو راجح لا محذور فيه .

(ثالثا) ان النهي أعم من الكراهة والتحريم وهب انه ظاهر في التحريم لكن كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة مضافا الى فهم العلماء منه الكراهة هنا يضعف هـذا الظهور (قال النووي) في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث كراهة تجصيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء « الى ان قال » قال اصحابنـا تجصيص القبر مكروه والقعود عليه حرام وكذا الاستناد اليه والاتكاء عليه واما البنـاء فان كان في ملك الباني فمكروه وان كان في مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الشافعي والاصحاب قال الشافعي في الأم رأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما بني ويؤيد الهدم قوله ولا قبراً مشرفاً الا سويته «انتهى» (والحق) : الكراهة في الكل كما هو مذهب ائمة اهل البيت وفقهائهم لعدم ظهور النهي في مثل هذه المقامات في التحريم مع كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة . (هذا) اذا لم يترتب على بناء القبر منفعة ولم يـكن تعظيمه من تعظيم شعائر الدين لكونه قبر نبي او ولي او نحو ذلك لما ستعرف من توافـق المسلمين من عهد الصحابة الى اليوم على تعمير قبور الأنبياء والأولياء ومنها قبر النبي (ص) وحجرته التي دفن فيها وكراهة البناء والتجصيص مذهب الشافعي كما عرفت الا ان يكون البنـاء في مقبرة مسبلة مع ان بعضهم قال ان الحكمة في النهي عن التجصيص كون الجص احرق بالنار وحينئذ فلا بأس بالتطيين كما نص عليه الشافعي «انتهى» نقله السندي في حاشية سنن النسائي وذلك يناسب الكراهة لـكن الشافعي حرم القعود مع انه مسوق مع البنـاء

والتجصيص في هذه الأخبار بسياق واحد فالأولى فيه الكراهة ويدل عليها ما مر من الرواية عن علي انه كان يقعد على القبر وكذلك حمل الشافعي عدم زيادة التراب وعدم رفع القبر كثيراً على الاستحباب قال السيوطي في شرح سنن النسائي : قال الشافعي والاصحاب يستحب ان لا يزاد القبر على التراب الذي اخرج منه لهذا الحديث (يعني حديث او يزاد عليه لئلا يرتفع القبر ارتفاعاً كثيراً «انتهى» (اما) ما حكاه عن الائمة انه رآهم بمكة يأمرون بهدم ما يبنى فلعله لزعمهم انها مسبلة وقد عرفت في جواب الدليل الثالث انه لا دليل على الوقف والتسبيل وانه يجب حمل البانين على الصحة حتى يعلم الفساد ولم يعلم وحينئذ فيكون الهدم محرماً لأنه تصرف في مال الغير بغير اذنه اما ما ايد به النووي من قوله ولاقبراً مشرفا الا سويته فلا تأييد فيه لما عرفت من ان المراد به النهي عن التسنيم وعدم جواز ارادة الهدم من التسوية ومن ذلك يظهر ان استشهاد بعض الوهابيين في رسالة الفواكه العذاب بقول النووي قال الشافعي في الأم الخ شاهد عليه لا له فان الشافعي يقول بكراهة البناء اذا كان في ملكه والوهابيون يحرمونه مطلقاً وقد استشهد صاحب الرسالة ايضاً بكلام الأذرعي وابن كج الذي لا يرجع الى دليل غير مجرد التهويل بقوله انه مضاهاة للجبابرة والكفار وأي فائدة في قال فلان وقال فلان (ومما) مر ويأتي يظهر الجواب عن المحكي عن عمر من أمره بتنحية القبة « أي الخيمة » عن القبر وقوله دعوه يظله عمله فانه بعد تسليم ثبوته وحجيته محمول على الكراهة او صورة عدم النفع فيكون تضييعا للمال كما يرشد اليه قوله دعوه يظله عمله أي لا نفع له في ذلك وانما ينفعه عمله ويعارضه ما مر في الباب الثاني . ويأتي في فصل اتخاذ المساجد من رواية البخاري انه لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة على قبره سنة .

(رابعا) ان هذه الاحاديث مع الغض عن ضعف اسانيدها ودلالتها واضطراب متنها منصرفة الى غير ما يكون تعميره وتشييده والبناء فوقه من تعظيم شعائر الله وحرماته لكون صاحبه نبياً او وليا او صالحاً ولكونها بنيت لمصالح في الدين مهمة. منها ان تكون علامة ومناراً للقبر الذي ندب الشرع الى زيارته كما يأتي في فصل الزيارة وحفظاً له عن الاندراس . وقد علم رسول الله «ص» قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه (روى)

ابن ماجة [١] بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله « ص » أعلم قبر عثمن بن مظعون بصخرة (قال السندي) في الحاشية اي وضع عليه الصخرة ليتبين بها وفي الزوائد هذا اسناد حسن وله شاهد من حديث المطلب بن ابي وداعة رواه ابو داود (انتهى) وفي وفاء الوفا [٢] روى ابو داود باسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن بعض الصحابة لما مات عثمن بن مظعون ودفن أمر النبي « ص » رجلا ان يأتي بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه رسول الله (ص) وحسر عن ذراعيه (قال الراوي) كأني انظر الى بياض ذراعي رسول الله (ص) حين حسر عنهما ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أتعلم به قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي (قال) ورواه ابن شبة وابن ماجة وابن عدي عن انس والحاكم عن ابي رافع وروى قبل ذلك عن محمد بن قدامة عن ابيه عن جده لما دفن النبي (ص) عثمان امر بحجر فوضع عند رأسه (الحديث) ثم حكى عن عبد العزيز بن عمران انه قال سمعت بعض الناس يقول كان عند رأس عثمن بن مظعون ورجليه حجران . وهو يرشد الى جواز فعل كل ما يكون علامة ومناراً للقبر « قال » وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال كان عثمن بن مظعون اول من مات من المهاجرين فلحد له رسول الله (ص) وفضل حجراً من حجارة لحده فحمله رسول الله (ص) فوضعه عند رجليه فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر فأمر به فرمي به وقال والله لا يكون على قبر عثمن بن مظعون حجر يعرف به فأتته بنو امية فقالوا بئسما صنعت : عمدت الى حجر وضعه النبي فرميت به بئسما عملت فمر به فليرد فقال اما والله اذ رميت به فلا يرد ثم قال [٣] وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره ان رسول الله (ص) جعل اسفل مهراس [٤] علامة على قبر عثمن بن مظعون ليدفن الناس حوله (الى ان قال) فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة حمل المهراس فجعله على قبر عثمن (انتهى) (وكفى) بهذا الفعل دليلا على ما كان عليه مروان من الاستهانة بالدين وكأن الوهابية في هدمهم قبور الائمة والصحابة الصالحين ارادوا الاقتداء به . (ويأتي) في فصل الزيارة رواية ان فاطمة بنت رسول (ص) كانت تزور قبر حمزه

---

(١) صفحة ٢٤٣ ج ل (٢) صفحة ٨٥ ج ٢ (٣) صفحة ١٠٠ ج ٢ (٤) في القاموس المهراس حجر منقور يتوضأ منه — المؤلف —

ترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر وذلك يدل على استحباب مرمة القبر وحفظه من الاندراس وعمل ما يكون علامة ودليلا عليه فاذا ثبت استحباب ذلك فكلما كان ابلغ في حفظه وعدم اندراسه كبناء القبة عليه كان اولى بالاستحباب فان هذا بمنزلة العلة المنصوصة ومنه يعلم ان القبور يمتاز بعضها عن بعض بامتياز اصحابها في الدين وعدم بناء القباب ونحوها في ذلك العصر للعسر الحاصل للمسلمين واحتياجهم الى صرف الاموال ان وجدت فيما هو اهم، من الجهاد واعاشة المسلمين فلا يقاس به العصر المتأخر عن ذلك الذي اتسعت فيه احوال المسلمين « وكما » كان النبي « ص » واصحابه يقنعون من العيش بالبلغة وبيوتهم لاطئة مبنية باللبن وسعف النخل ومسجده المعظم عريش كعريش موسى وخطبته في الجمعة والعيد اولا الى جذع ثم عمل له منبر ولم يكن المنبر يمتاز كثيراً عن الجذع بغير الهيئة فلما قويت شوكة الاسلام واتسعت حال المسلمين واستولوا على كنوز كسرى وقيصر تغيرت حالهم في اللباس والمآكل والمشرب والمسكن ووسعوا المسجدين النبوي والمكي وأجادوا بناءهما وبناء الحجرة الشريفة وسائر المساجد، ولم يكونوا بشيء من ذلك عاصين ولا مبدعين كذلك بنوا على قبور عظماء الدين تعظيما لشأنهم كما فهموه من احكام دينهم تصريحا وتلويحاً . ولو سلمت الكراهة في سائر القبور لا تسلم في قبور الأنبياء وعظماء الشهداء كحمزة سيد الشهداء « ومنها » ان تكون حفظاً للقبر الذي ثبتت حرمته في الشرع عن دخول الدواب والكلاب ووقوع القاذورات عليه « والقبور » الشريفة اليوم في البقيع وغيره بعدما ارتكبه الوهابيون من الاعمال الوحشية في حقها، معرض لهذا كله .

(ومنها) استظلال الزائرين بها من الحر والقر عند ارادة الزيارة والصلاة بجانبها التي ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها وقراءة القرآن الذي ثبت انه ارجى للاجابة واوفر في الثواب ببركتها وبركة من حل فيها والتدريس فيها والقاء المواعظ وغير ذلك من الفوائد فهي بهذا الاعتبار داخلة في المواضع المعدة للطاعات كالمساجد والمدارس والرباطات « ومنها » ان في بنائها وتشييدها تعظيما لشعائر الاسلام .

« خامسا » انها مع الغض عما ذكر مهجورة متروكة لم يعمل بها احد من المسلمين قبل الوهابية ومن ضارعهم من عهد الصحابة الى يومنا هذا وما هذا حاله من الأحاديث لا يعمل به

ولا يعول عليه ولو فرض صحة سنده باعتراف الوهابية فضلا عن غيرهم ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود [1] ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به فانهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به اذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة « انتهى » وأي شذوذ عن قواعد الشرع اعظم من مخالفة عمل المسلمين من الصدر الاول الى اليوم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين وأي علة اكبر من ذلك ومن عمل بهـا أو ببعضها لم يحملهـا الا على الكراهة أو خصها بما لا يكون تعميره من اقامة شعائر الدين كقبور الانبياء والأوليـاء الصالحين . « أما عدم العمل بها » فمن وجوه « احدها » ان الكتابة المشتمل عليها بعضها لم يعمل بها احد كما ستعرف في فصلها « ثانيها » ان قبور الانبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام في القدس وقبور ابراهيم وبنيه اسحق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر الى بيت المقدس عليهم السلام في بلد الخليل كلها مبنية مشيدة قد بني عليها بالحجارة العادية العظيمة من قبل الاسلام وبقي ذلك بعد الفتح الاسلامي الى اليوم « فعن » ابن تيمية في كتابه الصراط المستقيم ان البناء الذي على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة الا انه قال كان باب ذلك البناء مسدوداً الى سنة الأربعمائة « انتهى » ولا شك ان عمر لما فتح بيت المقدس رأى ذلك البناء ومع ذلك لم يهدمه وسواء صح قول ابن تيمية انه كان مسدوداً الى الاربعمائة او لم يصح لا يضرنا لأنـه يدل على عدم حرمة البنـاء على القبور وقد مضت على هـذا البناء الأعصار والدهور وتوالت عليه القرون ودول الاسلام ولم يسمع عن احد من العلمـاء والصلحاء واهل الدين وغيرهم قبل الوهابية انه انكر ذلك أو أمر بهدمه أو حرمه او فاه في ذلك ببنت شفـة على كثرة ما يرد من الزوار والمترددين من جميع اقطار المعمور . وبذلك يظهر بطلان زعم الوهابية ان البناء على القبور حدث بعد عصر التابعين وقول ابن بليهد انه حدث بعد القرون الخمسة ويكذبه أيضاً مضافا الى ما يأتي في بناء الحجرة الشريفة النبوية ما سيأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور من وجود المسجد على قبر حمزه في المائة الثانية وما مر في هذا الفصل عند رد دليلهم الثالث من ان قبر العباس وائمة اهل البيت كانت في دار

---

(١) ص ٣١ طبع المنار بمصر .

عقيل مع عدم الفرق بين البناء الحادث والمستمر وان قبر ابراهيم ابن رسول الله «ص» كان في دار محمد بن زيد بن علي وان قبر سعد بن معاذ في دار ابن افلح وان عليه جنبذة اي قبة في زمن عبد العزيز ابن محمد الذي هو من اهل المائة الثانية بتصريح السمهودي كما يأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور (ثالثها) انها قد بنيت الأبنية على القبور في عهد الصحابة ومن بعدهم قبل المائة الخامسة وأولها قبر النبي (ص) فانه قد دفن في حجرة مبنية ودفن فيها صاحباه . ويظهر من السيرة النبوية لاحمد بن زيني دحلان ان ذلك كان بشبه وصية منه « ص » حيث قال : (١) واختلفوا في موضع دفنه « ص » فقال ابو بكر « رض » سمعت رسول الله « ص » يقول ما مات نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال علي وانا ايضاً سمعته رواه الترمذي وابن ماجة وفي رواية الموطأ ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه « انتهى » ولو كان البناء على القبور محرماً وواجب الهدم لهدمها الصحابة قبل دفنه « ص » فيها أو دفنوه « ص » في مكان لا بناء فيه اذ لا يتصور فرق بين البناء السابق واللاحق ولم يقل احد بالفرق . ولو كانت بمنزلة الاصنام كما يزعم الوهابيون لم يكن فرق بين البناء السابق واللاحق مع انهم قد بنوها لاحقاً بنى عليها عمر بن الخطاب حائطاً وهو اول من بناها وبنت عائشة حائطاً بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده وبذلك يبطل قولهم بعدم جواز الصلاة عند القبور وبناها عبد الله بن الزبير ثم سقط حائطها فبناه عمر بن عبد العزيز ثم لما وسع المسجد في خلافة الوليد بنى على البيت حظاراً وفي رواية انه هدم البيت الأول ثم بناه وبنى حظاراً محيطا به وتولى ذلك عمر ابن عبد العزيز وأزر الحجرة بالرخام ثم اعيد تأزيرها في زمن المتوكل الخليفة العباسي ثم جدد في زمن المقتفي ثم عمل في زمنه للحجرة مشبك من خشب الصندل والأبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز ثم لما سقط حائط الحجرة في دولة المستضيء اعيد بناؤه ثم لما احترق الحرم الشريف سنة ٦٥٤ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم آخر ملوك بني العباس واكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور ايبك الصالحي واخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر ثم اكمل تعميرها في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب مصر فعملت اول قبة على الحجرة الشريفة وهي القبة

(١) ص ٤٠٠ ج ٣ بهامش السيرة الحلبية طبع عام ١٣٣٠ بمصر .

الزرقاء بناها احمد بن عبد القوي ناظر قوص سنة ٦٧٨ ثم جددت في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ثم في ايام الملك الاشرف سنة ٧٦٥ ثم جددت في دولة الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ ثم جدد بناء الحجرة الشريفة سنة ٨٨١ في دولة الملك الاشرف قاتباي صاحب مصر وعمل عليها قبة سفلية تحت القبة الزرقاء ثم لما احترق الحرم الشريف ثانياً سنة ٨٨٦ اعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبة عظيمة بدل القبة الزرقاء والتي تحتها وذلك في دولة الملك الاشرف قاتباي ثم جدد بناؤها سنة ٨٩١ في دولة الملك الاشرف ولم يزل ملوك بني العباس يجددون ما انهدم منها وكذلك ملوك بني عثمان وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد منهم كما سيأتي تفصيل ذلك كله .

« ومما بني في عهد الصحابة » وبعده قبل المائة الخامسة ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا كما سيأتي في فصل الكتابة على القبور ان عقيلاً لما حفر بئراً في داره وجد حجراً مكتوبا عليه هذا قبر ام حبيبة فدفن البئر وبنى عليه بيتاً وان ابن السائب قال دخلت البيت فرأيت القبر « وبنى » الرشيد قبة على قبر امير المؤمنين علي « ع » كما عن عمدة الطالب وغيره وكان الرشيد في المائة الثانية ثم تتابع البانون في بنائها الى اليوم وفيها يقول الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور المتوفي سنة ٣٩١ في مطلع قصيدة :

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي

وعن الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وانواع الآلات والفرش ما لا يحد « انتهى » فيدل على وجود قبة عند دفن الكاظم عليه السلام وهو سنة ١٨٣ وعلى وجود مشهد في عصر الخطيب المولود سنة ٣٩٢ ولا بد ان يكون حدوثه قبل عصره « وذكر » المؤرخون وعلماء الأثر وجل من كتب في التراجم ان الائمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام دفنوا في قبة الحسن عليه السلام والعباس رضوان الله عليه بالبقيع وكانت وفاة زين العابدين « ع » سنة ٥٩ ووفاة الباقر عليه السلام في اوائل المائة الثانية في العشر الثاني منها ووفاة الصادق « ع» سنة ١٤٨ كما ذكروا بناء القباب والمشاهد على جملة من القبور قبل المائة الخامسة « مثل » ان الامام علي بن موسى الرضا دفن في القبة التي دفن فيها هرون الرشيد بطوس في دار حميد بن قحطبة

الطائي ويظهر ان الذي بنى تلك القبة على الرشيد هو ولده المأمون وكان كما عن السيوطي أماراً بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء « انتهى » وكان عصره حافلا بالعلماء وائمة الدين منهم الامام علي بن موسى الرضا امام اهل البيت ووارث علوم جده وآبائه الذي كان يصدر المأمون عن رأيه وعمل له الرسالة الذهبية ومسائله له مشهورة في مشكلات علوم الدين ولما رآه يتوضأ والغلام يصب على يديه الماء قال له يا امير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك احداً فصرف الغلام . فلو كان البناء على القبور محرماً لنهاه عن بناء القبة على قبر الرشيد مع انه لم ينهه بل اوصى ان يدفن في تلك القبة ومنهم الامامان الشافعي واحمد من ائمة المذاهب الاربعة وسفيان بن عيينة وغيرهم ولم ينقل ان احداً انكر عليه مع انهم انكروا عليه القول بخلق القرآن وصبروا على الحبس والضرب ولم يوافقوه عليه « ومثل » ان نهشل بن حميد الطوسي بنى قبة على قبر ابي تمام حبيب بن اوس الطائي الشاعر المشهور المتوفي سنة ٢٣٠ بالموصل « وانها » بنيت قبة على قبر بوران بنت الحسن بن سهل المتوفاة سنة ٢٧١ وان معز الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٩٣ دفن اولا في داره ثم نقل الى مشهد بني له في مقابر قريش الى غير ذلك مما يقف عليه المتتبع ويطول الكلام باستقصائه وكل ذلك يكذب ما زعمه الوهابية من ان البناء على القبور حدث بعد المائة الخامسة ويبين انهم يرسلون الكلام على عواهنه ويكيلون الدعاوى جزافا ويدل على مبلغهم من العلم وجهلهم بالتاريخ .

وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي ان المتوكل في سنة ٢٣٦ أمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقي صحراء وكان المتوكل معروفاً بالنصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب اهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك :

تالله ان كانت امية قد اتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمري قبره مهدوما
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

وعن المسعودي ان المتوكل أمر في سنة ٢٣٦ المعروف بالديزج بالمسير الى قبر الحسين بن علي وهدمه وازالة اثره وان يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن يقدم على

ذلك فكل خشي عقوبة الله فاحجم فتنـاول الديزج مسحاة وهدم أعالي قبـر الحسين فحينئذ اقدم الفعلة على العمل ولم يزل الامر على ذلك حتى استخلف المنتصر « انتهى » (وهذا) صريح في ان قبر الحسين « ع » كان مبنياً بناء عالياً مشيداً لقـوله فهدم أعالي القبر وان هدم قبور عظماء الدين كان معلوماً عند المسلمين قبحه ومغروساً ذلك في نفوسهم فلذلك لم يقدم الناس على هدم قبر الحسين « ع » مع بذل الرغائب ولذلك قبح جميع المسلمين فعل المتوكل وكتبوا هجاءه على الحيطان وعد فعله هذا من قبـائحه الشنيعة وذمه بذلك كل من كتب في التاريخ فالوهابية اقتدوا في اعمالهم بالمتوكل المعروف بالنصب الذي ساء جميع المسلمين بعمله هذا كما ساؤا هم جميع المسلمين بعملهم ثم أخذه الله اخذ عزيز مقتدر فسلط عليه الأتراك فقتلوه برأي ولده المنتصر شر قتلة .

ومن ذلك كله يعلم ان البناء على القبور لاحقاً وسابقاً غير محرم وانه راجح اذا كان على قبر نبي او ولي او عالم او عابد او غيرهم ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله تعالى وهذا الوجه مما يهدم كل أساس بنى عليه الوهابية شبهاتهم ولا يرتاب فيه الامكابر معاند فانك اذا احطت علماً بما سردناه عليك من تاريخ بناء الحجرة الشريفـة النبوية من مبدأ امرها الى يومنا هذا وما بني على قبور الصحابة والائمة والاولياء والصلحاء والشعراء والامراء وبعض النساء وغيرهم علمت ان المسلمين عموماً من الصدر الأول الى اليوم من جميع النحل والمذاهب الاسلامية متفقون على جواز البناء على القبور وعقد القبـاب عليها عدى الوهابية فانهم مخالفون لما عليه الامة الاسلامية جمعاء ولمذهب السلف الذين يتغنون دائما بانهم متبعون له حيث علمت ان الصحابة جميعا ومنهم الخلفاء الاربعة اتفقوا على دفنه « ص » في بيته وحجرته التي كان يسكنها مع زوجته عائشة وهي مبنية مسقفة ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفي على الصحابة عموماً ولو حرم ابتداء لحرم استدامة ثم دفن ابو بكر وعمر مع النبي « ص » في تلك الحجرة وعد ذلك اعظم منقبـة لهما ثم بنت عائشة حائطا في تلك الحجرة بينها وبين القبر الشريف وقد رويتم انه « ص » قال خذوا ثلثي دينكم عن عائشة ثم جدد بناء الحجرة الشريفة عمر بن الخطاب وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز صالح بني امية وعادلهم وزاهدهم ومعيد رونـق الخلافـة بعدما صارت ملكا عضوضا ورافع السب عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وراد

فدك الى اولاد فاطمة تورعا ثم تتابع ملوك الاسلام وامراؤهم في بنـاء الحجرة الشريفـة والقبة المنيفة جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وعصراً بعد عصر وخلفا عن سلف متقربين بذلك الى الله راجين ثوابه مفتخرين به امام رعاياهم وكان في أعصارهم وفي المدينـة المنورة من العلماء والصلحاء واهل الفضل والدينْ ما لا يحصى عددهم ولم يسمع من احد انه لامهم على هذا الفعل او خطأهم فيه او منعهم منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملوك والامراء وليس ترك ذلك شيئاً مخلا بسلطنتهم وسياستهم للملك حتى يخافهم العلماء فيه بل هو امر ديني محض لا يخالفـهم فيه ملك ولا امير ولا يخرج قصـد الملوك والامراء في ذلك عن احد امرين طلب الثواب منه تعالى والفخر عنـد الناس وكل ذلك لا يتم لهم مع نهي العلماء عنه وتحريمه فاذا لم يكن هذا الامر الذي اتفق عليه الصحابة من صدر الاسلام والتابعون وتابعو التابعين وعلماء المسلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل قطعيا ولا اجماعيا ففي اي حكم في الشريعة يمكن دعوى القطع والاجماع واذا لم يكن السلف قدوة في مثل هذا ففي أي شيء يقتدى بهم ويقول المرء عن نفسه انه سلفي على عادة الوهابيين .

« رابعها » ان حرمة قبور الانبياء والصلحاء بل كل مسلم وفضلها وشرفها وبركتهـا ملحق بالضروريات عند الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين لا يرتاب في ذلك أحد كما سيأتي في الفصل الثالث عشر واذا كان لها حرمة ومنزلة وشرف وبركة عند الله تعالى وجب أو رجح فعل كل ما يوجب احترامها وتعظيمها من زيارتها والبناء عليها وحفظها عن دوس الاقدام وروث الدواب والكلاب وغير ذلك لأن ذلك من تعظيم شعائر الله وحرماتـه وحرم كل ما يوجب اهانتها واحتقارها وامتهانها من هدمها وهدم حجرها وقبابها وجعلها معرضاً لوطء الأقـدام وروث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات فان ذلك كله لا شك انه اهانة لها ولإهلها فاذا ثبت ذلك وجب طرح كل حديث ناه عن البناء على القبور او آمر بهدمها لو فرض وجوده او تخصيصه بغير قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء لان ذلك اهانة لهم وقد دل العقل والنقل على حرمة اهانتهم ووجوب تعظيمهم احيـاء وامواتا . « لا يقال » انما يكون تعظيم تلك القبور راجحا لو لم يكن كفراً وشركا بكونه عبادة لها كعبادة الاصنام « لأنا نقول » بعد ما ثبت ان لها شرفاً وحرمة عند الله تعالى بما

بيناه لا يكون تعظيمها عبادة لها ولا كفراً ولا شركا بل تعظيمها تعظيم لله تعالى وعبادة له كتعظيم الكعبة والحرم والحجر الاسود والمساجد والمقام وكل شيء امر الله بتعظيمه من المخلوقات وقياس ذلك بعبادة الاصنام التي لم يجعل الله لها حرمة بوجه من الوجوه قياس فاسد كما اوضحناه مراراً . « لا يقال » انما يكون بناؤها والبناء عليها تعظيما لها لو لم يرد النهي الموجب لكونه محرما ولا تعظيم بمحرم وانما يكون هدمها وهدم ما بني عليها اهانة لو لم يرد الأمر به الموجب لكونه طاعة وهو عين الاحترام لها ولأصحابها بتنفيذ ما امر الله به فيها « لأنا نقول » كون بنائها والبناء عليها في نفسه احتراماً لها ولأصحابها وهدمها وهدم ما بني عليها في نفسه اهانة لها ولاصحابها عرفا مع قطع النظر عن ورود النهي والأمر مما لا يشك فيه احد وبعدما ثبت بالدليل القطعي السابق وجوب احترامها وحرمة اهانتها لا يمكن ان يكون النهي عن البناء والأمر بالهدم شاملا لها بل هو اما مطروح أو خاص بغيرها او مصروفا اليه لان الظن لا يعارض اليقين .

« خامسها » ان وجوب مودة اهل البيت عليهم السلام واحترامهم وحرمة اهانتهم احياء وامواتا مما نطق به الكتاب العزيز في قوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » وفسرت الآية مع ظهورها في نفسها السنة النبوية بأن المراد بالقربى هم اهل البيت الطاهر النبوي مما لا يسع المقام ذكره فلا ينافي ذلك تمحلات ابن تيمية وتأويلاته على عادته في الاجتهاد في محو كل فضيلة ومنقبة لاهل البيت الطاهر اما بانكار الحديث ولو استفاض واشتهر او تواتر او بتأويله او بدفعه بالاستبعادات [1] ونطقت بها

---

(١) كما دفع حديث «ان قتل علي لعمرو بن عبد ود يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين» تارة بتضعيف سنده وانه موضوع وتارة بانه كيف يكون قتل كافر افضل من عبادة الثقلين ومنهم الانبياء واخرى بان عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة . ورده صاحب السيرة الحلبية بان قتله كان فيه نصرة للدين وخذلان الكافرين وبان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احداً فلما كان يوم الخندق خرج معلما جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه « انتهى » واي عمل من الاعمال يعادل ضربته لعمرو بن عبد ود يوم الخندق حين عبر الخندق معلما يطلب البراز فجبن عنه الناس كلهم الا علي واي خذلان كان يقع على الاسلام لو لم يقتل علي عمرا فبتلك الضربة أعز الاسلام وقويت شوكته واشتد ساعده وابن تيمية يوهن امرها ويصغره « انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره » ـ المؤلف ـ

السنة الطاهرة كما في حديث الثقلين وغيره مما ليس هذا محل ذكره ومن مودتهم واحترامهم احترام قبورهم وحفظها بالبناء عليها عن ان تداس بالاقدام او تكون معرضاً لدخول الدواب والكلاب اليها وتوسيخها وتنجيسها ووقوع القاذورات عليها وعدم اهانتهم بهدم قبورهم وقبابهم المشيدة فان هدم قبر النبي او الولي يعد في العرف اهانة له واي اهانة. واحترام المؤمن فضلا عن النبي واجب حيا وميتا ومن احترامه ميتا النهي عن الجلوس على قبره والاتكاء عليه والاستناد اليه ووطئه بالاقدام كما مر في هذا الفصل وفي وفاء الوفا [1] روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن ابي حازم ونوفل بن عمارة قالوا كانت عائشة تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله (ص). قالوا وما عمل علي مصراعي داره الا بالمناصع [2] توقياً لذلك. (وقال) قبل ذلك ان عمر قال ان مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات وقال ابو بكر لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا (انتهى) ولا يخفى تبدل العناوين بحسب الزمان والمكان والاشخاص فتتبدل لذلك الاحكام. (فالأخبار) المتوهم دلالتها على خلاف ذلك مهجورة متروكة عند جميع المسلمين أو مصروفة الى غير قبورهم الشريفة وقبابهم المنيفة والأسئلة التي أوردناها على الوجه الرابع يمكن ان تورد هنا والجواب الجواب.

بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء امرها الى اليوم

اما ما وعدنا به من شرح وتفصيل بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء امرها الى يومنا هذا فنقول:

كانت الحجرة الشريفة التي دفن فيها رسول الله (ص) هي البيت الذي كانت تسكنه عائشة ام المؤمنين قال السمهودي في وفاء الوفا [3] كان من لبن وجريد النخل ثم حكى عن عمران بن ابي أنس ان بيوت النبي (ص) كانت اربعة بلبن لها حجر من جريد (قال) وبيت عائشة أحد الأربعة ثم حكى عن رواية ابن سعد انه لم يكن عليه حائط زمن النبي (ص) وان اول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب (قال) وليحمل على ان حجرة

---

(١) ص ٣٩٨ ج ل (٢) في القاموس النصع مثلثة جلد ابيض او ثوب «انتهى» وليس فيه ما يناسب المقام غير هذا ـ المؤلف ـ (٣) ص ٣٨٣ ـ ٣٩٠ ج ل طبع مصر.

الجريد التي كانت مضافة له ابدلها عمر بجدر ، جمعا بين الروايات (انتهى) وبقيت عائشة ساكنة في ذلك البيت بعد دفن النبي (ص) ودفن ابي بكر وعمر فلما دفن عمر بنت بينها وبين القبور جداراً فكان عمر اول من بنى جدار الحجرة الشريفة وثنته عائشة (قال السمهودي) في وفاء الوفا [1] روى ابن زبالة عن عائشة (رض) انها قالت ما زلت اضع خماري وأتفضل في ثيابي حتى دفن عمر فلم ازل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً (قال) وعن المطلب كانوا يأخذون من تراب القبر فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت «قال» وقال ابن سعد في طبقاته بسنده عن مالك بن انس قسم بيت عائشة باثنين : قسم كان فيه القبر وقسم تكون فيه عائشة وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا فلما دفن عمر لم تدخله الا وهي جامعة عليها ثيابها (ثم قال) قال عبيد الله بن ابي يزيد كان جداره قصيراً بناه عبد الله بن الزبير « انتهى » فهؤلاء هم السلف الذين يزعم الوهابية انهم قدوتهم ويسمون انفسهم السلفية وهؤلاء أصحاب رسول الله « ص » الذين يزعم الوهابية انهم على طريقتهم عملا بقوله « ص » ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة الا واحدة وهي من كان على مثل ما هو عليه واصحابه . « ثم قال السمهودي » قال الأقشهري قال ابو زيد بن شبة قال ابو غسان بن يحيى بن علي بن عبد الحميد وكان عالماً باخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم : لم يزل بيت النبي « ص » الذي دفن فيه هو وأبو بكر وعمر ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المزور الذى هو عليه اليوم حين بنى المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك وانما جعله مزوراً كراهة ان يشبه تربيعه تربيع الكعبة وان يتخذ قبلة فيصلى اليه . (اقول) وذلك انه جعل الحظار بهيئة التربيع ولما انتهى الى الزاويتين اللتين من جهة الشمال اخذ منهما خطين مائلين حتى التقيا في جهة الشمال وحدث منهما زاوية خامسة وذكر هذا الحظار النووي فيما سيأتي عنه في الفصل الحادي عشر « ثم » حكى السمهودي [2] عن رواية ابن سعد انه انهدم الجدار الذي على قبر النبي « ص » في زمان عمر بن عبد العزيز فأمر بعمارته « وعن » رواية ابن زبالة انه جاف بيت النبي « ص » من شرقيه فأمر عمر بن عبد العزيز ابن ورد ان يكشف

(١) ج ل ص ٣٨٥ (٢) ص ٣٨٦ ج ل

عن الأساس فظهر قدمان فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر ايهـا الأمير لايرو عنك فتانك قـدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له في الأساس « وفي رواية البخاري » من حديث هشام بن عروة ان القائل لهم ذلك هو عروة « قال السمهودي » وروي عن المطلب انه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز امر عمر « يعني ابن عبد العزيز » بقباطي فخيطت ثم ستر بها وأمر ابا حفصة وناسا معه فبنوا الجدار « وفي رواية » ان عمر بن عبد العزيز دعا وردان البناء فبناه بعدما ستر بالقباطي ومزاحم مولى عمر يناوله قال [1] ويستفاد من ذلك ان السبب في هذا البناء سقوط الجدار ولعله بسبب المطر كما يشير اليه بعض الروايات « ويدل » بعض الروايات التي نقلها ان سبب البناء ان الناس كانوا يصلون[2] الى القبر فأمر به عمر بن عبد العزيز فهدم الحائط ورفع حتى لا يصل اليه أحد وبعضها ان الوليد بن عبد الملك لما اشترى حجر أزواج النبي « ص » كتب الى عمر ابن عبد العزيز ان اهدمها ووسع بها المسجد فهدمها فلما ان بنى البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة (أقول) والظاهر ان عمر بن عبد العزيز لما انهدم حائط الحجرة الشريفة بناه ثم لما وسع المسجد أزال بناء الحجرة كله وبناه جديداً وجعل لها حظاراً . « قال » السمهودي [3] وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا بل فوقه شباك من خشب متصل بسقف المسجد . قال [4] وروى ابن زبالة عن محمد بن هلال وعن غير واحد من اهل العلم ان بيت رسول الله « ص » الذي فيه قبره وهو بيت عائشة الذي كانت تسكنه وانه مربع مبني بحجارة سود وقصة «اي جص» وبابه مسدود بحجارة سود وقصة ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر « وقال » السمهودي [5] انه لم ير للبيت عند انكشافه في العمارة التي ادركها بابا ولا موضع باب ورآه مربعـاً مبنياً بالاحجار السود المنحوتة (وحكى السمهودي) عن بعض العلماء في سبب ستر القبور ما وقع من وصية الحسن (ع) ان تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي (ص) فظن طائفة ان الحسين (ع) يريد دفنه في الحجرة فمنعوه وقاتلوه فلما كان عبد الملك أو غيره سدوا وستروا (ثم قال) وفيما قدمناه اشعار بان موضع القبور

---

(١) ص ٣٨٨ ج ل (٢) من الوصول – المؤلف – (٣) ص ٤٠٤ ج ل (٤) ص ٣٨٨ ج ل (٥) ص ٤٠١ ج ل .

كان مسقفاً تحت سقف المسجد كما يأتي التصريح به ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر والحجرة ولم يروا جوف الحجرة ثم استدل له بحديث جعل الكوة من قبر النبي « ص » الى السماء حتى لا يكون بينهما سقف وقد تقدم « الى ان قال » ثم اطلعنا في العمارة التي ادركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذي كان قبله « ثم » حكى [1] عمارة ابي البختري والي المدينة لهرون الرشيد التي كشف فيها سقف المسجد مما يلي الحجرة الشريفة فوق القبر في جمادى الأولى سنة ١٩٣ فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة فادخل مكانها خشباً صحاحا «انتهى» فهذه ايضا تصلح ان تعد من جملة عمارة الحجرة باعتبار انها فوقها « ثم » حكى [2] عن ابن النجار انه قال ان المتوكل في خلافته امر اسحق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله ان يؤزر الحجرة بالرخام ففعل وكانت خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ وتوفي سنة ٢٤٧ « وقال السمهودي » ان تأزير الحجرة بالرخام له ذكر في كلام يحيى بن عباد وذكر الخبر عن حجر كان في بيت فاطمة كان رسول الله (ص) يصلي اليه اذا دخل على فاطمة و كانت فاطمة عليها السلام تصلي اليه وولدت الحسنين عليهما السلام عليه وسيأتي في الفصل الرابع عشر . « قال راوي الحديث » ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ففقدناه عندما ازر القبر بالرخام وكان الحجر لاصقا بجدار القبر قريبا من المربعة « قال السمهودي » قال بعض رواة كتاب يحيى : الصانع هذا هو اسحق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة «انتهى» وحكى السمهودي[3] عن ابن النجار انه في خلافة المقتفي سنة ٥٤٨ جدد ذلك جمال الدين وزير بني زنكي وجعل الرخام حول الحجرة الشريفه قامة وبسطه (وحكى) في موضع آخر (٤) عن ابن النجار ان جمال الدين الأصفهاني الوزير المذكور عمل للحجرة الشريفة مشبكا من خشب الصندل والأبنوس واداره حولها مما يلي السقف أي على رأس الجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز فانه لم يبلغ السقف كما مر « انتهى » « وحكى ايضا » (٥) عن ابن النجار انه قال في كتابه الدرة الثمينة : في سنة ٥٤٨ سمعوا صوت هدة في الحجرة فأخبروا امير المدينة القاسم بن مهنى الحسيني فقال ينزل من يرى

---

(١) ص ٣٩٨ — ٣٩٩ ج ل (٢) ص ٤٠٨ ج ل (٣) ص ٤٠٨ ج ل (٤) ص ٤٠٥ ج ل (٥) ص ٤٠٦ ج ل

هذه الهدة فاختاروا عمر النسائي شيخ شيوخ الصوفية بالموصل فوجد ردماً أما من السقف أو من الحيطان فأزاله « قال » وقال انه من سنة ٥٥٤ الى زمانه لم يقع دخول الى الحجرة وقد توفي سنة ٦٤٢ (ولكن) حكى السمهودي عن الأقشهري بسنده عن الرحال احمد بن عاث انهم منذ قريب اربعين سنة سمعوا بالمدينة هدة في الحجرة الشريفة فكتب في ذلك الى الخليفة فاستشار الفقهاء فأفتوا ان يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد فاختاروا بدر الضعيف وهو شيخ فاضل من بني العباس يصوم النهار ويقوم الليل فدلي فوجد الحائط الغربي قد سقط وهو حائط دون الحائط الظاهر فصنع له لبن من تراب المسجد فبناه وكانت رحلته سنة ٦١٢ وقد قال قريباً من اربعين سنة فيكون ذلك في حدود ٥٧٠ ويكون في دولة المستضيء .

ثم احترق الحرم الشريف النبوي على ما ذكره السمهودي [1] نقلاً عن المؤرخين ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة ٦٥٤ بسبب ان احد الفراشين دخل الى حاصل المسجد ومعه نار فعلقت في بعض الآلات وأعجزه طفيها واحترق الحاصل والفراش والمسجد كله ولم يسلم سوى القبة التي احدثها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ لحفظ ذخائر الحرم لكونها بوسط صحن المسجد وبقيت سواري المسجد قائمة كأنها جذوع النخل اذا هبت الرياح تتمايل وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي (ص) فوقعا جميعاً في الحجرة الشريفة وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله ابي احمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان فوصلت الآلات والصناع مع ركب العراق في الموسم وابتدىء بالعمارة اول سنة ٦٥٥ وأرادوا ازالة ما وقع من السقوف على الحجرة الشريفة فلم يجسروا واتفق رأي امير المدينة منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنىء الحسيني وأكابر اهل الحرم ان يطالع الخليفة المستعصم بذلك فكتبوا اليه فلم يأت الجواب للاشتغال بفتنة التتر فتركوا الردم بحاله وأعادوا سقفاً محكماً فوقه على الحجرة الشريفة من الواح ثخينة جداً من الساج الهندي وسمروا بعضها الى بعض على قوائم من خشب وجعلوه اربع قطع كل قطعة كالباب العظيم وجعلوا عند ملتقى كل قطعتين مقصات من حديد وكلبوا بعضها الى بعض تكليباً محكماً وجعلوا تحته

«١» ص ٤٢٧ - ٤٣٢ ج ل .

ثلاث جزم من الساج الهندي تحمله ولم يجعلوا في تلك الالواح دهونا ولا نقوشا ولا كتابة غير ان النجار كتب اسمه على طرف السقف نقراً وكذلك سقف المسجد المحاذي للحجرة الشريفة مما يلي هذا السقف جميعه من الساج النقي ليس عليه دهان ولا نقوش فسقفوا في سنة ٦٥٥ الحجرة الشريفة وبعض المسجد ثم دخلت سنة ٦٥٦ فكان في المحرم منها استيلاء التتار على بغداد وقتل الخليفة فوصلت الآلات من مصر والمستولي عليها يومئذ الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز عز الدين ايبك الصالحي ووصلت آلات وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور بن عمر بن علي بن رسول فعملوا الى باب السلام ثم عزل صاحب مصر آخر سنة ٦٥٧ وتولى مكانه مملوك ابيه الملك المظفر وقتل بعد نحو احد عشر شهراً ولم تتم عمارة المسجد وتولى مكانه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي البندقداري فكمل في ايامه سقف المسجد . « وقال السمهودي » ان السلطان المذكور لما حج سنة ٦٦٧ أراد ان يجعل على الحجرة الشريفة مقصورة فعملها وارسلها سنة ٦٦٨ وعمل لها ابواباً وكانت نحو القامتين فزاد عليها الملك العادل زين كتبغا في ٦٩٤ شبا كا دائراً عليها حتى وصلها بسقف المسجد وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة وابوابها وقناديلها بأبواب الحجرة وقناديلها .

ثم عملت القبة الزرقاء وهي (اول قبة) عملت على الحجرة الشريفة « قال السمهودي » في وفاء الوفا [١] لم يكن قبل حريق المسجد الاول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة بل كان حول ما يوازي الحجرة النبوية في سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة مبنياً بالاجر تميزاً للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد واستمر ذلك الى سنة ٦٧٨ في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحي فعملت (القبة الزرقاء) وهي مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب اقيمت على رؤوس السواري وسمر عليها الواح من خشب ومن فوقها الواح الرصاص وفيها طاقة يرى المبصر منها سقف المسجد الاسفل وحولها على سقف المسجد ألواح رصاص ويحيط بها وبالقبة درابزين خشب مكان الحظير الاجر . (قال) ورأيت في الطالع السعيد الجامع اسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد في ترجمة الكمال احمد بن البرهان عبد القوي الربعي ناظر قوص انه بنى على الضريح النبوي

«١» ص ٤٣٥ ج ل .

هذه القبة المذكورة قال وقصد خيراً وتحصيل ثواب (انتهى) (أقول) ولم ينقل عن احد من اهل العلم والدين الذين كانوا في زمانه انهم انكروا ذلك لكون البناء على القبور وعقد القباب عليها شركا او محرما وكانت البلاد الاسلامية سيما الحرمين الشريفين غاصة بالعلماء « اما » ما حكاه السمهودي في وفاء الوفا من قول بعضهم انه اساء الأدب بعلو النجارين ودق الخشب فخارج عن المقام ان لم يكن مؤيداً لما نقوله من وجوب احترام قبر النبي (ص) ومخالفا لما تقوله الوهابية أو هو لازم قولهم من سقوط حرمة قبره (ص) مع ان هذا القول جمود وغباوة من قائله لأن علو النجارين ودق الخشب ليس فيه قلة احترام للمرقد الشريف لانه مقدمة وواسطة لإعلاء شأنه ورفع مناره فهو عين الإعظام والاحترام مع ان الضرورات تبيح المحذورات فما هو الا كصعود امير المؤمنين علي عليه السلام على منكب النبي (ص) يوم فتح مكة لإلقاء الأصنام عن ظهر الكعبة . ولو كان ذلك منافيا للأدب لما أوصى الصاحبان ان يدفنا بجنب النبي (ص) ولما نفذ الصحابة هذه الوصية مع استلزامها الضرب بالمساحي والمعاول والدق العنيف بجنب القبر الشريف مع ان ام المؤمنين كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله (ص) كما مر في هذا الفصل وسيأتي عن كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ان باني هذه القبة قلاوون الصالحي ولعل الاشتباه حصل من بنائها في ايامه (قال السمهودي) وقد جددت في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاختلت الالواح الرصاص عن وضعها فخشوا من كثرة الامطار فجددت واحكمت في ايام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة ٧٦٥ وقال قبل ذلك انه حصل خلل في سقف الروضة الشريفة وسقف المسجد في دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك في سنة ٨٥٣ وما قبلها على يد الأمير برد بك الناصر المعمار وغيره (قال) وظهر في بعض اخشابها خلل سنة ٨٨١ فعضدها متولي العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سمرت معها وقلع ما حولها من الواح الرصاص التي على أعلى السطح بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره فوجدوا الاخشاب حولها قد تأكلت فأصلحوها وأعادوا الالواح واضافوا اليها كثيراً من الرصاص وجددوا الدرابزين وكانت مياه الامطار تتسرب من بين تلك الالواح وتصل الى سقف الحجرة الشريفة وأثرت في الشباك الذي بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز فتأكل بعضه فأصلحه وفي الستارة التي على سقف الحجرة الشريفة فتأكل بعضها « وذكر »

السمهودي ايضاً في وفاء الوفا[١] ما يستفاد منه : انه لما ورد شاهين الجمالي المدينة المنورة منصرفه من جدة أروه الحائز المخمس على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم فتقرر انه ليس بضروري لأنه شق قديم في طول الحائط لا في عرضه مملوء بالجص والحائط ليس عليه سقف ثم في سنة ٨٨١ وردت المراسيم من الملك الاشرف قاتباي صاحب مصر بتفويض امر العمارة للجناب الشمسي بن الزمن (الى ان قال) ثم كان ما تقدم من نقض الرخام المؤزر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده فظهر الشق المتقدم ذكره وهو انشقاق قديم سد الأقدمون خلله بكسر الآجر وافرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فانشق البياض من رأس وزرة الرخام الى رأس الجدار فقشروا البياض واخرجوا ما في خلله من الجص والآجر فظهر بناء الحجرة المربع الذي هو جوف البناء المخمس المذكور وظهر شق في جدار الحجرة الداخل تدخل اليد فيه فعقدوا لذلك مجلسا حضره العلماء والقضاة والمشائخ والخدام وشيخهم وقر رأيهم على الهدم والبناء فشرعوا في الهدم والتنظيف وظهر من وصف البناء الداخل ما قدمناه من كونه مربعاً بأحجار منحوتة ولا باب فيه ولا موضع باب وتبين ما في الجدار الداخل من الانشقاق في موضعين فعزم متولي العمارة على هدم جدار الحجرة الداخل من جهة الشام بأجمعه فبدأ برفع السقف الذي وجد على الحجرة نفسها ثم عزموا على عقد قبة سفلية « أي تحت القبة الزرقاء المقدم ذكرها » على جدار الحجرة الداخل رعاية للاتقان والاحكام فشرعوا في هدم الجدار الشامي والشرقي من البناء الداخل فوجدوا في بعض الجدر لبناً غير مشوي طول اللبنة ارجح من ذراع وعرضها نصف ذراع وسمكها ربع ذراع وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع « قال » وظهر لي ان السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالاحجار لقصد الاحكام وكان ما عدى الاساس منها مبنياً باللبن في عهده « ص » وضعوا في البناء بعض اللبن بين الاحجار للبركة والعجب ان الشق لم يظهر الا في الجهة الخالية من اللبن والذي يظهر ان تلك الجهة سقطت واعيدت لاختلاف البنائين حتى ان الجدار الشرقي لم يكن مبنياً بالحجارة الموجهة الا من داخله دون خارجه وكتبوا محضراً وارسلوه الى ملك مصر الحال ثم هدموا من الجدار القبلي مما يلي المشرق جانباً نحو أربعة أذرع حتى بلغوا به

«١» ص ٤٤٢ — ٤٥٣ ج ١

ارض الحجرة وهدموا من الجدار الغربي مما يلي الشام نحو خمسة أذرع حتى بلغوا بـه الارض وذلك ليتأتى لهم احكام القبة التي عزموا عليها ولم يبق من اركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جداري القبلة والمغرب ثم هدموا من علو ما بقي من الجدارين المذكورين نحو خمسة اذرع فلم يبق من بناء الحجرة الا ما فضل منها وراموا تربيع القبة فعقدوا قبواً على نحو ثلث الحجرة من جهة الشرق لانها من تلك الجهة اطول وعقدوا القبة على ما بقي من الحجرة بالاحجار المنحوتة من الحجر الاسود وكملوها بالابيض وارتفاعها من داخل ارض الحجرة الشريفة الى اعلاها المغروز فيه هلالها اثنا عشر ذراعاً بـذراع العمل وارتفاع حائطها عن طرف القبو الذي بني عليه الحائط ذراعان الا ثلث بـذراع العمل وبيضوا تلك القبة وجميع جدرانها من خارجها بالجص ونصبوا بأعلاها هلالا من نحاس وهو قريب من سقف المسجد الاول فان هذه القبة تحته فصار على القبر الشريف قبتان هذه القبة والقبة الزرقاء التي فوقها وكان شروعهم في هدم الحجرة الشريفـة في الحادي عشر أو الرابع عشر من شهر شعبان سنة ٨٨١ وشروعهم في اعادة بناء الحجرة في السابع عشر منه من السنة المذكورة وفراغهم من بناء الحجرة والقبـة سابع شوال من تلك السنة ثم احترق ذلك كـله في حريق المسجد الثاني « انتهى ما يستفاد من كـلام السمهودي » .

الحريق الثاني في المسجد النبوي الشريف وعمل القبة البيضاء

قال السمهودي [١] ما حاصله : انه في الثلث الأخير من سنة ٨٨٦ ليـلة الثالث عشر من شهر رمضان احترق مسجد النبي (ص) في المدينة المنورة وسبب ذلك ان رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالريسية وصعد المؤذنون بقية المنائر وقد تراكم الغيم فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين وسقطت صاعقة اصاب بعضها هلال المنارة المذكورة فأودت بحياة الرئيس ومات لحينه صعقاً وسقطت في المسجد ولها لهيب كالنار فأصابت سقف المسجد الاعلى بين المنارة

(١) ص ٥٤٤ ج ل

الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبته ثقباً كالترس وعلقت النار فيه وفي السقف الاسفل ونودي بالحريق في المسجد فاجتمع امير المدينة الشريف زين الدين فيصل الجمازي وأهلها وصعد اهل النجدة بالمياه لاطفائها فعجزوا عن ذلك فحاولوا قطعها بهدم بعض ما امامها فسبقتهم ومات بسبب ذلك بضعة عشر نفسا واحترقت المنارة الرئيسية واحترقت ثياب الرئيس بعد موته وصار المسجد كالتنور واستولى الحريق على جميع سقفه وحواصله وما فيه من خزائن الكتب الا اليسير الذي امكنهم اخراجه ولما اشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الاعلى واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الاسفل والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز وسقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى فلما أصبحوا بدؤا باطفاء ما سقط على القبة المذكورة فسلمت وسقط من المسجد مائة وبضع وعشرون اسطوانا وما بقي أثرت فيه النار وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة واحترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر وغير ذلك وكتبوا الى سلطان مصر الملك الاشرف قاتباي بذلك ونظفوا ما حول الحجرة الشريفة وأداروا عليها جدارا من الآجر في موضع المقصورة المحترقة وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبوابا (ولما) وصل الرسول الى مصر وعلم سلطانها بذلك عظم عليه وأمر بتنظيف المسجد واهتم في امر العمارة وأمر بابطال عمائره المكية وبتوجه القيم عليها الامير سنقر الجمالي صحبة الحاج الاول بما يزيد عن مائة صانع مع كثير من الدواب والجمال وصحبته وصحبة اخيه الشجاعي شاهين والامير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف عشرون الف دينار وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور وينبع والمدينة الشريفة وجهز شمس الدين بن الزمن متولي العمارة الاولى في ربيع الاول سنة ٨٨٧ ومعه اكثر من مائتي جمل ومائة دابة وأزيد من ثلثمائة صانع وشرعوا في الهدم والتعمير فعمروا المسجد وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقود من الآجر وهي (القبة البيضاء) بدلا عن القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق (والظاهر انهم بنوها من الحجر او الآجر لا من الخشب) وكانت تلك على رؤوس السواري وجعلوا تلك الدعائم في موازاة الاساطين التي كان بينها درابزين المقصورة واحدثوا اسطوانا في جانب مثلث الحجرة من بناء عمر بن عبد العزيز ليشتد به

العقد الذي عليه القبة في تلك الناحية وزادوا دعامتين وعقداً الى جانب الاسطوانتين اللتين في جهة الوجه الشريف خشية من سقوط القبة وأبدلوا بعض الاساطين بدعائم وأضافوا الى بعضها اسطوانة اخرى وعقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق والشام وجعلوها قبوا بدل السقف واعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وأزالوا البناء الذي عمله اهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة وأبدلوا ما يلي القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد وجعلوا لبقيتها مما يلي الشام مشبكاً مشاجراً من الحديد وفاصلا عن يمين مثات الحجرة ويساره فيه بابان وكمل تعمير المسجد في اواخر شهر رمضان عام ٨٨٨ ثم ان القبة تشققت من اعاليها فرممت ثم تشققت ولم يفد فيها الترميم فارسل الملك الاشرف ـ الشجاعي شاهين الجمالي لما اشتمل عليه من الفضل والنبل واصابة الرأي وفوض اليه النظر في امرها فورد المدينة الشريفة في موسم عام ٨٩١ فاقتضى الحال هدم اعالي القبة فاتخذوا في الطاقات المحيطة بجوانبها سقفاً يمنع من سقوط ما يهدم منها الى ارض الحجرة الشريفة ثم شرع في هدمها واعادتها بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة فجاءت القبة حسنة مع الاتقان حتى انه استصحب الجبس من مصر واستعمله في البناء وكملت في عام ٨٩٢ ثم حكى عن ابن النجار انه قال ولم يزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الامراء على المدينة الشريفة ويمدونهم بالاموال لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوي (ولا شك ان الحجرة الشريفة وقبتها من جملة ذلك) فلم يزل ذلك متصلا الى ايام الناصر لدين الله أي الخليفة في زمنه فانه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الامامي الف دينار لعمارة المسجد وينفذ من الصناع عدة لكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الالف وينفذ من الحديد والرصاص والآلات شيئاً كثيراً (قال) ولما انتقل امر المدينة الشريفة الى ملوك مصر لم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف « انتهى ما اقتطفناه من كلام السمهودي في وفاء الوفا الذي كان عمل القبة البيضاء بدل الزرقاء في عصره » ولم يزل ملوك بني عثمان الذين كانت اليهم الخلافة الاسلامية يبعثون بالاموال الكثيرة لعمارة قبر النبي (ص) وحجرته وقبته ومسجده وقد جدد عمارة المسجد والقبة الشريفة النبوية بالبناء المحكم الموجود اليوم منهم السلطان عبد المجيد وابتدأ بذلك سنة ١٢٧٠ واستمر في تعميره نحو

اربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قاتباي سلطان مصر وأمر ببناء قبة ائمة البقيع بعين البناء الذي تبنى به قبة جدهم صلى الله عليه وعليهم وسلم فعارض في ذلك اهل المدينة ومنعوا من بناء قبة ائمة البقيع وتغييرها واعتلوا بان حولها قبور آبائهم واجدادهم ويصيبها ضرر بواسطة الهدم والتعمير كما انه لما عمل في زماننا شباك لضريحهم الشريف باصفهان من الفولاذ الدقيق الصنعة وباعاليه الاسماء الحسنى بالخط الجميل المذهب واستأذنت الدولة الايرانية من الدولة العثمانية في وضعه على ضريحهم المقدس فأذنت لها وجاء به السيد علي القطب رحمه الله الى جدة عارض اهل المدينة في وضعه على الضرائح المقدسة فبقي في جدة ثلاثة اعوام حتى بذل الايرانيون مبلغا عظيما من المال لاهل المدينة فرضوا بنقله ووضعه ولما حمل الى المدينة المنورة أرادو ازالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة ووضعه مكانه فمنع اهل المدينة من ذلك بحجة ان الصندوق الخشب وقف لا يجوز تغييره فاضطروا الى وضعه خارج الصندوق فنقصت ألواحه الفولاذية بسبب ذلك فاضطروا الى ا كاله بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه والكتابة عليها وقد رأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصرة عنه في الرونق عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١ وبعد ذلك عند تشرفي بزيارتها من دمشق وبقي هذا الشباك حتى ازاله الوهابية عام ١٣٤٣ حين استيلائهم على المدينة المنورة وهدمهم لقبة أئمة البقيع وقبورهم المقدسة وتشويههم لمحاسن تلك البقعة الشريفة في التاريخ المتقدم وبما بيناه واوضحناه من ان بناء الحجرة الشريفة كان قبل موت النبي (ص) ومنهم فهم مما رووه عنه ايصاؤه بدفنه فيها وتتابع الصحابة والتابعون وتابعوهم والمسلمون الى يومنا هذا في بنائها وبناء القباب عليها ظهر لك بطلان ما ذكره محمد بن اسماعيل اليماني في رسالته تطهير الاعتقاد بقوله : فان قلت هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة انفقت فيها الاموال « قلت » هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه (ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء امته وأئمة ملته بل هذه القبة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصلاحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الأول «انتهى» وذلك

ان هذه القبة وان بناها قلاوون الصلاحي الا انه تبع في بنائه اصحاب النبي (ص) الذين دفنوه في حجرة مبنية ثم بنتها عائشة وعمر وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وتتابع المسلمون في بنائها وفيهم التابعون وتابعو التابعين وعلماء الامة وأئمة الملة وكانوا يستشيرون العلماء والائمة في ذلك بل تكتب اليهم العلماء وتطلب منهم ذلك كما عرفته في تضاعيف ما ذكرناه من تاريخ بناء الحجرة من مبدئه الى منتهاه وبذلك تعلم انها أمور دليلية لا دولية كما زعم . فتحصل من مجموع ما ذكرناه ان تعظيم قبر النبي « ص » وقبور سائر الأنبياء ببناء القباب عليها وعمل الشباك والكسوة وغير ذلك مما يأتي راجح شرعا لا مانع منه ولا يعد عبادة لها كما توهمه الوهابية لأنها مما أمر الله بتعظيمه فتعظيمها عبادة لله وطاعة له كما بيناه في فصل مطلق تعظيم القبور (أما) باقي ما اشتملت عليه الفتوى من اتخاذ القبور مساجد واسراجها والتمسح والطواف بها وتقبيلها فسيأتي الكلام عليها في الفصول الخاصة بها وأما الذبح والنذر ودعاء اهلها فقد مر الكلام عليها كل في فصله الخاص به وأما التوجه الى حجرة النبي (ص) عند الدعاء فمر الكلام عليه في آخر فصل التوسل واما التذكير والترحيم في الاوقات المذكورة فمر عليه الكلام في الباب الاول .

الفصل العاشر في الكتابة على القبور

وهذا مما منعه الوهابية محتجين بما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن سعيد عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن سليمان بن موسى عن جابر نهى رسول الله (ص) ان يكتب على القبور شيء وبما مر في الفصل التاسع من رواية الترمذي نهى رسول الله « ص » ان تجصص القبور وان يكتب عليها ورواية ابي داود انه «ص» نهى ان يجصص القبر او يكتب عليه ورواية النسائي نهى رسول « ص » ان يبنى على القبر الى قوله : او يكتب عليه .

والجواب (اولا) بضعف السند فحديث ابن ماجة في سنده حفص بن غياث وابن جريح وقد علمت حالهما في الفصل التاسع وفيه سليمان بن موسى عن جابر وهو مرسل (قال ابن حجر) في تهذيب التهذيب ارسل سليمان بن موسى عن جابر وقال ابن معين سليمان بن موسى عن جابر مرسل وقال ابو حاتم في حديثه بعض الاضطراب وقال البخاري عنده مناكير وقال النسائي ليس بالقوي في الحديث وقال في حديثه شيء « انتهى » وباقي الأحاديث قد عرفت حالها في الفصل التاسع والحاكم وان صحح بعضها كما ستعرف فالجرح مقدم على التعديل فهذا حال الأحاديث التي يعتمد عليها الوهابية في مخالفة سيرة المسلمين

وتضليلهم (ثانيا) انها محمولة على الكراهة في صورة لا يكون للكتابة فائدة اما مع الفائدة ليعرف فيتعاهد بالزيارة والاستغفار واهداء ثواب القراءة وغير ذلك فلا وقرينة الكراهة جمعها مع غيرها مما ثبتت كراهته كما مر في الفصل التاسع ويمكن حمل الكتابة على كتابة الآيات القرآنية واسماء الله تعالى خوفا عليها من الاهانة (ثالثاً) انه لم يعمل بها احد من المسلمين وعملهم مخالف لها وما هذا حاله من الاخبار لا حجة فيه باعتراف الوهابية لاشتراطهم في حجية الخبر عدم الشذوذ والعلة كما مر في الفصل التاسع وكفى بما ذكر شذوذاً وعلة « قال » محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي في حاشية سنن النسائي [1] عند قوله أو يكتب عليه ، قال الحاكم بعد تخريج هذا الحديث في المستدرك الاسناد صحيح وليس العمل عليه فان أئمة المسلمين من الشرق والغرب يكتبون على قبورهم وهو شيء اخذه الخلف عن السلف وتعقبه الذهبي في مختصره بأنه محدث ولم يبلغهم النهي « انتهى » وهذا الاعتذار الذي ذكره الذهبي ليس بصحيح اذ من أين لنا العلم بأنه لم يكن في الزمن الاول مع انه يكفي اتفاقهم عليه في عصر من الاعصار لانه يصير بذلك اجماعا فكيف باتفاقهم اعصاراً وقروناً متعددة. وقوله لم يبلغهم النهي مقطوع بفساده فهذا النهي كان معلوماً عند العلماء ولولاهم لم يصل الينا (ويدل) على استمرار السيرة على الكتابة على القبور من عهد بعيد ما في وفاء الوفا عن المسعودي في مروج الذهب ان ابا عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين توفي سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالبقيع مع ابيه وجده قال وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي وعلي بن الحسين بن علي وقبر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام) « انتهى » وذكر ما يقتضي انه حين ذكر هذا كان في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة « وفيه » عن ابن شبة عن زيد بن السائب عن جده قال لما حفر عقيل بن ابي طالب في داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه هذا قبر ام حبيبة بنت صخر بن حرب فدفن عقيل البئر وبنى عليه بيتاً قال ابن السائب فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر (ثم قال السمهودي) روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال سمعت من يذكر

(١) ص ٢٨٥ ج ل .

ان قبر ام سلمة « رض » بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي وانه كان حفر فوجد على ثمانية اذرع حجراً مكسورا مكتوبا في بعضه ام سلمة زوج النبي « ص » فبذلك عرف انه قبرها وامر محمد بن زيد بن علي اهله ان يدفنوه في ذلك القبر بعينه (قال) وروى ابن زبالة عن ابراهيم بن علي بن حسن الرافعي قال حفر لسالم البانكي مولى محمد بن علي فاخرجوا حجراً طويلا فاذا فيه مكتوب هذا قبر ام سلمة زوج النبي (ص) فاهيل عليه التراب وحفر لسالم في موضع آخر « قال » وعن حسن بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي انه هدم منزله في دار علي بن ابي طالب قال فاخرجنا حجراً مكتوبا فيه هذا قبر رملة بنت صخر فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال هذا قبر ام حبيبة بنت ابي سفيان قال ويخالفه ما تقدم من ان قبرها في دار عقيل ولعله تصحف بعلي « انتهى » ويتضح من ذلك جليا ان الكتابة على القبور سيرة المسلمين من عهد الصحابة وما بعدهم فعقيل من الصحابة وقد وجد الحجر المكتوب على قبر ام حبيبة ومحمد بن زيد وجده على قبر ام سلمة .

الفصل الحادي عشر
في اتخاذ المساجد على القبور واتخاذها مساجد

اعلم انه قد ورد في بعض الاخبار ما يفيد النهي عن ذلك « روى النسائي » اخبرنا قتيبة حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس: لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (وروى ابن ماجة) حدثنا ازهر بن مروان ثنا عبد الوارث ثنا محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس لعن رسول الله (ص) زوارات القبور (ورواه) ابن ماجة بأسانيده عن سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن ابيه مثله . حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ابو نصر ثنا محمد بن طالب ثنا ابو عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة مثله (ورواه ابو داود) بلفظ زوارات القبور على ما نقله ابن تيمية في رسالة زيارة القبور وكذا ابن ماجة كما سمعت (وفي صحيح البخاري) باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور : لما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت ثم ذكر حديث عائشة عن النبي (ص) لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مسجداً قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير اني أخشى ان يتخذ مسجداً

(ورواه مسلم) الا انه قال مساجد فلولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً (ورواه) مسلم والنسائي ايضا الى قوله قالت وفي بعضها يحذر مثل ذلك (وفي رواية) لمسلم قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد « وفي رواية له » الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد اني انها كم عن ذلك (وروى النسائي) بسند فيه قتادة عن سعيد بن المسيب [١] لعن الله قوماً اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وبسنده) لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وروى) البخاري ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة اسمها مارية فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فقال رسول الله « ص » اولئك اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شر الخلق عند الله (ورواه) مسلم والنسائي نحوه قالا فيها تصاوير وقالا عند الله يوم القيامة (وعن الموطأ) وغيره عنه (ص) اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وأول) من فتح باب اتخاذ القبور مساجد للوهابية هو ابن تيمية ككثير من معتقداتهم فانه بعد ما أورد في رسالة زيارة القبور [٢] روايات الموطأ ومسلم وابي داوود وغيرها مما مر قال ولهذا قال علماؤنا لا يجوز بناء المسجد على القبور ثم قال ان الآيات والاخبار الواردة في المساجد لم يرد مثلها في المشاهد بل ورد النهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك « انتهى » ويأتي تمامه في الفصل الثالث عشر ولا يخفى ان تشدد ابن تيمية في امر المشاهد انما هو حنق منه على الشيعة الذين لا يألوا جهداً في التعصب عليهم بالباطل فان الرجل لا يقف به تعصبه عند حد وقد بلغ به حنقه على أتباع ائمة اهل البيت الطاهر ان أنكر جملة من مناقب أمير المؤمنين (ع) وفضائله المتواترة حتى فضل ضربته يوم الخندق كما فصلناه في فصل البناء على القبور وجاء في كتابه الذي سماه منهاج السنة بالغرائب ومما

---

(١) قتادة رمي بالقدر وبانه حاطب ليل يأخذ عن كل احد وبانه حدث عن ثلاثين رجلا لم يسمع منهم الى غير ذلك مما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب ثم قال : قال اسماعيل القاضي في احكام القرآن : سمعت علي بن المديني يضعف احاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفاً شديداً وقال احسب ان اكثر ما بين قتادة وسعيد فيها رجال « انتهى » ولعلنا لو بحثنا عن باقي اسانيد هذه الاخبار نجد فيها امثال هذا كثيراً لكن لم يتسع لنا الوقت للبحث عن جميعها — المؤلف — (٢) ص ١٥٩ — ١٠٦ طبع المنار بمصر .

جاء فيه بشأن المشاهد قوله : الرافضة بـدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين ، ومر له كلام آخر بشأن المشاهد في اواخر الباب الثاني . والله تعالى وعباده يعلمون انه غير صادق في ذلك فالشيعة وحدها لم تعمز المشاهد بل شاركها في ذلك جميع المسلمين حتى النـاصبة امثال ابن تيمية وذلك معلوم مشاهد لا يشك فيه احد. والشيعة لم تعطل المساجد، هذه بلادهم ومدنهم وقراهم مساجدها معمورة تقام فيها الصلوات والجماعات في جميع اقطار المعمور « ثم » انه يظهر من مجموع كلماته هذه انه يحمل جعل القبور مساجد على ما يعم الصلاة عندها وفي مشاهدها وبناء مسجد عليها ويحمل على الأخير النهي عن اتخاذ المساجد عليها كما يظهر من قوله : ولهذا قال علماؤنا الخ وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم الجوزية فانه قال في كتابه زاد المعاد [١] على ما حكي عنه ما ملخصه ان النبي « ص » حرق مسجد الضرار وأمر بهدمه فكذلك مشاهد الشرك احق بذلك وأوجب والوقف لا يصح على غير بر ولا قربة فيهدم المسجد اذا بني على قبر كما ينبش الميت اذا دفن في المسجد فلا يجتمع في دين الاسلام مسجد وقبر بل ايهما طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق « انتهى » .

واعتماداً على هذه الاحاديث هدم الوهابية المسجد الذي عند قبر سيد الشهداء حمزه بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحد بعدما هدموا القبة التي على القبر وأزالوا تلك الآثار الجليلة ومحوا ذلك المسجد العظيم الواسع فلا يرى الزائر لقبر حمزه اليوم الا اثر قبر على تل من التراب لاعتقادهم ان ذلك محرم بل شرك وكفر واستندوا في فتواهم المنسوبة الى علماء المدينة بعدم جواز اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها المتقدمة في الفصل التاسع الى الحديث الأول من هذه الاحاديث كما عرفت ولم يبينوا ما هو مرادهم من اتخاذها مساجد ولعل مرادهم ما يظهر من ابن تيمية كما تقدم فانه قدوتهم واول باذر لبذور مذهبهم « والجواب » عن الحديث المذكور الذي استندوا في فتواهم اليه ومنه يعلم الجواب عن الباقي: «اولا» بعدم صحة السند على رواية النسائي (فعبد الوارث) وان وثقوه لكن رموه بأنه كان يرى القدر (اي الاعتزال) ويظهره وانه ذم لبدعته وانه لولا الرأي لم يكن به بأس وان الحسن بن الربيع قال كنا نأتي عبد الوارث بن سعيد

---

(١) ص ١٦ ج ٢

فاذا حضرت الصلاة تركناه وخرجنا وان ابا علي الموصلي قال قلما جلسنا الى حماد بن زيد الا نهانا عن عبد الوارث نقل ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب (وابو صالح) مردد بين ميزان البصري وبين باذام مولى ام هاني بنت ابي طالب (والثاني) مقدوح فيه ففي تهذيب التهذيب في ترجمة ميزان البصري ابي صالح روى الترمذي في كتاب الجنائز من طريق عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس وذكر الحديث ثم قال فجزم ابن حبان ان اسم ابي صالح هذا ميزان ولم يذكر المزي ميزان هذا لانه مبني على ان ابا صالح المذكور في الحديث هو مولى ام هاني كما صرح بذلك في الاطراف ويؤيده ان علي بن مسلم الطوسي روى هذا الحديث عن شعيب عن محمد بن شحادة سمعت ابا صالح مولى ام هاني فذكر هذا الحديث وجزم بكونه مولى ام هاني الحاكم وعبد الحق في الاحكام وابن القطان وابن عساكر والمنذري وابن دحية وغيرهم « انتهى » وقال في ترجمة باذام ابي صالح مولى ام هاني : قال احمد كان ابن مهدي ترك حديث ابي صالح وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن عدي لم اعلم احداً من المتقدمين رضيه وقال ابن المديني عن القطان عن الثوري قال الكلبي قال لي ابو صالح كلما حدثتك كذب وقال العقيلي المغيرة يعجب ممن يروى عنه وقال عبد الحق في الاحكام ان ابا صالح ضعيف جدا وقال الجوزقاني انه متروك ونقل ابن الجوزي عن الازدي انه قال كذاب وقال الجوزجاني كان يقال له ذو رأي غير محمود وقال ابو احمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وقال ابن حبان يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه « انتهى » ولا يفيد مع هذا قول ابن حجر في تهذيب التهذيب وثقة العجلي وحده لان الجرح مقدم على التعديل (هذا) على رواية النسائي واما على رواية ابن ماجة الثانية (فعبد الله بن عثمان) وان وثقه بعضهم قال النسائي مرة ليس بالقوي وقال ابن حبان كان يخطىء وعن ابن معين احاديثه ليست بالقوية وعن علي بن المديني منكر الحديث ذكر ذلك كله ابن حجر في تهذيب التذيب (وابن بهمان) وان ذكره ابن حبان في الثقات الا ان ابن المديني قال لا نعرفه. كذا في تهذيب التهذيب (واما) على رواية ابن ماجة الثالثة ففي ميزان الاعتدال للذهبي محمد بن طالب عن ابي عوانة الوضاح لا يعرف روى عنه محمد بن خلف العسقلاني فقط « انتهى » « فهذه » حال الروايات التي يستند اليها الوهابية في

فتاواهم ويكفرون بهـا المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم واعراضهم ويدعون انهم هم الموحدون وغيرهم المشركون فتأملوا ذلك ايها المنصفون (ثانياً) باضطراب المتن مع وحدة السند في الكل الدال على انها رواية واحدة فهو على رواية النسائي زائرات القبور بصيغة اسم فاعل والمتخذين عليها المساجد والسرج وعلى رواية ابن ماجة زوارات القبور بصيغة المبالغة وبدون تلك الزيادة وأي اضطراب في المتن اعظم من ذلك (ثالثا) بعدم الدلالة على ما توهموه من عدم جواز الصلاة عند القبور وفي مشاهدها وبنـاء مسجد عليهـا اذ الظاهر انه اشارة إلى ما في رواية كنيسة الحبشة من قوله اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شر الخلق عند الله فاللام في قوله والمتخذين عليها المساجد للعهد ولما كان سبب الذم في رواية كنيسة الحبشة هو اتخاذ قبور انبيائهم مساجد بتلك الحالة وهي تصويرهم الصورة وعبادتها والصلاة والسجود اليهـا او اليها والى القبر كما يصلى الى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية كان سببه في رواية والمتخذين عليها المساجد هو هذا وكما تكون رواية كنيسة الحبشة مفسرة للروايات التي اطلق فيها لعن اليهود وغيرهم على اتخاذ قبور انبيائهم مساجد تكون مفسرة لهـذه الرواية اذ الروايات يفسر بعضها بعضا ويرشد الى ذلك قوله في رواية مسلم المتقدمة ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد الخ فعقب النهي عن اتخاذها مساجد لما حكاه عمن كان قبلهم فدل باجلى دلالة على ان المنهي عنه من اتخاذها مساجد هو ما كان من هذا السنخ ويرشد اليه ايضا ما في رواية الموطأ من تعقيبه ذم من اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لقوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد الدال على ان المراد من اتخاذها مساجد الصلاة اليها والسجود لها كما يصلى الى الاوثان ويسجد لهـا ويدل عليه قوله في رواية البخاري ومسلم ولو لا ذلك لابرزوا قبره غير اني اخشى او غير انه خشي ان يتخذ مسجداً لظهوره في ان معنى اتخاذه مسجدا السجود اليه لا اتخاذ المسجد حوله وبذلك يظهر عدم صحة الاستدلال عـلى ما زعموه برواية كنيسة الحبشة ولا بالروايات الاخر اذ الظاهر ان المراد في الجميع واحد وهو النهي عما كان يفعله السابقون من الصلاة الى قبور الانبياء والصلحاء وصورها الموضوعة في قبلة المصلي والسجود لها كما يصلى الى الوثن ويسجد له وهذا لا يفعله احد من المسلمين ولا يجيزه اما الصلاة لله تعالى عند قبر او

في مشهد طلبا لزيادة الثواب بشرف المكان الذي ثبت شرفه فلا مانع منه ولو لم يكن راجحا لم يكن محرما ولا تتناوله هذه الاخبار ولا تدل عليه كما لا تتناول مجرد وجود القبر في قبلة المصلي من دون قصد الصلاة اليه او الصلاة فوق قبر نعم هو مكروه كما يشير اليه عنوان البخاري المتقدم واستشهاده بضرب القبة على قبر الحسن ويمكن حمل جعل المساجد على القبور على السجود عليها فانه مكروه كما عرفت وكما يفهم من عنوان البخاري السابق ولا ينافيه اللعن فانه لتشديد الكراهة اذ هو لغة : الطرد ، وفاعل المكروه مطرود عن الثواب الحاصل له بتركه امتثالا لامره تعالى وقد ورد لعن المسافر وحده والآكل طعامه وحده والنائم في البيت وحده وورد لعن الله المحلل والمحلل له وتسمية المحلل بالتيس المستعار رواه ابن ماجة [١] بأسانيده عن ابن عباس وعلي وعقبة بن عامر عنه (ص) قال السندي في حاشية سنن ابن ماجه المحلل من تزوج مطلقة الغير ثلاثا لتحل له والمحلل له هو المطلق والجمهور على ان النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة واجاب من يقول بصحته ان اللعن قد يكون لخسة الفعل فلعل اللعن هاهنا لانه هتك مروءة وقلة حمية وخسة نفس اما بالنسبه الى المحلل له فظاهر واما المحلل فانه كالتيس يعير نفسه بالوطء لغرض الغير وتسميته محللا يؤيد القول بالصحة « انتهى » ونسبته الى الجمهور ان النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة منظور فيه « قال » الخطيب الشربيني في الاقناع [٢] على مذهب الشافعي لو نكح بشرط انه اذا وطىء طلقها او فلا نكاح بينهما وشرط ذلك في صلب العقد لم يصح النكاح (الى ان قال) ولو تواطأ العاقدان على ذلك قبل العقد ثم عقدا بذلك القصد بلا شرط كره (وفي الحاشية) قوله لم يصح النكاح وعليه حمل حديث لعن الله المحلل والمحلل له وهذا عندنا (اي الشافعية) وأما عند المالكية فعلى ظاهره فلا يصح التحليل مطلقا بهذا الشرط سواء وقع في صلب العقد او قبله (انتهى) وانت ترى ان ذلك كله مع التصريح بالاشتراط لا مجرد النية كما فهم من كلام السندي مع ان الرواية مطلقة ولا دليل على التقيد ونظيره اطلاق الكفر على جملة من المعاصي مع انها ليست كذلك كما مر في المقدمات « قال القسطلاني » في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري انما صور اوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون

---

(١) ص ٣٠٥ ج ل (٢) ص ١٤٨ ج ٢

الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك (الى ان قال) وهو « اي قوله بنوا على قبره مسجداً » مؤول على مذمة من اتخذ القبر مسجداً ومقتضاه التحريم لا سيما وقد ثبت اللعن عليه لكن صرح الشافعي واصحابه بالكراهة وقال البندينجي المراد ان يسوى القبر مسجداً فيصلى فيه وقال انه يكره ان يبنى عنده مسجد فيصلى فيه الى القبر واما المقبرة الداثرة اذا بني فيها مسجد ليصلى فيه فلم أر فيه بأساً لان المقابر وقف وكذا المسجد فمعناهما واحد قال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا منع المسلمين من مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه اليه فلا يدخل في الوعيد المذكور « انتهى » « وقال السندي » في حاشية سنن النسائي : اتخذوا قبور انبيائهم مساجد أي قبلة للصلاة يصلون اليها أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها ولعل وجه الكراهة انه قد يفضي الى عبادة نفس القبر سيما في الانبياء والاخيار وقال في موضع آخر مراده ان يحذر امته ان يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور انبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد اما بالسجود اليها تعظيما لها أو يجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة اليها قيل ومجرد اتخاذ مسجد في جوار صالح غير ممنوع «انتهى» وقال النووي في شرح صحيح مسلم قال العلماء انما نهى النبي «ص» عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الامم الخالية ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والتابعون الى زيادة في مسجد رسول الله «ص» حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة « رض » مدفن رسول الله «ص» وصاحبيه بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي اليه العوام ويؤدي الى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن احد من استقبال القبر ولهذا قال في الحديث ولو لا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا « انتهى » « اقول » وكل هذه الكلمات متوافقة على ان المحرم من اتخاذ القبور مساجد هو السجود اليها تعظيما أو جعلها قبلة او نحو ذلك كما يدل عليه

قول عائشة فلولا ذلك لابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا والمراد بابراز قبره هدم الحجرة الشريفة التي عليه وجعله بارزاً ظاهراً يراه الناس . وان الصلاة الى القبر لا بهذا القصد مكروهة وان اتخاذ مسجد بجوار صالح لا محذور فيه وان اخبار كنيسة الحبشة ظاهرة في ذمهم على تصوير الصور وعبادتها كما هو المألوف عند النصارى « وقول » النووي انهم لما احتاجوا الى زيادة في المسجد بنوا على القبر حيطانا مرتفعة الخ الظاهر انه اشارة الى الحظار الذي بناه عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة وجعله مزوراً من جهة الشمال بالصفة التي ذكرها النووي لان حيطان الحجرة كانت محيطة بالقبر الشريف من اول الامر كما مر في الفصل التاسع فقوله ثم بنوا جدارين اي بعد الفراغ من عمل الحظار المربع .

ومما يدل على ان النهي في هذه الاخبار مراد به الكراهة ذكر زائرات القبور أو زوارات القبور وتخصيص اللعن بهن دون الزائرين المحمول على الكراهة كما ستعرف تفصيل الكلام في فصل الزيارة وهذا دليل آخر على جواز اللعن من الشارع على فعل المكروه. فتحصل من ذلك ان هذه الاخبار بعد تسليم صحة أسانيدها لا ربط لها بما يحاوله الوهابية من عدم جواز البناء حول قبور الأنبياء وعقد القباب فوقها ووجوب هدمها (اولا) لانه ليس احد من المسلمين يجعل ذلك مسجدا (ثانيا) لو فرض فلا دلالة لتلك الاخبار على عدم جوازه كما عرفت بل ولا على كراهته اذ المسجد يكون خارجاً عن محل القبر ومحل القبر لا يصلى عليه ولا يجعل مسجداً وجعل المسجد بجوار قبر نبي او صالح لا مانع منه كما عرفت من تصريح علماء المسلمين بذلك والممنوع منه الصلاة اليه تعظيما له او السجود له ولا يفعل ذلك احد من المسلمين انما يسجدون لله تعالى ويصلون الى القبلة « ومما يدل » بأقوى دلالة لا يمكن لاحد دفعها على ان اتخاذ مسجد حول القبر جائز ومستحب ما فعله المسلمون وتتابعوا عليه في سائر الاعصار من توسيع مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار قبره الشريف وحجرته المنيفة في وسط المسجد بعدما كانت بجانبه الشرقي فاصبح المسجد محيطاً بها وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك وبقي كذلك الى اليوم بمرأى من علماء الأمة وصلحائها في كل عصر وكان المتولي لتوسيعه عمر بن عبد العزيز صالح بني أمية وفاضلهم وعادلهم الذي قال في حقه ابن سعد صاحب الطبقات

كان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثاً كثيراً وكان امام عدل حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب وقال في تهذيب التهذيب : قال ميمون بن مهران ما كانت العلماء عند عمر الا تلامذة وقال نوح بن قيس سمعت ايوب يقول لا نعلم أحداً ممن أدركنا كان آخذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه وقال أنس ما رأيت أحداً اشبه صلاة برسول الله « ص » من هذا الفتى الى غير ذلك من المدح العظيم الذي مدحه به ولم يسمع ان احداً من العلماء والفقهاء نهاه عن ذلك ولا افتى بتحريمه ولا جعله شركا وكفراً لا في عصره ولا بعد عصره الى اليوم قبل الوهابية وبذلك يعلم كذب قول ابن القيم السابق انه لا يجتمع في دين الاسلام مسجد وقبر الخ فان فيه رداً على اجلاء الصحابة الذين هم اعلم بسنة رسول الله « ص » منه ومن قدوته والذين يتغنى دائما هو وقدوته واتباعها بانهم اتباعهم في دعواهم انهم سلفيون والذين يعتقد انهم كالنجوم بأيهم اقتدى اهتدى في جعلهم قبره « ص » في وسط المسجد بعد توسيعه وعلى جميع المسلمين الى اليوم الذين رضوا بذلك وأقروه فيلزم تخطئة الامة جمعاء من عصر الصحابة الى اليوم وتصويب الوهابية وحدهم. وما بال الوهابية لم يهدموا المسجد الذي حول قبر النبي « ص » ويجعلوا قبره الشريف خارجا عن المسجد واقروا هذا المحرم المؤدي الى الشرك والكفر وقد صار الحجاز بأيديهم ولهم فيه الحول والطول واكتفوا باقامة بعض جنودهم حول الضريح المقدس بأيديهم عصي الخيزران يمنعون الناس من الدنو الى القبر الشريف ولمسه وتقبيله ومن لم يمتنع قرعوه بالخيزران وربما قرعوا بالخيزران على القبر الشريف اعلاماً للزائر الغير الملتفت ان لا يدنو من القبر كما حدثنا بذلك جملة من الزوار ولا يمكنون احداً من الدنو الا ببذل بعض القطع الفضية فيشيرون اليه من طرف خفي اذا لم يرهم احد فان كان المانع لهم خوف هياج الرأي العام الاسلامي فقد هاج عليهم بهدمهم لمشاهد ائمة المسلمين ولم يبالوا.

ومما يدل على جواز بناء المساجد عند قبور الصالحين او على قبورهم تبركا بهم قوله تعالى (وقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) في الكشاف « قال الذين غلبوا على امرهم » من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم « انتهى » ونحوه عن تفسير الجلالين عن [illegible] في [illegible] التنزيل قال المسلمون نبني عليهم مسجداً يصلي فيه [illegible] لرب

العالمين « انتهى » وعن ابن عباس قال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا « انتهى » وعن النيشابوري في غرائب القرآن (الذين غلبوا على أمرهم) وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظاً لتربتهم « انتهى » وفي مجمع البيان (قال الذين غلبوا) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد عن الجبائي (لنتخذن عليهم مسجداً) متعبداً وموضعا للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه تبركا بهم ودل ذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين « انتهى » فقد حكى الله تعالى مقالة المسلمين من غير رد عليهم ولا انكار لعله ذكرها في معرض المدح فيكون ذلك تقريراً لها وانما حكى الله تعالى قصص الماضين لتعتبر بها هذه الامة وتقتدي بالحسن منها وتتجنب القبيح . ومن الغرائب ما يحكى عن شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب انه قال بعد ذكر الاية هذا دليل على ان الذين غلبوا هم الكفار اذ لو كانوا مؤمنين ما ارادوا ان يتخذوا على قبور الصالحين مسجدا لان النبي «ص» لعن فاعل ذلك «انتهى» فكأن معتقدات الوهابية عند هذا الرجل وحي منزل فلذلك تكون ناسخة للقرآن الكريم ويجب حمله عليها ولا يجوز تطبيقها عليه وهل يلتفت الى هذا الاحتمال السخيف بعد اطباق المفسرين على خلافه ومنهم ابن عباس ترجمان القرآن وامام المفسرين ومخالفته لظاهر الاية وسياقها كما يفهم مما مر مع ان ظاهر قوله تعالى (اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً) ان الجميع كانوا متفقين على البناء الذي يحرمه الوهابية وانما كان التنازع في كيفيته فالوهابيون بمنعهم البناء على القبور قد خالفوا المسلمين والكافرين وقد نجى الله ذلك الملك المسلم ورعيته المسلمين في حياتهم فلم يكن في زمانهم وهابية والا لكفروهم بعد اسلامهم وشركوهم بعد توحيدهم لبنائهم مسجداً على اهل الكهف وتبركهم بهم لكنهم لم يسلموا من الوهابيين بعد موتهم وبعد ان مضى على موتهم الوف مؤلفة من السنين فكفروهم بعدما صاروا ترابا في قبورهم .

ومما يدل على جواز بناء المساجد على القبور ما في وفاء الوفا للسمهودي [1] عن ابن

---

(١) ص ٨٨ ج ٢

شبة عن عبد العزيز بن عمران بسنده الى محمد بن علي بن ابي طالب في حديث ذكر فيه وفاة فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب . الى ان قال : فلما توفيت خرج رسول الله « ص » فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة « الحديث » قال السمهودي وقوله في موضع المسجد الخ يقتضي انه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان « انتهى » (وقوله) في موضع المسجد الخ الظاهر انه من كلام ابن الحنفية المتوفى سنة ٨١ فيكون المسجد قبل ذلك وفي وفاء الوفا [1] قال عبد العزيز الغالب عندنا ان مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزه « انتهى » وقال قبل ذلك [2] سيأتي عن عبد العزيز بن عمران انه كان على قبر حمزه قديماً مسجد وذلك في المائة الثانية « انتهى » .

الفصل الثاني عشر

في الاسراج على القبور

وهذا مما منعه الوهابية محتجين بالحديث المتقدم في الفصل السابق (لعن الله زوارات القبور او زائرات القبور المتخذين عليها المساجد والسرج) واستناداً الى هذه الرواية منع الوهابيون اضاءة قبر النبي « ص » هذه السنة اعني سنة ١٣٤٦ بعدما كانوا يضيئونه في العام الماضي على ما اخبرنا به الحجاج (والجواب عن هذا الحديث بضعف السند كما بيناه في الفصل السابق ومع تسليم السند فهو محمول على صورة عدم المنفعة لانصرافه الى ذلك فيكون تضييعاً للمال او على غير قبور الانبياء والاولياء الذين دل الشرع على رجحان تعظيمهم احياء وامواتا اما اسراجها لقراءة القرآن والادعية والصلاة وانتفاع الزائرين والبائتين فيها فليس مكروها ولا محرما للنفع الظاهر في ذلك فيكون من التعاون على البر والتقوى المأمور به في الكتاب المجيد ويكون نظير ما حكي عن الترمذي انه روى عن ابن عباس ان النبي « ص » دخل قبراً ليلا فأسرج له سراج قال العزيزي في شرح الجامع الصغير [3] في شرح قوله (والسرج) : محل ذلك حيث لا ينتفع بها الاحياء « الى

(١) ص ١١٥ ج ٢ (٢) ص ١٠٥ ج ٢ (٣) ص ١٩٨ ج ٣

ان قال » فان كان هناك من ينتفع به صح ذلك « انتهى » وقال السندي في حاشية سنن النسائي : والنهي عنه لانه تضييع مال بلا نفع « انتهى » فدل على انه لانهي حيث يكون هناك نفع (وقال) الشيخ الحفني في حاشية الجامع الصغير يحرم اسراج القنديل على قبر ولي ونحوه حيث لم يكن من ينتفع به لما فيه من اضاعة المال لا لغرض شرعي « انتهى » .

الفصل الثالث عشر

في الدعاء والصلاة عند القبر الشريف وغيره والتوجه اليه عند الدعاء

وهذا أيضاً مما منعه الوهابية وجعلوه شركا وكفراً (وقال) قدوتهم ابن تيمية في رسالة زيارة القبور [٢] ان الصحابة كانوا اذا جاؤا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون عليه فاذا ارادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده كما في سائر البقاع « اي لا يتوسلون بالنبي ص » (الى ان قال) ولهذا لم يذكر أحد من ائمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهدها مستحبة ولا ان الصلاة والدعاء هناك افضل منها في غيرها بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة في المساجد والبيوت افضل منها عند قبور الانبياء والصالحين سميت مشاهد او لم تسم ثم ذكر بعض الآيات والاخبار الواردة في المساجد كقوله تعالى انما يعمر مساجد الله وقوله (ص) من من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وقال انه لم يرد مثلها في المشاهد « انتهى » (ونقول) يدل على جواز الصلاة والدعاء عند قبر النبي (ص) وقبور سائر الانبياء والصالحين عموم واطلاق ما دل على جواز الصلاة والدعاء في كل مكان ويدل على رجحان ذلك ما فهم من الشرع من رجحان الصلاة والدعاء ومطلق العبادة في كل مكان ثبت شرفه في الشرع ولا شك في تشرف المكان بالمكين الموجب لتشرف قبر رسول الله « ص » بحلول جسده الشريف فيه ويدل عليه عمل المسلمين خلفا عن سلف ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبي « ص » قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله «الآية» الشامل لحالتي الحياة والموت وان حرمته (ص) ميتاً كحرمته حياً كما قاله مالك للمنصور على ما مر في التوسل وذكر جميع علماء المسلمين من اهل المذاهب له في كتب

(١) ص ١٥٩ — ١٦٠

المناسك وذكرهم الدعاء المشتمل على الاستشهاد بالاية المذكورة ولنعم ما قال شمس الدين الجزري في الحصن الحصين على ما حكي عنه : ان لم يجب الدعاء عند النبي (ص) ففي اي موضع يستجاب « انتهى » وسيأتي في فصل زيارة القبور ان فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة في كل جمعة فتصلي وتبكي عنده (وفي رواية) انها كانت تزور قبور الشهداء بأحد بين اليومين والثلاثة فتصلي هناك وتدعو وتبكي وابن تيمية يقول لم يذكر احد من ائمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهدها مستحبة (واما استقباله « ص » عند الدعاء) فلا مانع منه لقوله تعالى اينما تولوا فثم وجه الله بل هو راجح بقصد التبرك بمواجهته المرجو معها استجابة الدعاء وبقصد التوسل والتشفع به الثابت رجحانه كما بيناه في تضاعيف ما مر بل يدل قول الامام مالك للمنصور المتقدم في فصل التوسل على ان استقباله « ص » افضل من استقبال القبلة او مساوله ولا ينافي ذلك ما دل على ان افضل الجهات جهة القبلة لان العام يخصص والمطلق يقيد وفي قول المنصور لمالك استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله (ص) دلالة واضحة على ان الدعاء عند القبر الشريف كان مشهوراً معروفاً لا يشك احد في رجحانه وانما الذي توقف فيه المنصور ان استقبال القبلة حال الدعاء افضل ام استقبال القبر (أما) قول ابن تيمية : لم يقل احد من ائمة المسلمين ان الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدها افضل منها في غيرها فيكذبه خبر مالك امام دار الهجرة مع المنصور المشار اليه واما كون الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدها افضل منهما في غيرهما فيكفي فيه ما دل على شرف تلك البقاع بشرف من دفن فيها الذي صار ملحقاً بالضروريات في شرع الاسلام كما شرف جلد الشاة بكونه جلداً للمصحف وما الذي يمنع من الصلاة لله عندها والارض كلها لله تعالى وقد قال النبي « ص » جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً والصلاة جائزة في كل بقاع الارض سيما الشريفة منها بعد ان تكون لله تعالى والممنوع منه الصلاة الى القبر تعظيما له او السجود له كما مر في فصل اتخاذ المساجد على القبور اما الصلاة بقربه تبركا بالمكان المدفون فيه فلا مانع منها لثبوت شرف المكان بالمكين ضرورة كما تكرر ذكره والعبادة لله لا للقبر كما ان الصلاة لله في المسجد طلباً لشرف المكان مستحبة وليست عبادة للمسجد فالمسلمون يصلون

عند قبور شرفت بمن دفن فيها لتنالهم بركة اصحابها الذين جعلهم الله مباركين كما يصلون عند المقام الذي هو حجر شرف بملامسة رجل ابراهيم الخليل (ع) لقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى.) الذي يفهم منه ان سبب اتخاذ المصلى عنده تبركه بقيامه عليه ويدعون الله عندها لشرفها ايضا بمن دفن فيها فيكون دعاؤهم عندها ارجى للاجابة كالدعاء في المسجد او الكعبة او احد الامكنة او الازمنة التي شرفها الله ولكن ابن تيمية تعود سرد الدعاوى المنفية بلا دليل بل مصادمة للضرورة وتتابع ادوات النفي لترويج مدعياته كما ان دعواه اتفاق ائمة السلف كلهم على ان الصلاة في البيوت افضل منها عند قبور الانبياء والصالحين دعوى مجردة عن الدليل فمن هو الذي صرح بذلك من ائمة السلف فضلا عن كلهم فليأتنا بواحد منهم ان كان من الصادقين (وعن الخصائص الكبرى للسيوطي) في قصة المعراج عن النبي « ص » قال فركبت ومعي جبرئيل فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى « انتهى » ومنه يفهم ان محل ولادة عيسى ينبغي الصلاة فيه كطيبة وطور سيناء لفضله وبركته بولادة عيسى فيه افلا يكون المكان الذي بورك بوجود جسد النبي « ص » فيه مباركا مستحقا لاستحباب الصلاة وعبادة الله تعالى فيه ولا يكون مكان ولادة النبي « ص » مستحقا لان يتبرك به بل مستحقاً للهدم والمحو كما فعلته الوهابية به « وقال ابن القيم » تلميذ ابن تيمية في كتابه زاد المعاد على ما حكي عنه : ان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطىء اقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة « انتهى » فاذا كانت آثار اسماعيل وهاجر لاجل ما مسهما من الاذى مستحقة لجعلها مناسك ومتعبدات فآثار افضل المرسلين الذي قال ما اوذي نبي قط كما اوذيت لا تستحق ان يعبد الله فيها وتكون عبادة الله عندها والتبرك بها شرأ وكفراً ! وقد كانت عائشة ساكنة في الغرفة التي دفن فيها النبي « ص » وبقيت ساكنة فيها بعد دفنه ودفن صاحبيه وكانت تصلي فيها وذلك يبطل قول الوهابية بعدم جواز الصلاة عند القبور كما مر في فصل البناء على القبور .

الفصل الرابع عشر

في تعظيم القبور واصحابها والتبرك بها بما لم ينص الشرع على تحريمه من لمس وتقبيل لها ولاعتاب مشاهدها وتمسح بها وطواف حولها ونحو ذلك

وهذا مما منعه الوهابية وكفروا به المسلمين واشركوهم وسموهم القبوريين وعباد القبور ونحو ذلك صرح به الصنعانى في كلامه السابق في الباب الاول حيث عد الطواف بالقبور والتبرك والتمسح بها من موجبات الشرك وانه كفعل الجاهلية للاصنام والاوثان والوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك حيث جعلوا تعظيم قبور الانبياء والاولياء ببناء القباب والاسراج والصلاة عندها وغير ذلك من الشرك وعبادة الاوثان وصرح بذلك ايضا غير من ذكر .

(ونقول) تعظيم قبور الانبياء والصلحاء بل سائر المؤمنين واصحابها احياء وامواتا بما لم ينص الشرع على تحريمه [1] راجح عقلا وشرعاً لا مانع منه ولا محذور فيه لانه من تعظيم شعائر الدين (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ولم يدل دليل على تحريمه فيبقى داخلا في العموم مع حكم العقل بحسن تعظيم كل قريب الى الله حيا وميتا ولا يعد ذلك عبادة لها كما توهمه الوهابية لانه ليس كل تعظيم او خضوع او تذلل بقيام أو غيره يكون عبادة ويوجب شركا وكفراً او يكون محرما فقد عرفت في المقدمات ان العبادة المنهي عنها لغير الله والتي توجب الشرك والكفر ليست العبادة اللغوية قطعا التي تشمل مطلق التعظيم والخضوع وان تعظيم القبور ومن فيها والقيام والخضوع عندها لا يدخل في ذلك بل تعظيمها عبادة وطاعة لله تعالى لان تعظيم من عظمه الله طاعة لله وعبادة وتعظيم له وخضوع له كما مر في المقدمات وليس عبادة للمعظم موجبة للشرك والكفر (أما) ان الانبياء والصلحاء ممن يستحق التعظيم عنده تعالى وان لهم حرمة وشأنا وشرفا وفضلا وبركة احياء وامواتا فلانهم انبياء الله ورسله الذين اختارهم واجتباهم برسالته وميزهم على جميع خلقه وجعلهم امناء شرعه ودينه والصالحون هم احباء الله المطيعون لامره ونهيه فحرمتهم احياء وامواتا لا يشك فيها مسلم وهو عند المسلمين ملحق بالضروريات

---

(١) مثل السجود لها والصلاة اليها كما يصلى الى الوثن — المؤلف —

فالنبي والصالح لا تسقط حرمته بموته وقد قال الامام مالك للمنصور كما مر في فصل التوسل ان حرمة النبي (ص) ميتا كحرمته حيا واعترف الوهابية في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية بأن رتبة النبي « ص » اعلى مراتب المخلوقين وانه حي في قبره حياة برزخية وان من انفق نفيس اوقاته بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين وان كان المنقول عنهم كما مر انهم يقولون النبي طارش وعصا أحدنا انفع له منه الا ان ضرورة دين الاسلام تقضي بخلاف هذا وان المكان يتشرف بالمكين وينال به الفضل والبركة واذا ثبتت حرمة الأنبياء والصالحين احياء وامواتا فبدفنهم في مكان يكتسب ذلك المكان شرفاً وفضلا وبركة ويستحق التعظيم كما يستحق جلد الشاة التعظيم بجعله جلداً للمصحف وينال البركة والفضل بمجاورة المصحف فيجب تعظيمه وتحرم اهانته وتنجيسه وكما ان من احترام المصحف احترام جلده فمن احترام الانبياء والصلحاء احترام قبورهم المتشرفة باجسادهم الشريفة فتعظيم هذه القبور واحترامها هو بأمر الله الذي جعلها محترمة معظمة لانها قبور انبيائه ورسله الذي أمر باحترامهم وتعظيمهم فيكون عبادة لله تعالى لأن كلما كان عن امر الله فهو طاعة وعبادة لله وذلك كتعظيم الاخ في الله واحترامه والابوين وخفض جناح الذل لهما والمسجد والكعبة والحرم والمقام والحجر بكسر الحاء والحجر الاسود وغيرها (والحجر) هو منزل اسماعيل وامه عليهما السلام ومدفنهما فان ابراهيم عليه السلام لما ذهب بهاجر واسماعيل الى مكة عمد بها الى موضع الحجر وأمرها ان تتخذ فيه عريشا ولما ماتت دفنها اسماعيل في الحجر فلما مات اسماعيل وعمره مائة وثلاثون عاما دفن مع امه في الحجر ذكر ذلك قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة نقلا عن الازرقي [١] وقد أوجب الله احترام النبي « ص » غاية الاحترام فقال يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (ولو كان) احترام قبور الانبياء والصلحاء عبادة لها وشركا لكان تعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الاسود وتقبيله والحجر والمقام والمساجد والمشاعر والابوين واطاعتهما وخفض جناح الذل لهما وغض الاصوات عند رسول الله « ص » وخفضه جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وسجود الملائكة لآدم وسجود اخوة يوسف وأبويه له وتعظيم الجنود لامرائهم والصحابة للنبي « ص » وللخلفاء والانبياء لابائهم وامهاتهم وقيامهم وخضوعهم لهم والوهابية للسلطان ابن سعود وغير ذلك كله عبادة لغير الله وشركا ولم يسلم من الشرك

(١) راجع ص ٢٢ و ٢٧ من تاريخ مكة بهامش خلاصة الكلام .

نبي فمن دونه « لا يقال » التعظيم الذي نص الشرع عليه وأمر به لا كلام لنـا فيه انما لكلام فيما لم ينص عليه الشرع (لانا نقول) اذا فرض ان كل تعظيم عبادة وكل عبادة لغير الله شرك يكون الله تعالى قد أمر بالشرك ورضيه وأحبه وذلك باطل لقبح الشرك عقلا ونقلا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ولا يمكن ان يرخص الله تعالى في الشرك، وورد الامر به لا يرفع الشركية لان ما هو شرك قبل الأمر لا يصير توحيداً بالأمر بـه اذ الحكم لا يغير الموضوع كما مر في المقدمات مع انه كما يقال بورود الشرع بتعظيم هذه المذكورات بقال بوروده بتعظيم قبور الانبياء والصالحين لما عرفت من ان فضلها وبركتهـا الموجب لتعظيمها ثابت بضرورة الشرع وكيف أمر الله بتعظيم المقـام وما هو الا صخرة تشرفت بقيام ابراهيم عليه السلام عليها حين بناء البيت وبأثر قدمه ولم تكن وثنـا معبوداً ولا معظمها كافراً ولا مشركا وكان معظم قـبر ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وقبر محمد (ص) سيد ولد آدم الذين حويا جسديهما الشريفـين كافراً ومشركا سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم . وتوهم ورود النهي عن تعظيم القبـور بينا فساده في محاله « ويكفي » في حرمة القبور وشرفها وفضلها وبركتها ايصاء الصاحبين ان يدفنا مع النبي « ص » وقـد عد دفنهما معه أعظم منقبة لهما ولو كانت القبور ليس لها حرمة وشرف ولا ترجى بركتها وبركة جوارها فمـا الموجب لذلك ولما أراد بنو هاشم تجديد العهد بالحسن بن علي « ع » بجده « ص » وظن بنو أمية واعوانهم انهم يريدون دفنه عند جده لبسوا السلاح ومنعوهم أشد المنع قائلين أيدفن عثمن في اقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده واذا لم يكن للقبر حرمة ولا شرف وبركة ترجى فلماذا يأتي بنو هاشم بجنازة الحسن ليجددوا به عهداً بجده « ص » بوصية منه وهل هـذا الا عين التوسل والتبرك بالنبي « ص » وبقبره بعد الموت الذي انكره الوهابية وجعلوه شركا وهل اشرك الحسن « ع » وبنـو هاشم بفعلهم هذا وجهلوا معنى التوحيد الذي عرفه اعراب نجد واذا لم يكن للقبور شرف وحرمة فـلماذا يتأسف بنو امية لدفن عثمان في اقصى البقيع ويمنعون من دفن الحسن عند جده كل ذلك دال على شرف البقعة وفضلها عند عموم المسلمين بشرف من فيها وان الدفن فيها طلبـاً لشرفها وبركتها امر راجح مطلوب محبوب تراق دونه الدماء وتزهق النفوس « وحينئذ » فقياسهم تعظيم قبور الانبياء والصالحين بتعظيم الاصنام والاوثان التي لم يجعل الله لها حرمة

ونهى عن تعظيمها سواء كانت صور قوم صالحين او غيرها قياس فاسد وجهل فاضح (وقال) صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) ما معناه : ان تعظيم القبور تعظيما دينيا من اعمال الشرك (ثم قال) حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان اعقل رجل في شرفاء مكة انه رأى رجلا في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبل القبر مستدبر القبلة فظنه اعمى وجاء ليحوله الى القبلة فرآه بصيراً وأبى ان يتحول فأمر باخراجه (الى ان قال) ما حاصله : ان تعظيم القبور تعظيما دينيا كان سببا لمنكرات كثيرةوان استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة (انتهى) .

وقد عرفت مما بيناه واوضحناه ان تعظيم قبور الانبياء والصالحين تعظيما دينيا من الامور المندوب اليها في الشرع كتعظيم نفس الانبياء والصالحين وان حرمتهم امواتا كحرمتهم احياء وانه كتعظيم جلد الشاة المعمول جلداً للمصحف لا يشك في ذلك الا جاهل او معاند وما حكاه عن هذا الشريف لم نسمع بمثله في شيء من بلاد الاسلام لا من الخواص ولا من اجهل العوام ولا نظنه الا فرية وان فرض صدقه لا يوجب ان يكون كل تعظيم شركا وكفراً فهل اذا عظمت السبائية عليا (ع) وأوصلته الى درجة الاولوهية[1] يكون كل تعظيم له شركا . ويدخل في حكمه على استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة بأنه كفر وخروج من الملة تعظيم قبر النبي « ص » والتبرك به فان المسلمين قد اجمعوا على ذلك في جميع الاعصار والامصار قولا وعملا حتى وصل الى حد الضرورة ولم يخالف فيه غير الطائفة الوهابية .

واما التبرك بقبر النبي « ص » بلمس وتقبيل وتمسح به وطواف حوله ونحو ذلك فالحق جوازه ورجحانه لما ستعرف من الادلة الكثيرة الدالة عليه « أما » علماء اهل السنة فاختلفوا في جوازه واستحبابه وكراهته ولكن من كرهه انما كرهه بزعم منافاته للادب كما ستعرف قال السمهودي في كتاب وفاء الوفا [2] قال النووي لا يجوز الطواف بقبره (ص) ويكره الصاق البطن والظهر بجدار القبر قاله الحليمي وغيره قال ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الادب ان يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته هذا هو

---

(١) ان صح ذلك (٢) ص ٤٤٢ – ٤٤٥ ج ٢

الصواب الذي اطبق عليه العلماء ومن خطر بباله ان المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لان البركة انما هي فيما وافق الشرع واقوال العلماء وفي الاحيـاء مس المشاهـد وتقبيلها عادة النصارى واليهود قال الزعفراني وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله بدعة من البدع التي تنكر شرعا وروي ان أنس بن مالك رأى رجلا وضع يده على قبر النبي « ص » فنهاه وقال ما كنا نعرف هـذا على عهد رسول الله « ص » وقد انكره مالك والشافعي واحمد اشد الانكار وقال بعض العلماء ان قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجى أن لا يكون به حرج ومتابعة الجمهور أحق وفي تحفة ابن عساكر ليس من السنة ان يمس جدار القبر المقدس ولا ان يقبله ولا يطوف كما يفعل الجهال بل يكره ذلك ولا [١] يجوز والوقوف من بعـد اقرب الى الاحترام ثم روى من طريق ابي نعيم بسنده ان ابن عمر كان يكره ان يكثر مس قبر النبي « ص » قال البرهان بن فرحون بعد ذكره وهذا تقييد لما تقدم وهو عن ابن عمر في القبر نفسه فالجدر الظاهرة اخف اذا لم يكثر منه وعن تأليف ابن تيمية قيل لاحمد بن حنبل انهم يلصقون بطونهم بجدار القبر واهل العلم من اهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية ويسلمون فقال نعم هكذا كان ابن عمر يفعـل وقال ابو بكر الاثرم قلت لاحمد بن حنبل قبر النبي « ص » يلمس ويتمسح بـه قال لا اعرف هذا قلت فالمنبر قال اما المنبر فنعم قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن ابي فـديك عن ابن ابي ذئب عن ابن عمر انه مسح المنبر ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة اي رمانة المنبر قبل احتراقه ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك انه حيث اراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسن [٢] ذلك قال السروجي الحنفي لا يلصق بطنه بالجدار ولا يمسه بيده وعن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وقال ابن قدامة من الحنابلة لا يستحب التمسح بحائط قبر النبي (ص) ولا يقبلة وحكى العزيز بن جماعة عن كتـاب العلل والسؤالات

(١) اولا «ظ» (٢) يحتمل رجوع الضمير في استحسن الى مالك ويحتمل الى ابن حنبل ـ المؤلف ـ

لعبد الله بن احمد بن حنبل سألت ابي عن الرجل يمس منبر رسول الله (ص) ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى قال لا بأس قال العز بن جماعة وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الاجماع وقال السبكي في الرد على ابن تيمية ان عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الاجماع عليه فقد روى ابو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر في اخبار المدينة عن عمر بن خالد عن ابي نباته عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب اقبل مروان بن الحكم فاذا رجل ملتزم القبر فاخذ مروان برقبته ثم قال هل تدري ماذا تصنع فقال اني لم آت الحجر ولم آت اللبن انما جئت رسول الله « ص » سمعت رسول الله « ص » يقول لا تبكوا على الدين اذا وليه اهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير اهله قال المطلب وذلك الرجل ابو ايوب الانصاري وقال السمهودي في مقام آخر [١] رواه احمد بسند حسن عن عبد الملك بن عمرو عن كثير بن زيد عن داود بن ابي صالح وذكر مثله الا انه لم يذكروا اللبن « قال » ورواه الطبراني في الكبير والاوسط وتقدم في المبحث الثاني تمريغ بلال وجهه على القبر لما جاء لزيارته « ص » « قال » وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى عن الحسيني عن ابيه عن جده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي قال لما رمس رسول الله « ص » جاءت فاطمة فوقفت على قبره واخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينها وبكت وانشأت تقول :

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو انها صبت على الايام عدن لياليا

قال وذكر الخطيب ابن حملة ان ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف وان بلالا وضع خده عليه « الى ان قال » ولا شك ان الاستغراق في المحبة يحمل على الاذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته فأناس حين يرونه لا يملكون انفسهم بل يبادرن اليه وأناس فيهم اناة والكل محل خير وقال الحافظ ابن حجر استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الاسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره « الى ان قال » ونقل عن

(١) ص ٤١٠ ج ٢

ابن ابي الصيف اليماني احد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف واجزاء الحديث وقبور الصالحين ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري انه يجوز تقبيل القبر ومسه قال وعليه عمل العلماء الصالحين وانشد :

امر على الديار ديار ليلى ... اقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وعن ابي خيثمة عن مصعب بن عبد الله عن اسماعيل بن يعقوب التيمي كان ابن المنكدر يصيبه الصمات فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي « ص » فعوتب في ذلك فقال انه يصيبني خطرة فاذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي « ص » وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك فقال اني رأيت النبي « ص » في هذا الموضع اراه قال في النوم « انتهى ما اردنا نقله وفاء الوفا » وبذلك ظهر ان جملة ممن كره الصاق البطن والظهر والمسح باليد أو اكثاره والتقبيل واطالة الوقوف انما قال به لمنافاته الادب والاحترام بزعمه كما يدل عليه قول الحليمي بل الادب ان يبعد منه الخ وقول ابن عساكر والوقوف من بعد اقرب الى الاحترام وما حكي عن ابن عمر من كراهته اكثار المس لا اصل المس فكأنه رأى ان في اكثار المس سوء ادب وكذا اطالة الوقوف التي في كتاب الهندي لا لكونه عبادة وكيف يتوهم فيما جعل منافيا للاحترام انه عبادة وبعضهم كرهه لزعم انه بدعة كما في كلام الزعفراني ويدل عليه قول مالك ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله (ص) وقول ابن عساكر ليس من السنة وقول احمد هكذا كان ابن عمر يفعل وقول الغزالي انه عادة النصارى واليهود وغير ذلك من كلماتهم وكذلك منع الطواف به لزعم انه بدعة او لشبهه بالطواف بالكعبة المشرفة وكيف كان فليس في شيء من كلماتهم انه عبادة للقبر كما تزعمه الوهابية « والتحقيق » انه لا كراهة ولا تحريم في شيء من ذلك اذ لا يقصد به سوى التبرك وهو جائز وراجح اذ لا يشك مسلم بان القبر الذي حول جسد النبي « ص » مبارك قد نالته بركة جسده سيما اذا قلنا بحياته البرزخية في قبره التي لا تنكرها الوهابية كما مر في المقدمات واذا كان كذلك فلا مانع من التبرك بقبره الشريف بجميع انواع التبرك من تقبيل ولمس والصاق بدن وطواف حوله وغير ذلك (قال) قاضي القضاة تقي الدين ابو الحسن السبكي في محكي

كتابه شفاء السقام في زيارة خير الانام الذي يرد به على ابن تيمية : نحن نقطع ببطلان كلامه « اي ابن تيمية » وان المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ومن ادعى ان قبور الانبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء فقد أتى امراً عظيما نقطع ببطلانه وخطائه وفيه حط لرتبة النبي (ص) الى درجة غيره من المؤمنين وذلك كفر بيتمين فان من حط رتبة النبي (ص) عما يجب له فقد كفر (فان قال) ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له (قلت) هذا جهل وسوء ادب ونحن نقطع بان النبي (ص) يستحق من التعظيم اكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الايمان « انتهى » . وتوهم ان ذلك او بعضه بدعة توهم فاسد لما عرفت في المقدمات من انه يكفي في كون الشيء سنة دخوله في عمومات ادلة الشرع وفحاويها ولا يلزم النص عليه بخصوصه وقد فهم ضرورة من الشرع ان في القبر الذي ضم جسد سيد ولد آدم واشرف المخلوقات بركة وان له فضلا وذلك كاف في جواز التبرك به بجميع انواع التبرك التي يرجى بها نيل بركته وما مر عن احمد من انه كان ينكره اشد الانكار معارض بما مر من حكاية ولده عنه الترخيص فيه وقوله هكذا كان ابن عمر يفعل لا يدل على ترجيحه لفعله ولا يبعد ان يكون ترك ابن عمر له لظنه ان غيره اقرب الى الادب مع انه معارض بما مر من انه كان يضع يده على القبر وانه كره اكثار المس لا اصله وكراهته الاكثار لظن منافاته الادب ومعارض بما مر من التزام ابي ايوب الانصاري للقبر ورده على مروان ذلك الرد ومن تمريغ بلال وجهه ووضع خده عليه ووضع الزهراء ترابه على عينها واستشفاء ابن المنكدر به بوضع خده عليه وبالموضع الذي رآه فيه في النوم بتمرغه واضطجاعه فيه والاستشفاء اعظم من التبرك ولذلك اجازه ابو الصيف احد علماء مكة والمحب الطبري وقال ان عليه عمل العلماء كما مر مع ان ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى ابن سعيد شيخ مالك تبركوا بمسح المنبر كما مر الذي نال البركة بجلوس رسول الله (ص) برهة من الزمان فكيف بقبره الذي بورك بوجود جسده الشريف على مر الدهور والاعوام ولذلك استنبط بعض العلماء من تقبيل الحجر الاسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من وغيره وقد قال عمر اني لاقبلك واني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا اني ا، الله « ص » يقبلك ماقبلتك رواه ابن ماجة ولذلك جوز احد علماء مكة

تقبيل المصحف واجزاء الحديث كما مر وتقبيل المصحف عليه عمل المسلمين كلهم جيلا بعد جيل وروي ان النبي « ص » طاف راكباً وكان يستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن [١] رواه مسلم[٢] وابن ماجة[٣] واذا جاز تقبيل المحجن لملامسة الركن افلا يجوز تقبيل قبر حل فيه رسول الله « ص » « لا يقال » انما يجوز تقبيل المحجن اقتداء بفعل رسول الله (ص) ولو رأيناه يقبل القبر ما توقفنا في جوازه والعبادة مبناها على الاتباع (لأنا نقول) استفدنا من تقبيله المحجن الذي تبرك بملامسة الركن جواز تقبيل كل مستحق للتعظيم على نحو ما استفاد ذلك بعض العلماء من تقبيل الحجر الاسود كما مر وحكى القسطلاني في ارشاد الساري [٤] عن اصحاب المذاهب استلامه باليد وتقبيلها والاشارة اليه باليدين وتقبيلها (ولو) كان تقبيل قبر النبي (ص) عبادة له او للقبر لكان تقبيل يده او بدنه الشريف في حياته وبعد موته عبادة له لعدم تصور الفرق مع انه قد روى احمد بن حنبل في مسنده [٥] بسنده عن ابن عمر انه قبل يد النبي «ص» « وقد » قبل سواد بن غزية بطن رسول الله « ص » في غزوة بدر نقله في السيرة الحلبية [٦] واقره (ص) على ذلك وقبل كشحه سواد بن عمرو ولم ينهه رواه ابو داود كما في السيرة الحلبية (وفيها ايضاً) عن الخصائص الصغرى : من خصائصه (ص) انه ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار « اقول » وليس ذلك الا ببركة بدنه الشريف فمن التصق بقبره الذي بورك بالتصاقه ببدنه الشريف يرجى له ذلك (واخرج) ابن ماجة في سننه ان ابا بكر قبل النبي « ص » وهو ميت « وعن » كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ما هذا لفظه : لا بأس بتقبيل قبر الوالدين لان رجلا جاء الى النبي « ص » فقال يا رسول الله اني حلفت ان اقبل عتبة باب الجنة وجبهة حور العين فأمره ان يقبل رجل الام وجبهة الاب قال يا رسول الله ان لم يكن ابواي حيين قال قبل قبرهما قال فان لم اعرف قبرهما قال خط خطين انو احدهما قبر الام والآخر قبر الاب فقبلهما فلا تحنث في يمينك « ومر » في فصل الدعاء والاستغاثة تمسح الناس بالعباس لما استسقى به عمر فسقوا (وعن القاضي

---

(١) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة ونون عصا محنية الرأس - المؤلف - (٢) صفحة ٣٨٠ ج ٥ بهامش ارشاد الساري (٣) صفحة ١١٥ ج ٢ (٤) صفحة ١٦١ ج ٢ (٥) صفحة ٢٣ ج ٢ (٦) صفحة ١٧١ ج ٢ طبع عام ١٣٢٠

عياض) في شرح الشفا انه رئي ابن عمر واضعا يده على قبر النبي « ص » من المنبر ثم وضعها على جبهته . افيجوز التبرك بمقعد النبي « ص » من المنبر ولا يجوز التبرك بقبره الذي ضم جسده الشريف (اما قول الغزالي) ان مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود فيرده ما سمعت من انه عادة المسلمين ايضا اكابرهم واصاغرهم وكونه عادة النصارى واليهود لا يصير دليلا على منعه بعد ان ثبت من الشرع جوازه كما عرفت (اما) توهم ان اللمس او كثرته والصاق البطن والظهر واطالة الوقوف منافية للاداب فتوهم فاسد لان فعل ذلك بقصد التبرك من تمام الادب والاحترام وكذا اكثاره واطالة الوقوف طلبا لزيادة البركة والثواب ليس فيه شيء من منافيات الاداب (اما الطواف بالقبر) فان اريد به انه مأمور به بخصوصه وانه عبادة خاصة كالطواف بالكعبة فهو تشريع محرم لكن هذا لا يقصده احد وانما يقصد الطائف حصول البركة بل المبالغة في حصولها حتى لا يبقى جانب من القبر الا وتناله بركته وكونه شبيهاً بالطواف بالكعبة لا يوجب حرمته فانما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى وليس كل شبيه بالعبادة يكون ممنوعا والا لحرم تقبيل الآدمي رحمة وتقبيل الميت لمشابهته تقبيل الحجر الاسود ولا يقول به احد (وفي تاريخ مكة المكرمة) المسمى بالاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي [1] عن قصص الانبياء ان ابراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده اسماعيل بمكة جاءته زوجة اسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقيه الايمن والايسر وافاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف فلما جاء اسماعيل وجد رائحة ابيه فسأل زوجته فأخبرته وقالت هذا موضع قدميه فقبل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة (انتهى) فهل كفر ايها الوهابيون اسماعيل بتقبيله موضع قدم ابيه وتبركه بحجر وقف عليه ابوه وهل هذا الحجر بوقوف ابراهيم « ع » عليه صار اشرف من بقعة ضمت جسد سيد الانبياء محمد (ص) التي جعلتم تقبيلها والتبرك بها شركا وكفراً (والعجب) ان الوهابيين منعوا الناس من التبرك بالبناء الذي على مقام ابراهيم عليه السلام ومن لمسه وتقبيله واخبرنا في هذه السنة ان بعض الحجاج لمس القفل

---

(١) ص ٢٤ بهامش خلاصة الكلام طبع مصر

الذي على باب المقام فضربوه ضربا مبرحا ادى به الى قذف الدم والخطر على الحياة فالمقام الذي بلغ من فضله عند الله تعالى ببركة وقوف خليله ابراهيم عليه ان أمر بأن يتخذ مصلى بقوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) لا يستحق ان يتبرك بما جاوره عند الوهابيين لقد ردوا بفعلهم هذا على الله وحادوه وعملوا بضد ما أمر به (وروى) السمهودي في وفاء الوفا [1] عن يحيى بن عباد انه روى ان بيت فاطمة الزهراء لما اخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن ابنه جعفر وكان اسن ولده وقال انظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا هل يدخلونه في بنيانهم فرصدهم حتى رفعوا الاساس واخرجوا الحجر فاخبر اباه فخر ساجدا وقال ذلك حجر كان رسول الله (ص) يصلي اليه اذا دخل الى فاطمة او كانت فاطمة تصلي اليه الشك من يحيى وقال علي بن موسى الرضا ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين (ع) على ذلك الحجر قال يحيى ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم ار فينا رجلا افضل منه اذا اشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسح به الحديث ومر تمامه في الفصل التاسع في تفصيل بناء الحجرة الشريفة فاذا كانت هذه حرمة حجر نال البركة بولادة الزهراء ولديها الحسنين عليه وبصلاتها او صلاة ابيها «ص» اليه وهذه حال خيار السلف الذين يدعي الوهابية الاقتداء بهم بالنسبة اليه وهم في قرنه أو القريب منه الذي رووا انه خير القرون فكيف بتربة ضمت جسد ابيها وجسدها الشريفين ألا يحق التبرك والتمسح والاستشفاء بها وطلب الحوائج من الله عندها ايها الاخوان ؟

في وفاء الوفا [2] نقلا عن ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران في حديث انه لما توفيت فاطمة بنت اسد نزل النبي «ص» فاضطجع في اللحد وقرأ فيه القرآن ثم نزع قميصه فأمر ان تكفن فيه وقال ما اعفي احد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت اسد قيل يا رسول الله ولا القاسم قال ولا ابراهيم وكان ابراهيم اصغرهما «قال» وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله انه لما اخبر «ص» بوفاتها نزع قميصه فقال اذا غسلتموها فاشعروها اياه تحت اكفانها وانه تمعك في اللحد فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما نزعك قميصك وتمعكك في اللحد قال اما قميصي فأريد ان لا تمسها النار ابداً

(١) ص ٤٠٨ ج ل (٢) ص ٨٨ ج ٢

انشاء الله تعالى واما تمعكي في اللحد فأردت ان يوسع الله عليها في قبرها (قال) وروى ابن عبد البر عن ابن عباس انها لما ماتت ألبسها رسول الله « ص » قميصه واضطجع معها في قبرها فقالوا ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه فقال انه لم يكن بعد ابي طالب ابر لي منها انما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها (انتهى) فهذا صريح في حصول البركة لقبرها رضوان الله عليها باضطجاعه (ص) وتمعكه فيه بحيث صار ذلك موجباً لرفع ضغطة القبر عنها التي لم يسلم منها ولد رسول الله (ص) الرضيع وفي حصول البركة للقميص بماسة جسد رسول الله « ص » بحيث تفيد مماسته لبدنها نجاتها من النار واللبس من حلل الجنة فكيف ينكر بعد هذا ان لمس قبره الذي تبرك وتشرف بملامسة جسده المبارك الشريف ومجاورته موجب للبركة ونيل خير الدنيا والآخرة ويجعل كفراً وشركا لولا الخذلان والحرمان . وفي وفاء الوفا [1] عن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف انه اوصى ان يدفن عند عثمن بن مظعون فدفن هناك (وفيه) انه روى ابن سعد في طبقاته عن ابي عبيدة بن عبد الله ان ابن مسعود قال ادفنوني عند قبر عثمان ابن مظعون (انتهى) وذلك قصداً الى التبرك بجواره ولان النبي أمر بدفن ابنه ابراهيم عنده كما في وفاء الوفا .

قال السمهودي في وفاء الوفا [2] انعقد الاجماع على تفضيل ما ضم الاعضاء الشريفة حتى على الكعبة واجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد واختلفوا أيهما افضل فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن انس واكثر المدنيين الى تفضيل المدينة واحسن بعضهم فقال الخلاف في غير الكعبة فهي افضل من المدينة ما عدى ما ضم الاعضاء الشريفة اجماعا قال وحكاية الاجماع على تفضيل ما ضم الاعضاء الشريفة نقله القاضي عياض والقاضي ابو الوليد الباجي قبله كما قال الخطيب بن جملة ونقله ابو اليمن بن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة ونقل التاج الفاكهي نفي الخلاف عن ذلك (انتهى) وهل نالت المدينة المنورة هذا الفضل العظيم حتى صارت افضل من مكة او ما عدى الكعبة الا بوجود النبي (ص) فيها حيا وميتا واذا كان محل القبر الشريف

«١» ص ٨٩ ج ٢ «٢» ص ١٩ ج ١

صار يفضل على الكعبة المعظمة ويدعى على ذلك الاجماع افلا يستحق ان يعظم ويتبرك به؟ ويكون تعظيمه والتبرك به شركا وكفراً كعبادة الاصنام ! (وعقد السمهودي) عدة فصول اورد فيها ما روي في الحث على حفظ اهلها واكرامهم وانهم جيرانه (ص) والتحريض على الموت بها والدعاء بذلك وعلى المجاورة بها والدعاء لها ولاهلها وعصمتها من الدجال والطاعون والاحاديث الواردة في تحريمها وغير ذلك وغير خفي انها انما حازت كل هذه الفضائل بتشرفها بهجرته « ص » اليها وسكناه بها حيا وميتا والا كانت كسائر البلاد فاذا كانت انما حازت هذا الشرف به « ص » وبقبره الشريف افلا يسوغ ان يتبرك بقبر من هذه بركته وهذه حرمته عند الله تعالى؟ ويكون التبرك به شركا وكفراً! « وعن » الصديق حسن الحنبلي عن الامام مالك انه مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في ارض المدينة وكان يقول لا اركب في مدينة فيها جثة رسول الله « ص » مدفونة « انتهى » ومع كل هذا يجعل الوهابيون التبرك بقبر رسول الله (ص) شركا وكفراً .

ومن ذلك يظهر ان قول بعض الوهابيين في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية خطابا لأهل مكة : من جمع بين سنة رسول الله (ص) في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما انتم عليه اليوم من فعلكم مع قبر ابي طالب والمحجوب وغيرهما وجد احدهما مضاداً للآخر مناقضا له الى آخر ما قال — احق بان يقلب عليه فيقال : من جمع بين منعكم من تعظيم قبر النبي (ص) والتبرك والتمسح به وبين ما قدمناه مما أثر عن النبي (ص) وأصحابه وجد احدهما مضادا للاخر مناقضا له (واما) استشهاد الوهابيين بخبر يغوث ويعوق ونسر التي هي اسماء قوم صالحين فلا شاهد فيه لأن الذم ليس على التبرك بهؤلاء الصالحين وبقبورهم بل على عبادة صورهم فقد ذكر المفسرون ان الآباء تبركت بهم والأبناء عبدت صورهم فالذم للابناء على العبادة لا للاباء على التبرك .

الفصل الخامس عشر

في اتخاذ الخدمة والسدنة لقبور الانبياء والاولياء والصلحاء واتخاذها اعيادا

وهذا مما منعه الوهابية وصرحوا في كتابهم لشيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني بأن اتخاذها أعياداً وجعل السدنة لها شرك وكفر وعبادة للقبور لزعمهم ان كل

تعظيم لها فهو عبادة وانها صارت بذلك اصناما واوثانا وان جعل الخدمة والسدنة لها كما كان يجعل المشركون السدنة لأوثانهم. وهذا جهل منهم لما بيناه مراراً في الفصول السابقة وفي تضاعيف كلماتنا من ان تعظيم من يستحق التعظيم واحترام من هو اهل للاحترام ليس عبادة له ما لم يعظم بشيء من خواص الربوبية كالسجود ونحوه وان تعظيم المشركين لأصنامهم بجعل السدنة لها وغيره تعظيم لغير من عظمه الله ولمن نهى الله عن تعظيمه ولم يجعل له حرمة لكونه حجراً أو شجراً ونحو ذلك سواء كان على صورة نبي او صالح او لا أما قبور الأنبياء والصلحاء فقد شرفها الله وأوجب تعظيمها بتضمنها لجسد وليه ونبيه فمن عظمها فقد عظم الله تعالى واطاع امره ومن تعظيمها جعل السدنة والخدمة لها ليحفظوها من وقوع القاذورات والأوساخ عليها ويعينوا زوارها على حوائجهم ويسرجوا حولها ويفرشوا لمن اراد عبادة الله عندها بصلاة او قراءة قرآن او دعاء او ذكر او غير ذلك مما امر الله به وشرعه في كل زمان ومكان سيما الامكنة الشريفة كمشاهد الانبياء والصلحاء (واما) اتخاذها اعياداً فقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور [١] : وفي السنن عنه (ص) انه قال لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني (اقول) وأورد هذا الحديث السمهودي في وفاء الوفا [٢] هكذا : لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً «الحديث» (وفي رواية له) بدل وصلوا علي الخ فان تسليمكم يبلغني اينما كنتم (وفي رواية) لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر ثم قال ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . ومع تسليم سند هذا الحديث فقوله لا تتخذوا قبري عيداً لا يخلو من اجمال قال السمهودي : قال الحافظ المنذري يحتمل ان يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره « ص » وان لا يهمل حتى يكون كالعيد الذي لا يأتي في العام الا مرتين قال ويؤيده قوله لا تجعلوا بيوتكم قبوراً أي لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلى فيها . قال السبكي ويحتمل لا تتخذوا له وقتا مخصوصاً ويحتمل لا تتخذوه كالعيد في الزينة والاجتماع وغير ذلك بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء « انتهى » (وروى) السمهودي في وفاء الوفا ان رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي (ص) ويصلي عليه

---

(١) ص ١٥٩ (٢) ص ٤١٦ ج ٢

ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فقال ما يحملك على هذا قال احب التسليم على النبي (ص) فقال اخبرني ابي عن جدي ان رسول الله (ص) قال لا تجعلوا قبري عيداً «الحديث» (قال) فهذا يبين ان ذلك الرجل زاد في الحد فيكون علي بن الحسين موافقا لمالك في كراهة الاكثار من الوقوف بالقبر وليس انكاراً لاصل الزيارة او انه اراد تعليمه ان السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الاكثار من الحضور (انتهى) واما جعل التذكار لمواليد الأنبياء والأولياء الذي يسميه الوهابية بالأعياد والمواسم باظهار الفرح والزينة في مثل يوم ولادتهم التي كانت نعمة من الله على خلقه وقراءة حديث ولادتهم كما يتعارف قراءة حديث مولد النبي « ص » وطلب المنزلة والرفعة من الله لهم وتكرار الصلوات والتسليم على الانبياء والترحم على الصلحاء فليس فيه مانع عقلي ولا شرعي اذا لم يشتمل على محرم خارجي كغناء او فساد او استعمال آلات اللهو او غير ذلك كما يفعل جميع العقلاء وأهل الملل في مثل ايام ولادة عظمائهم وانبيائهم وكل ذلك نوع من التعظيم الذي ان كان صاحبه اهلا للتعظيم كان طاعة وعبادة لله تعالى وليس كل تعظيم عبادة للمعظم كما بيناه مراراً فقياس ذلك بفعل المشركين مع اصنامهم قياس فاسد .

الفصل السادس عشر

في تزيين المشاهد بالذهب والفضة والمعلقات والحلي والكسوة ونحو ذلك

وهذا ايضا مما منعه الوهابية ولذلك نهبوا جميع ذخائر الحجرة الشريفة النبوية وجواهرها عند استيلائهم على المدينة المنورة سنة ١٢٢١ كما مر في الفصل الثاني من المقدمة الاولى ونقلنا هناك عن تاريخ الجبرتي بيان انواع الجواهر التي نهبوها من الحجرة الشريفة وقدرها . وقد صوب الجبرتي في تاريخه نهبهم لها وقال انما وضعها ضعفاء العقول من الأغنياء والملوك الأعاجم وغيرهم ثم بين انها لا ينبغي ان تكون للنبي (ص) لزهده في الدنيا وانه بعث ليكون نبيا لا ملكا وذكر احاديث واردة في عرض الدنيا عليه وابائه « ص » وفي زهده وانها ان كانت صدقة فهي محرمة عليه وعلى آله وانه لا نفع فيها مع بقائها على حالها فالأرجح صرفها على المحاويج الى غير ذلك من التلفيقات . ومثله ما يحكى

من احتجاج الوهابية على منعها بانها لغو وعبث وانهـــا مما لا ينتفع به الميت واحتجوا في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية على عدم جواز كسوة القبور بان رسول الله « ص » نهى ان يزاد عليها غير ترابهـــا وانتم تزيدون التابوت ولباس الجوخ الخ وفحاوى كلامهم دالة على ان ذلك كفر وشرك لانهم يجعلونـــه مثل ما كان يعمل مع الاصنام (والجواب) ان فعل ذلك نوع من تعظيم هذه القبور الشريفة واحترامها التي ثبت رجحان تعظيمها واحترامها من تضاعيف ما تقدم ثبوتا لا شك فيه وتوهم الوهابية ان ذلك شرك وعبـادة توهم فاسد لما بيناه مراراً وتكراراً من انه ليس كل احترام وتعظيم عبادة ودعوى ان ذلك لم يكن في عهد الصحابة والتابعين مدفوع بانه ليس كلما لم يكن في عهدهم يكون محرماً لاصالة الاباحة في كل ما لم ينص الشرع على تحريمه كما قرر في الأصول ولا يخفى ان الازمان مختلفة والعادات فيها متفـــاوتة ففي مبدأ الاسلام كانت أحوال المسلمين ضيقة فكانت الحال تقتضي استعمال الملابس الخشنة والمآكل الجشبة وعدم رفع البناء واتقـــانه وتزيينه وبنـــاء المساجد باللبن والجذوع وسعف النخل كما بنى النبي (ص) مسجده الشريف بالمدينة ولما انتشر الاسلام واتسعت أمور الناس واستعمل الاكثر من الخلفـــاء أطيب المأكول وأحسن الملبوس واتقن الناس بنـــاء الدور وزينوها كان من الراجح المستحسن اتقان بنـــاء المساجد كما فعله المسلمون واستمروا عليه الى اليوم ومنها المسجد الشريف النبوي والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فان في ذلـك اعلاء لشأن الاسلام وتعظيما لشعائر الدين ورفعاً لمقام بيوت الله تعالى عن ان تكون دون بيوت خلقه وليس لأحد ان يقول بنـــاء مسجده (ص) على الحالة التي هو عليها اليوم محرم لانه لم يكن في زمانه « ص » للوجه الذي قدمناه كذلك حجرته الشريفة كانت أولا باللبن والجذوع وجريد النخل ثم بنيت بالحجارة والقصة ثم صار بنـــاؤها يحسن ويزين بحسب اختلاف الأزمان والاحوال لانه صار تحسينها وتزيينها نوعا من احترامهـــا وتعظيمها ولم يكن الزمان الاول مقتضيا لذلك لما كانت عليه احوال النـــاس . ودعوى ان ذلك اسراف بلا فائدة لا للميت ولا لغيره يدفعه ان الاسراف مالا يترتب عليه منفعة والمنفعة هنا حاصلة وهي احترام الميت وتعظيمه واعزاز الاسلام وتعظيم شعائره وكبت معانديه وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي لا يعادلها شيء ويرخص في جنبها كل غال. وتصويب الجبرتي نهبهم لها

جهل محض فان هذه الذخائر موقوفة لتوضع بالحجرة الشريفة وتكون زينة لها وليست ملكا له ولا صدقة . وزهد النبي « ص » في الدنيا لا ربط له بالمقام فان قال قائل ان وقفها على الحجرة النبوية غير جائز قلنا هو جائز لجريان سيرة المسلمين بل جميع أهل الاديان على ذلك ولان في وقفها تعظيما لشعائر الدين فلا يكون سفهاً بل هو امر راجح مطلوب شرعا له فائدة عظيمة . مع انه ثبت ذلك في حق الكعبة المعظمة قبل الاسلام واستمر ذلك بعد الاسلام الى اليوم فليثبت مثله في حق الحجرة النبوية ومشاهد الانبياء والائمة فان العلة في الجميع واحدة والجهة واحدة من دعوى الاسراف واللغوية وعدم الفائدة (فعن المسعودي) في مروج الذهب كانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالا وجواهر في الزمان الاول وكان ابن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً الى الكعبة (وفي مقدمة ابن خلدون) [1] قد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظم البيت والملوك تبعث اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسياف وغزالي الذهب الذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة وقد وجد رسول الله (ص) حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمأتي قنطار وزنا وقال له علي بن ابي طالب يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا قال الازرقي (وفي البخاري) بسنده الى ابي وائل قال جلست الى شيبة بن عثمن وقال جلس الي عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال ولم؟ قلت فلم يفعله صاحباك فقال هما اللذان يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجة واقام ذلك المال الى كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين حين غلب على مكة سنة ١٩٩ فأخذ ما في خزائن الكعبة وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ « انتهى » (وقال القسطلاني في ارشاد الساري [2] حكى الفاكهي انه (ص) وجد فيها يوم الفتح ستين اوقية « انتهى » « وفي » وفاء الوفا [3] تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول

---

(١) ص ٤١٨ (٢) ص ١٥٢ ج ٣ (٣) ص ٤٢٢ ج ل

الحجرة الشريفة وألف في ذلك كتاباً فأورد حديث البخاري وغيره في كنز الكعبة وما تضمنه من اقرار النبي (ص) له بمحله ثم ابي بكر بعده ورجوع عمر لذلك لما ذكره به ابن شيبة وقال هما المرآن يقتدى بهما قال فهذا الحديث عمدة في مال الكعبة وهو ما يهدى اليها او ينذر لها وما يوجد فيها من الاموال قال ابن بطال انما ترك لانه يجري في مجرى الاوقاف وفي ذلك تعظيم للاسلام وترهيب للعدو وقال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون النبي (ص) انما تركه رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد ابراهيم ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة لو لا ان قومك حديثو عهد بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض « انتهى وفاء الوفا » وعلى كل حال يثبت المطلوب من جواز الابقاء ان لم يكن واجبا واذا كان النبي (ص) تركه رعاية لقلوب قريش أفلا يلزم الوهابية ان يتركوا ذخائر الحجرة النبوية ومشاهد ائمة المسلمين وذخائرها رعاية لقلوب مئات ملايين المسلمين ان كانوا ممن يقتدي به (ص) كما يزعمون (وفي) وفاء الوفا [1] حيث تركه النبي « ص » لهذه العلة ثم تركه ابو بكر ثم عمر بعدالهم به ورجوعه عن ذلك ثم من بعده فهو اجماع على تركه فلا نتعرض له لما يترتب عليه من الشناعة « انتهى » « وقال » قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة المكرمة [2] ، قال الشريف التقي الفاسي في شفاء الغرام يقال ان ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي أول من علق في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الارزقي في أشياء اهديت للكعبة منها ان عمر بن الخطاب لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما في الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة والمأمون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت في وجه الكعبة وبعث المتوكل بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت في كل موسم وأهدى المعتصم قفلا لباب الكعبة فيه الف مثقال ذهبا في سنة ٢١٩ « الى ان قال » وذكر الفاكهي ان مما أهدي الى الكعبة طوقا من ذهب مكللا بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء ارسله ملك الهند لما اسلم سنة ٢٥٩ فعرض امره على المعتمد فأمر بتعليقها في البيت الشريف فعلقت قال التقي

---

(١) ص ٤٢٣ ج ل (٢) ص ٤١ بهامش خلاصة الكلام طبع مصر .

الفاسي ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيهـــا كتاب بيعة جعفر ابن أمير المؤمنين المعتمد على الله وبيعة ابي احمد الموفق بالله ابن اخي المعتمد وقدم بها الفضل بن العباس في موسم ٢٦١ وكان وزن الفضة ٣٦٠ درهما وعليهـــا ثلاثة ازرار بثلاث سلاسل من فضة فعلقت مع تعاليق الكعبة « الى ان قال » ثم لما وقعت الفتن بمكة اخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك « قال » وكانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة وقد وصل سنه ٩٨٤ من السلطان مراد بن سليم العثماني ثلاثة قناديل ذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف الكعبة المعظمة والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف فعلقت « انتهى » (واما) كسوة الكعبة المعظمة (ففي تاريخ مكة لقطب الدين الحنفي [1] ذكر الازرقي وابن جريج ان اول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيما لها واسمه أسعد رأى في منامه انه يكسوها فكساها الانطاع ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق « انتهى » (وفي ارشاد الساري) قيل اول من كساها تبع الحميري الخصف والمعافر والملاء والوصائل وذكر ابن قتيبة انه كان قبل الاسلام بتسعمائة سنة وفي تاريخ ابن ابي شيبة اول من كساها عدنان بن ادد وزعم الزبير ان اول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وعند اسحق عن ليث بن سليم كانت كسوة الكعبة على عهد رسول الله (ص) الانطاع والمسوح وروى الواقدي انه كسي البيت في الجاهلية الانطاع ثم كساه النبي (ص) الثياب اليمانية ثم كساه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان القباطي ثم كساه الحجاج الديباج وروى ابو عروبة في الاوائل له عن الحسن اول من ألبس الكعبة القباطي النبي (ص) وذكر الازرقي فيمن كساها ابا بكر وكساها معوية الديباج والقباطي والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشورا والقباطي في آخر رمضان وكساها يزيد بن معوية الديباج الخسرواني والمأمون الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي اول رجب والديباج الابيض في سبع وعشرين من رمضان وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل وكسيت زمن الناصر العباسي السواد من الحبرات فهي تكسى ذلك الى اليوم ولم تزل الملوك تتداول كسوتها الى ان وقف عليها الصالح اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون سنة نيف وخمسين وسبعمائة قرية تسمي بيسوس وأول

---

(١) ص ٤٥ بهامش خلاصة الكلام .

من كساها من ملوك الترك الظاهر بيبرس صاحب مصر (انتهى) « وفي تاريخ مكة » لقطب الدين الحنفي عن الازرقي بسنده عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلي منها شيء جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء وكانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ ابو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثريا يتجر في المال فقال لقريش انا اكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشاً وحده في كسوة البيت وقيل لبنيه بنو العدل (وقال ايضا) اخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسماعيل بن ابراهيم بن ابي حبيشة عن ابيه قال كسى النبي (ص) البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمن القباطي وكان يكسى كل سنة كسوتين اولا الديباج يوم التروية والثانية القباطي يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فلما كانت خلافة المأمون امر ان تكسى ثلاث مرات الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي اول رجب والديباج الابيض في عيد الفطر واستمر الحال على هذا كل دولة بني العباس ثم صارت كسوة الكعبة تأتي تارة من سلاطين مصر وتارة من سلاطين اليمن الى ان اشترى الملك الصالح ابن الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفها على كسوة الكعبة وهما بيسوس وسندبيس واستمرت سلاطين مصر ترسل كسوة الكعبة في كل عام وعند تجدد كل سلطان يرسل مع الكسوة السوداء كسوة حمراء لداخل البيت وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية مكتوب على الكل كلمة الشهادتين فلما فتح السلطان سليم مصر والشام جهزت كسوة المدينة على العادة وامر باستمرار كسوة الكعبة على المعتاد ثم خربت القريتان الموقوفتان على كسوة الكعبة ولم يف ريعها بها فأمر ان تكمل من الخزائن السلطانية ثم أضاف الى القريتين قرى اخرى ووقفها (انتهى) .

وأما كسوة الحجرة الشريفة النبوية ففي وفاء الوفا للسمهودي بعدما ذكر تأزيرها بالرخام وعمل الشباك المتخذ من خشب الصندل بأعلى جدارها حكى عن ابن النجار انه قال ولم تزل على ذلك حتى عمل لها الحسين ابن ابي الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ستارة من الديبقي الابيض وعليها الطروز والجامات المرقومة بالابرسيم الاصفر والاحمر ونيطها وأدار عليها زناراً من الحرير الاحمر مكتوباً عليه سورة يس وغرم عليها مبلغا عظيما فمنعه أمير المدينه قاسم بن مهنا من تعليقها حتى يستأذن المستضيء العباسي

فلما جاء الاذن علقها نحو العامين ثم جاءت من الخليفة ستارة من الاءبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى دوران جاماتها اسماء الخلفاء الاربعة وعلى طرازها اسم المستضيء فبعثت الاولى الى مشهد علي ووضعت هذه مكانها ثم ارسل الامام الناصر ستارة من الاءبريسم الاسود وطرزها وجاماتها من الاءبريسم الابيض فعلقت فوقها وبعد ان حجت ام الخليفة ارسلت ستارة من الاءبريسم الأسود على شكل الاولى فعلقت فوقها فصارت ثلاثا « انتهى ما حكاه عن ابن النجار » قال وهو يقتضي ان ابن ابي الهيجاء أول من كسى الحجرة وفي كلام رزين انه لما حج الرشيد ومعه الخيزران امرت بتخليق مسجد النبي « ص » وتخليق القبر وكسته الزنانير وشبائك الحرير .

وأما قناديل الذهب والفضة وغيرها التي تعلق حول الحجرة الشريفة ففي وفاء الوفا انه لم ير في كلام احد ابتداء حدوث ذلك قال الا ان ابن النجار قال وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار اذا وقفوا معلق نيف واربعون قنديلا كباراً وصغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة واثنان بلور وواحد ذهب وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب وهذه تنفذ من الملوك وارباب الحشمة والاموال . وقال السمهودي : واستمر عمل الملوك وارباب الحشمة الى زماننا هذا على الإهداء الى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة ثم ذكر السمهودي حال ما يهدى من القناديل وعدده وما جرى له مفصلا مما يطول بذكره الكلام وان بعض امراء المدينة لما اراد اخذ شيء منه اقام الناس عليه النكير (وقال ايضا) واما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق والقائم الذي بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها ثم نقل عن السبكي انه قال واما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها امر معتاد من زمان ولا شك انها أولى بذلك من غيرها وكم من عالم وصالح قد اتى للزيارة ولم يحصل من احد انكار لذلك فهذا وحده كاف في جواز ذلك واستقراء الادلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع ولم نر احداً قال بالمنع فما وقف من ذلك اكراماً لذلك المكان صح وقفه وان اقتصر على اهدائه صح ايضاً كالمهدى للكعبة وكذا المنذور له « انتهى »

الفصل السابع عشر في زيارة القبور

وقد منع ابن تيمية من زيارة النبي « ص » وحرمها مطلقا مع شد الرحال وبدونه فضلا عن زيارة غيره. حكى ذلك عنه القسطلاني في ارشاد الساري وابن حجر الهيتمي في

الجوهر المنظم وقال بل زعم حرمة السفر لها اجماعا وانه لا تقصر فيه الصلاة وسيأتي نقل كلامهما. وبعض الوهابيين حرم شد الرحال اليها وحينئذ فيقع الكلام فيها في مبحثين: اصل مشروعيتها وشد الرحال اليها .

المبحث الاول في اصل مشروعية زيارة القبور وفيه مقامان

المقام الاول في زيارة قبر النبي « ص »

وتدل على مشروعيتها ادلة الشرع الاربعة (الاول الكتاب العزيز) وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فان الزيارة هي الحضور الذي هو عبارة عن المجيء اليه « ص » سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه والتسليم لا يدخل في معناها واذا ثبت رجحان ذلك في حال حياته ثبت بعد مماته . قال السبكي فيما حكاه عن السمهودي في كتاب وفاء الوفا [١] : والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة واستحبوا لمن اتى القبر ان يتلوها قال وحكاية الاعرابي في ذلك نقلها جماعة من الائمة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر وادرك ابن عيينة وروى عنه وهي مشهورة حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من ادب الزائر وذكرها ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهما باسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالي قال دخلت المدينة فاتيت قبر النبي «ص» فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقاً قال فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم «الآية» الى آخر ما في فصل التوسل ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقين آخرين عن علي « ع» لا نطيل بذكرهما فليطلبهما من ارادهما .

« الثاني السنة » والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة نقلها السمهودي في وفاء الوفا [٢] ونقلها غيره ونحن ننقلها منه وربما نترك بعض اسانيدها وقد تكلم هو على اسانيدها بما فيه كفاية .

---

(١) ص ٤١١ ج ٢ (٢) ص ٣٩٤ – ٤٠٣ ج ٣

«١» الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي وغيرهما بالاسانيد من طريق موسى ابن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من زار قبري وجبت له شفاعتي .

«٢» البزار من طريق عبد الله بن ابراهيم الغفاري عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن ابن عمر عن النبي «ص» من زار قبري حلت له شفاعتي .

«٣» الطبراني في الكبير والاوسط والدارقطني في اماليه وابو بكر بن المقرىء في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهني عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من جاءني زائراً لا تحمله حاجة الا زيارتي كان حقاً علي ان اكون له شفيعاً يوم القيامة . قال : والذي في معجم ابن المقري من جاءني زائراً كان له حقاً على الله عز وجل [1] ان اكون له شفيعاً يوم القيامة . قال : واورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي « ص » من كتابه السنن الصحاح المأثورة ومقتضى ما شرطه في خطبته ان يكون هذا الحديث مما اجمع على صحته «انتهى» وهو بالاطلاقه شامل للزيارة في الحياة وبعد الموت .

«٤» الدارقطني والطبراني في الكبير والاوسط وغيرهما من طريق حفص بن داود القاري عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله « ص » من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي قال ورواه ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن بسنده وزاد وصحبني ورواه ابن عدي في كامله بسنده بهذه الزيادة ورواه ابو يعلى بسنده بدون الزيادة وفي بعض الروايات من حج فزارني في حياتي ورواه الطبراني في الكبير والاوسط من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي . اقول : ورواه بلفظه الاول السيوطي في الجامع الصغير عن احمد في مسنده وابي داود والترمذي والنسائي عن الحارث .

«٥» ابن عدي في الكامل من طريق محمد بن محمد بن النعمان عن جده عن مالك عن

(١) فيه ثبوت الحق للعبد على الله عز وجل الذي انكره الوهابية كما مر في الفصل الرابع وفاتنا ذكره هناك . — المؤلف —

نافع عن ابن عمر قال رسول الله « ص » من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني قال السبكي وذكر ابن الجوزي له في الموضوعات سرف منه .

«٦» الدارقطني في السنن من طريق موسى بن هرون عن محمد بن الحسن الجيلي عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من زارني الى المدينة كنت له شهيداً وشفيعاً .

«٧» ابو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون ابي الجراح العبدي عن رجل من آل عمر عن عمر سمعت رسول الله «ص» يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعاً او شهيداً « الحديث » .

«٨» ابو جعفر العقيلي من رواية سوار بن ميمون عن رجل من آل الخطاب عن النبي «ص» من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة «الحديث» .

«٩» الدارقطني وغيره من طريق هرون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال رسول الله «ص» من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي «الحديث» .

«١٠» ابو الفتح الازدي من طريق عمار بن محمد عن خاله سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال رسول الله «ص» من حج حجة الاسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه .

«١١» ابو الفتوح بسنده من طريق خالد بن يزيد عن عبد الله بن عمر العمري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال رسول الله «ص» من زارني بعد موتي فكانما زارني وانا حي ومن زارني كنت له شهيداً او شفيعاً يوم القيامة .

«١٢» ابن ابي الدينا من طريق اسماعيل بن ابي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن انس بن مالك ان رسول الله «ص» قال من زارني بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة وفي رواية كنت له شهيداً او شفيعاً يوم القيامة ورواه البيهقي بهذا الطريق ولفظه من زارني محتسباً الى المدينة كان في جواري يوم القيامة .

«١٣» ابن النجار في اخبار المدينة بسنده عن أنس قال رسول الله « ص » من زارني ميتا فكأنما زارني حيا ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر .

«١٤» ابو جعفر العقيلي بسنده عن ابن عباس قال رسول الله (ص) من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعا .

(١٥) بعض الحفاظ في زمن ابن منده بسنده عن ابن عباس قال رسول الله « ص » من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان قال والحديث في مسند الفردوس.

«١٦» يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في أخبار المدينة بسنده عن علي (ع) قال رسول الله (ص) من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني وروى ابن عساكر بسنده عن علي من زار قبر رسول (ص) كان في جوار رسول الله (ص) .

«١٧» يحيى ايضا بسنده عن رجل عن بكر بن عبد الله عن النبي (ص) من اتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة «الحديث» (انتهت الاحاديث التي أوردها السمهودي) وهي مع كثرتها يعضد بعضها بعضا وتعضدها الاحاديث الآتية في تضاعيف ما يأتي مع انه لا حاجة لنا الى الاستدلال بها للسيرة القطعية وعمل المسلمين البالغ حد الضرورة .

وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية ان الاحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة منهم ابن الصلاح وابن الجوزي وابن عبد البر وأبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين وغيرهم ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل وكذلك تفرد بها الدار قطني عن بقية اهل السنن والائمة كلهم يروون بخلافه وأجل حديث روي في هذا الباب حديث ابي بكر البزار ومحمد بن عساكر حكاه اهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما . (أقول) دعوى ان هذه الاحاديث على كثرتها كلها مكذوبة دعوى كاذبة لا يعضدها دليل وابن الجوزي وان اورد بعضها في الموضوعات فقد اورد البعض الاخر في كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليه كما مر في الحديث الرابع مع ان الحديث الخامس الذي جعله موضوعا تعقبه الامام السبكي فيه وقال ان ذكره له في

الموضوعات سرف منه كما مر كما تعقبه غيره في جملة من الاحاديث التي عدها في الموضوعات وباقي من نقل عنهم لعلهم كابن الجوزي ان صح نقله واما قدوته الشيخ تقي الدين بن تيمية فحاله معلوم في التعصب لارائه واهوائه ومصادمته الضرورة في نصرها وتكذيب الاحاديث المشهورة التي يعضدها العقل والنقل تبعا لشهوة نفسه واوضح برهان على ذلك تكذيبه حديث (ضربة علي يوم الخندق) بالاستبعادات والدعاوى الباطلة حتى تعبه في ذلك صاحب السيرة الحلبية كما فصلناه في بعض حواشي فصل البناء على القبور مع انه لم يعلم دعواه الوضع في جميعها . (قوله) ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل يكذبه ما عرفت في الحديث الثالث انه اورده الحافظ ابن السكن في كتابه السنن الصحاح المأثورة الذي ذكر في خطبته انه لا يذكر فيه الا ما اجمع على صحته . (قوله) تفرد بها الدار قطني عن بقية اهل السنن يكذبه انه روى جملة منها غير الدار قطني من اهل السنن وغيرهم كالبيهقي والبزار والطبراني وابو بكر بن المقرىء والحافظ ابن السكن وابن عدي وابو يعلى والامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن الجوزي والعقيلي والازدي وابو الفتوح وابن ابي الدنيا وابن النجار ويحيى بن الحسن كما عرفت وابن عساكر باعتراف الوهابية (واذا) كان تفرد الراوي بالرواية يوجب طرحها فما بال الوهابية لم يطرحوا حديث ابي الهياج وقد تفرد به راويه على ما عرفته في فصل البناء على القبور ولكن الحديث المؤدي الى استحلال دماء المسلمين واموالهم لا يطرح ولو تفرد به راويه اما الاحاديث الكثيرة الداله على تعظيم النبي (ص) واستحباب زيارته الثابتة بالعقل والنقل واجماع المسلمين البالغ حد الضرورة فتستحق الطرح بدعوى تفرد الدار قطني بها ويلتمس لها الوجوه والتأويلات لطرحها عند الوهابية لانهم يعظم عليهم تعظيم من عظمه الله ومخالفة قول قدوتهم ابن تيمية وابن عبد الوهاب . « قوله » والائمة كلهم يروون بخلافه هذه دعوى كاذبة كالاولى فمن هم الائمة الذين رووا ان زيارة النبي « ص » لا تستحب اولا يستحب شد الرحال اليها غير ما توهمه الوهابية من أحاديث شد الرحال التي ستعرف في هذا الفصل سخافة توهمهم فيها وقد عرفت ان الائمة رووا هذه الاحاديث كما رواها الدار قطني ولم يرووا بخلافه وفيهم اجلاء ائمة الحديث كابن حنبل وابي داود والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي وغيرهم « وقد » رويت في ذلك احاديث كثيرة تكاد تبلغ حد التواتر عن ائمة اهل البيت الطاهر

رواها عنهم اصحابهم وثقاتهم بالاسانيد المتصلة الصحيحة موجودة في مظانهـا (وتدل) عليه ايضاً الاحاديث الدالة على ان النبي « ص » يرد سلام من يسلم عليه التي اعترف بها الوهابية وقدوتهم ابن تيمية ومر طرف منها في المقدمات في حياة النبي (ص) بعد موته قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي في وفاء الوفا (١) بعد ذكر ما يدل على انه (ص) يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه عالما بحضوره عند قبره : وكفى بهـذا فضلا حقيقاً بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل اليه من اقطار الارض « انتهى » ومنه يعلم صحة الاستدلال به على شد الرحال .

(الثالث الاجماع) من المسلمين خلفا عن سلف من عهد النبي « ص » والصحابة الى يومنا هذا عدا الوهابية قولا وعملا بل ان استحباب زيارة قبور الانبياء والصالحين بـل وسائر المؤمنين ومشروعيتها ملحق بالضروريات عند المسلمين فضلا عن الاجماع وسيرتهم مستمرة عليها من عهد النبي (ص) والصحابة والتـابعين وتابعيهم وجميع المسلمين في كل عصر وفي كل صقع عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم .وانكار ذلك مصادمة للبديهة وانكار للضروري . قال السمهودي في وفاء الوفا (٢) نقلا عن السبكي : قال عياض زيارة قبره (ص) سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغوب فيها (انتهى) قال السبكي وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا في النساء وامتاز القبر الشريف بالادلة الخاصة به ولهذا اقول انه لا فرق بين الرجال والنساء وقال الجمال الريمي يستثنى اي من محل الخلاف قـبر النبي (ص) وصاحبيه فان زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحج يستحب لمن حج ان يزور قبر النبي«ص»وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير واضاف اليه قبور الانبياء والصالحين والشهداء » انتهى » وفي وفاء الوفا (٣) كيف يتخيـل في احد من السلف المنع من زيارة المصطفى « ص » وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى فضلا عن زيارته (ص) « انتهى » وصنف قاضي القضاة الشيخ تقي الدين ابو الحسن السبـكي الذي تشهد مؤلفاته بغزارة علمه في القرن الثامن كتابا في فضل الزيارة وشد الرحال اليهـا رداً على

(١) ص ٤٠٤ ج ٢ (٢) ص ٤١٢ ج ٢ (٣) ص ٤١٧ ج ٢

ابن تيمية سماه شفاء السقام في زيارة خير الانام ونقل عنه السمهودي في وفاء الوفا شيئاً كثيراً ونقل عنه غيره ونقلنا عنه بواسطة السمهودي وغيره « ومما » قاله السبكي في مقدمته على ما حكي عنه ان من اعظم القرب الى رب العالمين زيارة سيد المرسلين والسفر اليها من اقطار الارضين كما هو معروف بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها على مر السنين وان مما القى الشيطان في هذا الزمان على لسان بعض المخذولين التشكيك في ذلك وهيهات ان يدخل ذلك في قلوب الموحدين وانما هي نزعة من مخذول لا يرجع وبالها الا عليه ولا يترتب عليها الا ما القى بيده اليه شريعة الله محكمة ظاهرة وشبه الباطل على شفا جرف هائرة « انتهى » ومر في الباب الاول ما يدل على ان مراده ابن تيمية . « وعن منتهى المقال » في شرح حديث لا تشد الرحال للمفتي صدر الدين انه قال فيه : قال الشيخ الامام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه اتحاف اهل العرفان وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله بعدله وادعى ان السفر لزيارة قبر النبي « ص » حرام وان الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به واطال في ذلك بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع وقد عاد شؤم كلامه عليه (الى ان قال) وخالف الائمة المجتهدين في مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط من اعين علماء الامة وصار مثله بين العوام فضلا عن الائمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة واظهروا عوار سقطاته وبينوا قبائح أوهامه وغلطاته « انتهى » ومر بعض كلامه في حقه عن الباب الاول وعن شهاب الدين احمد الخفاجي المصري في نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض انه قال بعد ذكر حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد : اعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه زيارة قبر النبي « ص » وشد الرحال اليه وهو كما قيل :

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل « انتهى » .

وعن الملا علي القاري في المجلد الثاني من شرح الشفا انه قال : قد فرط ابن تيمية من

الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي « ص » كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني اقرب الى الصواب لأن تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب « انتهى »

وقال احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم على ما حكي عنه وقد ذكره صاحب كشف الظنون قال فيه بعد ما استدل على مشروعية زيارة قبر النبي « ص » بعدة أدلة منها الاجماع ما لفظه [1] فان قلت كيف تحكي الاجماع على مشروعية الزيارة والسفر اليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكي في خطه وقد أطال ابن تيمية في الاستدلال لذلك بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع بل زعم حرمة السفر لها اجماعاً وان لا تقصر فيه الصلاة وان جميع الاحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من اهل مذهبه « قلت » من هو ابن تيمية حتى ينظر اليه او يعول في شيء من امور الدين عليه وهل هو الا كما قال جماعة من الائمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى اظهروا عوار سقطاته وقبائح اوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة : عبد اضله الله وأغواه والبسه رداء الخزي وارداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما اعقبه الهوان وأوجب له الحرمان ولقد تصدى شيخ الاسلام وعالم الانام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد عليه في في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب « ثم قال » هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عثرة لا تقال ابداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً ليس بعجيب فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم انه اتى بأقبح المعائب اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة

(١) ص ١٣ طبع عام ١٢٧٩ بمصر

وتدارك على ائمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز الى الجناب الاقدس المنزه سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال انفس فنسب اليه الكبائر والعظائم وخرق سياج عظمته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله او حبسه وقهره فحبسه الى مات وخمدت تلك البدع وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً ولم يظهر لهم جاها ولا بأساً بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (انتهى) (اما المنقول) من فعل الصحابة فسيأتي في المبحث الثاني ان عمر لما قدم المدينة من فتوح الشام كان اول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله (ص) . وفي وفاء الوفا للسمهودي [١] روى عبد الرزاق باسناد صحيح ان ابن عمر كان اذا قدم من سفر اتى قبر النبي (ص) فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه (قال) وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى ان ابن عمر كان يقف على قبر النبي (ص) فيصلي (فيسلم ظ) على النبي « ص » وعلى ابي بكر وعمر وعن ابن عون سأل رجل نافعا هل كان ابن عمر يسلم على القبر قال نعم لقد رأيته مائة مرة او اكثر من مائة كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وفي مسند ابي حنيفة عن ابن عمر من السنة ان تأتي قبر النبي (ص) من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته . اخرجه الحافظ طلحه بن محمد في مسنده عن صالح بن احمد عن عثمان بن سعيد عن ابي عبد الرحمن المقري عن ابي حنيفة عن نافع عن ابن عمر « انتهى » (أما المنقول) من فعل سائر المسلمين ففي وفاء الوفا [٢] ذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر والبلاذري وابن عبد ربه ان زياد ابن ابيه اراد الحج فأتاه ابو بكرة اخوه وهو لا يكلمه فاخذ ابنه فأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زياداً فقال ان اباك فعل وفعل وانه يريد الحج وام حبيبة زوج النبي (ص) هناك فان اذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله « ص » وان حجبته

(١) ص ٤٠٩ ج ٢ (٢) ص ٤١٠ ج ٢

فأعظم بها حجة عليه فقال زياد ما تدع النصيحة لاخيك وترك الحج فـيما قاله البلاذري وقيل حج ولم يزر من اجل قول ابي بكرة وقيل أراد الدخول عليها فذكر قول ابي بكرة فانصرف وقيل انها حجبته « قال السبكي » والقصة على كل تقدير تشهد لان زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت والا فكان يمكنه الحج من غير طريق المدينة بل هي اقرب اليه لانه كان بالعراق ولكن كان إتيان المدينة عندهم امراً لا يترك (انتهى) «لا يقال» نحن نسلم بأن اتيان المدينة امر راجح مستحب ولكن بقصد الصلاة في المسجد والزيارة تبع والذي نمنعه اتيانها بقصد الزيارة « لانا نقول » المعروف بين المسلمين من عهد الصحابة الى اليوم اتيان المدينة بقصد الزيارة هـذا الذي جرت عليه سيرتهم وعملهم لا يخطر ببالهم غيره ولا يدور في خلدهم سواه واما قصد المسجد وكون الزيارة تبعا فشيء لم يكن يعرفه احد قبل الوهابية ولو كان لحرمة قصد الزيارة بالسفر اصل في الشرع لشاعت وذاعت وعرفها جميع المسلمين وكانت وصلت الى حد الضرورة لاحتياج الجميع الى معرفتها ولكانت قامت بها الخطباء والوعاظ وبينتها العلماء وحذروا الناس منها لئلا يقصدوا بسفرهم الزيارة فيقعوا في الحرام الموجب للعقاب من حيث قصدوا الثواب ولكان بينها أصحاب كتب المناسك الذين لم يهملوا شيئا يتعلق بالحج والزيارة من المستحبات فضلاً عن هذا الامر المهم الموقع في الحرام (اما المنقول) عن ائمة المذاهب الاربعة ففي وفاء الوفا [1] بعدما ذكر اختلاف السلف في ان الافضل البدأة بالمدينة او بمكة حكى عن الامام ابي حنيفة ان الاحسن البدأة بمكة وان بدأ بالمدينة جاز فيأتي قريبا من قبر رسول الله (ص) فيقوم بين القبر والقبلة (انتهى) واما ما يحكى عن مالك انه كره ان يقال زرنا قبر النبي « ص » فهو على فرض صحته محمول على كراهة التلفظ بهذا اللفظ لبعض الوجوه التي ذكروها مما لا نطيل بنقله ، لا لكراهة اصل الزيارة مع ان العلماء ناقشوه في كراهة هذا اللفظ كالسبكي وابن رشد على ما في وفاء الوفا وذكر السمهودي في وفاء الوفا [2] اقوال الشافعية في استحباب زيارة النبي « ص » ثم قال والحنفية قالوا ان زيارة قبر النبي (ص) من افضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة

---

(١) ص ٤١١ ج ٢ (٢) ص ٤١٥ ج ٢

الواجبات قال وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة واوضح السبكي نقولهم في كتابه في الزيارة « انتهى » .

(الرابع) دليل العقل فانه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى والزيارة نوع من التعظيم وفي تعظيمه (ص) بالزيارة وغيرها تعظيم لشعائر الاسلام وارغام لمنكريه وقد ثبت رجحان زيارته « ص » في حياته والوصول الى خدمته فكذلك بعد مماته خصوصا بعد الالتفات الى ما ورد من حياته البرزخية وقد مضى في فصل التوسل قول مالك امام دار الهجرة للمنصور ان حرمة النبي (ص) ميتا كحرمته حيا وليس في العقل شيء يمنع من الزيارة او يوجب قبحها بل فيه ما يحسنها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الناس الى سبيل الرشاد وكان سبب سعادتهم في الدارين .

المقام الثاني في زيارة سائر القبور

قد ثبت ان النبي « ص » كان يزور اهل البقيع وشهداء احد (وروى) ابن ماجة [١] بسنده عنه « ص » زوروا القبور فانها تذكركم الاخرة « وبسنده » عن عائشة انه « ص » رخص في زيارة القبور (وفي) حاشية السندي عن الزوائد ان رجال اسناده ثقات (وبسنده) عنه (ص) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة (ورواه) مسلم [٢] الى قوله فزوروها (وروى) النسائي ونهيتكم عن زيارة القبور فمن اراد ان يزور فليزر (وزار) النبي « ص » قبر امه وهي مشركة بزعم الخصم (روى) مسلم في صحيحه [٣] وابن ماجة [٤] والنسائي [٥] بأسانيدهم عن ابي هريرة زار النبي « ص » قبر امه فبكى وأبكى من حوله فقال « ص » استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في ان ازور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم بالموت (قال) النووي في شرح صحيح مسلم هو حديث صحيح بلا شك (وروى) مسلم [٦] انه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله (ص) يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون) وعلم « ص » عائشة حين قالت

---

(١) ص ٢٤٥ ج ل (٢) ص ٣٢٥ ج ٤ بهامش ارشاد الساري (٣) ص ٣٢٥ ج ٤ بهامش ارشاد الساري (٤) ص ٢٤٥ ج ل (٥) ص ٢٨٦ ج ل (٦) ص ٣١٨ ج ٤ بهامش ارشاد الساري .

له كيف اقول لهم يا رسول الله قال قولي « السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين » «الحديث» رواه مسلم « وعن بريدة » كان رسول الله « ص » يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر فكان قائلهم يقول السلام على اهل الديار وفي رواية السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات الحديث رواه مسلم « وقد » مر في المقام الاول زيارة ابن عمر لقبر الشيخين مراراً كثيرة « وحكى » السمهودي في وفاء الوفا [1] عن الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي ان زيارة قبور الانبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المؤمنين للبركة اثر معروف قال وقد قال حجة الأسلام الغزالي كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض « انتهى » « الى ان قال » وقد روي عن النبي « ص » انه قال آنس ما يكون الميت في قبره اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وعن ابن عباس ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وروي من زار قبر ابويه في كل جمعة او احدهما كتب باراً وان كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقا « انتهى » وسيأتي في آخر هذا الفصل احاديث زيارة فاطمة عليها السلام قبر حمزة وشهداء احد كل جمعة أو بين اليومين والثلاثة وكفى بفعلها عليها السلام دليلا وحجة .

المبحث الثاني في شد الرحال الى زيارة القبور

وقد منع الوهابية من شد الرحال الى زيارة النبي « ص » فضلا عن غيره وقد عرفت ان ابن تيمية في مقام تشنيعه على الامامية قال انهم يحجون الى المشاهد كما يحج الحاج الى البيت العتيق، وما هو حجهم الا قصدهم زيارتها فسماه حجا ارادة لزيادة التهويل والتشنيع كما هي عادته « وفي » الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وتسن زيارة النبي « ص » الا انه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس (انتهى) (واحتج) الوهابية لذلك برواية البخاري عن ابي هريرة عن النبي « ص » لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول « ص » والمسجد الاقصى «ورواه» مسلم في الحج والصلاة الا انه قال

«١» صفحة ٤١٣ ج ٢

مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى « ورواه » النسافي في سننه مثله الا انه قدم المسجد الحرام « ورواه » ابو داود في الحج « وفي رواية لمسلم » تشد الرحال الى ثلاثة مساجد وفي رواية له انما يسافر الى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد ايليا .

« والجواب » عن هذه الاخبار ان الحصر فيها اضافي لا حقيقي اي لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد الا الى هذه الثلاثة لان هذا الاستثناء مفرغ قد حذف فيه المستثنى منه وكما يمكن تقديره لا تشد الرحال الى مكان يمكن تقديره الى مسجد لكن الثاني هو المتعين لان ذلك هو المفهوم عرفا من امثال هذه العبارة وللاتفاق على جواز السفر وشد الرحال الى اي مكان كان للتجارة وطلب العلم والجهاد وزيارة العلماء والصلحاء والتداوي والنزهة والولاية والقضاء وغير ذلك مما لا يحصى ولو قيل ان هذا خصص بالدليل للزم تخصيص الاكثر وهو غير جائز كما تقرر في الاصول . « والحاصل » انه لا يشك من عنده ادنى معرفة في ان المراد بقوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد أو انما يسافر الى ثلاثة مساجد انه لا يسافر الىغيرها من المساجد لا انه لا يسافر الى مكان مطلقا على انه لا يفهم من هذه الاحاديث حرمة السفر الى باقي المساجد بل هى ظاهرة في افضلية هذه المساجد على ما عداها بحيث بلغ من فضلها ان تستحق شد الرحال والسفر اليها للصلاة فيها فانها لا تشد الرحال وتركب الاسفار وتتحمل المشاق الا للامور المهمة لا ان من سافر للصلاة في مسجد طلبا لاحراز فضيلة الصلاة فيه يكون عاصياً وآثما وكيف يكون آثما من يسافر الى ما هو طاعة وعبادة فالمسجد ببعده لم يخرج عن المسجدية والصلاة فيه لم تخرج عن كونها طاعة وعبادة اذ هو مسجد لكل احد فكيف يعقل ان يكون السفر للصلاة فيه اثما ومعصية فالسفر للطاعة لا يكون الا طاعة كما ان السفر للمعصية لا يكون الا معصية وكيف تكون مقدمة المستحب محرمة ويدل على ذلك ان النبي « ص » والصحابة كانوا يذهبون كل سبت الى مسجد قبا وبينه وبين المدينة ثلاثة اميال او ميلان ركبانا ومشاة لقصد الصلاة فيه ولا فرق في السفر بين الطويل والقصير لعموم النهي لو كان . روى البخاري في صحيحه [1] ان النبي (ص) كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا

«١» صفحة ٣٣٢ ج ٢ ارشاد الساري .

وان ابن عمر كان يفعل كذلك « وفي رواية » كان رسول الله « ص » يزوره راكبا وماشيا (وروى) النسائي في سنه انه كان رسول الله (ص) يأتي قبا راكبا وماشيا وانه قال من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قبا فصلى فيه كان له عدل عمرة وفي ارشاد الساري عن ابن ابي شيبة في اخبار المدينة باسناد صحيح عن سعد بن ابي وقاص لان اصلي في مسجد قبا ركعتين احب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين لو يعلمون ما في قبا لضربوا اليه اكباد الابل وهذا نص من سعد على استحباب ضرب اكباد الابل اليه الذي لا يكون الا بالسفر اليه من مكان بعيد (وروى) الطبراني من توضأ فأسبغ الوضوء ثم غدا الى مسجد قبا لا يريد غيره ولا يحمله على الغدو الا الصلاة في مسجد قبا فصلى فيه أربع ركعات كان له اجر المعتمر الى بيت الله . نقله في ارشاد الساري وسيأتي في آخر هذا الفصل احاديث ان فاطمة (ع) كانت تزور قبر عمها حمزه بين اليومين والثلاثة وكل جمعة وفيه دلالة على جواز السفر للزيارة واستحبابه لعدم تعقل الفرق بين السفر الطويل والقصير . وبين احد والمدينة نحو مما بينها وبين قبا أو ازيد ويدل على شد الرحال الحديث الخامس المتقدم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني والزيارة بعد الحج لا تكون الا بشد الرحال وأظهر فيما قلناه الحديث الاخر لمسلم : تشد الرحال الى ثلاثة مساجد بصيغة الاثبات اي ان هذه المساجد الثلاثة تستحق وتستأهل شد الرحال اليها لعظم فضلها فهي حقيقة وجديرة بذلك وشاد الرحال اليها لا يكون عناؤه ضائعاً وتعبه خائبا أو فائدته قليلة بل يحصل من الثواب على ما يقابل تعبه وزيادة « قال القسطلاني » في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري [١] في شرح قوله لا تشد الرحال اي الى مسجد للصلاة فيه ثم قال وقد بطل بما مر من التقدير المعتضد بحديث ابي سعيد المروي في مسند احمد باسناد حسن مرفوعا لا ينبغي للمطي ان تشد رحاله الى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والاقصى ومسجدي هذا — قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي (ص) وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الاجماع على مشروعية زيارة النبي « ص » ما نقل عن مالك انه كره ان يقول زرت قبر النبي (ص) وأجاب عنه المحققون من اصحابه انه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فانها من افضل

---

(١) ص ٣٢٩ ج ٢

الاعمال واجل القرب الموصلة الى ذي الجلال وان مشروعيتها محل اجماع بلا نزاع قال فشد الرحال للزيارة او نحوها كطلب علم ليس الى المكان بل الى من فيه وقد التبس ذلك على بعضهم كما قاله المحقق التقي السبكي فزعم ان شد الرحال الى الزيارة في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ كما مر لان المستثنى انما يكون من جنس المستثنى منه كما اذا قلت ما رأيت الا زيداً أي ما رأيت رجلا واحداً الا زيداً لا ما رأيت شيئا او حيواناً الا زيداً « انتهى » وقال القسطلاني في موضع آخر [١] الاستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال الى موضع ولازمه منع السفر الى كل موضع غيرها كزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب علم او تجارة او نزهة لان المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد « انتهى » « وقال النووي » في شرح صحيح مسلم في شرح قوله لا تشد الرحال الخ [٢] فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولفضل الصلاة فيها « الى ان قال » واختلف العلماء في شد الرحال واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا هو حرام وهو الذي أشار القاضي عياض الى اختياره والصحيح عند اصحابنا وهو الذي اختاره امام الحرمين والمحققون انه لا يحرم ولا يكره قالوا والمراد ان الفضيلة التامة انما هي في شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة وقال في موضع آخر [٣] في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال اليها لان معناه عند جمهور العلماء لافضلية في شد الرحال الى مسجد غيرها وقال الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا يحرم شد الرحال الى غيرها وهو غلط « انتهى » « وقال السندي » في حاشية سنن النسائي ان السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجاره غير داخل في حيز المنع « انتهى » وقال السمهودي في وفاء الوفا [٤] ويستدل بقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم « الآية » على مشروعية السفر للزيارة بشموله المجيء من قرب ومن بعد وبعموم من زار قبري وقوله في الحديث الذي صححه ابن السكن من جاءني زائراً. واذا ثبت انالزيارة قربة فالسفر اليها

---

(١) ص ٣٣٣ ج ٢ (٢) ص ٣٧ ج ٦ بهامش ارشاد الساري (٣) ص ١١١ ج ٦ بهامش ارشاد الساري (٤) ص ٤١٤ ج ٢

كذلك ، وقد ثبت خروج النبي « ص » من المدينة لزيارة قبور الشهداء فاذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد وقبره « ص » أولى وقد انعقد الاجماع على ذلك لاطباق السلف والخلف عليه واما حديث لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد فمعناه لا تشدوا الرحال الى مسجد الا الى المساجد الثلاثة اذ شد الرحال الى عرفة لقضاء النسك واجب بالاجماع وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه وغير ذلك وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا وقد روى ابن شبة بسند حسن ان ابا سعيد يعني الخدري ذكر عنده الصلاة في الطور فقال قال رسول الله « ص » لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه على ان في شد الرحال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب نقل امام الحرمين عن شيخه انه افتى بالمنع قال وربما كان يقول يكره وربما كان يقول يحرم وقال الشيخ ابو علي لا يكره ولا يحرم « الى ان قال » وقال الماوردي من اصحابنا (يعني الشافعية) عند ذكر من يلي أمر الحج فاذا قضى الناس حجهم سار بهم على طريق مدينة رسول الله « ص » رعاية لحرمته وقياما بحقوق طاعته وذلك وان لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة وقال القاضي الحسين اذا فرغ من الحج فالسنة ان يأتي المدينة ويزور قبر النبي (ص) وقال القاضي ابو الطيب ويستحب ان يزور النبي (ص) بعد ان يحج ويعتمر وقال المحاملي في التجريد ويستحب للحاج اذا فرغ من مكة ان يزور قبر النبي (ص) وقال ابو حنيفة اذا قضى الحاج نسكه مر بالمدينة (الى ان قال) وفي كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق سئل الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع ان يزور قال يرد من الاجرة بقدر مسافة الزيارة وقال في موضع آخر [١] وممن سافر الى زيارة النبي « ص » من الشام الى قبره (ع) بالمدينة بلال ابن رباح مؤذن رسول الله « ص » كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن ابي الدرداء قال لما رحل عمر بن الخطاب من فتح بيت المقدس فصار الى جابية سأله بلال ان يقره بالشام ففعل قال ثم ان بلالا رأى في منامه النبي (ص) وهو يقول ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك ان تزورني

(١) ص ٤٠٨ ج ٢

يا بلال فانتبه حزينا وجلا خائفـــاً فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي (ص) فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمها ويقبلها فقالا له يا بلال نشتهي ان نسمع اذانك فلما قال الله اكبر ارتجت المدينة فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ازدادت رجتها فلما قال اشهد ان محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا بعث رسول الله « ص » فما رئي بالمدينة بعده « ص » اكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم قال وقال الحافظ عبد الغني وغيره لم يؤذن بلال بعد النبي (ص) الا مرة واحدة في قدومه المدينة لزيارة قبر النبي (ص) وقال قال السبكي ليس اعتمادنا على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال سيما في خلافة عمر والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ورؤيا بلال النبي « ص » مؤكدة لذلك (قال) وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز انه كان يبرد البريد من الشام يقول سلم لي على رسول الله « ص » وذلك في زمن صدر التابعين وممن ذكر ذلك عنه الامام ابو بكر بن عمرو بن عاصم التبيل ووفاته في المائة الثالثة قال في مناسكه : وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام الى المدينة ليقرىء النبي (ص) السلام ثم يرجع قال وفي فتوح الشام ان عمر لما صالح اهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الاحبار واسلم وفرح باسلامه قال له هل لك ان تسير معي الى المدينة وتزور قبر النبي (ص) وتتمتع بزيارته فقال نعم ولما قدم عمر المدينة كان أول ما بـــدأ بالمسجد وسلم على رسول الله (ص) وقال في موضع آخر [1] كانت الصحابة يقصدون النبي « ص » قبل وفاته للزيارة .

بقي الكلام في ان جواز زيارة القبور مخصوص بالرجال او عام لهن وللنساء . قـــد عرفت في الفصل الحادي عشر ورود بعض الروايات في لعن زائرات القبور او زوارات القبور وهذه الاخبار بعد تسليمها فقد عرفت القدح في سندها بالضعف وفي متنهـــا بالاضطراب في ذلك الفصل محمولة على الكراهة لتخصيص اللعن فيهـــا بالزائرات او

(١) ص ٤١٧ ج ٢

الزوارات دون الزائرين فان زيارة القبور جائزة عند الوهابية بدون شد الرحال كما عرفت فلم يبق وجه لتخصيص اللعن بالزائرات الا الكراهة لمنافاتها لكمال الستر المطلوب في المرأة سيما على رواية زوارات بصيغة المبالغة الدالة على ان المنهي عنه كثرة الزيارة التي لا تناسب شدة طلب الستر في النساء ولو حمل على ان ذلك كان قبل نسخ النهي عن زيارة القبور على ما مر كما توهم بعضهم لنافاه التعبير بالزائرات او الزوارات لان النسخ ان كان ففي الرجال والنساء واحتمال بقائهن تحت النهي كما حكاه السندي في حاشية سنن النسائي لقلة صبرهن واستقر به هو بعيد جداً مناف للسيرة وعمل المسلمين وقاعدة الاشتراك بين الرجال والنساء في الاحكام .

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير [١] عند شرح قوله « ص » (لعن الله زورات القبور) قال العلقمي قال الدميري قال صاحب المهذب والبيان من اصحابنا لا يجوز للنساء زيارة القبور لظاهر هذا النهي قال النووي وقولها شاذ في المذهب والذي قطع به الجمهور انها مكروهة كراهة تنزيه « انتهى » ويدل على جواز زيارة النساء للقبور بل استحباب زيارتهن قبور الانبياء والشهداء ما في وفاء الوفا [٢] روى ابن ابي شيبة عن ابي جعفر ان فاطمة بنت رسول الله « ص » كانت تزور قبر حمزه ترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر (وروى) رزين عنه ان فاطمة كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة (ورواه) يحيى بنحوه عن ابي جعفر عن ابيه علي بن الحسين وزاد فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت (وروى) الحاكم عن علي ان فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزه كل جمعة فتصلي وتبكي عنده (انتهى وفاء الوفا) .

« ويظهر » ان الوهابية بعدما اباحوا للنساء زيارة القبور في العام الماضي منعوهن منها في هذا العام فقد اخبرنا الحجاج ان النساء منعت من الدخول الى البقيع في هذا العام بدون استثناء وكأنهم بنوا على هذا الاحتمال الضعيف الذى ذكره السندي وقال به صاحب

«١» صفحة ١٩٨ ج ٣ «٢» صفحة ١١٢ ج ٢

المهذب والبيان من بقائهن تحت النهي فظهرت لهم صحته هذا العام بعدما خفيت عنهم في العام الاول « يمحو الوهابية ما يشاؤن ويثبتون وعندهم ام الكتاب ». لسنا نعارضهم في اجتهادهم اخطأوا فيه أم اصابوا ولكننا نسألهم ما الذي سوغ لهم حمل المسلمين على اتباع اجتهادهم المحتمل الخطأ والصواب بل هو الى الخطأ اقرب لمخالفته لما قطع به الجمهور ولم ولم يقل به الا الشاذ كما سمعت والامور الاجتهادية لا يجوز المعارضة فيها كما بيناه في المقدمات وما بالهم يسلبون المسلمين حرية مذاهبهم في الامور الاجتهادية ويحملونهم على اتباع معتقداتهم فيها بالسوط والسيف . كما زادوا في طنبور تعنتهم هذه السنة نغمات فعاقبوا الناس على البكاء عند زيارة قبر النبي « ص » أو احد القبور ومنعوهم منه والبكاء امر قهري اضطراري لا يعاقب الله عليه ولا يتعلق به تكليف لاشتراط التكليف بالقدرة عقلا ونقلا ومنعوا من القراءة في كتاب حال الزيارة ومن اطالة الوقوف فمن رأوا في يده كتاب زيارة اخذوه منه ومزقوه او احرقوه وضربوا صاحبه واهانوه ومن اطال الوقوف طردوه وضربوه (حدثني) بعض الحجاج الثقات انه تحيل لقراءة الزيارة من الكتاب بان فصل اوراقا منه وجعلها في القرآن وجلس يظهر قراءة القرآن ويزور فاتفق انه اشار غفلة بالسلام نحو قبر النبي (ص) فدفعوه حتى اخرجوه من المسجد واخذوا تلك الاوراق ومزقوها وامثال هذا مما صدر منهم في حق الحجاج في مسجدي مكة والمدينة ومسجد الخيف والبقيع وغيرها مما سمعناه متواتراً من الحجاج كثير يطول الكلام بنقله .

استدراك

— ١ —

في بعض ما يحكى عن ابن تيمية من المعتقدات التي فاتنا ذكرها عند ذكر معتقده في صدر الباب الاول :

ففي كتاب دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة من الحنابلة لابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الواعظ المشهور عند ذكر الآيات التي ظاهرها التجسيم (قال) ومنها قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الى ان قال : قال ابن حامد [٢] الاستواء مماسة وصفة لذاته

(١) في حاشية الكتاب : هو شيخ الحنابلة الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ٤٠٣ ؛ كان من اكبر مصنفيهم له شرح اصول الدين فيه طامات «انتهى» — المؤلف —

والمراد القعود وقد ذهبت طائفة من اصحابنا الى ان الله تعالى على عرشه ما ملأه وانه يقعد نبيه على العرش وفي الحاشية [١] ما لفظه : قال الجلال الدواني في شرح العضدية : وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به اي بالقدم النوعي في العرش «انتهى» وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه : وذلك ان ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والاحاديث القائلين بان الله استوى على العرش جلوساً فلما اورد عليه انه يلزم ان يكون العرش ازلياً لما ان الله ازلي فمكانه ازلي وأزلية العرش خلاف مذهبه قال انه قديم بالنوع اي ان الله لا يزال يعدم عرشا ويحدث آخر من الازل الى الابد حتى يكون له الاستواء ازلا وابداً. ولننظر اين يكون الله بين الاعدام والايجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به ازلا فسبحان الله ما اجهل الانسان وما اشنع ما يرضى به لنفسه « انتهى المنقول في الحاشية» فانظر الى قول الحنابلة سلف ابن تيمية الذين يدين بمذهبهم ان الله مستو على العرش استواء مماسة وقعود وانه ما ملأ العرش بل العرش اكبر منه وانه يجلس معه نبيه على العرش تشبيها بالملك الذي يجلس معه وزيره على السرير والى قول ابن تيمية ان العرش قديم بالنوع حادث بالشخص تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (وفي كتاب دفع شبه التشبيه) ايضا عند ذكر الاحاديث التي ظاهرها التجسيم [٢] الحديث التاسع عشر روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي « ص » ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فأستجيب له « قال ابن حامد » : هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل . وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله . ومنهم من قال يتحرك اذا نزل وما يدري ان الحركة لا تجوز على الله وقد حكوا عن الامام احمد ذلك وهو كذب عليه « انتهى » .

« وفي الحاشية » حكى ذلك ابو يعلى في طبقاته عن احمد بطريق ابي العباس الاصطخري وعجيب من « ابن تيمية » كتبه في معقوله غير منكر ما يرويه حرب ابن اسماعيل الكرماني صاحب محمد بن كرام في مسائله عن احمد وغيره في حقه سبحانه انه يتكلم ويتحرك ونقل ايضا « يعني ابن تيمية » عن نقض الدارمي ساكتاً او مقراً : الحي

«١» صفحة ١٩ طبع دمشق «٢» صفحة ٤٦ طبع دمشق .

القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء لان امارة ما بين الحي والميت التحرك وكل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة بل يروى عنه نفسه « يعني ابن تيمية » انه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال : ينزل الله كنزولي هذا ، على ما اثبته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : ذكروا انه ذكر « اي ابن تيمية » حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين ، فقال كنزولي هذا فنسب الى التجسيم «انتهى» .

- ٢ -

مما يتعلق بالاستغاثة ما عن الاستيعاب انها وقعت مشاجرة بين بني عامر في البصرة فبعث عثمان ابا موسى الاشعري اليهم فلما طلع عليهم صاحوا يا آل عامر فلما سمع النابغة الجعدي برز مع قومه فقال ابو موسى ما شأنك قال سمعت دعوة قومي فأجبتها فعزره ابو موسى بسياط فقال النابغة أبياتا من جملتها :

فيا قبر النبي وصاحبيه الا يا غوثنا لو تسمعونا
الا صلى الاله عليكم ولا صلى على الامراء فينا

والنابغة من الصحابة ولما قال :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له النبي (ص) الى اين ؟ قال الى الجنة بك يا رسول الله ودعا له النبي (ص) فقال لا فض فوك .

ومما يتعلق بالاستغاثة ما جاء في قصة قارون انه لما خسف به استغاث بموسى «ع» فلم يغثه وقال يا ارض ابلعيه فعاتبه الله حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته .

- ٣ -

مما يتعلق بالتوسل ما عن السيوطي ان النبي «ص» استسقى فلما نزل الغيث قام رجل من كنانة فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة اليه واشخص منه البصر

اغاث به الله عليا مضر — وهذا العيان لذاك الخبر
وكان كما قاله عمه — ابو طالب ابيض ذو غرر
فلم تك الا ككف الرداء — او اسرع حتى رأينا الدرر
به قد سقى الله صوب الغمام — ومن يكفر الله يلقى الغرر

فقال النبي (ص) ان يك شاعر يحسن فقد احسنت . فقوله : سقينا بوجه النبي المطر . وقوله : اغاث به الله عليا مضر . وقوله : وكان كما قاله عمه الخ الذي هو اشارة الى قوله وابيض يستسقى الغمام بوجهه . وقوله : به قد سقى الله صوب الغمام كلها دالة على حسن التوسل والاستغاثة بالنبي (ص) لانه سمعها ولم ينكرها بل استحسنها .

— ٤ —

مما يتعلق بالاقسام على الله بمخلوق ما ذكره ابن خلكان في تاريخه قال حكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال كنا بفناء الكعبة انا وابن عمر وابن الزبير واخوه مصعب وعبد الملك بن مروان وذكر دعاء كل منهم ان يعطى متمناه فاعطيه فكان من دعاء عبد الله بن الزبير (اسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه السلام) .

— ٥ —

مما يتعلق بالنذر رداً على استشهاد الصنعاني بحديث ان النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل ما رواه صاحب الكشاف والبيضاوي وغيرهما في تفسير قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا «الآية») عن ابن عباس ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برأا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا (الحديث) قالوا ما حاصله ان علياً (ع) استقرض ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزته فجاءهم عند الافطار مسكين فآثروه وجاءهم في

اليوم الثاني يتيم فآثروه وفي اليوم الثالث اسير فآثروه فنزل جبرئيل وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة (انتهى) .

- ٦ -

مما يتعلق بالتبرك بمنبر النبي (ص) وبآثاره ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا [١] عن الاقشهري عن يزيد بن عبد الله بن قسيط رأيت رجالا من اصحاب رسول الله (ص) اذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان رسول الله (ص) يمسكها بيده ثم يستقبلون القبلة ويدعون . قال : وفي الشفاء لعياض عن ابي قسيط والعتبي رحمهما الله كان اصحاب رسول الله « ص » اذا خلا المسجد حبسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون «انتهى» .

مستدركات الطبعة الاولى

- ٧ -

لم يكن نسب السعوديين اليهودي مجهولا في نجد ، بل كان الكثيرون يعرفونه ويعرفون كيف تظاهر السعوديون بالعروبة والاسلام ستراً لاغراضهم ومطامعهم . وممن اشار الى هذا النسب الشاعر النجدي الشهير « حميدان الشويعر » الذي كان يجيد نظم الاشعار الشعبية المعبرة عن احاسيس مواطنيه .

ولما تحالف محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب واستحلا دماء العرب والمسلمين ، لم يستطع هذا الشاعر السكوت على المحنة التي حكمت سلالة اليهود برقاب النجديين وغير النجديين من حملة الاسلام وحفدة العروبة .. وكان هذا الشاعر يقيم ببلدة في اواسط نجد تسمى « اوشيقر » تقع قريباً من جبل يدعى « عوصاء » كان يتردد عليه « حميدان » ، فقيل له يوماً : لا تذهب الى هذا الجبل لان ذئاباً تجوبه فتفترس الناس . فضحك الشاعر قائلاً : مسكينة هي الذئاب ، انها مظلومة منذ عهد يوسف بن يعقوب ثم انشد :

«١» ص ٤٤١ ج ٢

ما اخشى ذيبا في عوصا   اخشى عوداً في الدرعيه [١]
قولا [٢] حق وفعلا [٣] باطل   وسلاحا [٤] كتب مطويه
خلى هذا يذبح هذا   وهوا [٥] جالس في الزوليه [٦]
دم يهودا [٧] في عروقا [٨]   من اصول عبرانيه
دعوتهم للدين الكاذب   ما هي دعوه محمديه

— ٨ —

لكي نعرف ما قدمه السعوديون في الحرب الفلسطينية يكفي ان نأخذ هذه الفقرة من مذكرات القائد طه الهاشمي الذي كان رئيسا للجنة العسكرية المنبثقة سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ عن جامعة الدول العربية للاشراف على حرب فلسطين . وقد نشر هذه المذكرات في جريدة الحارس البغدادية ، قال الهاشمي :

ان الحكومة السعودية ابرقت للجنة العسكرية عن اسلحة معدة لانجاد فلسطين موجودة في (سكاكة) بالصحراء السعودية ، فارسلت الحكومة السورية طيارات عسكرية فاحضرت تلك الاسلحة لدمشق وسلمتها الى المصنع الحربي التابع للجيش السوري لفرزها وتبويبها ، فاذا هي اسلحة عتيقة متعددة الانواع والاشكال ، فيها الموزر والشنيدر والمارتيني الخ وفيها بنادق فرنسية وانكليزية وعثمانية ومصرية ويونانية ونمساوية ، وكلها بدون جبخانة وكلها مصدئة (خردة) لا تصلح لقتال ... ثم قال الهاشمي : انهم وجدوا بين هذه الحدايد بنادق مما تعبأ بالكحل من فوهتها وتدك من الفوهة ايضا ، وانها من مخلفات حملة الجيش المصري على الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر .. « انتهى » .

وليس هذا فقط فان رؤساء الوفود العربية في هيئة الامم المتحدة ارسلوا عشية الموافقة

---

(١) عود : اي شيخ ، والدرعية هي البلدة التي اتخذها ابن سعود وابن عبد الوهاب قاعدة لهما (٢) قوله (٣) فعله (٤) سلاحه (٥) هو (٦) السجادة (٧) اليهود (٨) عروقه .

على قـــرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ برقيـــة الى الملك السعودي يلحون عليه باصدار تصريح – مجرد تصريح – يهدد فيـــه بقطع البترول اذا صوتت امريكا على التقسيم واعترفت باسرائيل . فماذا كان رد الملك ؟

كان ان اعطى تصريحا معاكسا قال فيه: «ان المصالح الامريكية في السعودية محمية، وان الامريكيين هم من « اهل الذمة » ، وان حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه في القرآن الكريم ! »

وهكذا تم تقسيم فلسطين واقامة اسرائيل واعتراف امريـكا بالدولة المغتصبة بعد اعلان قيامها بدقيقة واحدة ! .

الخاتمة

ولنقطع الكلام على هذا القـــدر من الرد حامدين المولى تعالى على توفيقه لا كمال هذا الكتاب وكان الفراغ من تسويده في اواخر شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٦ من الهجرة بقرية شقرا من جبل عامل ووقع الفراغ من تبييضه واعادة النظر فيه في اواسط ربيـــع الاول سنة ١٣٤٧ بمدينـــة دمشق المحمية والحمد لله وحده وصـــلى الله على رسوله محمد وآله وسلم .

ومن تجديده واعادة طبعه على يد ولد المؤلف حسن الأمين في بيروت سنة ١٣٨٢

العقود الدرية

في رد شبهات الوهابية

تأليف المغفور له : السيد محسن الأمين
حققه وأخرجه : ولده حسن الأمين

(الطبعة الثانية)

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين (وبعد) فهذه القصيدة المسماة « بالعقود الدرية في رد شبهات الوهابية » نظم الفقير الى عفو ربه الغني محسن الامين الحسيني العاملي تجاوز الله عن سيئاته .

اشجاك ربع عند برقة ثهمد ... اقوى فبت مسهداً لم ترقد

لعب الزمان به وبان قطينه ... من رائح منهم وآخر مغتدي

ام هل شجيت بذي الاراك لساجع ... فوق الغصون من الاراك مغرد

ام هل حننت الى نوازل بالحمى ... رقدوا وبت لهم بليل الارمد

غادين قد زموا المطي لواغبا ... حتى اناخوها باعلى الاثمد

وبقيت بعدهم لذكر فراقهم ... تبكي بدمع للخدود مخدد

ام هل بكيت على الشباب وعصره ... ام هل صبوت الى الحسان الخرد

مثل الغصون بها القدود تمايلت ... ولها الثياب كأنها الورق الندي

ترمي لواحظها المريضة في الحشا ... عن قوس حاجبها سهام مسدد

وتسل من بين الجفون صوارما ... مشحوذة تزري بكل مهند

ما عاد دمع العاشقين موردا ... الا لحمرة خدها المتورد

باتت بليلة نائم ما مسها ... سهد وبت لها بليل مسهد

من كل واضحة الجبين اسيلة الـ ... ـخدين خود بضة المتجرد

بيض نواعم كالغصون اوانس ... عين نوافر كالظباء الشرد

حملت من الارداف احقافا ومن ... اعطافها مثل الغصون الميد

ما كان حظ الصب يوم وداعها ... بالرمل الا لمحة المتزود

دع ذكر ايام الصبا ومواقفا ... لك عند رسم المنزل المتأبد

واهجر احاديث الغرام وصبوة بعد المشيب لذات قد املد

* * *

قم وابك منتحباً لما قد حل بالاسلام من وهن وفرط تبدد
ابناؤه متشاكسون عراهم محلولة ما بينهم لم تعقد
زرعوا وكان الغير حاصدزرعهم يا ويح ايد زرعها لم تحصد
وملوكه امسى يقوض ملكهم ابداً بسيف عنهم لم يغمد
فرحون باسم مملك لكنه لسواه كالمملوك والمستعبد
ويقوم فيهم من يسمى مصلحا بين البرية وهو عين المفسد
او مرشداً هو احوج الاقوام لو عقل الأمور الى اتباع المرشد
معبوده اما هوى او درهم فسوى الدراهم والهوى لم يعبد
او من يذم مقلداً لكنه لو كان يعلم ليس غير مقلد
او من يقلد دينه فيهم الى شخص لآثام الورى متقلد
او من يثير ضغائنا ما بينهم كادت تماث كأنها لم توجد
ويقوم باسم الدين يوقد نارها بغيا ولو لا بغيه لم توقد
يقلي أخاه به ويظهر بغضه ويقوم مفتريا عليه ويعتدي
او من يروج في الانام ضلالة ويخالها رشداً وان لم يرشد
في كل شارقة عرين يستبا ح على الاساد من مستأسد
في كل غاربة لهم حصن يخرب بعد حصن بالخراب مهدد
في كل ناحية لهم شمل يبدد بعد شمل قبل ذاك مبدد
في كل يوم نحوهم سهم يسدد اثر سهم للنحور مسدد
قد أصبحوا ما بين ثاو خامل دان وآخر في البلاد مشرد
يمسي ويصبح دهره من حيرة والطرف بين مصوب ومصعد
اين الألى فتحوا الحصون وقلدوا بالسيف طوق الذل كل مقلد

من كل قرم للكفاح معاود بشبا الصفاح على القراع معود

يمشي الى الهيجاء مشية مسرع (عجلان ذا زاد وغير مزود)

لم يكف ما قد حل بالاسلام من ضيم تذوب له صخور الجلمد

وتقسم المستعمرين بلاده ووقوف سطوتهم له بالمرصد

وتتابع الحملات من اطرافه قصداً لهدم اساسه المتوطد

حتى اتت اعراب نجد تبتغي نكأ القروح وفعل ما لم يحمد

جاءت مجددة لدين محمد زعمت وتنفي عنه كل مجدد

جاءت لتهدي الناس وهابية كلا وهل يهديك غير المهتدي

من عصبة فيها الجمود سجية لم يلف فيها قط من لم يجمد

لولا المساعي الاجنبية ما اغتدى في الناس لابن سعودها من مسعد

لولا سيوف الغرب لم يك نجمه في الشرق يوما طالعا بالاسعد

* * *

فرغت من التوطيد للاسلام لم تترك من الاسلام غير موطد

قد مهدت شرع النبي ولم تدع في الارض شيئاً منه غير ممهد

وبها طريق الدين صار معبدا لم يبق منه قط غير معبد

لم يبق في الاقطار من متمجس من فضل دعوتها ولا متهود

ما ان ترى بين الورى من فاجر عاص ولا من شارب ومعربد

ردت عن الاسلام كل معاند وحمته من باغ عليه ومعتد

ومحت من الاسلام كل ضلالة او بدعة او شبهة من ملحد

شنت على المستعمرين جميعهم غاراتها في كل قفر فدفد

شهرت بمصر والعراق وجلق والهند اسيافاً له لم تغمد

في المغرب الادنى علت راياته والمشرق الادنى كذا في الابعد

فتحت اقاصي ارض اشبيلية وتخوم اندلس حوتها باليد

قد حررت شرق البلاد وغربها بسيوفها من غاصب مستعبد

طردت عن الاسلام كل محاول فتح البلاد وغيره لم تطرد

قد جردت في الفاتحين سيوفها لا يقطع الهندي غير مجرد
لم تبق من مستعمر في ارضه او فاتح لبلاده متمرد
ينسى بها عهد الفتوح وما جري فيه فمثل فتوحها لم يعهد
ردت الى العرب الكرام فخارهم ولهم اعادت كل مجد اتلد
وعلى سواهم وجهت حملاتها وعليهم في دارهم لم تعتدي
هذا الحجاز جميعه في كفها بجباله ورماله والانجد
ولها القصيم وحائل ومرابع الد هناء تقتل من تشاء ولا تدي

* * *

لم يبق غير قبور آل محمد شيدت ضلالا في بقيع الغرقد
وقبور آباء النبي وصحبه بوجودها الاسلام لم يتمهد
فاذا محت ما شيد من بنيانها لم يبق في الاسلام غير مشيد
امسى بها التوحيد مفقوداً فمذ هدمت فما في الكون غير موحد
فعدت عليها كالوحوش ضواريا وغداً ستتبعها بقبر محمد
ما قبر احمد عندها امسى سوى صنم لقد ضلت ولما تهتد
كلا لعمر الله هدم قبورهم هدم لصرح بالفخار ممرد
قد حاولت والله مكمل نوره اطفاء نور ساطع لم يخمد
جرت على الاسلام اعظم ذلة بفعالها وأتت بكل تمرد
ساءت جميع المسلمين بفعلها ورمت قلوبهم بجمر موقد
ساءت امام المسلمين محمداً واليه في قرباه لم تتودد
ساءت اله العرش فيهم فاغتدت منه بمنزلة القصي المبعد
لم يكف ما صنعت بهم اعداؤهم بحياتهم من كل فعل انكد
حتى غدت بعد الممات خوارج في الظلم بالماضين منهم تقتدي
لم تحفظ المختار في اولاده وسواهم من احمد لم يولد
وهم الائمة للورى والعترة الـ ـهادون حقا قدوة للمقتدي
لم تحفظ المختار في آبائه من اصيد متفرع من اصيد

لم تحفظ المختار في اعمامه من كل قرم بالعلى متفرد
لم تحفظ المختار في اصحابه وهم الذين بهم غدونا نقتدي
لم تحفظ المختار في ازواجه ولهن منه حرمة لم تجحد
هدمت قبابا فوقهم قد شيدت معقودة من فوق اشرف مرقد
فوق الامام السيد الحسن الزكي ابن النبي ابن الامام السيـد
والعابد السجاد زين العابديـ ـن بن الحسين الراكع المتهجد
والباقر العلم ابنه والصادق الـ ـقول المفضل جعفر بن محمد
والسيد العباس عم محمـــد رب المفاخر والعلى والسؤدد
والحبر عبد الله حبر الامة الـ ـبحر الخضم ومرشد المسترشد
وصحابة الهادي الذين بنصرهم للدين قد فازوا باعذب مورد
والناصر المختار والد طالب عم النبي وحمزة المستشهد
والمطعم الحجاج عفواً سيد الـ ـبطحاء معطي الرفد للمسترفد
وخديجة الغراء ام المؤمنيـ ـن ومن سمت شرفا مقام الفرقد
والطهر آمنة وعبـد الله يا لله لليوم الفظيع الاسود
وامام طيبة مالك وضريح اسـ ـماعيل نجـل الصادق المتعبد
قوم لهم اسمى مقام ادركوا قصب السباق به برغم الحسد
سبقوا البرية في الفضائل من مسو د قد غدا ما بينهم ومسود
ولهم من النسب الصراح صراحه شرف قد اشتركوا به في القعدد
من كل فذ ماله من مشبه او كل ندب في الفضائل مفرد
ولامهات المؤمنين مكانة حكمت ببر في الورى وتودد
وبقبر حواء وهدم ضريحه باب المذمة عنهم لم يوصد
ام الانام تعق بعـد وفاتها من فعل ابناء عليها تعتدي
ساءوا بذلك نسل آدم كله ولآدم جاءوا بما لم يحمد

* * *

يا قبـة بثرى البقيـع منيعة شأت الفراقد والسهى في مصعد

ولقبة الافلاك دون منـــالها ... شأو الظليع غدا وسير المجهـد
شعت بهـــا انوار آل محمد ... بسنـــا على طول الزمان مخلد
من كل فذ في البريـــة مغتذ ... در النبـوة بالامامة مرتدي
في بقعة ودت نجوم سمائها ... في الارض من حصبائها لو تغتدي
والشمس ترمقها بناظر حاسد ... ويرد عنهـــا البدر مقلة ارمد
كف الثريا قاصر عن نيلهـــا ... ابداً وعنها الشمس قاصرة اليـد
تعتز بالفضل العظيم المعتـلي ... وتطول بالشرف القديم الاتلد
عاثت بشامخها اكف جفاتهم ... يا للابا والدين عيث المفسد
هدمت معاولهم رفيع بنائها ... ومحت محاسنها بذاك المعهد
عجباً لاحداث الزمان وما اتت ... فذئابه داست عرينة ملبد
أمعالم الاسلام تمحى جهرة ... والمسـلمون بمنـظر وبمشهد
قد نال قبر السبط شبه فعالهم ... في القبح من متوكل متمرد
ولما تقدم من قبيح فعالهم ... في كربلاء زمانه لم يبعد
أبقى له ولهم مخازي جمة ... مهما يطل زمن بها تتجدد
زعمت بأن الدين أوجب هدمها ... لرواية جاءت بمسند احمد
يدعو ابا الهياج حيدر انني ... لك باعث فانهض بأمري واجهد
كان النبي بمثل ذلك باعثي ... وبذي الوصية آمري ومزودي
لا تبق قبراً مشرفاً الا وقد ... سويته فاقصد لذلك واعمد
لو انه قد صح اسناد لها ... ليست تعارض سيرة لم تجحد
انى وليس طريقها بمصحح ... وبواضح التـــوثيق لم تتأيد
فيه المدلس والذي كثر الخطا ... منه ومن بغض ابن عم محمد (١)
وبها ابو الهياج منفرد وليـ ... ـس له سوى هذا الحديث المفرد
سويته معناه مستويا لقـــد ... صيرته لا ذا سنام يغتدي
هذا هو المعنى اذا متعلق ... لم يذكروه له بغير تلدد

«١» يعلم تفسيره وتفسير غيره مما فصلناه في كشف الارتياب فراجع .

في الذكر سواها وسوى قد اتى أبداً سوى هذا به لم يقصد
فمفاده نهي عن التسنيم بالتسطيح امر فـــاتبعه ترشد
وعليه اورده دليلا مسلم بصحيحه فبمثله فاستشهد
وبذلك النووي فسره كـذاك القسطلاني الامام الاوحدي
سويته ما ان يفيد هدمته في العرف الا عند ذي فهم ردي
كلا ولا سويته بالارض يفـــــهم منه ذو فهم صحيح جيد
مع ان هذا لم يقله مسلم والرفع بالاجماع سنة مهتدي
مع انه لو تم ليس بشامل للقبة المعلاة فوق المشهد
اذ كان مخصوصاً بنفس القبر لم يشمل بناء حوله في الاجود

***

هيهات هدم قبور عترة احمد يا ويلها عن احمد لم يسند
يا للرجال لهول خطب فادح اذكى القلوب بغلة لم تبرد
اعراب نجد تبتغي تعليمنا وتقوم فينا في مقام الرشد
جهلت لعمر الله سنة احمد والى مدينة علمه لم تقصد
كم قد روى الراوون عنه رواية كذبا ولم يخشوا عقاب الموعد
فلذاك قام بهم خطيبا قائلا للنـــاس قول تهدد وتوعد
كثرت علي من الورى كذابة عصت الاله وللهدى لم تنقد
يا قوم من يكذب علي تعمداً فليتخذ في النار اسوأ مقعد
ولكم رأوا لفظ العموم وما دروا لفظ الخصوص ولا اهتدوا للمقصد
كم قد رووا من مات فهو معذب ببكاء من يبكي ولم يتجلد
عمر رواه وخطأته امه في ذاك لم تشكك ولم تتردد
كم مجمل ومبين ومعمم ومخصص او مطلق ومقيد
كم من مجاز للحقيقة مشبه او من صريح كالكناية يغتدي
كم شابة المندوب محتوماً ومن مكروهه المحظور لم يتجرد
كم سنة في الناس تحسب بدعة ما النص شرط في خصوص المورد

وتفاوت الافهام فيما قد روى ... الراوون في الاخبار غير محدد
تخذ الاله هواه في القرآن قد ... جاءت وتلك حقيقة لم تقصد
عبد الذي اصغى الى متكلم ... متكلما لكنه لم يعبد
والكفر اطلق في معاصي جمة ... ما كفرت كا باق عبد انكد

* * *

او ليس امة احمد اجماعها ... فيه الصواب وحجة لم تردد
وعلى ضلال كلها لم تجتمع ... فيما رويتم في الحديث المسند
مضت القرون وذي القباب مشيدة ... والنـــاس بين مؤسس ومجدد
في كل عصر فيه اهل الحل و ... العقد الذين بغيرهم لم يعقد
لم ينكروا ابداً على من شادها ... شيدت ولا من منكر ومفند
من قبل ان تلد ابنها تيمية ... او يخلق الوهاب بعض الاعبد
افأي اجماع لكم اقوى على ... امثاله من مورد لم يورد
فبسيرة للمسلمين تتابعت ... في كل عصر نستدل ونقتدي
اقوى من الاجماع سيرتهم ومن ... قد حاد عنها فهو غير مسدد
هيهات ليس نبياً ابن بليهد ... في الناش لم يخطىء ولم يتعمد
كلا ولا العلماء قد حصرت به ... هي في بقاع الارض ذات تعدد
كلا ولا من وافقوه لخوفهم ... او جهلهم من خائف ومقلد
والجل من علماء طيبة ساكت ... للخوف مكفوف اللسان مع اليد

* * *

دفن النبي المصطفى في حجرة ... شات الكواكب في العلى والسؤدد
والمسلمون تجد في تعظيمها ... ما بين بان منهم ومشيد
من ذلك العهد القديم ليومنا ... تعظيمهم لضريحه لم ينفد
لم يهدم الاصحاب حجرة احمد ... وهم الهداة وقدوة للمقتدي
بل لم تزل مبنية وبنـــاؤها ... في كل عصر لم يزل يتجدد
ان لم يجز فوق القبور بناؤنا ... لم لم تهدم قبل حجرة احمد
ما كان ممنوعا لنا احداثه ... ابقاؤه عن ذاك غير مجرد

مع انهم قد احدثوا بنيانها ... متتابعا من بعد دفن محمد
زوج النبي بنت عليها حائطاً ... بين القبور وبينها لم يعهد
وابن الزبير لها بنى وكذلك ... الفاروق ثم سميه فانقتد
يروي فتى سمهود ذلك عنهم ... بوفائه فعلى الوفاء تعود
جهلوا تراهم ما علمتم ام غدوا ... متساهلين وانتم بتشدد
وتتـــابع البانون في بنيانها ... وغدت لاهل الدين اعظم مقصد
لضريح احمد حرمة ماردها ... غير الجهول وغير ذي الطبع الردي
من في الورى يا صاح يجحد قدره ... هيهات شامخ قدره لم يجحد
انى ودفن الصاحبين بجنبه ... قد جاوراه كلاهما في ملحد
قد عد اعظم رتبة وفضيلة ... في الكون يوما مثلها لم يعدد
وبنو امية قد ابت دفن ابنه ... الحسن الزكي بجنبه في مرقد
قالت أيدفن ثالث الخلفاء في ... أقصى البقيع وفي مكان مبعد
والسبط يدفن عند تربة جده ... لنقاتلن بذابل ومهند
وتجمعوا مع من يلف لفيفهم ... من مبرق يبغي القتال ومرعد
ويقول مروان ايدفن ها هنا ... حسن وهذا السيف تحمله يدي
لو لم يكن شرف القبور فما الذي ... يدعو الى هذا المقيم المقعد
وكذا ضرائح آله فلها الذي ... لضريح جدهم برغم الحسد

***

قد كان بالثقلين احمد موصيا ... فيما رواه احمد في المسند
وهما كتاب الله ثم العترة ... الهادون حقا للطريق الارشد
فهما هما تالله لن يتفرقا ... حتى ورود الحوض يوم المورد
وهما هما قد ضل من لا يهتدي ... بهما ومن بهداهما لا يقتدي
ان احترامها على كل الورى ... فرض بهذا النص لم يتقيد
اجر الرسالة ود قربى احمد ... ما ذاك فعل المخلص المتودد
والله الزمنا احترام نبيه ... وذوي المكانة والمقام الامجد

زمن الحياة وفي الممات كليهما في غابر الازمان والمتجدد
لا ترفعوا اصواتكم عن صوته لاتجهروا بالقول في ذاك الندي
في عهد ام المؤمنين كرامة وتد بدار حوله لم يوتد
كانت تقول لهم فلا تؤذوا رسو ل الله من وتد بدار موتد
عقد القباب على قبور ذوي الهدى فيه احترام ذوي القبور الهمد
وكذلكم هدم القباب اهانة لهم غدا في رأي كل مسدد
والله يغضب والنبي لفعل من يبغي اهانتهم بأمس او غد
والفعل مهما يختلف عنوانه فالحكم مختلف بغير تردد
ليس الذي سمى المعظم سيداً بمعنف في قوله يا سيدي
والمصطفى قد قال سيدنا وسيدكم لسعد ذي المقام الاسعد
ما اسقط الرحمن حرمة مؤمن بعد الممات وفضله لم يفقد
هل اذ يموت المرء يعدم فضله فلم الصلاة على النبي محمد
تعظيم قبر معظم لا منع فيه وجعل خدام تروح وتغتدي
يعتز ساكنه بجفاد له بين الورى ويهان ان لم يحفد

* * *

زعموا البناء محرما اذ انها ارض مسبلة لكل موسد
من كان شاهد منكم تسبيلها او وقفها بين الورى فليشهد
هذا افتراء منكم وتحكم ان قد تم فطنابه لم ينقد
بل ان ما يروى نفى تسبيلها عنها وأبطل شاهد المستشهد
دفن ابن مظعون بها من بعدما كانت مواتا طبقت بالغرقد
من بعده الهادي بها دفن ابنه من غير ما وقف وبالهادي اقتدى
والناس قد دفنوا بها من بعده من غير تسبيل ولا وقف بدي
قطعوا بها ما كان من شجر وما وقفوا لاجل الدفن وقف مؤبد
هب انهم وقفوا فلم يك وقفهم بالمنع عما قلتم بمقيد

لـكن ما هدمتوه مسبل   في الاثم هادمه يروح ويغتدي

***

عبد القبور المسلمون بزعمكم   كلا فغير الـلّهنا لم نعبد
ان احترام القبر تعظيم لمن   في القبر من مولى عظيم المجد
قستم بها الاصنام ان قياسكم   يا قوم بالاصنام غير مسدد
فاؤلائكم عبدوا الحجارة كي تقر   بهم ونحن لغيره لم نعبد
سجدوا مع الباري لها وتعبدوا   جهلا ولم نسجد ولم نتعبد
ليس احترام ذوي القبور عبادة   لذوي القبور ولا لها في مورد
كل احترام لو يكون عبادة   في الخلق عم الشرك كل موحد
والله الزمنا احترام مساجد   افهل يكون عبادة للمسجد
كم حرمة لمقام رجل خليله   جعل الاله لصخرة من جلمد
والشرع جاء محسنا تقبيلنا   للبيت والحجر الاصم الاسود
واطاعة الابوين فرض لازم   كاطاعة الباري القديم الموجد
لهما جناح الذل فاخفض لا تقل   أف وبالغ في الاطاعة واجهد
ولآدم سجد الملائك كلهم   دون الخبيث فذم من لم يسجد
وليوسف يعقوب مع ابنائه   سجدوا له قدماً سجود تعمد
ما كان شركا لا يكون نزاهة   النص أورد فيه او لم يورد
او كان توحيداً فليس بكائن   شركا فانقص من مقالك او زد
الحكم للموضوع ليس مغيرا   بالحكم لم ينقص ولما يزدد

* * *

الله فاضل بين مخلوقاتـه   ليس التراب مساويا للعسجد
شهر الصيام على الشهور مفضل   فيه قبول عبـادة المتعبد
وكذلك الاسبوع يفضل بعضه   بعضا كذا الساعات فاكفف واهتد
والشمس فضلها الاله على السهى   والبدر ليس مساوياً للفرقد

والليث ليس به يساوي ارنب والصقر ليس مماثلا للهدهد
والارض في شرف البقاع تفاوتت هل مكة امست تعد كصرخد
والمسجد الأقصى المبارك حوله كسواه ام هل حانة كالمعبد
ان القبور كمن حوته تفاوتت في الفضل والشرف القديم الاتلد
ذم الالى اتخذوا القبور مساجدا من ذي التنصر قبل والمتهود
معناه نهي عن سجود فوقها او جعلها لك قبلة في المسجد
فبذاك اضحت وهي غير المدعى وعلى الكراهة حملها لم يبعد
او عن عبادتهم لصورة صالح بكنيسة في قبلة المتعبد
قد كن ازواج النبي رأينها يوماً لدى الاحباش فانظر تهتد
وكذاك متخذاً عليها مسجداً منه الكراهة قط لم تستبعد
كرهت على القبر الصلاة لدى جميع المسلمين ففوقه لا تسجد
وعلى القبور اذا بنينا مسجداً منا الصلاة على المقابر تغتدي
ويجمعه مع زائرات للقبور ترى الكراهة فيه ذات تؤيد
اما البنـاء لمسجد من حولها قصد الصلاة فما له من مفسد
من فوق اهل الكهف قد تخذ غلبوا عليهم مسجداً لم يعهد
والمسلمون بحول قبر محمد قد ما بنوا للناس افضل مسجد
وبيوت ازواج النبي به لقد دخلت لدى توسيعه المتجدد
والنهي عن اسراجها لو صح فا لتنزيه منه ليس بالمستبعد
اذ لا تكون به منافع للورى من قارىء او زائر متردد
ولانه عبث واسراف بلا نفع فيلزم صرفه في الافيد
والنهي عن كتب عليها جاء في خبر ضعيف نادر لم يعضد

★ ★

وكذا الصلاة لدى القبور تبركا بذوي القبور فليس بالصنع الردي
ان الائمة من سلالة احمد ثقل النبي وقدوة للمقتدي
قالوا الصلاة لدى محل قبورنا في الفضل تعدل مثلها في المسجد

عنهم روته لنا الثقات فبالهدى منهم اذا شئت الهداية فاقتد
شرف المكان بذي المكان محقق واخو الحجى في ذاك لم يتردد
خير عبادة ربنا في مثله من غيره فاليه فاعمد واقصد
وكذلكم طلب الحوائج عندها من ربنا ارجى لنيل المقصد
ان القبور بساكنيها شرفت فلساكنيها منزل لم يجحد
بركاتها ترجى لداع انهـا بركات شخص في الضريح موسد
لا بدع أن كان الدعاء اليه فيـ ـها صاعداً وبغيرها لم يصعد
طلب الحوائج عند قبر مفضل عنـد الاله وبالفعال مسود
كسؤالها من ربنا في مسجد او في زمانٍ فاضل لم يردد

* * *

والنهي جاء عن الصلاة الى القبو ر كما رواه احمد في المسند
لكنه ان صح غير المدعى وكذاك منه حرمة لم تقصد
لكنما منه الكراهة قد بدت للفهم في النظر الصحيح الجيد

* * *

والنهي عن تجديدها لا تبنين على القبور وفوقها لا تقعد
ان صح كان على الكراهة حمله متوجها فاحمل عليها ترشد
ذكر القعود على القبور مؤيد دعوى الكراهة وهو خير مؤيد
لكنها في غير من تعظيمه تعظيم ربك والنبي محمد
تالله ما فهم الشمول لمثلها الا الغبي او الغوي المعتدي

* * *

حللتم دم كل شخص مسلم ورميتم بالشرك كل موحد
بل انتم اولى بكفر انكم قد قلتم في الله قول مجسد
في كل ليلة جمعة هو نازل فيما زعمتم فوق ظهر المسجد
وبغير تأويل على العرش استوى والعقل في التأويل لم يتردد
ان الخوارج قبلكم قد كفروا من كان يوما مثلهم لم يجحد

اشبهتموهم في جميع صفاتكم حتى رأينا امس يظهر في غد
وفعلتم بالمسلمين كفعلهم بالصائم المتعبد المتهجد
والمصطفى المختار اخبر عنهم بمروقهم من دينه بتعمد
وكذلك المختار اخبر عنكم اذ قال في نص الحديث المسند
في شامنا بارك وفي يمن لنا يا ربنا والعيش فيها ارغد
في صاعنا بارك وفي مد لنا وكذا مدينتنا وظلك فامدد
قالوا وفي نجد ؟ فعاود قوله من غير تنقيص وغير تزيد
قالوا وفي نجد؟ فجاوب قائلا لهم مقال الحانق المتهذد
من نجد الشيطان يطلع قرنه في ارض نجدكم له من منجد
مأوى الزلازل ارض نجدكم بها فتن ترى من كل شخص مفسد
هذا مقال المصطفى في نجدكم هيهات ما ان نجدكم بالارشد
فالحق يا اخوان ليس بمنجد والدين والايمان ليس بمنجد
لو يعلم التوحيد منحصراً بها لدعا لها بدعائه المتعدد
او يعلم الاشراك حتما كائنا فيما عداها في الدعا لم يجهد
تالله ليس يهين تكفير من بالله آمن والنبي محمــد
والسفك للدم وانتهاك محارم منه وجعلك مسلماً كالملحد
واخافة للمسلمين وتركهم ما بين مقتول وبين مصفد
للرأي من شخص خطاه وجهله بين البرية ليس بالمستبعد
قد قلدته الرأي وهابية من مرعد ما بينهم او مزبد

★

قالوا شفاعة احمد حق وان تسأله اياها بشرك تلحــد
من قال في الدنيا له اشفع لي الى الـ باوي فهذا الشرك دون تردد
بل قل ايا رباه شفع احمداً فينا غدا واقبل شفاعة احمد

من يدع احمد للشفاعة فهو من عباد احمد وهو غير موحد
حيث الدعاء عبادة بل مخها بنظيره الانسان لم يتعبد
لا تدع من احد مع الباري ولا تعبد سوى الباري وربك فاعبد
قلنا الدعاء عبادة فيمن دعا المخلوق مثل الواحد المتفرد
لكن من يدعو المشفع قائلا يا سيدي اشفع لي له لم يعبد
لا تدع من احد مع الباري به معنى العموم من الدعا لم يقصد
ليس المعية في الوجود مرادة كاغفر ذنوبي واغسلن يا ذا يدي
لو كان دعا عبادة من دعي بين الأنام موحد لم يوجد
من جاء يدعو شافعاً لشفاعة لم يدع من عبد دعاء السيد
بل كان من قال اسقني هو عابد وكذاك قول انصر صديقك واعضد
كيف الشفاعة حقة وسؤالها شرك تعجب للجهالة وازدد
ما كان حقا لا يكون سؤاله شركا فانقص من مقالك او زد
قالوا وشرك الجاهلية قولهم صنما لغير شفاعة لم نعبد
كذبوا فشرك الجاهلية لم يكن طلب الشفاعة من شفيع مفرد
بل كذبوا رسل الاله وكتبه واتوا بدين غير ذاك مجدد
عبدوهم كي يشفعوا عبدوا وقا لوا هم لنا الشفعاء يوم الموعد
العطف والتعليل بينهما قضى فيما قضى بتغاير وتعدد
عبدوا الحجارة طالبين شفاعة منها وليس لها الشفاعة تغتدي
ان اصبحت صوراً لعبد صالح او غيره لشفاعة لم تعدد
لا يقدرون على عبادة ربهم زعموا لذا عبدوا المصور باليد
والبعث انكره فريق منهم والقول في عيسى شهير المقصد
قالوا دعاء القادرين على الذي منهم يراد مجوز لم يردد
لكنما الممنوع ان تدعوهم فيما استطاعتهم له لم توجد
كدعاء ميت في القضاء لحاجة لم يستطعها غير رب سرمد
كشفا المريض ورد شخص غائب ونمو زرع بعد لما يحصد

قلنا فكيف جعلتم من احمد طلب الشفاعة مثل فعل الملحد
والله اعطاه الشفاعة فاغتدى ذا قدوة وهو المشفع في غد
هذا التناقض لا تناقض مثله لنظيره الاسماع لم تتعود
ابمثل هذا الجهل قد حللتموا سفك الدماء وما لكم من مسند
ان الذي يأتي لباب مليكه متشفعا بوزيره لم يردد
افان تشفعنا باشرف خلقه طرا اليه نلم به ونفند
ان الصحابة بالنبي تشفعوا ورجوا شفاعته بيوم المورد
هذا سواد قد تشفع واستغا ث بقوله في شعره المتردد
كن لي شفيعا يوم مالي شافع يغني فتيلا لا ولا من مسعد

* * *

كفرتم من يستغيث بميت ذي منزل عند الاله السرمد
وزعمتم طلب الحوائج منهم شركا بدا من طالب مستنجد
انى وليس سوى التشفع بالمقر ب عند ربك في نجاح المقصد
طلب الحوائج ليس شركا انما تلك الشفاعة فاتخذها تسعد
حتى الذي قد اسند الافعال لا مخلوق فهو حقيقة لم يسند
في المسلمين الحال تشهد انهم قصدوا التجوز في انتساب المسند
كبنى الامير مدينة او انبت الا بقل الربيع بغير ذا لم تشهد
فالاستغاثة والدعاء تشفع بالمستغاث وليس ذا بتعبد
ثم التشفع لا يراد به سوى طلب الدعا من صالح مستنجد
ان كان ليس بقادر في زعمكم فيكون مثل سؤال مشي المقعد
او كان يقدر وهو اصوب لم يكن شركا وليس مريده بمفند
فالروح تشفع عند ربك انها موجودة في علمه لم تفقد
لا تحسبن من في سبيل الله قد قتلوا من الموتى ولا تستبعد
وترد روح محمد فيرد تسـ ليم امرىء يهدي السلام ويبتدي
بل لا يمر على القبور مسلم فيما رووا وسلامه لم يردد

صلوا علي واكثروا فصلاتكم يا قوم تبلغني وتأتى مرقدي
وعلي تعرض دائماً اعمالكم بعد الممات وانني في ملحدي
ان كان من شر اكن مستغفراً لكم وان خيرا شكرت وأحمد
فاذا استغثنا بالنبي وآله في كشف معضلة وامر مجهد
نسب الضلال لنا وهم شفعاؤنا عند الاله ونجدة المستنجد
ماساغ في دفع اليسير دعاؤهم ويسوغ في دفع العذاب السرمد
هذا التحكم لا تحكم مثله هذا مقال الجاهل المتعند

* * *

قالوا التوسل بالعباد محرم كذبوا وقد ضلوا سبيل المهتدي
هذا الكتاب كتاب ربك ناطق ان التوسل من نجاح المقصد
ابدأ الى الله الوسيلة فابتغوا في الذكر جاءت حجة لم تردد
لو انهم جاؤك اذ ظلموا كفت عن كل نص او حديث مسند
فازوا بمغفرة الاله لهم وما ردوا وانت لدى الدعا لم تردد
حال الحياة وفي الممات كليهما فبواحد من ذاك لم تتقيد
ان التوسل بالنبي لدى الحيا ة وفي الممات وقبل وقت المولد
جاءت به الاخبار وهي كثيرة قد ضل من بضيائها لا يهتدي
فلقد توسل آدم بمحمد وبآله ومحمد لم يوجد
وتوسل الاعمى بحق محمد فغدا بصيراً وهو لما يفقد
وتوسل الاصحاب بعد محمد بمحمد متحقق لم يجحد
سألوه بعد الموت يستسقي لهم فسقوا به وكأنه في المشهد
وبكوة بين السماء وقبره مطروا بغيث مثله لم يعهد
وقضى ابن عفان عقيب توسل بالمصطفى المختار حاجة مجتدي
وبعمه العباس يستسقي لهم عمر فكان دعاؤه لم يردد
بالانبياء وبه (١) توسل احمد اذ رام يدفن امه (٢) في ملحد

«١» اي بنفسه بقوله بحق نبيك والانبياء قبلي اغفر لامي فاطمة بنت اسد «٢» اي فاطمة بنت اسد سماها امه .

وبصالح الاعمال قد نقل البخا ... ري التوسل في الحديث المسند(١)
هذا يسير من كثير قد اتى ... فدع المرا ومن التوسل فازدد
وهو الوسيلة دون كل الانبيا ... يوم المعاد ونجدة المستنجد
فبه توسل دائما وبآله ... وبخير اصحاب له واستنجد
فهم الوسيلة للاله بما لهم ... عند الاله من المقام الاوحد
وارفض مقالة جاهل ومعاند ... واهجر طريقة جامد ومقلد
قالوا قريب ربنا من عبده ... ويجيب داعيه ولم يتبعد
ادنى اليه من الوريد يقول اد ... عوني اجبكم عنكم لم ابعد
فلم التوسل والتشفع بالورى ... ادع الاله وغيره لا تقصد
قلنا فكيف الله قال لنا اطلبوا ... لكم الدعا من غيركم بتأكد
حتى النبي محمد طلب الدعا ... من غيره فيما رووا عن احمد
هل كان ذلك يا ترى من بعده ... عن ربه او انه لم يبعد

* * *

الحلف بالمخلوق شرك عندهم ... والله نعم المقتدى للمقتدي
فالله في القرآن صرح مقسما ... بالخلق في قسم له متعدد
بالتين والزيتون والبلد الامير ... ن وبالضحى الضاحي وليل اربد
والعاديات النازعات الناشطا ... ت السابحات السابقات لمقصد
بالفجر اقسم والليالي العشر والش ... فع الذي بالوتر اصبح يبتدي
والمصطفى وابيك قال بمورد ... وابيه ايضا قالها في مورد
وكذا ببيت الله اقسم عمه ... فاقر وهو بمسمع وبمشهد
وابيك فاه بها ابو بكر ومن ... قالوا لعمرك جمعهم لم يعدد
واتى بمخلوق كذاك بحقه ... قسم على الباري فلا تتشدد
وبقول مسروق سألتك بالذي ... في القبر اقناع لكل مفند

(١) في خبر الثلاثة الذين انسد عليهم الغار فتوسل كل بعمل صالح عمله فانفرجت عنهم الصخرة .

والنهي عن حلف بغير الله محـ ـمول على فصل الخصومة يغتدي
او حلفهم باللات والعزى كما قد كان يفعله الجهول المعتدي
والحمل فيه على الكراهة ممكن واللعن في المكروه لم يستبعد

* * *

ندب زيارة احمد في قـبره اعظم بندب في النصوص مؤكد
فهو الوسيلة في المعاد وفي الدنا نعم الشفيع ونعم جدوى المجتدي
من زار قبري قد رووا وجبت له مني الشـفاعة للاله ويسعد
من زار قبري عند حج كالذي منه الزيارة في حياتي تغتدي
ولقد جفاني من يحج ولم يكن لي زائراً من ابيض او اسود
من زارني والى المدينة جاءني كنت الشهيد له شفيعا في غد
من زارني متعمداً جاورتـه يوم القيمة جيرة بتعمد
من حج مكة ثم اصبح قاصداً لي بالزيارة زائرا في مسجدي
ثنتان من مبرور حج خالص كتبا له الجزاء يوم الموعد
وافى بلال من دمشق لطيبة متحملا ليزور قـبر محمد
لما رآه في المنام معاتبـا فأفاق ذا وجل بطرف مسهد
واتى اليه باكيا ومرغا وجها عليه بغلة لم تبرد
قد جاء يروي ذلك ابن عساكر عنـه باسناد قـوي جيد
قدكان صالح آل مروان[1] الذي في الأجر من رب السما لم يزهد
يمضي بريداً للسلام على النبي لغير ذاك بريده لم يبرد
زار النبي لأمه قبرا ولم تسلم بزعم الخصم او تتشهد
نص رواه مسلم بصحيحه هل بعد هذا النص من متردد
زوروا القبور رواه ايضا مسلم عنه فهل من مسلم لا يقتدي
وكذا زيارة غيره من آله ومن الصحاب وكل فذ وحدي

(١) عمر بن عبد العزيز

وحديث لا تشدد لغير ثلاثة ... رحلا يراد به خصوص المسجد
شد الرحال الى الثلاثة وحدها ... ولغيرها من مسجد لا تشدد
مع ان معناه تأكده لها ... لكنه للغير لم يتأكد
والى قبا كم كان يأتي المصطفى ... مشيا وطورا راكبا فبه اقتد
لا فرق في الأسفار بين بعيدها ... لو صح ما قلتم وما لم يبعد
ومضى الى الشهدا بأحد زائرا ... فزر القبور ودع مقال مندد
والبضعة الزهراء كانت دائماً ... تأتي لزورة عمها المستشهد
ندب زيارات القبور مؤكد ... بعدت عن الزوار ام لم تبعد
ندب تأكد للرجال وللنسا ... او للنساء الندب غير مؤكد
وعلى البناء توقفت في الحر وال ... برد الشديد لزائر متردد
لو لا البنا درست معالمها وما ... عرفت ولا يوماً لموضعها اهتدي
ومقدمات المستحب جميعها ... في الندب عنها حكمه لم يزدد
لعن الرسول لزائرات للقبو ... ر الى حقيقة لفظه لم يقصد
وكذاك متخذ المساجد فوقها ... والسرج في الليل البهيم الأربد
ان صح فهو سوى محل نزاعنا ... منه الكراهه قط لم تستبعد
والنهي مخصوصا غدا بالزائرا ... ت من النساء لغاية لم تجحد
وهي التستر والحجاب فوجهه ... التنزيه فاعدل في مقالك واقصد
فشريكه في النهي محمول على ... التنزيه في الرأي الأصح الأرشد
واللعن في المكروه جاء بكثرة ... وكذا نظائره فلا تستبعد
لعن المحلل والمحل له ولا ... تحريم فيه على الاصح الاجود

***

حسن تمسحنا بقبر محمد ... قصد التبرك فاتبعه تحمد
وضعت على العينين فاطم تربه ... وبكته فعل الواله المتوجد
تقبيله حسن وليس محرماً ... بل كان تعظيما كتقبيل اليد
شرف الأديم اذا يجاور مصحفا ... ويهان حيث تراه نعلا يغتدي

ما جاور المسك الذكي ذكا به   منه الأريج قضية لم تردد
ان الكنيف اذا يعمر مسجداً   يسمو الى شرف سمو المسجد
فالارض ان امست ضريحاً للنبي   او الوصي تنل عظيم السؤدد
واذا يجاورها حديد ثم او   خشب ففيه الفضل غير محدد
والمنبر المنسوب للهادي يشر   فه بتشريف له متـــأكد
ان الصحابة بالنبي تبركوا   ببصاقه ووضوئه في مشهد
افقبره الحاوي مقدس جسمه   عن ذاك ينقص لا اذا لم يزدد
ما كان يركب مالك في طيبة   قصداً لتعظيم النبي محمد
في قبر فاطمة تمرغ احمد   كيما يبارك ترب ذاك المرقد
وكذا يجعل قميصه كفناً لها   دفع العذاب عن التي في الملحد

* * *

وكذا توجهنـــا لقبر محمد   عنـــد الدعاء تشفع بمحمد
لا منع فيه لذي البصيرة والذي   غطى بصيرته العمى لا يهتدي
افتى به المنصور قدما مالك   اذ جاء يسأله ولم يتردد
أستقبل الوجه الشريف لدى الدعا   ام قبلة جعلت لكل موحد
فأجابه لم انت وجهك صارف   عنه بل استقبله واسأل واجهد
لك منه خير وسيلة كانت به   لأبيك آدم في الزمان الأتلد
قالوا القبور غدت لديكم وهي كالـ   أصنام فرق بينها لم يوجد
للقبر نذركمو وذبحـــكمو له   كالذبح للأصنام من متعمد
كلا فلم يذبح ولم ينذر لها   من مسلم في دينه متقيد
لكنما الفقراء خصهم بهـــا   وثوابها اهدى لرب المشهد

* * *

راموا من البدع الخلاص فأوقعوا   بأشد منها في العقاب وانكد
اياك والافـــراط فالافراط كا   لتفريط كل منهما لم يحمد
ويل لمن امسى يدخن بينهم   فله العقاب الجم غير مصرد

يا قوم ان حرمتم التدخين عن ... بعض اجتهـــاد منكم وتشدد
فلغيركم فيه اجتهـــاد مثله ... في حكمه الأقوال لم تتوحد
وبالاجتهاد غدا الثواب مقرراً ... فسد الدليل عليه او لم يفسد
فلم العقاب عليه منكم ايهـــا ... الاخوان والاجمـاع لما يعقد
ان جاز في الشرع اجتهاد للورى ... فالمنع عنه خطيئة لم تحمد
فدعوا اجتهاد المسلمين فكلهم ... في ذاك يعذر عند ربك في غد
لذوي الاصابة اجرهم متعدداً ... للمخطئين الأجر لم يتـــعدد
ان كان برهان فجيئونا بـــه ... باللين لا ببنـــادق ومهنـد
ادع الأنام الى السبيل بحكمة ... وبحسن موعظة ولا تتشدد
للدين لا اكراه فيه فقد بدا ... رشد وغي منه للمسترشد
ان الشريعة سهلة سمحاء ما ... جاءت بعسر لا ولا بتشدد
الحق بالبرهان يظهر للورى ... ان كان ، لا تحت القنا المتقصد

***

هب ان تشييد القبور محرم ... وله ادلة ديننـــا لم تعضد
افليس مصلحة الزمان تجيزه ... فبفاسد قد جاز دفع الأفسد
فدعوا المفيد من الأمور بزعمكم ... لضرورة وتمسكوا بالأفيـــد
وعن المكوس سكتم من خوفكم ... شق العصا ووقوعكم في المفسد
هلا سكتم عن قبور هدمها ... اذكى القلوب بضرم لم يخمد
سئتم جميـــع المسلمين بفعلكم ... فلهم قلوب حرها لم يبرد
والناس حاقدة عليكم كلهـــا ... لم يلف بين الناس من لم يحقد
وسررتم الشيطان في افعالكم ... بتبدد للشمل بعد تبـــدد

* * *

ابهـــذه الأيام وهي عصيبة ... سود يشيب لهن فود الأمرد
والمسلمون لكل شخص منهم ... مما عراهم عـــبرة المتنهد
عضدت بصقول الشبا شجراتهم ... لكن بغير اكفهم لم تعضد

عضدت ولم يوجد لها من عاضد ... واهاً لها معضودة لم تعضد
قمتم بايغار الصدور وجئتم ... تورون نار غضاضة لم تخمد
وملأتم الأقطار من غزواتكم ... في كل عامرة وقفر فدفد
وبها يفل الحد من اخوانكم ... بغيا ويشحذ حد سيف الأبعد
وابحتم قتل النفوس تعمداً ... فلكم تحق عقوبـــة المتعمد
والعرب انهم هم الاحرار قد ... وضعت عليهم ربقة المستعبد
قف بالحجاز وعج على مصر وفي ... سورية انظر والعراق له اقصد(١)
تلق الفواجع احدقت في حيث لا ... جلد لذي لب ولا متجلد
واعطف على اليمن المبارك هل ترى ... بين القبائل فدية للمفتدي
من كان يرجو الخير للاسلام عن ... يدكم وللعرب الكرام المجتد
فهو الغبي وكيف يرجو الخير من ... اهل الجمود سوى الغبي الاجمد
والله ليس بغافل عن فعلكم ... لكنه امسى لكم بالمرصد
فتوقعوا عقبى جنايتكم بدنـ ... ـيا كم وفي اخراكم فكأن قد

★

انا نوحد ربنـــا وعلى سوى ... التوحيد فيه قلوبنا لم تعقد
ننفي الشريك وكل ند عنه جل ... وعز من متفرد متــوحد
لم يتخذ جاشاه صاحبة ولا ... ولداً ونشهد انه لم يولد
ولقد شهدنا بالنبي المصطفى ... وبغيره من بعده لم نشهد
ولآله الأطهار والبنـــا ومن ... اعدائهم نبرأ ولم نتردد
وبكل ما قد جاء آمنا ولم ... نحفل بقـول مفند ومندد
ونعظم الهادي وكل معظم ... حيا وميتـــا باللسان وباليد
ونعظم القبر الذي قد ضمه ... فيه تشرف واعتلى للفرقد
ونزوره متبركين بتربـــه ... فبه جلاء الطرف لا بالاثمد
وبلثمه وبلمسه يجلى الصدا ... عند المحب له عن القلب الصدي
زره على رغم الجهول فانه ... غيث الورى واليه رحلك فاشدد

(١) كان ذلك قبل خمس وثلاثين سنة في عنفوان طغيان الاستعمار «الناشر»

وبه لحط الذنب كن متوسلا نعم الوسيلة للفقير المجتدي
وهو الشفيع بحيث كل الانبياء لم يشفعوا عند المهيمن في غد
واسأل من الرحمن ربك عنده الحاجات تعط مناك فيه وتسعد
قم عنده لله ربك داعيا تبـــكي بدمع للخدود مخدد
قل يا الهي ارحم به وبآله واغفر ذنوبي ربنـــا وتغمد
والثم ثراه فانه خير الثرى وانشق شذا مسك به وتزود
خير من الركن المقبل تربه وكذا من الحجر الأصم الاسود
ولقد تشفعنا بـــه وبآله لله في نيل المنى والمقصد
ولقد برئنا من فعال عصابة هدمت ضرائح آل بيت محمد
ان كان شركا فعلنا هذا فلا خير بتوحيد سواه مجدد

تم بحمده تعالى نظمها ضحوة يوم الجمعة الرابـــع من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ وانتهينا من اعادة النظر فيها غدوة يوم السبت التاسع من شهر ربيـــع الأول سنة ١٣٤٧ هجرية والحمد لله على توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وتم تجديد طبعها على يد ولد المؤلف حسن الأمين في بيروت سنة ١٣٨٢

تنبيه هام

حدث خطأ مطبعي في تاريخ طبع الكتاب في الصفحة الاولى فذكر انه سنة ١٩٥٢ في حين ان الصحيح هو سنة ١٩٦٢

تصويب اخطاء

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥	٦	ويتفنون	ويفتنون
٦	٦	ولما رفض	ولماذا رفض
٩	١٨	داحل	داخل
١٠	٣	ينطوا	ينطووا
١٨	١٠	من تربة	في تربة
١٨	٢٣	معتقدة	معتقده
١٩	٢١	واسل	وارسل
٢٠	٤	واعادتها	واعادتهم
٢١	٥	غفير	غفيرا
٢٢	٢٤	فبقى	فبقي
٢٩	٢٢	واطاعة	واطاعه
٣١	١٣	لعسكر	العسكر
٣٤	١٧	لم يبقى	لم يبق
٣٦	١٦	كلما	كل ما
٣٧	٥	الشامين	الشاميين
٣٨	٢٣	تد	قد
٤٤	٢٤	لى	الى
٥٤	١٣	للسلطان	السلطان
٦٥	٢٢	اثرا	اثر
١٠٦	١٣	للعبادة	العبادة

وبقيت اغلاط اخرى لا تخفى على القارىء .

المضامين

نواف بن عبد العزيز بن سعود بين الغانيات وكؤوس الخمر

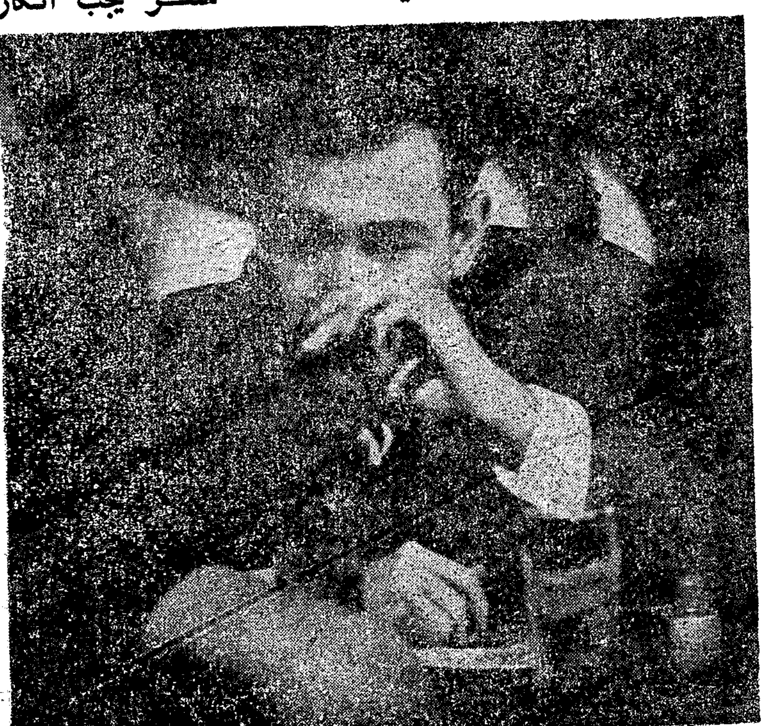


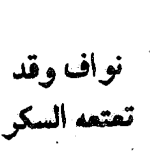
نواف
قد اخذ
يعب
الخمر

عبد الملك بن ابراهيم وعبد الله باشميل طاغوتا «هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» في البلاد المحتلة من السعوديين ، هذا الجلفان اللذان استغلا المنكر والمعروف لاذى الناس البريئين وترويعهم باخس الاساليب واحط الوسائل : هذا الجلفان نضع امام بصريهما هذه الصور لنواف بن عبد العزيز بن سعود ، وهو يحتسي الخمر علناً في خمارات بيروت بين الغواني العاريات ، ونسألهما رأيهما ورأي هيئتهما في هذا المنكر ؟!

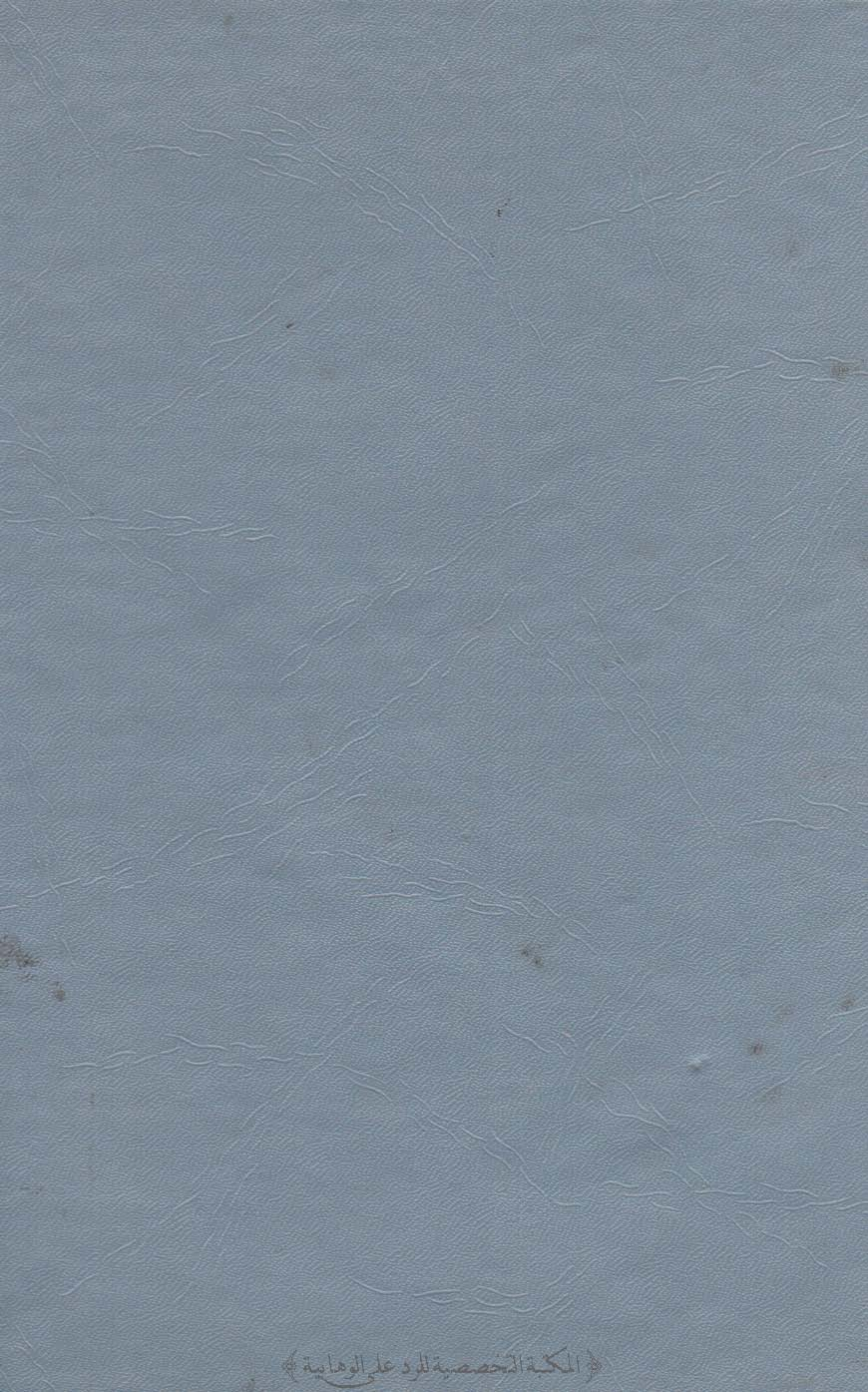
يا عبد الملك بن ابراهيم ويا عبد الله باشميل ويا هيئتهما المنكرة ، يا اتباع السكارى واشياع القيان ، ان كان من منكر يجب انكاره فهو وجودكم ووجود دعوتكم الوهابية وان كان من معروف يجب الامر به فهو ازالتكم وازالة حكومتكم السعودية .

نواف وقد بدا السكر في عينيه





نواف وقد تعتعه السكر


المكتبة التخصصية للرد على الوهابية